


وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم اللغة العربية وآدابها


# ظاهرة الأمراض اللّـــغويّة وعلاقـــتها بعلم اللّسانيـــات الأنثروبولوجي.

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه.


إعداد الطالب

عيسى حميداني

إشراف الأستاذ الدكتور

عبد الجليل مرتاض.


السّنة الجامعية: 2010-2011

# اهداء

-إلى من كان الوضوح سمّته....فكان واضحاً... إلى أن غادرنا إلى الرفيق الأعلى...

إلى روحك الطاهرة أبي "**واضح** "

– إلى مـــن نزل علينا ضيفاً كريماً ذات يومٍ بعد طول انتـــظار ...ففرشنا له من أجســـادنا فراشاً...وددنا سماع صراخه ...مناغاته ...لكنّه أبى ،ورفض ضيافتنا ...ورغب عن مترلنا ...فرحل ذات ليلة دون وداع إلى الأبد...

إلى روحك بنيّ "**واضح عبد السّميع** "

-أيتّها الخادمة الأمينة العظيمة ...كم كابدت من مشاقٍ...لأشتريَ كراساً ...عزمتُ على التنازل عن حقي في التعليم في أول عهدي به ...لكنك رفضتِ ...فقبّلتُ يدك خوفاً ...لكن ها أنا ذا اليوم أقبّلها احتراما وتعظيماً ...

إليك يا أميّ "**الخادم** ".

-هي أحلامٌ جميلةٌ تمنيناها ...لأسماءٍ اصطفيناها ...لكن هيهات ...فالوفاء مريض عليل ...فهجرت السّعادة ساحتنا .

إليكنّ بناتي : **أحلام** ،**أسماء** ،**وفاء** ،و**هاجر سعيدة** ،شفاكما الله .

-كم تجرّعتِ من كأس المعاناة ...فكان الصّبر عنوانك ...لكن لا تحزني عمّا قريب ستفرحين.

إليكِ أيتها الزوجة المخلصة المحتسبة إلى الله "**النبيّة**".

-إلى إخوةٍ أحببناهم فبادلونا المحبّة بإخلاصٍ وصدقٍ "**سليمان** ،**عبد القادر** ،و**محمد**..."

من أجلكم ...ولكم جميعا أيتّها النجوم الساطعة المضيئة التي تضيء لنا في دياجير الظلام ... أهدي هذا النتاج...

**والله الموفق.**

# مقدمة

لا جدال في أن اللسانيات علم غربي بامتياز وافد إلينا من الغرب ،نشأ وترعرع في أجواء غربية مع بداية القرن الماضي ،ركز كامل اهتماماته حول اللغة ،إذ عدّها إحدى الظواهر الطبيعية التي يمكن إخضاعها للتقنين العلمي ،بل اخذ يعالجها بوصفها ظاهرة بشرية عامة ،فعلى الرغم من الجهود الجماعية والفردية لتحديد وضبط المصطلح اللساني الحديث ،إلا أن هذا الأخير لا يزا ل يواجه بعض الاضطرابات والصعوبات ،تبعا لأسباب متفرقة.ولأدل على ذلك ما تعرفه الساحة اللغوية حديثا من تباين في توظيف المصطلحات اللسانية والصوتية ،وما تشهده من تناقض حينا واختلاف حينا آخر في الدراسات الصوتية العربية الحديثة.

لقد تمكن هذا العلم الجديد أن يؤسس لنفسه أرضا صلدة بين زخم هائل من العلوم الإنسانية المتشعبة ،ولا أظنني أجافي المنطق العلمي ومنهجه إذا قلت أن اللسانيات قد تبوأت مترلة رائدة بين هذه العلوم الأخرى لسبب بسيط وهو: ان القاسم المشترك بين هذه العلوم مجتمعة –في عرف الرياضيين –هو اللغة ،هذه الظاهرة التي تتصل بالعنصر البشري اتصالا وثيقا في كل زمان ومكان ،بل هذه الظاهرة تميز البشر عن بقية المخلوقات الأخرى التي تقاسمه هذا الوجود . وبهذا لم تعد اللسانيات –كعلم قائم بذاته–حكرا على اللغويين فحسب ،بل امتدت مجالاتها لتضم باحثين ودارسين ومتخصصين في علوم معرفية إنسانية وطبيعية متباينة الاتجاهات والرؤى ،فأصبحت اللغة هاجسهم وتشكل جزءا هاما من أبحاثهم النظرية والتطبيقية ،ومرّد ذلك هذه الظاهرة المتشعبة التي تعكس بحق السلوك الإنساني ذي الطبيعة المعقدة مما جعل الدرس اللساني في حاجة ماسة أكثر من أي وقت مضى إلى تضافر الجهود لتقديم التفسيرات العلمية الدقيقة لكل المظاهر اللغوية بشتى تشكلاتها .

ليس من العجب القول ان علم اللسانيا ت أضحى مفتاحا لا غنى عنه بالنسبة لجميع العلوم الإنسانية والطبيعة لولوج عالم اللغة ،ومن هنا تشكلت مجموعة من التقاطعات المنهجية بين اللسانيات من جهة ومعارف إنسانية متعددة مما اكسب هذا العلم صفة الاتساع والشمولية. فأصبحت اللسانيات تستعين بعلم وظائف الأعضاء وعلم التشريح وعلم الأعصاب وعلم النفس ،وعلم الاجتماع ،وعلم الجغرافيا ،وعلوم دقيقة جدا كالرياضيات ،وغيرها كثير .وفي خضم هذا التقاطع المنهجي بين اللسانيات والعلوم الأخرى تشكلت فروع جديدة ضمت الازدواجية بين

العلمين المتقاطعين ،ومنها : اللسانيات العصبية ،واللسانيات النفسية ،واللسانيات البيولوجية واللسانيات الاجتماعية، واللسانيات الانثروبولوجية ،والرياضية ،والحاسوبية ...

ولكنني أقول –للأمانة العلمية–ان الساحة اللغوية العربية تشهد نقصا فادحا ان لم نقل انعداما شبه تام للدراسات اللغوية التي تبحث في تلكم التفرعات اللسانية الحديثة وخاصة اللسانيات البيولوجية ،واللسانيات الانثروبولوجية ،واللســـانيات الرياضية ،واللسانيات الحاسوبية .فكم هي عدد المؤلفات العربية التي حاولت ان تكتشف هذه المعالم اللغوية ؟ لاشك ان الإجابة ستكون عل قدر كبير من التشاؤم .بل يجزم الكثيرون على أنها مفقودة تماما في ثقافتنا العربية اللسانية ،وهذا ما يجعل البحث في هذه الفروع شائكا وصعب المراس.

ان البحث في ظاهرة الأمراض اللغوية لا يمكن ان يختصر في فرع بعينه ،وإلا عد إجحافا في حق البحث نفسه لأنه لابد من التعرف على البحوث المعاصرة التي تناولت هذه الظاهرة ،والتي تستدعي حضور كل هذه الفروع ،وخاصة علم الأعصاب وعلم النفس ،وعلم البيولوجيا و،علم الاجتماع .والواقع ان معالجة مثل هذه الظواهر قد يتعدى البحث الذي اعتاده العاملون في العلوم اللغوية من وجهة نظر لغوية بحتة ،بل تجاوز البحث في علم اللسانيات ذلك ،فأصبحت البحوث في فروع لسانية شتى.وهذا –فيما أظن– قد حققناه من خلال موضوعنا الذي يعكس صورة جلية للترابط والتقاطع بين علم اللسانيات وعلم الأعصاب وعلم النفس وعلم البيولوجيا في تناولنا ل"**ظاهرة الأمراض اللغوية وعلاقتها بعلم اللسانيات الانثروبولوجي** " اعتقادا منا ان البحث في هذه الظاهرة يتجاوز الجانبين الطبي والنفسي ويتعداهما إلى الجانب اللساني.

ولّما كانت ظاهرة الأمراض اللغوية قطبا مركزيا للاستقصاء والتفكير في هذا البحث.كان لزاما علينا ان نجيب عن بعض الأسئلة التي من شامها ان تعبد لنا طريق هذا البحث الشائك ،وتزيل عنا الكثير من الغموض والإبهام : ما حقيقة هذه الأمراض اللغوية ؟ وما هي تموقعاتها في التراث اللغوي العربي ؟ هل هذه الأمراض ناتجة عن اختلالات بيولوجية وعصبية خالصة ؟ هل هي ناتجة عن خلل على مستوى الوظائف البيولوجية للدماغ البشري ؟ ثم ما حقيقة العلاقة بين هذه الأمراض اللغوية بعلم اللسانيات الانثروبولوجي في ظل المعنى الواسع لمصطلح الثقافة ؟ هل مرد هذه الأمراض إلى الجانب الاتنولوجي الوراثي ؟ .كل هذه الأسئلة وغيرها سنحاول الإجابة عنها على طول محطات هذا البحث المشكّل من :مدخل وثلاثة أبواب وخاتمة .

تناولت في المدخل أهم الفروع اللسانية التي تشكلت في الثقافة اللسانية المعاصرة نظرا للتقاطع والتواؤم بين علم اللسانيات وبقية العلوم الإنسانية والطبيعية ،مع التركيز على تلك التي لها علاقة

مباشرة مع موضوع البحث ومادته :كاللسانيات العصبية( Neurolinguistique )،واللسانيات البيولوجية ( Biolinguistique)،واللسانيات النفسية ( Psycholinguistique)،وختمت المدخل بتوضيح علمي لأهمية كل هذه الفروع اللسانية مجتمعة ،وحاجاتنا الملحة على ضرورة بحثها ودراستها في الثقافة اللسانية المعاصرة .

أما الباب الأول فقد تعلق بالعلاقة بين اللغة والفكر من حيث مبدأ التأثر والتأثير ،والأسبقية ،في حين أنها علاقة جدلية لا تنتهي .وقد قسّمته إلى ثلاثة فصول .عرضت في الفصل الأول نظريات التفكير ،من خلال الوقوف على النظرية السلوكية والنظريات الإدراكية والنظرية المعرفية .أما الفصل الثاني فقد وقفت فيه على أهم النظريات اللسانية في الفكر اللغوي الحديث ،وبيّنت أهم الآراء اللسانية ومواقفها في معالجتها للظاهرة اللغوية .أما الفصل الثالث فدرست فيه ظاهرة التواصل غير اللساني ،وخصصته للتواصل الحيواني لأخلص ان هذا النوع من التواصل غريزي تبعا لظروف وحاجات بيولوجية لا دخل للغة فيه.

الباب الثاني هو الآخر قد تجسّد في ثلاثة فصول ،بعد ان خصّص لعوائق البيان الصوتية وأثرها على العملية التواصلية .تعرضت بالبحث في الفصل الأول لظاهرة الاكتساب اللغوي بين الفطرة والتقليد محاولين الإجابة عن السؤال الجوهري في الدراسات اللغوية العربية والغربية على حد سواء والمتمثل في الحقيقة اللغوية بين الفطرة والاكتساب.أما الفصل الثاني فعالجنا فيه أنواع الأمراض اللغوية كما يراها جاكبسون ،وهذا تدعيما للآراء السائدة في الفصل السابق.وانتهى الفصل الثالث إلى شبه مقارنة بين العالم اللغوي العربي الجاحظ وجاكبسون وكيف تناولا هذه الظاهرة أي ظاهرة الأمراض اللغوية.

أما الباب الثالث فعنّوناه بالأسس الانثروبولوجية للغة ،محاولين من خلال هذا العنوان ربط الظاهرة اللغوية بالواقع الاجتماعي من جهة ،وإبراز العلاقة بين هذه الأمراض والجانب

الانثروبولوجي الاتنولوجي العرقي.وقد امتد هذا العنوان ليشمل ثلاثة فصول .بحث الفصل الأول منها في المفاهيم الانثروبولوجية في ظل الدراسات المقارنة .أما الفصل الثاني فخصصناه للمدرسة

الأمريكية وتوجهاتها في دراسة الجانب الانثربولوجي للغة .أما الفصل الثالث فتناولنا فيه لجهود أعلام المدرسة الأمريكية ،واقصد بذلك العالم "سابير"Sapir .

وبذلك تحقق لنا الوصول إلى خاتمة التي تعتبر ملخصا وجيزا للبحث عبر محطاته المختلفة ،وتمكنت من رصد بعض الملاحظات والنتائج التي بدت لي أو فرضها البحث.

هكذا حاولتُ في هذا البحث أن أحتوي المعرفة والحقيقة في قضية "ظاهرة الأمراض اللغوية وعلاقتها بعلم اللسانيات الانثربولوجي " ،وأن أسهم بترر قليل —في موضوع قد كتب فيه من قبلُ–وربما يفضي بنا إلى نتائج غير مسبوقة ،ومن بين الدراسات والأبحاث التي كانت سندا قويا في دفع هذا البحث قدما إلى الأمام ،نذكر : " البيان والتبيين" للجاحظ ، و" الخصائص " لابن جني ،و" قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث " لمازن الوعر ،," سيكولوجية اللغة والمرض العقلي" لجمعة سيد يوسف،و" مباحث في اللسانيات " لأحمد حساني ،و"اللغة والتواصل "و" في رحاب اللغة العربية " و"التحولات الجديدة للسانيات التاريخية " لعبد الجليل مرتاض ،و" محاضرات في علم النفس اللغوي " لحنفي بن عيسى ،وغيرها من الدّرر النفيسة التي هوّنت عليه مشقة هذا البحث.
أما المصادر الأجنبية فنذكر منها :

- Jean Dubois et autres " Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage "
- -F.de Saussure " Cours de linguistique Générale."
- Oswalt Ducrot et Tzvetan Todorov " Dictionnaire encyclopédique des science du langage ".
- André Martinet " la linguistique ( guide alphabétique).
- -Nadia Sam "L'aphasie de l'enfant ".
- Sherwood "Physiologie Humaine " .
- Jean Dubois et Autres – " Dictionnaire de Linguistique et des Sciences du Langage ".
- Marie Louise Moreau " Sociolinguistique .Concepts de Base "

ولمّا كانت المناهج والأدوات التحليلية في الأصل خزان للأسئلة التي نسائل بها صيرورة البحث،فقد تصورت ان المنهج الذي يمكنه ان يحتوي هذا البحث هو المنهج الوصفي التحليلي المقارن ، لان طبيعة الموضوع فرضت المنهج الوصفي اعتمادا على آليات التحليل خاصة فيما تعلق

بالجوانب العلمية من البحث ،وما أكثرها!فضلا عن المقارنة خاصة في الباب الثاني الفصل الثالث من البحث.

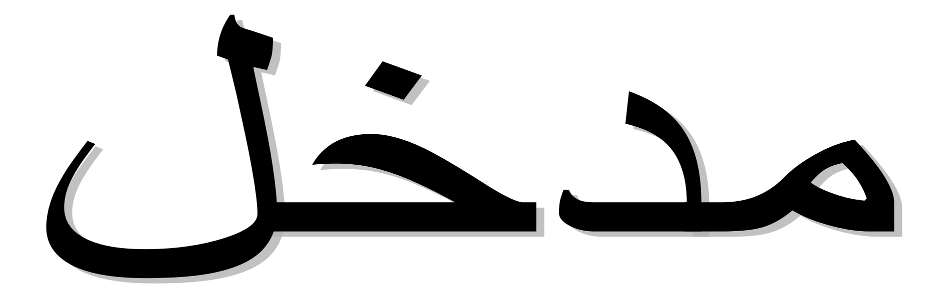
صعاب جمّة واجهتها في أحيان كثيرة ،فقد لا أخفي عنكم سرا أنني أبديت رغبةً في التنازل عن البحث في هذا الموضوع في بداياته لاعتبارات أقرها إلى العقل والمنطق :صعوبة الخوض في مثل هذه المواضيع ،إن لم أقل: إن الخوض فيها في حد ذاته مغامرة غير محمودة العواقب.ومما زاد الطين بلّة —كما يقال–ان الدراسات اللغوية العربية التي ألفت في هذا المجال اللساني المتشعب قليلة وقليلة جدا إن لم نقل منعدمة ،وما وجد منها فلا يشفي الغليل ،فكان لزاما عليّ–بعد مساندة الأستاذ المشرف– العودة للموضوع ثانية والاستنجاد بالمصادر والمراجع الأجنبية في هذا المجال. ضف إلى كل ذلك تشتت الأفكار ،ومسيرة البحث وما تخللها من انشغالات ومتاعب.

نظراً لكل ذلك فأنا على يقين من أنّي لم أوف البحث حقّه لما قد يتراءى للجنة المناقشة الموقرة من وهن وزلل فيه ،لكنّي أقول وبكل تواضع وفخر : ان المحاسن والنقاط المضيئة التي أنارت هذا البحث ،فالفضل كل الفضل فيها يعود إلى أستـــاذي المشرف .وما خالفت فيه الصواب ،وابتعدت فيه عن جادة البحث العلمي ومنهجيته،فأتحمل كامل تبعاته ومسؤولياته كاملة غير منقوصة وحيدا منفردا.

ختاما أقول :معذرة —أيّها العلماء والباحثون المتخصصون والقراء–إن لم آتكم بالبضاعة المزجاة ،وقد رمتها .وإقراراً بالفضل لأصحاب الفضل ،فإنّي ممتنٌ لأستاذي الدكتور عبد الجليل مرتاض لتفضله يالاشراف على هذا البحث ،وحرصه الدائم عليه حتّى يبلغ نهايته ، وما كان لهذا العمل الأكاديمي أن يبلغ هذه النهاية لولاه بعد المولى عزّ وجلّ. وإنّي في هذا المقام أنحني له احتراما لّما أسداه إليّ من نصائح وتوجيهات قيمة ،كما أتقدم إليه بخالص عبارات الشكر والامتنان .

واللهَ أسألُ أن يبارك في هذا العمل ،وينعم على المشرف عليه بدوام الصحة والعافية والعلم النافع .

آمين ،والحمد للّه رب العالمين.




فروع لسانيّة

لاشك أن اللـــــغة البشرية أضحت منـــاط اهتمام للعـــديد من الدراسات ،والكثـــير من الاهتمامات ،فلم تشهد دراسة الظاهرة اللغوية كل هذا الاهتمام كالذي شهدته في بداية القرن الماضي ،وليس أدل على ذلك من بزوغ فجر جديد ،وعلم واكب الدراسة اللغوية في مختـــــلف أطوارها وتحولاتها ،وقدم العديد من التفسيرات العـــلمية والموضوعية لهذه الظاهرة الإنسانية ،ونعني به هذا العلم الغربي بامتياز ،في نشأته الحديثة ،كما في تطوره الراهن وصـــــراع مدارسه وتباينها وكثرة مذاهبه وتشعبها .هو علم اللـــسانيات من حيث هو« الدراسة العلمية ،والموضوعية للسان البشري ،من خلال الألسنة الخاصة بكل مجتمع »[1]،فقد بـــات هذا العلم محور اهتمـــام الكثير من العلوم الإنسانية الأخرى ،،بل قدّمت اللسانيات مفاتيح علمية لباقي العلوم الإنسانية والدقيقة على حد سواء ،والأعظم من ذلك –أكاد أقولها إلى حد الجزم-أنها أصبحت في مقدمة اهتمامات هذه العلوم لسبب بسيط ،وهو أن الظاهرة اللغوية قـــــاسم مشترك فيما بينها على الرغم من اختلاف الرؤى ،وتعدد زوايا البحث والاستقصاء .

إن علم اللسانيات الحديث بالنسبة للعـــــلوم الإنسانية كلها هو « كعلم الرياضيات بالنسبة للعلوم الطبيعية الدقيقة كلها ،فكما أن الرياضيات مفتاح كل حداثة بالنسبة للعلوم الطبيعية ،والتي لا يمكنها أن تضبط نظرياتها العلمية إلا إذا اســــــتعانت بالرياضيات الحديثة فكذلك الشأن في اللسانيات التي أصبحت مفتاح حداثة العلوم الإنسانية لضبط نظرياتها ومنـــاهجها ،وضبط النتائج النظرية والتطبيقية التي تفرزها هذه النظريات والمناهج »[2].من هنــــا امتدت مجالات علم اللسان لتشمل ميادين وتخصصات أخرى لها علاقة وشيجة باللغة ،خاصة في ظل تنامي الاهتمام بالظاهرة اللغوية ،وهذا يدفعنا للحديث عن هذه العلـــوم الإنسانية التي تفرض على علم اللسانيات التعامل معها ،فكان لزاما الاستعانة بعلوم أخرى لتقدم التفسير الكافي ،والعلمي الدقيق لبعض الظواهر التي تمس اللغة ،ومن هذه العلوم التي أصبحت عونا لعلم اللغة : علم الاجتماع ،وعلم النفس ،وعلم التشريح ،وعلم الجغرافيا ...الخ ،وفي ظـــل هذا التواؤم ظهرت فروع عدة لعـــلم اللسانيات : كاللسانيات العصبية (Neurolinguistique )، واللســــــانيات البيــــــــولوجية (Biolinguistique ) ، واللــــسانيات النفـــــسية (Psycholinguistique)

[1] –أحمد حساني " مباحث في اللسانيات " ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر 1999 ،ص 14.

[2] -مازن الوعر " قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث " دار طلاس ،دمشق ،سوريا ،1988 ،ص18

واللـــــــــسانيات الاجتمـــــــــاعية ( Sociolinguistique) ، ،واللســـــانيات الجغرافية (Géolinguistique ) ،واللـــــسانيات الانثـــــــــــروبولوجية ( Linguistique Anthropologique) ، وغيرها من التقاطعات أو القـــواسم المشتركة بين اللسانيات والعلوم الأخرى .

إن البحث في هذه المجالات مجتمعة يعد ضربا من المجازفة العلمية غير المحمودة العواقب ،بالنظر إلى تشعباتها المعرفية ،وتنوع مجالاتها الإجرائية ،لذا سنتناول البعض منها خاصة تلك التي تمّت بصلة قوية لموضوع بحثنا تعميقا للفائدة ،ودعما للبحث ومحطاته،وضبطا للنظريات والمناهج.

**اللسانيات العصبيّة** (Neurolinguistique ):

لقد جرت العادة في تناول الظاهرة اللغوية ان يكون تناولا لغويا بحتا إلى درجـــة كبيرة ،لذا فان علماء اللغة يتحدثون عن ظواهر يجزمون في أحيان كثيرة أنها من اختصــــاصهم ووقف عليهم بل ويدافعون بقوة عن ذلك من أجل تكريس مادتهم كعلم من العلوم .فالبحث في قضــــايا فلسفية كالشعور واللاشعور ،والخوض في النفس الإنسانية وكشف عملياتها المعرفية والانفعالية ،وملاحظة سلوكاتها ،وتتبع هذا الأداء لغويا أو اجتماعيا أو انفعاليا معرفيا ،كل ذلك رهين بعلمـــاء اللغة . لكن التطور–حسب علمنا —حان أوانه ،فتطورت هذه المفاهيم فبدأ علماء اللغة يتحــدثون عن علوم أخرى يمكن أن تشاركهم هذه الاهتمامات ،وتمدهم بالتفسيرات المقنعة التابعة لاختصاصهم ومن أمثلة هذا التقارب ما حدث بين علمـــــاء اللغة وعلماء البـــــيولوجيا وعلمـــــاء الوراثة (Génitique )وعلماء الطب (Médecine )،وعلماء الأعصاب (Neurologues ) لبحث السبل الكفيلة لتقديم المعارف العلمية الدقيقة حول اللغة والكلام ،والمناطق المسؤولة عن كل ذلك .

إن الهدف من اللسانيات العصبية هو «فهم الأسس العصبية للغة والكلام ،ومن ثم تفســـيرها ووصف العمليات التي تربط باستعمال اللغة ،كما تهدف إلى دراسة الصـــعوبات والمشكلات التي تواجه الصغار والكبار وتســـمى بأمراض الكلام مثل تأخر الكـــلام واحتبـــاس الكلام (الافازيا) وصعوبة القراءة واللعثمة واللجلجة...»[1]

[1] – سامي عياد وآخران ،"معجم اللسانيات الحديثة " ،ص 93.

بات لزاما أمام هذا الوضع الجديد لعلم اللغة أن تستعين بالأبحـــــاث العلمية التي تفردها لها اللسانيات العصبية من خلال الدراسة الدقيقة للدماغ * البشري نفسه(ينظر الشكل المبيّـــن لمناطق الدماغ البشري ) وتعيين وظائفه وتطور تركيبه باعتباره المسؤول عن إنتاج اللغة .لقد أصبح علماء الأعصاب « قادرين عـــلى توثيق التغيرات التي تمس خلايا الدماغ الرضيع الناتجة عن التفاعــــل المبكر بينهـــم وبين الراشدين من حولهم .فابتسامة الأب ومناغاة العمة كلها تظهر آثـــارها على الرضيع نتيجة للتغيرات التي تطـــــرأ على الكيفية التي تتصل بها الخلايا العصبية ببعضــــها البعض .حتى قبل الميلاد فإن الأجنة( Embryons )تبـــــدو أكثر حساســـية لصوت الأم وضربات قلبها ،وعندما تولد تكون قـــــادرة على التعرف على صوت الأم وتفضله عن أي صـــــوت أنثوي آخر.»[1]

ان أكثر القدرات تأثرا بالتفاعل الاجتماعي —حسب علمنا —القدرة على إنتـــــــاج اللغة فبالرغم من أن الطفل يولد ولديه رغبة واستعداد للكلام ،فإن اللغة تعتمد كليا على سمـــاع كلام الآخرين ،فكل طفل يولد « بقدرة كامنة للتمكن من لغة من بين 5000 لغة أو لهـــجة ،ومع نهاية العام الأول يبدي الرضيع اكتسابه لألفاظ لغة واحدة ... » [2] ومعنى ذلك أن الإنســـــان مبرمج بيولوجيا لاكتساب لغة مجتمعه ،ومفطور على التعامل بها.

إن الحقيقة العلمية التي أكاد أجزم بقولها أن البحث اللساني العصبي ( Neurolinguistique) في الكلام الحبسي وشتى الأنواع من الأمراض اللغوية سيفتح بلا ريب آفاقا جديدة لدراســــــة الدماغ ووظائفه دراسة شاملة ،ويفتح آفاقا لدراسة علم اللغة والأنظمة الســـيميائية الأخرى أيضا لكن لاشيء لاح في الأفق حتى الآن بدليل نقص المراجـــــــع ان لم نقل انعدامها في هذه المجال

---

* يمثل الدماغ (Encephale )الجزء العلوي من الجهاز العصبي المركزي ،وهو موجود في التجويف الجمجمي .يضم الدماغ المراكز العصبية العليا المسؤولة عن التنسيق بين الحواس وحركات الجسم .ينقسم الدماغ الى المخ (Cerveau )،ومخيخ ( Cervelet )ونخاع مستطيل (Tronc Cerebral ).

المخ هو الجزء الأكبر في الدماغ .وينقسم الى نصفي كرة (Hémispheres ) أيمن وأيسر يفصل بينهما شق عميق .يرتبط نصفا الكرة المخية ببعضها البعض بواسطة مجموعة من الألياف العصبية .

– لمزيد من التوضيح والشرح ،ينظر :نوريا روكا ومارتا سيرانو " الخلايا المورثات والصبغيات "،تر :محمد هناد ،دار القصبة للنشر ،ط2007،الجزائر ،ص 14.بتصرف

[1] - محمد عودة الريماوي " علم نفس النمو "الطفولة والمراهقة " دار المسيرة للنشر والتوزيع ،عمان ،الاردن ،ط1 ،2003 ،ص 181.

[2] - المرجع نفسه ،ص 182.

المعرفي اللساني العصبي ،بل ليس ثمة شيء معروف عن الشبكة الداخلية للتواصل اللفظي حتى الآن لاسيما الطور العصبي للسمات التمييزية الداخلة والخارجة ،وربما نأمل في أن البيـــولوجيا العصبية ستمدنا في المستقبل القريب بإجابة عن هذه المسالة الأساسية لفهم الوحـــــدات اللسانية الرئيسة ودراستها دراسة إضافية [1].

**اللسانيات البيولوجية** (Biolinguistique) :

ترى اللسانيات البيولوجية أن اللغة ما هي إلا تكوين بيولوجي كبقية العمليات البيولوجية الأخرى لدى العنصر البشري ،أو بالأحرى يقوم هذا العلم « بدراسة اللغة كظـــــاهرة بيولوجية للكائن الحي مع التركيز على الجوانب العصبية والفيزيولوجية والوراثية وغير ذلك . »[2]،ولعل هذا العلم يركز على العلائق بين الوظائف اللغوية ،والوظـــــائف البيولوجية التي يمكن من خلالهـــــا استثمار هذه المعطيات لتقديم التفسير العلمي لنواح لسانية خفية ،يصعب على الباحث الوصول إلى حقيقتها ،ولعل ذلك ما ذهب إليه مازن الوعر في قوله : « علـــم اللسانيات البيولوجي هو وصف وشرح العلائق الرياضية التجريدية القائمة بين الوظائف اللغوية ،وبين الوظـــــائف البيولوجية ثم الاستفادة من ذلك في نواح لسانية تطبيقية عديدة ... »[3]

إن الأمر الذي لا يختلف فيه اثنان هو أن اللغة ظاهرة فكرية ذهنية مرتبطة بالإنسان ،وتحديدا على مستوى الدماغ ،ولا تتعداه إلى غيره من المخلوقات الأخرى على الرغم من أننا نسمع ونقرأ في الكثير من الأحيان عن لغة الحيوانات كالنحل والغربان والشمبانزي ،ونحـــو ذلك إلا ان هذا الوصف يستعمل على سبيل التجوز لا غير ،وفضلا عن ذلك استطاعت اللسانيات البيولوجية أن تقدم التعليلات العلمية لبعض الظواهر المرتبطة باكتساب اللغة ،وحصر الأمراض اللغوية التي يمكن أن يتعرض لها الإنسان لأسباب وظروف نفسية ،واجتماعية ،أو خلل على مستـــوى الأعضـــاء

[1] - ينظر :رومان جاكبسون " الاتجاهات الأساسية في علم اللغة " تر :علي حاكم صالح وحسن ناظم ،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ،المغرب ،ط1 ،2002، ص119.

[2] – أحمد مختار عمر " محاضرات في علم اللغة الحديث " عالم الكتب ،القاهرة ،ط1 ، 1995 ،ص54.

[3] - مازن الوعر ، المصدر نفسه ،ص403.

الفيزيولوجية المصوتة ،لأن الهدف « الأول والأخير في البحـــث البيولوجي اللســـاني هو دراسة العلاقات القائمة بين الوظيفة اللغوية للإنسان وبين الوظائف الأخرى في الدماغ البشري .»[1]

لذا انبرى العديد من العلماء الباحثين في هذا النطاق إلى اقتراح جملة من الوصفات العلاجية لهؤلاء المرضى ،وقد أثبتت البحوث نجاعتها في هذا الميدان نهائيا ،أو على الأقل التقليل من خطورة أعراضها على مستوى التواصل اللغوي ،الذي يعتبر من أهـــم الوظائف التي تضطلع بها اللــــغة الإنسانية لأن « الوظيفة الأساسية للغة هي التعبير والتواصل ،لأنهـــا قادرة على تلبية كل المتطلبات للجماعة المتكلمة بها » [2].إذن ما الفائدة المرجوة من الجانب البيولوجي إذا لم يكن في مقدوره أن يصل إلى تحديد العلاقة بين الجانب الوظيفي للدماغ البشري المسؤول على إنتاج الأصوات اللغوية والبنية البيولوجية ،لأن معرفة بنية العلاقات القائمة بين الوظائف اللغوية ،وبين الوظائف البيولوجية في الدماغ البشري ،هو هدف مقصود بالنسبة للسانيات البيولوجية على حد قول عبد الســـــلام المسدي ،وذلك من أجل الاستفـــادات التطبيقية من هذه المعلومات في معالجة الأمـــراض اللغوية ومعرفة بنية اللغة البيولوجية ،واختــلافها عن بنية المعــرفة الموجــودة عنـــد أذكى الحيـــوانات كالشمبانزي ...ومعرفة التطورات اللغوية التجريدية العاملة في دماغ الطفل ،واستخدام ذلك في تقنيات العلم والتعليم للغات البشرية . [3]

في الحقيقة إن البنية اللغوية البيولوجية معقدة جدا بدليل ان البحوث المختلفة التي صبت جل اهتماماتها على ظاهرة الاكتساب اللغوي عند الطفل لم تصل بعد إلى حقـــائق لا يماري فيها أحد ،والى درجة المسلمات( Postulats) العلمية بدءا بالأمراض اللغوية المرتبطة بالجهاز النطقي والأصوات التي تعتريها هذه الأمراض لأن« البحـــث الحديث في علم اللسانيات ينظر إلى هـــذه الظاهرة نظرة لسانية بيولوجية ،لأن هناك علاقة وشيجة بين المرض اللغوي والمرض الفيزيولوجي مـــن حيث الأمراض التي يتعرض لها اللسان وزلقاته ،وانحرافاته ،بالإضـــافة إلى التــــداخلات الصوتية »[4]

[1] - عبد السلام المسدي " اللسانيات من خلال النصوص" ،الدار التونسية للنشر ،ط2 ،1986ص143.
[2] - ANDRE Martinet " éléments de linguistique générale"Armond Collin ,4éd 1998; P 9
[3] - ينظر مازن الوعر ، المصدر المذكور سابقا ،ص 402.
[4] - مازن الوعر ، ، المصدر المذكور سابقا ،ص551.

لاشك ان البحـــث البيولوجي يهدف-كما أشرنا - إلى دراســـة العلائق بين البنـــــية البيولوجية والوظائف المختلفة للدماغ البشري ،هذا الأخير كما أوضـــح المختصون ينقسم إلى أربعة منـــاطق رئيسية وهـــي «الفص القذالي :ويقع في منتصف مؤخرة المخ ،وهو المسؤول عن الإبصار ،أما الفص الجداري فيتواجد في أعلى مؤخرة المخ لتحديد الإحساسات الجسمية ،والمعالجة اللغوية ،في حين نجد الفص الصدغي فوق وحول الأذن ومهمته التعامل مع ما يرد إليه عبر حاسة السمع وبعض الذكريات ،وأخيرا الفص الجبهي ويتموضع في مقدمة الدماغ حـــول الجبهة ،وهو آخر جزء من الدماغ يكتمل نموه من مهماته المهارية الحركية والسلوك والوعي ،والذاكرة والذكاء والإبداع »[1].إذن أصبح واضحا ان الدماغ البشري بمختلف مكونـــاته يضطلع بمهام متعددة ،و لم يدرك البحث الطبي والبيولوجي إلى حد الآن إلا الجزء اليسير منها ،مما يجعل البحث في هذا الميدان العلمي صعبا ،ومع ذلك فقد أشار علماء البيولوجيا اللسانية إلى أن هناك مناطق مختلفة في الدماغ البشري ،تختص كل منطقة بوظيفة معينة لها قوة فيزيولوجية واتزان مضبوط [2] .بالإضـــافة إلى أن الدماغ البشري مزود وراثيا بمناطق متخصصة في جميع الوظائف المعرفية [3].

المؤكد -بحسب المعطيات العلمية-أن الدماغ يتألف من نصـــفين(Deux Hémisphères يطلق عليهما استنادا إلى بعض المراجع المتخصصة :الدماغ الأيمن ،والدماغ الأيسر ،فالنصف الأيسر يحكم سيطرته على الشق الأيمن من الجسم ،في حين النصف الأيمن يسيطر على الشق الأيسر من الجسم . لقد اتضح جليا ومن خلال التشريح أن المنطقة المسماة « منطقة "بروكا "(Broca ) *وهي مركز خاص في الدماغ للغة في التلفيف الجبهي الثالث( C.F.G )على وجه التحديد .وكان بروكا يعتقد أن تخريب هذه المنطقة أو إصابتها بآفات تنجم عنهما اضطرابات لغوية .ومنذ ذلك الحين أصبح ذلك التلفيف يعرف باسم هذا العالم (الجراح الفرنسي)» (4) .

[1] - محمد عودة الريماوي "علم نفس النمو ( الطفولة والمراهقة ) ،دار المسيرة للنشر والتوزيع ،عمان ،الأردن ،ط1 ،2003 ،ص 184.

[2] - ينظر مازن الوعر ،المصدر السابق ،ص283 ،ولمزيد من التفاصيل حول بنية الدماغ البشري ،والمناطق المختلفة المشكلة له ،ينظر محمد عودة الريماوي ،المصدر السابق ،ص 185.

[3] -Nadia Sam "L'aphasie de l'enfant " office des publications universitaires ;2008 ;P09.

* -نسبة الى الجراح الفرنسي مكتشف هذه المنطقة من الدماغ.

[4] -حنفي بن عيسى "محاضرات في علم النفس اللغوي "ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،ط5 ،2003 ،ص 272.

إن اكتشاف هذه المنطقة الحساسة من الدماغ ،وخاصة التلفيف الجبهي الثالث الأيسر من اللغة من قبل "بروكا " في سنة 1861 والأبحاث تأخذ بعين الاعتبار العلاقات بين النمو الدماغي وظاهرة الاكتساب اللغوي ،فضلا عن وظائف سامية أخرى [1] .ولعل ما أومأ إليه الدكتور حنفي بن عيسى على وجود هذه المنطقة المركزية للغة (منطقة بروكا ) أكدته أيضا البحوث التي قام بها " فرانك ورنيك (F.Wernicke ) من خلال أبحاثه التشريحية للدماغ ،وأكد أن « أي خلل يصيب هذا الجزء قد يؤدي حتما إلى إتلاف الخلايا التي تساعد على تكوين الصور السمعية للكلمات ،ومن ثم يصبح المصاب يعاني من حالة مرضية أضحت تنعت في عرف العلماء بالعمى السمعي ،وهو نوع من الأفازيا الحسية ...وقد تظهر هذه الحالة في التبدلات الصوتية التي تطرأ على نطق المصاب ،مما يؤدي إلى الغموض والإبهام فيما يتلفظ به ،ويصبح الكلام هنا متداخلا وغير مفهوم.» [2] ،وأظهرت النتائج التشريحية أن أي تلف في منطقة (بروكا) يؤثر في قدرة الفرد على التعبير اللغوي في الوقت الذي يستطيع فيه فهم العبارات المسموعة [3]،في حين إذا كان هناك تلف في منطقة ( فرنيكا ) ،فان ذلك يعيق عملية فهم التعابير اللغوية ،ويؤثر في قدرة الفرد على ربطها بالسياق الذي تحدث فيه [4] .

إن الحديث عن ظاهرة الأمراض اللغوية يجرنا حتما إلى إلقاء الضوء على ظاهرة الاكتساب اللغوي وفق ما تراه اللسانيات البيولوجية ،مع علمنا ان الاكتساب اللغوي عند الطفل قد حظي بكم وافر من الدراسات النظرية والميدانية من قبل النظرية السلوكية خاصة عند "سكينر"(Skinner) ،والنظرية المعرفية لــ"بياجي "( Piaget) ،ولدى زعيم المدرسة التوليدية التحويلية "شومسكي (Chomsky ) ،ولكننا سنضيّق دائرة البحث ليتسنى لنا معرفة :ماذا قدمت المدرسة البيولوجية لظاهرة الاكتساب اللغوي ؟أو ما هي جملة الأسس المعرفية والعلمية التي اعتمدتها هذه المدرسة في دراستها لظاهرة الاكتساب اللغوي ؟

---

[1] --Nadia Sam "L'aphasie de l'enfant "P09.

[2] -احمد حساني " دراسات في اللسانيات التطبيقية –حقل تعليمية اللغات – ، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر،سنة 2000 ص 125 ،نقلا عن مصطفى فهمي " أمراض الكلام " ، 65.

[3] -Sherwood "Physiologie Humaine " Nouveaux horizons ; 2 éd , P121

[4] - ينظر :عماد عبد الرحيم الزغلول " الاضطرابات الانفعالية والسلوكية لدى الأطفال " دار الشروق ،الأردن نط1 ،2006،ص .135

تستند ظاهرة الاكتساب اللغوي إلى أسس بيولوجية واجتماعية وثقافية ،لان الطفل السويّ مهيأ من الناحية الفيزيولوجية والفطرية لتعلم اللغة الأم ،وذلك بتضافر أطراف أخرى اجتـــماعية ونفسية و«يعتقد عالم اللســــانيات البيولوجي " ايريك لينبرج "Eric Lennenberg واضع تلك النظرية أن هناك مستويات بيولوجية عدة لتعلم اللغة ،هذه المستويات البيولوجية هي مختلفة عند الأطفال وعند الكبار ،وذلك لأن الخلايا الدمـــاغية ومراكزها عند الأطفـــــال هي خلايا فيزيـــولوجية طرية ورخوة غير متشكلة من الناحيـــــة البيولوجية ، لذلك فإنه من السهولة على الطفل أن يكتسب العملية اللغوية في هذه الفترة من عمره دونما جهـــد أو صعوبة ودونما لهجة أو لكنة متميزتين . لكن عند الكبار الأمر يختلف ،فالبنية الدماغية هنا تكون قد أخذت شكلها التام والكامل ... »[1] إذن لقد صار جليا –من خلال الدراسات –أن الاكتساب اللغوي قد أحيط بهالة من الآراء والاعتقادات ،ويكفينا دليلا على ذلك النظريات المتعددة التي حاولت ان تؤسس لنشأة اللغة وهذا موضوع صعب المراس على الأقل في بحثنا هذا،ولكن المـــؤكد أن اللغة خاصية بشرية وأن للسلوك اللغوي علاقات وطيدة بالخصائص المورفولوجية والوظيفية لجسم الإنسان ،مما حفز « علماء الأحياء والتشريح والأطباء واللسانيين على البحث فيما إذا كانت هناك ظواهر بيولوجية تؤيد هذا الاعتقاد ،ومن أشهر هؤلاء الباحثين " **ايريك لينبرج**"»[2]

اللغة ملكة طبيعية كُرم بها الإنسان دون سواه بالنظر إلى المكونات الفيزيولوجية والمورفولوجية التي لا تتوفر في غيره،وهذا ما ذهب إليه " لينبرج" ،ومن هنا فاللغة الإنسانية « ملكة فطرية لا تكتسب بالمحاكاة وبالسمع ،ولكنها تكتسب بالحدس ،فالسماع ينميها ويطورها بيد أنه لا يصنعها »[3] ،ولكن هذا الفعل اللساني بحاجة إلى تعزيز (Renforcement ) إسقاطا على لغة السلوكيين ،لان الدماغ البشري مهيأ لاكتساب اللغة ما بين السنتين الثانية والعاشرة وذلك لرخاوة القشرة الدماغية في هذا السن ،بالإضافة إلى أن اللغة واكتسابها مرتبط بجوانب أخرى مهمة جدا على المستوى العضوي والنفسي ،والمهم من كل ذلك أن العمل الدماغي شبيه

---

1 – محمد صالح بن عمر " كيف نعلم العربية لغة حية ؟ بحث في إشكالية المنهج " ،دار الخدمات العامة ،تونس ،ط1 ،1998 ،ص 25 وما بعدها ،وينظر–مازن الوعر ،م نفسه ،ص 554–555.

[2] - نايف خرما " أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة " ،عالم المعرفة ،الكويت ،1978 ،ص 166.

[3] - نور الهدى لوشن " مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي " ،المكتبة الجامعية ،الإسكندرية ،ص 341

بالعملية الشكلية الرياضية في الدماغ الالكتروني ،ولكم أن تتصوروا حجم المعلومات اللغوية المخزنة ،وأهمية وعظم هذه المهمة.[1]

لقد اعتاد الباحثون معالجة ظاهرة الأمراض اللغوية –من أمراض زلقات اللسان ،وانحرافاته ،فضلا عن التداخلات الصوتية التي من شأنها أن تعكر صفو العملية التواصلية التي هي غاية اللغة– معالجة طبية أو نفسية خالصة ،ولكن البحث الحديث في علـــم اللسانيات ينظر إلى هذه الظاهرة نظرة لسانية بيولوجية ،لأن هناك علاقة وشيجة بين المرض اللغـــوي والمرض الفيزيولوجي،وهذا من اهتمامات واختصاصات العلماء البيولوجيون واللسانيون البيولوجيون على حد سواء.

**اللسانيات النفسية** (Psycholinguistique) :

علم اللغة النفسي علم حديث النشأة ، لم تتبلور معطياته ومفاهيمه إلى درجة كبيرة ،ولكنه أصبح علما قائما بذاته ،له مفاهيمه الخاصة ،وميدانه الإجرائي الذي يتخذه منــــوالا لاستثمار معطياته النفسية واللغوية .مما هو بادٍ من خلال العنوان فإن هذا العلم يتشكل من علمين بارزين علم اللغة من جهة ،وعلم النفس من جهة أخرى ،فحـــدث هذا التقاطع مما يجعل الموضوع أشد تعقيدا وصعوبة .

يتكون علم اللسانيات النفسي من علم اللغة بالإضافة إلى علـــــم النفس ،ومن اهتماماته موضوع الاكتساب اللغوي ،ويهتم أيضا باللغة ودراسة آليات فهمها وإدراكها من الناحية النفسية فهو علم يدرس « ظواهر اللغة ونظرياتها وطرائق اكتسابها وإنتاجها من الناحية النفسية مستخدما أحد مناهج علم النفس .»[2]

لعل ظاهرة اكتساب الطفل اللغة ونموها عبر مراحل مختلفة من حـــياته وخاصة في سنوات عمره الأولى ،منذ الميلاد وحتى الثالثة أو الرابعة تقريبا وهي المرحلة التي تكتمل فيها سيطرته على اللغة ،هذه الظاهرة ليست « مشكلا لغويا فحسب ،بل تصحبها عوامل عقلية ونفسية واجتماعية تؤثر بلا شك في عملية النـــمو اللغوي ،وليس من العلم في شـــيء تجاهل العوامل أو الغض من

---

[1] - ينظر ميشال زكريا " قضايا السنية تطبيقية ،دراسة لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة تاريخية " ، دار العلم للملايين ،بيروت 1993 ص 26.

[2] - جلال شمس الدين " علم اللغة النفسي مناهجه ونظرياته وقضاياه " الإسكندرية 2003،ج1 ،ص 10

شأنها. »[1]وهذا يــــؤكد بقوة أنه لا يمكن دراسة لغة من اللغات بمعزل عن العــلوم الإنسانية الأخرى،التي من شأنها أن تقدم الكثير من الحقائق حول هذا العلم أو ذاك.

لا يمكننا في هذا المجال ان نقدم مسحا تاريخيا لتطور هذا العلم وبداياته إلا ما كان ضروريا لهذا البحث بالنظر إلى هذا التناقض حينا والتداخل حينا لآخر بين علم اللغة النفسي وعلم النفــس اللغوي ،حتى وإن كان بعض الدارسين لا يجدون حرجا في المزاوجة بينهما وكأنهما من رحــــم واحدة .فالمصطلحان «مترادفان ،فهناك تداخل بين أدبيات الاختصاصين وفق تقاطع طبيعي لدرجة أن بعضهم يذهب إلى أن التفرقة بين الاختصاصين وهمٌ ولا لزوم لها من الجانب المنهــجي ،وإنما تعطى الأهمية للمتقدم ... »[2].

إن علم النفس اللغوي موضوعه الإنسان من حيث هو كائن يرغب ،يحس ويدرك وينفعل ويتذكر ويتعلم ويتخيل ويفكر ويعبر ويريد ويفعل ،وهو في كل ذلك يتأثر بالمجتمع الذي يعيش فيه ،ولكنه قادر على أن يتخذه مادة لتفكيره وأن يؤثر فيه [3].

لقد عني العديد من الباحثين في علم النفس اللغوي بدراسة الأمراض اللغوية بشتى أشكالها ،وعلاقتها بظاهرة الاكتساب اللغوي ،وأكد هؤلاء الباحثون على أهمية إشراك علم اللسانيات في معاينة هذه الظواهر ودراستها ،ويعتبر " جاكبسون " من الذين ألحوا « على دراسة الحبسة من زوايا متعددة لا من قبل اللسانيين فحسب ،بل من قبل أخصائيين في الأمراض العقلية والعصبية ،والنفسية .»[4]

إن علم النفس يمكننا من التعرف على وسائل لتعليم اللغة بجهود أقل وبوقت أقصر ،ومجالاته :

-دراسة ومعالجة عيوب الكلام : صنف العالم " هيد ( Head) الحبسات التي هي نوع من أنواع فقدان الذاكرة (Amnesie) إلى أربعة أنواع :

– الحبسة اللفظية (Verbal Aphasie) يجد المريض نفسه عاجزا عن استحضار الكلمات قولا وكتابة .

---

[1] - حلمي خليل " اللغة والطفل دراسة في ضوء علم اللغة النفسي " دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،بيروت ،لبنان (دط)(دت) ،ص 07.

[2] - صالح بلعيد " علم اللغة النفسي " دار هومة للطباعة و والنشر والتوزيع ،الجزائر 2008،ص 11

[3] - مراد وهبة وآخرون " المعجم الفلسفي " ط2 ،القاهرة 1971 ،ص 239.

[4] - أحمد مومن " اللسانيات النشأة والتطور " ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،ط 3 ،2007 ، ص 149.

-الحبسة الاسمية (Nominal Aphasie) لا يستطيع المريض فهم معنى الكلمات
- الحبسة النحوية (Syntactic Aphasie) عدم القدرة على تركيب الجمل الصحيـــحة نحويا
-الحبسة الدلالية (Semantic Aphasie) لا يستطيع فهم معنى الجمل .[1]

ومن فوائد هذا العلم في السياسة والحروب ،تلعب اللغة دورا أساسيا في تقوية معنويات الجيش أو تثبيطها ،ويوجد في كل جيش دائرة الإشراف على الجانب النفسي اللغوي في علاقات القيادة مع الجيش ومع العدو ،وبالمناسبة نذكر حادثة جرت في الحرب العــالمية الثانية عندما ألقت الولايات المتحدة بمناشير على الجنود اليابانيين كتب عليها : "إني استسلم " بهـــــدف تثبيط همة اليابانيين ودفعهم إلى الاستسلام ،ولكن على غير المتوقع ،كان رد فعل الجنود اليابانيين عنيفا فقد تفانوا في القتال . فالعبارة أدت إلى نتيجة عكسية ،وباستجواب احد الأسرى اليابانيين أفـــاد أنه من العار عليه أن يستسلم ،فهو يفضل الموت على الاستسلام ،هكذا قام الجيش الأمريكي بتغيير العبارة إلى " إني أتوقف عن المقاومة " فكان لها الرد النفسي المتوقع.[2]

من هنا نستنتج أن علم النفس اللغوي فرع من فروع علم النفس ،وهو أسبق ظهورا وأوسع مجالا ،ومن أهدافه خـــــدمة علم النفس ،ودراسة أمراض الكـــــلام والجوانب النفسية وكيفية علاجها،بينما يضطلع علم اللغة النفسي بخدمة الأهـــداف اللغوية لا النفسية ،نظـــرا لأنه فرع من فروع علم اللغة ،ويدرس اللغة لأسباب لغوية [3].

وتحقيقا للفائدة ،واختصارا للجهد نقترح جدولا نبيّن من خلاله أهم الفروقــــات بين علم اللغة النفسي وعلم النفس اللغوي :

[1] – خير الله عصار " محاضرات و تطبيقات في علم النفس اللغوي " دار النهضة للكتاب ،(دت) (دط) ،ص 08.
2 – ،م نفسه ،ص 08.
[3] - صالح بلعيد،المرجع نفسه ،ص 11-12.

| علم النفس اللغوي | علم اللغة النفسي |
|---|---|
| -فرع من فروع علم النفس<br>-اسبق ظهورا وأوسع مجالا.<br>-هدفه خدمة علم النفس.<br>-يدرس ويصف أمراض الكلام والجوانب النفسية وكيفية علاجها.<br>يدرس اللغة لأسباب نفسية. | -فرع من فروع علم اللغة .<br>-يسخر أعماله لخدمة الأهداف اللغوية.<br>-يدرس اللغة لأسباب لغوية . |

إن مصطلح "علم اللغة النفسي " قد استـــــــقر في نهاية الستينات من القرن الماضي على موضوعات محددة في علـــــم اللغة التطبيقي (Ling –Appliquée )تتصـــل باكتســـــاب اللغة (Acquisition du Langage )سواء عند الأطفال عند تعلمهم اللغة الأم (Langue Maternelle )أو عند البالغين عند دراســـــة لغة أجنبية باعتبارها لغة ثانية ( L-Secondaire)بالإضــــافة إلى موضوعات أخرى مثل أمراض الكلام وغيرها من طرق معالجة النطق.[1]

تعتبر ظاهرة اكتساب اللغة Language Acquisition من أهم الظـــــواهر التي تهتم بها اللسانيات النفسية التي تأثرت منذ بداية الستينيات بنظرية القواعد التوليدية "لشومســـــكي التي ترى أن الأطفال يولدون وهم مزودون بقدرة فطرية للمبادئ الصـــورية التي تحدد التراكيب النحوية في جميع اللغات وأما هذه المعـــرفة النظرية فهي التي توضح نجاح اكتساب اللغة وسرعتها لديهم ....واهتمت اللسانيات النفسية أيضا بقضية تعليــــــم اللغة Language Teaching والصعوبات التي تواجه الصغار والكبار في تعلم اللغة الأم أو اللغة الأجنبية ،هذا إلى جانب ظاهرة إدراك الكلام وفهمه ...هذا إلى جانب دراسة العوامل النفسية المختلفة وأثرها في ممارسة المتكلم للنشاط اللغوي ونرى في هذا المجال دراسة ما يسمى بأمراض الكلام ( تأخره ،احتباسه ، صعوبة القراءة Dyslexia والثاثاة Lisping واللعثمة Stammering واللجلجة Stuttering وقد

[1] - ينظر حلمي خليل ،المرجع نفسه ،ص 31-32

اعتبر البعض ان دراسة مثل هذه الظواهر المرضية الخاصة بالكلام من اختصاص اللسانيات العصبية Neurolinguistics [1]

**اللسانيات الاجتماعية**(Sociolinguistique ):

يجمع اللسانيون وعلماء الاجتماع على أن اللغة ظاهرة اجتماعية ،بل هي مؤسسة اجتماعية على حد التعريف السوسيري ،فلا وجود لنظام لغوي منفصل عن الجماعة التي تستخدمه ،ومن هنا كانت أهمية الدراسات الاجتماعية للغة .لأنها توضح العلاقة بين اللغة من جهة والحياة الاجتماعية من جهة أخرى ،واثر المجتمع في مختلف الظواهر اللغوية .وأن اجتماعية اللغة تنبـــــع من اعتباطية العلاقة بين متكلمي اللغة الواحدة ،والمجتمع ،فهي حاملة الفكر ،والمكون الأساسي لثقافة كـــل شعب من شعوب المعمورة لأنها الوسيلة الأنجع على تسجيل المعرفة المتجمعة وتثبيتها ونقلها من جـــيل إلى جيل والى الشعوب الأخرى .فلا مجتمع بلا لغة ،ولا لغة حية بلا مجتمع يتكلمها ،لأن حياة أي لغة في استعمــــــالاتها ويوحي هذا التوافق بوجود رابط وعلاقات متبادلة بين ما هو لغوي وما هو اجتماعي .ولا يمكن أن نفصل بينهما في كل الأحوال .فعلم اللغة الاجتماعي «يقوم بدراسة التباين الاجتماعي الذي يظهر واضحا في المجتمع اللغوي ويسجل الفروق اللغوية الموجودة بين طبقات المجتمع المختلفة ،كما برصد التحولات أو الانتقال الاجتماعي من طبقة لأخرى واثر ذلك على الأشكال اللغوية التي يختارها أفراد تلك الطبقة » [2] .حتى "دي سوسير " لم يستطع أن يفصل اللغة عن خارج واقعها الاجتماعي ،ولذلك حين اهتدى إلى القول :« إن اللغة في نظرنا إنمـــا هي اللسان مفتقدا الكلام وهي مجموعة من العادات اللغوية التي تمكن المتكلم من الفهم والإفهام»[3]،ثم مــــــــا لبث أن عاد مستدركا :«إلا ان اللغة بهذا التعريف لا تزال خارج إطار حقيقتها الاجتماعية ،لان هذا التعريف يجعل منها أمرا خياليا ،إذ أنه ، أي التعريف ،لا يشمل سوى جانب واحد من جوانـــــب الواقع اللغوي هو الجانب الفردي والحال أن وجود اللغة متوقف على جمهور المتكلمين ،وخلافا للظاهر ومهما كان العصر لا يمكن أن توجد اللغة خارج إطار الظاهرة الاجتماعية ،وذلك لأنهـــا ظاهرة دلائلية .ويمثل طابعها الاجتماعي إحـــــــدى

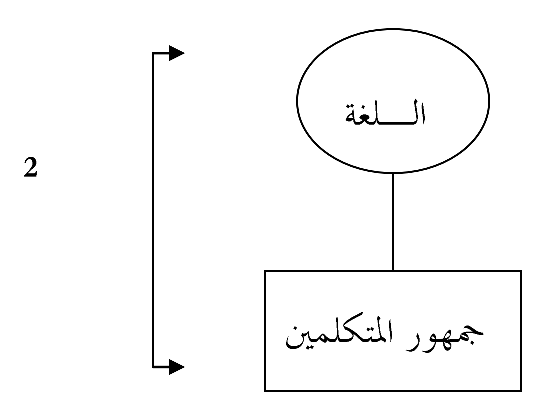
---

[1] - ينظر : سامي عياد وآخران ،معجم اللسانيات الحديثة ،ص115-116.

[2] - كريم زكي حسام الدين " أصول تراثية في علم اللغة " ،مكتبة الانجلو المصرية ،ط3 ،1993 ،ص 101.

[3] - محاضرات في الألسنية العامة ،تع :صالح القرمادي وآخران ،الدار العربية للكتاب،طرابلس ،ليبيا ، (دط) (دت) ،ص123 .

خصائصها الداخـــــلية .ولهذا فان تعـــــــريفها الكـــامل يبرز لنا أمـــرين متلازمين لا ينفصلان . »[1].ولتوضيح الأمر أكثر يمكننا الاستعانة بالرسم التالي :




والأكثر من ذلك أن بعض المدارس اللسانية قد وُصفت تبعا للمجال الإجـــــرائي الذي تتخذه منوالا لدراساتها وأبحاثها على نحو مـــدرسة "جنيف " التي توصف بالاجتماعية ،لذلك يقرر "سوسير " على أن اللسان هو الجــــانب الاجتماعي من اللغة ،فاللسانيات علم يدرس حياة العلامات في إطارها الاجتماعي .

ولا تكاد تختلف المعاجم المتخصصة في تعريف موحد جامع للعلاقة بين هذين العلمين ،فعلم اللسانيات الاجتماعي ما هو إلا جزء من اللسانيات في حقل يجمع الكثير من التخصصات كعلم الاجتماع اللغوي ،والجغرافيا اللسانية ،وعلم اللهجات (Dialectologie )[3]

لا يمكن أن نتصور أن "دي سوسير " في معالجته للظاهرة اللغوية وإقرانها بالواقع الاجتماعي قد جاء كل ذلك من فراغ ،بل بالعـــكس قد استمد " دي سوسير " هذا التصـــور الاجتماعي

---

[1] – م-نفسه ،123-124 .

[2] - نفسه ،ص 124

[3] Jean Dubois et Autres - " Dictionnaire de Linguistique et des Sciences du Langage " éd Larousse ,1994,P 435.

للظاهرة اللغوية من تأثره الواضح بالعـــالم الاجتماعي ( اميل دوركايم ) ( E-Durkheim)الذي «تنبه إلى خصوصيات الظاهرة الاجتماعية –فأمست اللغة– إذ ذاك–ظاهرة اجتماعية كغيرها من الظواهر الاجتماعية الأخرى ... »[1]

ان هذا التقاطع بين علم اللغة من جهة أولى ،وعلم الاجتـــــماع من جهة ثانية تولد عنه ما يعرف حاليا بعلم اللغة اللساني أو اللسانيات الاجتماعية ،هذا العلم يدرس « الخطوط العامة التي تميز المجموعات الاجتماعية من حيث أنها تختلف وتدخل في تناقضات داخل المجموعات اللسانية العامة ،التي تفصح عن العلاقات الشخصية والقيم الحضارية والاجتماعية ،ومن أهم موضوعاته :

-الازدواجية اللغوية وتعدد اللهجات .

-ظواهر التنوع اللغوي .

-الدراسة الوصفية للأوضاع اللغوية .... »[2]

إذا كان الدرس اللساني قد بلغ درجة متقدمة في فهم اللغة البشرية وطبيعتها ،وإدراك كنهها فان ذلك يعزز مكانتها ضمن العلوم الإنسانية الأخرى ،بل الإقرار بتضافر الجهود المخـــــتلفة في حقول معرفية شتى ،وهذا كله مدعـــاة لاستثمار المعطيات اللسانية استثمارا واعيا،والاستفادة من الأبحاث العلمية في مختلف التخصصات لاسيــــما ما تعلق منها بالدراسات العصبية والاجتماعية والنفسية ،والبيولوجية ،وهذا كله من شأنه أن يدفع بالدراســـــات اللسانية ،ومختلف العلوم التي تتقاطــــع معها منهجيا إلى المضي قدما لإحراز نتائج أفضـــل في فهم طبيعة اللغـــة الإنســـانية وخصوصياتها.

---

[1] - احمد حساني " مباحث في اللسانيات " ،ص 21.،وينظر :
-Marie Louise Moreau " Sociolinguistique .Concepts de Base " Mardaga 1997 ;P 88

[2] - صالح بلعيد " دروس في اللسانيات التطبيقية " ،دار هومة للطباعة ،الجزائر ،ط1 ،2003 ،ص10-11.

**اللسانيات الجغرافية(Géolinguistique):**

إن الباحث في حقل اللسانيا ت ،وبخاصة الفروع التي تفرعت عنها قد يجد بعض الصعوبة والنصب في إدراك وفهم بعض المفاهيم والمصطلحات اللسانية ،وخاصة في ظل التداخل بين المصطلحات ذات الصلة القوية بين العلم والمادة التي يتخذها مجالا إجرائيا له ،لأننا ندرك أن لكل علم موضوعه الخاص الذي يسبح في فلكه،فيتخذه مجالا إجرائيا له .فاللسانيات الجغرافية كعلم هو نتاج أو محصلة التقاطع بين علمي اللسانيات ،وعلم الجغرافيا ( Géographie ) ،ونظرا للصلة القوية بين علم اللهجات(Dialectologie ) واللسانيات الجغرافية (Géolinguistique)فهناك من المعاجم الفرنسية من يرى ان هذا العلم الأخير هو « جزء من علم اللهجات ،يهتم بدراسة التغيرات(Variations )من خلال الاستعمال اللغوي من قبل الأفراد أو الجماعات المنتمية لمواقع جغرافية مختلفة » [1] .ان ما يمكن فهمه من خلال التعريف السابق هو صعوبة الفصل بينهما لأنه- كما ذهب المعجم الفرنسي نفسه- ان « مصطلح الديالكتولوجيا (علم اللهجات ) يؤخذ في بعض الأحيان على أنه مرادف (Synonyme ) للسانيات الجغرافية نشأ في ظل أبحاث النـــــــحاة الجدد( Néogrammairiens ) » [2] و يقول الدكتور عبد الجليل مرتاض في السمت نفسه :«شتان ما بين البقر وجنون البقر ،وهذا لا يعني في مفهومنا أن علم اللهجات يمكن له ان يقوم بذاته مستغنيا عن كل ما عداه ،ونحن نعلم أن هذا العلم من أشد العلوم الإنسانية احتيـــاجا إلى عوامل وعلوم أخرى تساعده ... »[3].

إن الأمر الذي لا يختلف فيه اثنان هو ان العامل الجغرافي كان له الدور الهام في استقصاء وبحث ودراسة الظاهرة اللغوية وتحديدها لدى الدارسين العرب قديما ،وخير دليل على ما نسعى لتوكيده تحديد سمات الفصاحة ومقاييسها لدى العرب القدماء تبعا لعوامل جغرافية بحتة.يقول دي سوسير في هذا الشأن : « إن من يباشر مسالة علاقة الظاهرة اللسانية بالمكان ،يخرج من اللسانيات الداخلية ويدخل في مجال اللسانيات الخارجية .[4] * .فاللهجات في حقيقة الأمر ما هي

---

[1]- Jean Dubois et autres " Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage " éd , Larousse –Bordas 1999 ,P218

[2] - Jean Dubois et autres;IBID ,P : 144.

[3] - عبد الجليل مرتاض " مقاربات أولية في علم اللهجات " ،دار الغرب للنشر والتوزيع ،ط2 (دت)،ص 11

[4] -F.de Saussure " Cours de linguistique Générale "éd ,Payot ,Paris 1981 ;P261

* --En abordant la question des rapports du phénomène linguistique avec l'espace ;on quitte la linguistique interne pour entrer dans la linguistique externe .

إلا «أنماط تكلمية منشقة عن القواعد الكلية للغة الأم ،ونجد ذلك بيّنا في المجتمعات العربية والأوربية ،فكان « الديالكتولوجيا أو علم اللهجات علم أعم من اللسانيات الجغرافية . » [1] .فهذه الأنماط التكلمية النابعة أصلا من اللغة المثالية لأي مجتمع لغوي تحاول في مجملها ان تجاري اللغة الأم لكنها في حقيقة الأمر لا يمكنها ان ترقي إلى مستوى هذه اللغة ،نظرا للاختلافات النحوية والصرفية والفونولوجية ،وحسبنا دليلا على ذلك ما تشهده الساحة العربية من تموقعات لهجية قد تكون في بعض الأحيان حتى في الرقعة الجغرافية الواحدة المحددة ،فما بالك بهذه التغيرات وتفاقمها من بيئة عربية إلى بيئة أخرى ،ولا نحسب ذلك وقفا على اللغة العربية فحسب بل ان الظاهرة نفسها يمكن تسجيلها في البلدان الغربية ،والتنوع اللهجي الذي لحق اللغة الانجليزية مثلا أو اللغة الفرنسية هي الأخرى.

إن العمل الذي أقدم عليه اللغويون العرب قديما في تحديدهم لرقعة الفصاحة قد راعوا الجانب الجغرافي خاصة في ظل هذا التزاوج بين الثقافة العربية وبقية الثقافات الأخرى فهذا التمازج الثقافي والتفاعل الحضاري بين العرب والأعاجم تمخض عنه هذه العاميات العربية المتنوعة الكثيرة التي لا يحسن عدّها و يحدد قواعدها حتى الآن أحد من الباحثين في علم اللهجات لما آل إليه وضع هذه اللغة العربية الفصحى من فساد ،وانجر عنه من تكسير لمحاصيلها الصوتية والنحوية والصرفية والفونولوجية .

وخلاصة ذلك أن رقعة الفصاحة بدأت تضيق مع مرور الزمن ولأسباب محددة ،فكان لزاما على الرواة خاصة تخير القبائل الفصيحة ،ولعل أواخر القرن الرابع الهجري شهد توقيع شهادة الانقراض للفصاحة العربية ،قال ابن جني : «وعلى ذلك العمل في وقتنا هذا ، لا نكاد نرى بدويا فصيحا ،وان آنسنا منه الفصاحة في كلامه ، لم نكد نعدم ما يفسد ذلك ويقدح فيه ،وينال ويغض منه »[2].ونظرا لهذا التضييق الحاصـــــل في ينابيع الفصاحة العربية كان لابد من مراعاة بعض المقاييس وعلى رأسها البعـــــــد الجغرافي ،فتحاشى الرواة الاعتماد على الروايات من القبائل التي تتصل اتصالا مبـــاشرا مع بقية

[1] - عبد الجليل مرتاض " المصدر نفسه " ،ص 19

[2] - ابن جني" الخصائص "تح محمد علي النجار،مطبعة الهدى ،بيروت ،ط2 ،ج2 ص5

الأمم المجاورة ، فالرواة حين هاموا في البادية لرواية اللغة راعوا القبائل تبعـــــا لمواقعها الجغرافية وهو أن يكون وسط أو قلب شبه الجزيرة بعيدة عن الأطراف الأربع المتاخمة لأمم عـــدة كالفرس والقبط ،والبيزنطيين والحبشيين[1] .حرصا منهم على سلامة اللـــسان العربي ،وتفاديا لظاهرة اللحن .من هنا جـــاز لنا القول ان العامل الجغرافي عامل مهم في التعامل مع الظـــاهرة اللغوية ،فالدارسون العرب الأقدمون أسسوا تحرياتهم اللغوية على العامل الجغرافي ،ويظهر ذلك في حرصهم الشديد على تحديد رقعة الفصاحة تحديدا جغرافيا [2] .ولعلنا من خلال هذا الطرح نقاسم أستأذنا عبد الجليل مرتاض القول « إذا أردنا ان نكون واقعيين ،فان توثيق اللغة العربية ولهجاتها وآثارها الأدبية قبل جمعـــها وتدوينها كان قائـــما على أوصاف مركزية وتموقعـــــات جغرافية واضحة »[3].

في ظل هذا التداخل بين المصطلحين اللسانيين بات من المؤكد ان نعين ونضـــــع الخطوط الفاصلة بينهما خاصة في البحوث اللسانية التي تتناول هذا الجانب المعرفي ،فاللسانيات الجغرافية لم تولـــد من فراغ ،ولكـــل علم مصدر أو موضوع يحـــال إليه ،وكذلك الأمـــر بالنسبة لعـــلم الديالكتولوجيا .فأيهما مستوحى من الآخر ؟ كثيرة هي الأعمال والمراجع العلمية واللغوية وبألسنة مختلفة التي حاولت قراءة أو دراسة علم اللهجات تكاد تتأرجح بين علم اللهجات أو اللسانيات الجغرافية من حيث الاستعمال والتوظيف وخاصة ما كتب ويكتب ضمن الأعمال اللغوية العربية وهذا « من أكثر المواقف تعاسة في هذا الميدان تلك الرؤى التي لا تفرق بين اللهجات كظواهر من ظواهر الاتصال مثلها مثل اللغا ت تماما أو بوصفها تكلمات محلية خاصة بالتعـــارض مع اللغة كتكلمات وطنية عامة ،وبين علم اللهجات كحقل منهجي له أدواته وإجراءاته ،تارة يترامى إلى أذنك عـــلم اللهجات وقد يراد به اللهجات عينها ومرة تسمع هذه الأخـــيرة ،ويقصد بها الأول ولربما قرأت خلطا أوقعك في لبس وشك من أمرك بين هذا وذاك» [4]

[1] - ينظر : عبد الجليل مرتاض " اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي " ،دار الغرب للنشر والتوزيع (دت) دط ، ص 45.

[2] - ينظر : أحمد حساني " مباحث في اللسانيات العامة " ، ص25.

[3] - عبد الجليل مرتاض " المصدر السابق " ، ص39.

[4] - عبد الجليل مرتاض " مقاربات أولية في علم اللهجات " ،ص09.

علم اللهجات (Dialectologie ) -كما أومأنا إلى ذلك – يكاد يكـــــون مرادفا لمصطلح اللسانيات الجغرافية فهو الدراسة التي تختص باللهجـــات ( Dialectes )،أو اللهجات الخاصة أو الفردية (Idiolectes )،وهي " الدراسة المقارنة لمجـــموعة من اللهجات التي تغطي فضاء لسانيا هذا الحـــقل يسمى أيضا لسانيات جغرافية ،ونتائج هذه الأبحاث يمـــكن أن تودع في أطلـــــس لســـاني "[1].من هنا يتبادر إلى الذهن أن اللسانيات الجغرافية قد اعتمدت في تأسيس أبحاثـــها على ظواهر لهجية معينة تبعا لتموقعات جغرافية محددة مسبقا ،لذلك فإننا نجد أنفسنا مضــــطرين إلى القـــول بأن أول علم منهجي ولساني عرفه العرب هو اللسانيات الجغرافية أولا وعلم اللهجات ثانيا .[2] وما يؤكد هذا المنحى التغيرات التي تشهدها اللغة المثـــالية بحسب حيــــــــزها الجغرافي والاستنتاجات التي أقرها الباحثون اللسانيون اعتمادا على تلك الملاحظات والاستعمالات اللغوية من هنا يمكن ان نسمي اللسانيات الجغرافية الدراسة لكل التغيرات المرتبطة بتأصيل مستعملين اللغة هي في الوقت نفسه اجتماعي وفضائية [3]،بل لا وجود –في حدود علمي- لعلم اسمه " لسانيات جغرافية" بمعزل عن هذه الظواهر التكلمية والاستعمالات المتنوعة للغة. فمفهوم اللســــــــــانيات الجغرافية مستوحى من علم اللهجات وعائد إليها وليس العكس ،ولكنه يظل موصولا باللسانيات بشكل عام وبعلم اللهجات بشكل خاص [4].

فاللسانيات الجغرافية –كما يرى الأستاذ أندري مارتيني –هي « كل ما يعثر عليه في أي فضاء من تواصلات لسانية يمكن نقل وتسجيل وقائعها المتكونة من كل الأنظمة والأصناف والخرائط تمثل مواقع جغرافية ،بينما الديالكتولوجيا من جهتها تفهم » [5]

بات من المؤكد لدينا أن مصطلح اللسانيات الجغرافية قد تأسس على معطيات لهجية متنوعة يحددها الزمان والمكان ،وأن رصد هذه التكلمات المنبثقة عن اللغة المثالية جعلهم يدركون الفرق الواضح بين اللغة واللهجة على خلاف ما يعتقده البعض .ولابد ان نشير أيضا ان هذا الحـــقل من

[1]--G .Mounin " Dictionnaire de la linguistique " PUF .Paris 1979 ; P/ 106

[2] - عبد الجليل مرتاض " اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي " ، ص39.

[3]- - Oswalt Ducrot et Tzvetan Todorov " Dictionnaire encyclopédique des science du langage " ;éd du seuil 1979 ; P: 79

[4] - ينظر :عبد الجليل مرتاض " مقاربات أولية في علم اللهجات " ،ص 20.

[5]- -André Martinet " la linguistique ( guide alphabétique ) ;éd denoel ;P: 215.

البحث اللساني وأخص بالذكر :اللسانيات الجغرافية وغيرها من الفروع الأخرى لازال حقلا بكرا يحتاج إلى الكثير من الدراسات والبحوث التي من شأنها أن تقدم دفعا معرفيا لكل باحث في هذا المجال .

# الفصل الأول

# التصور التفاعلي بين اللغة والتفكير

تعد اللغة الإنسانية من أهم المظاهر العقلية والاجتماعية المعرفية والانفـــعالية التي تميـــــز الإنسان عن باقي المخلوقات الأخرى التي تقاسمه هذا الوجود ،فلا عجب أنها الحــــامل المادي للكثير من المنجزات الحضارية التي ابتدعها ،وأصبحت بـــذلك منهلا متدفقا للعديد من العلوم والاستكشافات في شتى الميادين المعرفية ،بل بها تمايزت هذه المجتمعات البشرية منذ الأزل فاللغة عنوان حاضر بالأمس ،ومستمر خاصة في ظــــل التطورات التي تحياها المجتمعات البشرية حاضرا ومستقبلا .

فإذا كانت اللغة بهذه المترلة ،كان من الأجدر العودة إليها لدراستها ،ومحاولة تسليط الكثير من الأضواء لفهمها وفك رموزها ،وبالتالي فهم هذه الظاهرة ،فكانت موضوعا استفز التفكير وحرك الوجدان من لدن العديد من المفكرين والفلاسفة والمناطقة وعلماء اللغة أمثال "دي سوسير ( F.D Saussure. )،وبلومفيلد ( Bloomfield ) ،وشومسكي( Chomsky )من الأوربيين ،والخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه وابن جني وغيرهم من العرب .

**التصور الفلسفي للغة والفكر :**

من منا لا يتذكر المقولة الشهيرة التي تؤسس للعلاقة بين اللغة والتفكير لـــ "رينــــــي ديكـــــارت R.Descartes (1596–1650)" أنا أفـــكر ،إذا أنا موجود" [1]،فالتفـــكير باعتباره عملية عقلية بحته تؤكد على إنسانية الإنسان في هذا الوجود إذن فالفرق بيّن وبين الحيوان الذي لا يمتلك هذه الخاصية الفريدة حتى لدى الحيوانا ت التي توصف عادة بالمتطورة ،لأن ليست هناك حيوانات بمقدورها تركيب خطاب ،وليس مرد ذلك لغياب أعضاء النطق لديها ،وإنما لغياب الفكر لديها«لقد لاحظ "ديكارت " نفسه أن الــــلغة خاصية إنسانية بحتة ،حتى ولو في درجات دنيا من الذكاء و حتى في مستويات مرضية ،يمكن التحكم في الأداء اللغوي ،وذلك طبعا ليس في مقدور القرد مثلا »[2] .الفكر وفق هذا الطرح خاصية تخص الإنسان دون سواه ،ولا عجب أن حملت الكثير من الآيات القرآنية الكريمة هذه الميزة ،وأولتها الاهتمام اللاز م بدليل توالي المدخل المعجمي "فكر " ومشتقاته المورفولوجية في كثير من آي القرآن الكريم ،الذي يمهد الطريق السوي للعقيدة الصحيحة من خلال التدبر للآيات الكونية التي تبرهن –مما لا يدع مجالا للشك–

---

1-" -Je pense  Donc je suis"

2  -N-Chomsky  -Langage et Pensée"  TRAD , Jean-Louis Calvet ,éd Payot ,1969, , P24

على قدرته سبحانه وتعالى وعظمته وتفرده في الخلق .قال تعالى : ﴿إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازّينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كان لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون ﴾(1).

أما إذا عدنا للمعاجم الفلسفية في هذا المجال ،فإننا نلفي أنها تناولت قضية الفكر وعلاقته باللغة من زاوية ميتافزيقية ،فالفكر بمفهومه الخاص تقديم شيء معين عقليا ،أو بعبارة أخرى تقديمه بمعزل أو دون تدخل للمعاني ،او بشكل عام فالفكر عملية تضم كل العمليات التي تتعلق بالنفس بدءا بالأحاسيس ،وتذهب المعاجم نفسها على اعتبار الفكر هو عبارة عن إصدار حكم او الإدلاء برأي.(2) .

إن العلاقة بين الفكر واللغة ليس من السهل على الباحثين أن يلموا بكل حيثياتها ويقفوا على الجوانب الدقيقة بين هذين الوجهين للورقة او العملة الواحدة على حد تعبير رائد الدرس اللساني فرديناند دي سوسير «يمكن لنا أن نعقد مقارنة بين اللسان والورقة،فالفكر وجهها الأول ،أما الصوت فهو وجهها الثاني ،فلا يمكن إذا أن نمزق الوجهة دون أخرى فكذلك بالنسبة للسان ،لايمكن الفصل بين الصوت والتفكير ،ولا الفكر عن الصوت ».(3)وحتى نهاية القرن التاسع عشر فان فقهاء اللغة (Philologues) يتفقون على تعريف اللغة على أنها تعبير عن الفكر ،فلا معنى لأحدهما دون الأخر،فيشكلان ثنائية (Dichotomie)من الصعب إن لم نقل المستحيل الفصل بينهما لأنهما نشاط وفعالية ذهنية وليس الفكر كيانا مستقلا لوحده .ومن هنا لا يمكننا إدراك الفكر بمعزل عن الكلام الداخلي أو الخارجي «...فالكلمة تؤدي أو من المفترض أن تعطي صورة ما لفكرة معينة تمثّلها. »(4)

من هنا يتضح انه من العبث الفصل بين الفكر واللغة رغم الاتجاهات الفلسفية واللسانية التي حاولت أن تعول على طرف دون الآخر « فهما حركتان متبادلتان (...) يحاول الفكر أولا

---

[1] يونس/24

[2] - Paul Foulquié"Dictionnaire de la langue Philosophique "Presses universitaires de France.1ere éd 1962 P522-523

[3] - F-de sausure "Cours de linguistique génerale" P157

4-Oswald Ducrot " la structuralisme en linguistique "éd du seuil 1968 P18-

أن يبحث من خلال اللغة عن شكل يليق به ،وثانيا تحاول اللغة ان تبحث من خلال الفكر عن حركة تشابهها»[1]

أما اللغة « كما بيّن ديكارت فهي خاصية إنسانية بحتة» فهي أوعية للمعاني التي تعبر عن الفكر ،ولعل الوظيفة الأساسية التي تضطلع بها اللغة هي التواصل ونقل الأفكار ،وليس معنى ذلك أننا نقصي الوظائف الأخرى التي تقوم بها اللغة كما سنبينه لاحقا ،بل الوظيفة الأم للغة هي التعبير ،وكثيرا ما نسمع " لقد خانته اللغة " أي لم يكن بمقدوره التعبير عما يختلج في صدره من أفكار ورؤى.ومن علماء العربية من كان سباقا لتعريفه للغة تعريفا حاز فيه قصب السبق قبل اللسانيين الأوربيين أنفسهم حيث قال في هذا المجال « أما حد اللغة فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم »[2]

إن اللسانيات كونها الدراسة العلمية للغة ،فهذه الأخيرة هو الميدان الإجرائي لهذا العلم الجديد الذي تنفس في أجواء غربية مع بدايات القرن الماضي وظهر علــــــى رأس العلوم الإنسانية لأنه الكفيل بإعطاء التفسير العلمي للظاهرة اللغوية وهذا لم يكن مانعا بالنسبة للكثير من العلوم استثمار نتائجها المعرفية في اللغة كعلم النفس وعلم الاجتماع والفلسفة وغيرهم وقد أورد جورج مونان(Georges Mounin) العديد من التعاريف الفلسفية للغة منه«أية وسيلة للتعبير عن الأفكار ،أية وسيلة للتواصل بين البشر ... »[3]

إنه من أجل النعم التي وهبها الله عز وجل للإنسان ،هي قدرته على التفكير وإجـــراء عمليات عقلية معقدة عن طريق اللغة التي هي كفيلة بترجمة هذا النوع من العمليات ،لان التفكير في حد ذاته يستدعي عددا وافرا من النشاطات العقلية ،ذلك أن الإنســـان مؤهل سلفا لاستعمال هذه

---

[1] -"ILexiste entre la pensée et le langage deux mouvements réciproques tantot c'est la pensée qui cherche dans le langage une forme qui lui répondre ;et tantot le langage qui cherche dans la pensée une action qui l'égale"
Paul Foulquié"Dictionnaire de la langue Philosophique" P522-523.

[2] - ابن جني "الخصائص "،تح محمد علي النجار،دار الكتاب العربي ،لبنان 1983،ج1ص33

[3] " - n'importe quel moyen de communication entre les êtres vivants"
"Moyen quelconque d'exprimer des idées-"
-Georges Mounin"clefs pour la linguistique "éd ,séghers ,Paris 1968 P5

الآلية في مسار حياته اليومية ،إذ حينما نكتب رسالة ونهم على عمل ما أو يسترعي انتباهنا شيء ما ،فإننا قـــادرون على ترجمـــة هذه الأفكار إلى العديد من الكلمات والجمل على نحو خاص من

كل ذلك فعملية التفكير تتطلب بالضــــــــرورة استحضار أمور عن طريق التخيل وأحداث ليس بالضرورة أن تكون موجـــودة بصورتها الفيزيائية في الواقع ،بل قد نستحضر أحداثا ووقائع في الماضي القريب أو البعيـــد ،فليس من وسيلة كفيلة بذلك إلا التفكير «الواقع أن مفردات اللغة ترمز إلى فكر ،كـــل لفظة تشبه (كبسولا)يتضمن فكرة أو صورة ذهنية يرسخها الاختيار في العقل (...)فاللــــغة تسهل الفكر وتساعده على نموه ،والفكر ذاته يعود فيؤثر في اللغة فــــي نموها وتطورها فالتفاعل بينهما أمر واقع»[1]

لقد أصبح من الواضح –من خلال ما عرضناه- أن الحديث عن التفكير مع تجاهل اللغة أمر يعوزه التناغم إلى حد بعيد .فاصطلاحات النشاط اللغوي ليست ذات أهمية بالغة بالنسبة لتجارب تحقيق المفاهيم(CONCEPTS)لكنها الوسيط لكافة أنواع التفكيـــــــــر فالافتراضات يعبر عنها باللغة والمتكلم(le locuteur)يقدم من خلال حديثه جملة من المؤشرات لعمليته التفكيرية. من هنا أ ليس من الضروري أن نقرن اللغة بالتفكير؟.

**العلامة اللغوية:**

إن الحديث عن المفاهيم يجرنا للخوض في حقيقة العلامة اللغوية( Signes Linguistique)التي تقدم على الصوت اللغوي (Phone linguistique) ،مما يجعلها متميزة ومختلفة عن باقي العلامات ،فالعلامة اللغوية تؤكد على ظاهرة الاقتصاد في أية لغة إنسانية ،لأنها تنوب عن الشيء وتغني عن إحضاره ،مما يجعلها تختلف عن الإشارة،فهـــي ربط وإحلال لعلاقة بين أشياء مادية فيزيائية محسوسة ومدركة في العالم الخــــارجي وبين عمليات عقلية معقدة ،فالعقل البشري مؤهل لإيجاد العـــلاقة بين الشـــيء وما يـــستدل عليه، ومن العلماء العرب من تنبه إلى ذلك منذ زمن طويل يقول الجرجاني « الدلالة هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء أخر .والشيء الأول هو الدال والثاني هو المدلول ... »[2] ولعل من العرب الافذاذ من تنبه لحقيقة

---

1 –المسدي "اللسانيات من خلال النصوص " ص125-126

2 – الشريف الجرجاني – التعريفات ، ضبط وفهرسة محمد بن عبد الكريم القاضي ،دار الكتاب اللبناني ،ط1 ،1991 ص 109

العلامة اللغويـــــة قبل ألاف السنين وما توصلت اليه اللسانيات الحديثة ،ولنقرا ما كتبه ابن سينا(428 هــ) في هذا السمت . « إن الإنسان قد أوتي قوة حسية ترتسم فيها صور الأمور الخارجية، وتتأدى عنها إلى النفس، فترتسم فيها ارتساما ثانيا ثابتا وإن غابت عن الحس...
ومعــــنى دلالة اللفظ أن يكون إذا ارتسم في الخيال مسموع اسم، ارتسم في النفس معـــــنى، فتعرف النفس أن هذا المسموع لهذا المفهوم، فكلمــــا أورده الحــس على النفس التفتـــت إلى معناه »[1].إن المتأمل لهذا القول يدرك تمام الادراك أن ماذهب إليه ابن سينا في تفسيره لدلالة اللفظ لا يترك مجالا للمقارنة بينه وبين ما حفلت به اللسانيات السوسيرية خاصة فيما تعلق أو ما أصبح ينعت بالثنائيات اللغوية التي تمثل شبه قطيعة مع الفكر اللــــساني التاريخي والمقارن.إن العلامة ما هي إلا اقتران بين : دال/مدلول(signifié/signifiant) أما في نظر ابن سينا فهي ثنائيــــة المبنى تتكون مسموع اسم / معنى. ملغيا بذلك من مفهوم العلامة الواقع الخارجي أو المــــــــرجع (Réfèrent) الذي تميل إليه العلامة وذلك ما فعله دي سوسير أيضا

إن العلامة اللسانية في نظر دي سوسير هي وحدة النظام وهي العنصر اللساني الذي يتكون من صورة سمعية (Image Acoustique)ومفهوم(Concept) أي الفكرة التي تقترن بالصورة السمعية فعلى سبيل المثال كلمة "جمل"هي علامة لســـانية مكوّنة من صورة سمعية وهو الإدراك النفسي لتتابع الأصوات (ج-م-ل)، ومفهوم وهو مجموع السمات الدلالية للجمل - ( حيوان ،يعيش في الصحراء ،له سنام...). « فالعلامة توحد بين مفهوم وصورة سمعية وليس بين شيء واسم، وللإشارة فإن الصورة السمعية ليست الأصوات المادية بخصائصها الفيزيائية؛ وإنما هي البصمة النفسية(l'empreinte Psychique) للصوت»[2] ثم يصرّح دي سوسير في السياق نفسه دفعا للغموض (L'ambiguité) « بالإبقاء على مصطلح العلامة للدلالة على الكل وتعويض المفهوم والصورة السمعية بلفظيين دال ومدلول، لان أفضلية( l'Avantage) هذين اللفظيين أنهما يدلان على المواجهة( l'opposition) التي تفصلهما سواء فيما بينهما أو من الكل الذي يجمعهما »[3].

---

1 -ابن سينا –العبارة من كتاب الشفاء ،تح محمود الخضيري ،القاهرة 1970 ،ص1-2.

2- F-de sausure "Cours de linguistique génerale" ,P98

3- IBID ,P99

لا يخفى على أي دارس خاصة في مجال البحث اللساني ،وتحديدا للعلامة اللغوية بانها تمثل النظام التواصلي الذي يحقق النزعة الاجتماعية للإنسان من حيث هو كـــــائن حي اجتماعي وهو الوسيلة الجوهرية التي-لامناص من استخدامها- بالنسبة للبشر وهذا ما أشار إليه " ابن سينا " (428 ه )في قوله : « لما كانت الطبيعة الإنســـانية محتاجة إلى المحاورة لاضطرارها إلى المشاركة والمحاورة، انبعثـــت إلى اختراع شيء يتواصل به ذلك ( ...) فمالت الطبيعة إلى استعمال الصوت، ووفقت من عند الخالق بـــآلات تقطيع الحروف وتركيبها معا ليدل بها على ما في النفس من أثر، ثم وقع اضطرار ثان إلى إعلام الغائبين من الموجودين في الزمان أو المستقبلين إعلاما بتدوين ما علم، فاحتيج إلى ضرب آخر من الإعلام غير النطق فاخترعت أشكال الكتابة . » [1].
إن الكتـــابة على مختلف أشكالها تشهد على أن الإنسان القديم قد اتجه إلى التحـــليل البسيط جدا لبـــــــنية (Structure) لغته .وللوصول إلى الكتابة الهجائية ،كان من اللازم معرفة الوحــــدات الصغرى التي تجسد هده الحروف ،والتي تسمى اليوم في الدراسات اللسانية "بالفونيمات (Phonèmes ")«إن الذين اخترعوا الكتابة وحسّنوها ،هم من أكبر اللسانيين ،بل هم الذين أوجدوا اللسانيات » *[2]

لقد أصبح من الواضح أن إشكالية العلاقة بين اللغة والفكر قد فتحت الباب واسعا لإثراء هذه القضية ومناقشتها من قبل الكثير من الفلاسفة والمناطقة واللسانيين المعاصريين ،فنحن اليوم أمام زخم من الآراء المتناقضة حينا والمتفاوتة حينا آخر ،بالنظر أولا لطبيعــــة اللغة البشرية «التي تحولت في ذاتها لمولد للأحاسيس والعواطف والأفكار ... » [3]،والتي تزخر بعدد هائل من الكلمات والمفردات التي تختزنها المعاجم ،والتي تعبر عن نمط خاص من التفكير ،ولكن من الواجب أن يكون للمتكلم المعلومات الكافية لكيفية نطقها ،فهذا أمر ضروري للمتكلم والمستمع (l'auditeur) على حد سواء [4] .فهل يجب أن نقرن بين عملية التفكير باللغة دائما في كل

---

1 -ابن سينا –العبارة من كتاب الشفاء ،ص1-2.

* les hommes qui ont inventé et perfectionné l'écriture ont été de grands linguistes ,et ce sont eux qui ont créé la linguistique".

2 - Georges Mounin"clefs pour la linguistique P22

3 --Francis Tollis" La parole et le sens"Armand collin éditeur .Paris 1991 , P183

4- EDWARD MATTHEI et autres "INTRODUCTION a la psychologie " trad par Ranka Bijelgac .Bordas ,Paris 1958 ,P152

المواقف والحالات ؟ أم انه يمكن للفكر أن يستقل بنفسه عنها ؟ بل يمكن أن تثار هذه المسالة الفلسفية بشكل أخر أليس الفكر واللغة وجهين أو مظهرين لعملية سيكولوجية واحدة كما بينا

فيما سبق ،يقول عبد السلام المسدي وهو يناقش هذا المنحى « وأكثر ما تثار هذه القضية في حقول المنطق والفلسفة وعلم النفس ،وللعلماء فيها آراء مختلفة وأحيانا متناقضة ،ويدعو إلى التناقض حرص المشتغلين بحل هذه القضية على إيجاد جواب حاسم ،فهل هناك فكر مجرد بدون رموز أم لا ؟ الظاهـــــر إلى وقتنا هذا المسألة لا تتحمـــــــل الجـــزم سلبا أو إيجابا » [1].

إن العلامة اللغوية كما اوضحناه سلفا ما هي إلا تجسيد ذهني للعالم الفيزيائي الذي يحيط بنا ،ومناط ذلك هو النظام اللغوي (Système linguistique)،ولكي نتمكن من فهم كنهه وهذا الترابط الذي يحكمه ،لزاما علينا العودة إلى دراسة المفاهيم ،لأنها –حسب علمنا –مكونات أساسية لاغنى عنها للفكر ،بل هي بمثابة أحجار يتم بواسطتها بناء الفكر .

**طبيعة المفهوم :**

تعد المفاهيم المختزنة في ذاكرتنا الدلالية (Mémoire Sémantique)المادة الخام التي نستخدمها في التفكير ،ويعتبر هذا الأخير مسالة تكوين ارتباطات وعلاقات جديدة بين مفاهيم مثل( مترل ،خروف ، احمر... )،فيمكن أن نضع حدا بين هذه المفاهيم الأساسية ،وتحقيق مفاهيم جديدة « لان الفكر اللغوي عمل غريزيا ،من خلال لغة الأمومة أو لغة مسقط رأسه ،على بلورة كل المعطيات والمفاهيم مجردة ومجسدة ،حسب الحالات المتصلة بالعادات اللغوية في لحظة لاواعية ،وهكذا أصبحت لديه بمثابة الصورة التي يشكلها الفكر عن الوجود » [2] إذا فالإنسان ليس مخيرا على اكتساب العدد الهائل من المفاهيم من خلال لغة مسقط رأسه مع مراعاة الفكر اللغوي الذي بلور كل هذه المفاهيم .ما يمكن العودة إليه هاهنا هو كيف يكتسب الإنسان هذا الكم من المفاهيم في عمر زمني وجيز ،فالطفل مثلا يستطيع أن يدرك مفاهيم تتصل بحياته اليومية اتصالا وثيقا ،ولا أظن انه يجهل مفاهيم أولية خاصة متعلقة بجوانب بيولوجية كالأكل والنوم والمشي

---

1 –عبد السلام المسدي " اللسانيات من خلال النصوص " ص125-126

2 –عبد الجليل مرتاض "في رحاب اللغة العربية ،ص35

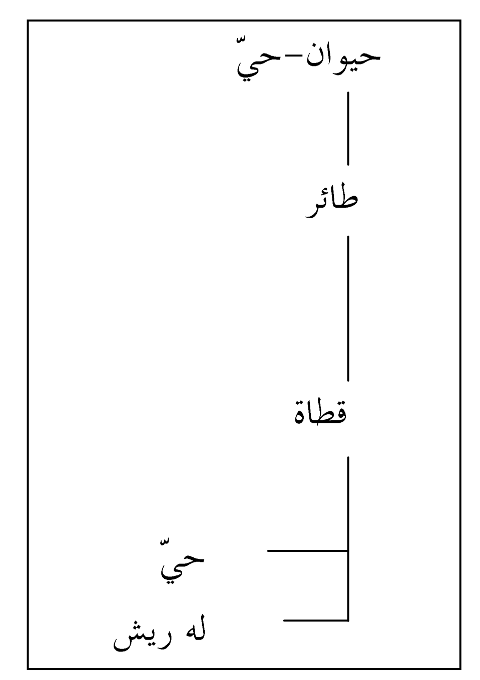
واللعب وغير ذلك ،لكنه يجهل بعض المفاهيم الأخرى التي لاتناسب نموه الفيزيزلوجي والعقلي ــــكان تسأله عن معاني المفاهيم المجردة كالديمقراطية ،الحرية والمسؤولية ...لذا ينصح بإثراء النقاش حول المسائل المتعلقة باللغة ذاتها خاصة الطفل ماقبل سن التمدرس «لقد أظهرت ملاحظات أجريت مؤخرا المكانة الأساسية التي تشغلها المناقشات حول اللغة في السلوك الكلامي في مرحلة ما قبل المدرسة .فاللجوء إلى ما ورائيات اللغة ضروري لاكتساب اللغة وفي الوقت نفسه لحسن سيرها الطبيعي ،والقصور في القدرة على التسمية هو خسارة لما ورائية اللغة». [1]

إذا فالمفاهيم هي ما ندركها ونعرفها من خلال مجموعة من الميزات المشتركة ،وخصوصية شكل من الأشكال الخارجية لها ،فنتخذه مفهوما لشيء معين ،يمكن ان نسميها حينئذ " المفاهيم الدلالية"(les Concepts Sémantiques).

**التدرّج في المفاهيم :**

إن معرفتنا للمفاهيم من خلال مكوناتها وميزاتها ،يجب أن تعقبه أيضا ماهية العلاقة التي تربط بعضها ببعض ،إذ أن الخصائص العامة لأي مفهوم من هذه المفاهيم قد تبدو لأول وهلة غير دقيقة ،فتعوزها الدقة .من هنا جاءت العديد من الدراسات في مجال علم النفس التجريبي (Psychologie expérimentale) واللسانيات محاولة تقديم التفسير الكافي للاستعمال التدريجي للمفاهيم(Hiérarchiques).إن خلاصة هذه الدراسات انه يمكن أن نسند لمبتدأ واحد جملتين أو عدة جمل فنقول مثلا : القطاة طائر . ونقول في الثانية :القطاة حيوان . من هنا وجب أن نحدد ما إذا كانت إحدى الجملتين صحيحة أو خاطئة ،ومعيار ذلك انه كلما كانت الجملة بسيطة ،كانت نسبة الخطأ المحتمل قليل ،بينما إذا أسندنا الفعل "تبحث"للجملتين السابقتين ،فان المفهوم ينتقل مباشرة من المبتدأ الأول "القطاة " إلى المفهوم الثاني "الطائر "،ورب سائل : كيف ذلك ؟ لأنه بنظرة خاطفة يبدو أن الطريق لمعرفة المفهوم "الطائر" في الجملة الأولى يتخذ محطتين قبل أن يترسخ هذا المفهوم ،ولعل الشكل التالي يزيل الكثير من الإبهام .

1 –فاطمة الطبال بركة "النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون " ص163




(1)

ومن خلال هذا الشكل يبدو أن المبتدأ يأخذ شيئا من الوقت حتى نعرف الطريق التي تربطه بالمفهوم ،ومن هنا جاءت لنتائج لتؤكد صحة هذه الوضعية ، إذ أن وقت اتخاذ القرار يزداد بالنظر إلى المسافة بين المفاهيم من حيث التدرج.

**فرضية النسبية اللغوية** (Hypothèses de la Relativité Linguistique):

نحن نعتقد- ككل الباحثين -أن اللغة ماهي إلا تعبير عن الفكر ،بل هي عاكسة لبنيته ،لكن ما يلاحظ من حين لأخر أن الباحثين يصوغون هذه العلاقة(اللغة والفكر) بطريقة أخرى ،ويقدمونها بمنحى أخر ،فان كانت اللغة –كما أوضحنا –تحدد الفكر ،فان العكس غير وارد إطلاقا .

إن النسبية اللغوية كمصطلح استخدم لوصف أكثر الروايات تطرقا لوجهة النظر القائلة بان اللغة تحدد طريقة تفكيرنا،ولربما كان احد أقوال Whorf اقرب إلى درجة الصواب حين زعم ان الناس يعيشون أسرى اللفظ مشيرا بهذا الاسر الى اننا «ندرك قوانين لغة الأم منذ طفولتنا المبكرة على نحو تلقائي أي بطريقة غير واعية ونحن نكتسب معها وفي نفس الوقت وبطرقة غير واعية أسلوبا نوعيا

---

1 -EDWARD MATTHEI et autres "INTRODUCTION a la psychologie ",P153

ومتميزا للتفكير كما نكتسب "ميتافزيقيا " باطنية خافية » [1].وقد اهتم وورف(Whorf)(1956) بالطريقة التي تؤثر بها المسميات اللغوية على التفسيرات الإدراكية،متأثرا بآراء أستاذه "سابير( Sapir)في مجال البحـــــث اللساني الانثربولوجي (Linguistique Anthropologique) –التي سيكون لنا معهـــــــا وقفة مطولة لأنها نواة هذا البحث في نهايته– من خلال الدراســـات الميدانية للوســـــط الثقافي واللساني للهنود الحمر « لقد اقتفى "وورف" اثر أستاذه ســــــابير اذ كان تلميذه ومساعده في الانجازات العلمية التي حققها في مجال البحث اللساني والانثربولوجي ،فأفاد "وورف" من هذه الدراسات واستغل هذا الرصيد المعرفي في الدراسات الشالة التي قام بها في الوسط الثقافي واللساني للهنود الحمر ،فتوصل إلى مجموعة من النتائج العلـــــمية التي أصبحت تنعت فيما بعد بفرضيةWhorf . » [2]

لقد افترض "وورف" إن شكل المفاهيم وإدراكها يكون خاضعا لها ،أو للغـــــــات التي نتكلمها ،ومن المنطق أن الشعوب التي تتكلم بلغات مختلفة ،حتما ستتباين نظراتها للعالم الذي تعيش فيه،بل إن هذه الفرضية النسبية اللغوية تؤكد على نسبية الفكر بالنســـبة للغة المستعملة من اجل التواصل ،وهي فكرة–فيما نعتقد–صائبة « ومن الأفكار التي نادى بها وورف عن التمييز البارع في رؤية العالم كنتيجة للطريقة التي يتم بها التعبير عن علاقات المعنى من خلال قواعد النحو في اللغة( ...) الميل بصورة طبيعية في اللغـــة الانجليزية إلى التفكير في الأسماء على أنها أشياء وفي الأفعال على أنها أنشطة... » [3]

لقد نالت معطيات الفرضية الوورفية "نسبة إلى وورف" حظا من المعالجة العلمية من قبل علماء النفس التجريبي واللسانيين وخاصة المهتمون بالدراسات الانثروبولوجية ،وتوصلت إلى نتائج ميدانية مشجعة « فالفرنسي ليس بمقدوره اللغوي أن يعين لفظة الثلـــــــج "Neige" إلا عن طريق هذه الكلمة ،لكن الاسكيمو"les esquimaux " يمكنه أن يعبر عن المفهوم نفسه بـــ"أربع كلمات"،ويستطيع المتلقي أن يميز بين هذه الأنواع للشيء ذاته ،كذلك الفرنسي لايمكنه

---

1 –عبد الجليل مرتلض "في رحاب اللغة العربية" ،35.

2 –أحمد حساني " مباحث في اللسانيات " ،ص19

3 –جوديث جرين " التفكير واللغة " تر عبد الرحيم جبر ،الهيئة المصرية للكتاب 1992 ، ص118.

استعمال إلا كلمة واحدة بالنسبة "الأرز"وهي "le Garo" ،لكن سكان برمانيا " la Birmanie" يوظفون عددا من المفردات لهذا المحصول تبعا لخصائصه . »[1]

إن السؤال الذي يطرح نفسه في هذا الإطار هو ما إذا كان الأمر حقا هو "إدراك " الأشياء بطرق مختلفة ،أو ما إذا كانت المسالة أننا نتحدث عنها بطرق مختلفة ومن الأمثلة المثيرة التي غالبا ما تساق « هو المثال المتعلق بالهنود الهوبي (Hopi Indians)الذين يستخدمون كلمة واحد للإشارة إلى الحشرة ،وأخرى للإشارة إلى الطائر أو الطيار ،وعلى الجانب الآخر يستخدم الاسكيمو العديد من الكلمات المختلفة للأنواع المختلفة من ندف الثلج ،وهناك أيضا اختلافات في الطريقة التي تسمى بها الألوان في اللغات المختلفة »[2] ،ولكن السؤال الذي يظل مطروحا في كل هذه الحالات ،هو ما إذا كان الاسكيمو مثلا يرى بالفعل أنواعا أكثر من ندف الثلج ،والهوبي لايستطيع فعلا أن يرى أي اختلاف بين الحشرة والطيار.

إن الهوبي يعبرون عن أشياء مثل البرق ،اللهب ودفعات الدخان على أنها أفعال ،أما فيما يخص الأزمنة(Temps)فان لديهم نهايات مختلفة للأفعال تتشكل طبقا لدرجة تأكد المتحدث من حادثة ما ،وما إذا كان قد رآها بالفعل أم انه قد سمع بها فقط ...ويظل السؤال مطروح ا :هل حقا يفكر الهوبي بطريقة مختلفة ؟وهل هناك ما يبرر ادعاء" ووف" بأنه ليس لديهم إدراك موضوعي للفترات الزمنية ...ومن ثم تكون أفكارهم مختلفة تماما عن أفكارنا [3] .الهام من خلال هذا الطرح ،،إن الأفكار يمكن أن نعبر عنها بوسيلة وحيدة وهي اللغة ،وهذه الأخيرة هي التي تشكل الفكر ،ونحن نقسم العالم بناء على الإطار العام الذي يحدده النموذج اللغوي سلفا [4]

**اكتساب المفاهيم لدى الأطفال:**

إن البحث في مثل هذه المواضيع التي تتصل بظاهرة الاكتساب المفاهيم الدلالية لدى الطفل ليس بالأمر الهين ،مما جعله مناط اهتمام للعديد من العلماء والباحثين عربا كانوا أم غربيين ،بالنظر

---

1 -EDWARD MATTHEI et autres "INTRODUCTION a la psychologie ,P 153

2 - جوديث جرين " التفكير واللغةً116

3 -ينظر جوديث قرين ، المصدر السابق ،ص118

4 - ينظر أحمد حساني –المصدر السابق- ص20

إلى العوامل المتداخلة النفسية والاجتماعية والثقافية ...التي تشرف على ذلك ،ولعل العبرة بالبداية التي يتوقف عليها مسار حياة برمته ،آخذين بعين الاعتبار " الطفل صفحة بيضاء " .انطلاقا من هذا تتضافر الجهود البيئية والتعليمية والتربوية على تلقين الطفل اكبر عدد ممكن من المفاهيم التي تشكل نواة اللغة .

لقد بات من الواضح أن الطفل في السنة الأولى من عمره تقريبا ، يبدأ في معرفة بعض الأشياء ،خاصة المحيطة به ،وليس من المستبعد أن تكون تلك المفاهيم ضيقة في الحدود الأسرية ،فضلا على الحيوانات الأليفة التي تقاسمه البيت ،لكنه رغم ذلك عاجز على تسميتها «إن الشرط الأساسي لحصول ذلك التطور هو التعاون بين الطفل والراشد والاحتكاك المتواصل بينهما ،حيث يأخذ بيده لكي يفتح عينيه أمام الموجودات فيتعامل معها... »[1] لكن عبر مرحلة النمو الحسي الحركي التي يتعرض لها الطفل في سن معينة ،واخص بالذكر مرحلة "بداية الكلام " التي لايمكن أن تحدث دفعة واحدة ،أي بإمكان بنت في الثالثة من عمرها أن تكتسب مفاهيم لأنواع مختلفة من الألوان ،وان تدرك أيضا أن المفاهيم هاته ،ماهي إلا أسماء لأنواع شتى ،لكنها تجهل تماما ما يوافق لون معين من لون آخر ،ولو طلب منها أن تصف لونا ازرق مثلا ،يمكن لها أن تصفه بغيره ،فتقول مثلا "أحمر " «واغلب الظن أن الطفل قلّما يستعمل الكلمات الأولى للإشارة بها إلى مدلولاتها ،لان الأشياء لاتعنيه إلا بمقدار ما تحوم حول ذاته ،ولذلك فهو ينظر إليها من خلال نفسه ،أي من خلال رغباه وحاجاته »[2]

من المتعارف عليه في الدراسات النفسية ،أن الطفل في هذه المرحلة يميل إلى استعمال لغة المحسوسات (Concrètes) بل يجد صعوبة جمة في تعلم الأشياء المجردة (Abstraits) كما بينا ذلك سلفا تقول الدكتورة كريمان بدير « تتميز لغة الطفل في هذه المرحلة بالتمركز حول الذات (égocentrisme) ،ويغلب عليها لغة المحسوسات ويلاحظ القصور والاختلاف في مفاهيم الأطفال عن مفاهيم الكبار ،لذلك نجد أن استخدامهم للكلمات يكون غير دقيق ،ويظهر تكرار الكلمات والعبارات في أحاديثهم ... »[3]

---

1 - حنفي بن عيسى " محاضرات في علم النفس اللغوي "،ديوان المطبوعات الجامعية ،ط2003/5 ،ص129.

2 - حنفي بن عيسى " محاضرات في علم النفس اللغوي "،ص 139-140.

3 -كريمان بدير " الأسس النفسية لنمو الطفل " دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ،الأردن ،ط1 ،2007 ،65.

لا يمكن أن نتغافل الدور الفعال الذي يضطلع به المحيط في اكتساب المفاهي م الدلالية بالنسبة للطفل ،ومن هنا يكوّن هذا الأخير مجموعة من الفراضيات .قد يسمع مثلا كلمة "كلب" فتنطبق الصورة السمعية لهذا الحيوان في دماغه من خلال جملة من الصفات التي تشكل هذه العلامة اللغوية " حيوان ،له أربعة أرجل ،يتحرك ،أليف ..." ،ونظرا لقلة الإدراك لديه في هذا العمر ،فانه يمكن أن يعمم هذا المفهوم على كل من "القط أو البقرة وشيء من هذا القبيل ،ثم تأتي مرحلة متقدمة أدق من الأولى ،حينها يبدأ الطفل في التمييز بين الميزات الفارقة التي يمكنه أن يضيفها إلى المفهوم الأول ،إذ يدرك أن القطة تموء(المواء) بينما البقرة تخور (الخوار ) .وهكذا فالطفل أثناء بلوغه السنة الرابعة من عمره ،يدخل مرحلة جديدة ،حيث تبدأ ظاهرة التعميم في استعمال المفاهيم تنحصر وتتلاشى شيئا فشيئا.ويمكن تلخيص هذه التحولات على مستوى المفاهيم لدى الطفل في : «

.التقدم من المفاهيم البسيطة نحو المفاهيم المعقدة

.التقدم من المفاهيم غير المتمايزة نحو المفاهيم المتمايزة .

.التقدم من المفاهيم المتركزة حول الذات نحو المفاهيم الأكثر موضوعية .

.التقدم من المفاهيم المادية المحسوسة والخاصة نحو المفاهيم المجردة والمعنوية والعامة .

.التقدم من المفاهيم المتغيرة نحو المفاهيم الأكثر ثباتا. » [1]

إن المفاهيم الدلالية التي سبق معالجتها ومناقشتها ،على الرغم من الأفكار البسيطة التي تحتويها ،لكن هذه المفاهيم أن تتواصل فيما بينها ،وانطلاقا من ذلك مع مراعاة نمو هذه المفاهي م من البساطة إلى التعقيد ،هل يمكن القول أنها تعقد تواصلا فيما بينها ؟

للإجابة عن هذا السؤال ،وجب العودة إلى اللغة باعتبارها الشكل الرئيسي والأساسي لعملية التواصل .

**المفاهيم على مستوى الجمل**(Concepts des Phrases) :

لقد أضحى من البديهيات في الدراسات اللسانية الحديثة بمختلف أنواعها واتجاهاتها ،أن دراسة اللغة –أية لغة إنسانية –للوقوف على محصلتها المعرفية وخصائصها التركيـــــبية والمورفولوجية والدلالية لابد أن تقوم على حد أدنى من التعبير المفيد الذي يضمن التبليغ والتواصل

---

1 - كريمان بدير ،المرجع السابق ،ص140-141

بين المتلقي والمتكلم ،وهذا التعبير المفيد هو ما اصطلح على تسميته بـــ"الجملة" التي تعد وحدة لسانية قائمة بذاتها تتركب من أجزاء لسانية تحكم بنيتها لتجعل منــــــها نظاما تربطه علائق دلالية ،فهي المرتكزات الأساسية المتمثلة في جملة من القضايا اللغوية . «الجملة في تعريف النحو التقليدي هي عبارة عن وحدة من المعـــــاني التـــي تصاحب المشافهة(...)أما كتابة فتتجلى من خلال الرموز الكتابية كالنقطة في نهاية الجملة في اللغة الفرنسية » [1] ،ولعل تعريف الجملة اخذ حيزا كبيرا من الشروحات ،بالنظر إلى تعدد الرؤى ،وهذا ما جعل جورج مونان( G.Mounin) يقترح لها خمسة تعاريف في معجمه المعروف "معجم اللسانيات " وسنكتفي بإيراد القليل منها « يوجد على الأقل خمسة تعاريف مختلفة لمفهوم الجملة :الجملة هي عبارة عن ملفوظ تام من حيث المعنى أو هي عبارة عن مقطع من السلسلة الكلامية مستقلة سانتاكسيا أو تركيبيا ،أو هي وحدة لسانية مكونة من مسند إليه ومسند... » [2] ، ويذهب أصحاب "معجم اللسانيات الحديثة إلى تعريف الجملة بقولهم « هي مجموعة من المكونات اللّغوية مرتبة ترتيبا نحويا بحيث تكون وحدة كاملة في ذاتها ،وتعبر عن معنى مستقل ،وبذلك يظهر فيها النظام النحـــوي الخاص بلغة من اللغات » [3] .قد يوعز هذا الاختلاف البين بين التعاريف اللسانية لمفهوم الجملة–في اعتقادنا –إلى تعدد النظريات اللسانية الحديثة ،التي صار هذا المفهوم من أمهات القضايا اللسانية ،وعليها تقوم مستويات التحليل اللساني ،وتمثل البنية الأساسية التي تعود إليها كل الإشكال اللسانية الأخرى.،وبالعودة إلى التعريف السابق للجملة من وجهة نظر ( G-M) يتضح مفهوم الاستقلالية (Indépendantisme) ليفرض نفسه على مفهومها :أي ان تكون الجملة ذات استقلالية تامة من حيث المبنى على المستوى الصوتي( Phonétique) و الصرفي المورفولوجي(morphologie) ،ثم يضاف إلى ذلك المستوى التركيبي( Syntaxique )من اجل غاية وهي المعنى المفيد أو التبليغ،لان الإفادة هي الغاية المنشودة من الكلام ،والكلمة هي بنية الجملة التي هي الوحدة الأساسية في الاتصال والتفاهم حتى توصف بهذا المـــفهوم الذي تنــــــاوله فــــــارس الصوتيات

1 - - jean Dubois ET Autres "Dictionnaire de Linguistique et des Sciences du Langage ,P365

2 - -Georges Mounin "Dictionnaire de la Linguistique"PUF ;4EME éd 2004.P266

3 –سامي عياد وآخرون "معجم اللسانيات الحديثة "،مكتبة لبنان ناشرون ،ط1 ،1997،ص129.

ابن جني ( 392 ه) قائــــــــلا[1] : « وأما الجملة فهي كل كلام مفيد مستقل بنفسه ،وهي على ضربين جملة مركبة من مبتدأ وخبر ،وجملة مركبة من فعل وفاعل » [2] ،ولا يقف الأمر عند هذا الحد ،،بل يجب أن تعبر عن معنى معين (Signification).

إذاً لقد أصبح واضحا من خلال ما تقدم من تعاريف لمفهو م الجملة ،أنها بنية مستقلة تؤدي معنى مستقل .وهنا جاز أن نطرح سؤالا : هل يمكن للإعراب كظاهرة صوتية ملازمة للجملة العربية خاصة أن تؤدي دورها في تجلية المعاني إسقاطا على التعاريف السابقة؟

مما هو في عداد المسلمات ،أن الظاهرة الصوتية ،وكغيرها من المستويات اللسانية الأخرى قد نالت حظا أوفر من الدراسة ،والتعليل والكشف والاستنباط ذلك أن الأوائل من علماء العربية كالخليل(175هــ) وسيبويه(180هــ) وابن جني( 392 هــ) وغيرهم«تعتبر الدراسة الصوتية من آصل العلوم عند العرب لأنها تتصل اتصالا مباشرا بتلاوة القرآن الكريم وفهم لكلماته وتركيبه وأسلوبه ومعانيه وما يتضمن من أحكام دينية ودنيوية » [3] .لقد مهدوا بين يدي الأوروبيين –في العصر الحديث– جادة البحث المنظم في معرفة كنه الصوت اللغوي ( le Phone Linguistique) ، وأسهموا إسهاماً حقيقياً في إرساء ركائزه الأولى ، مما أتاح لهم فرصة الاستقراء المبكر لحقيقة الأصوات اللغوية ، ومكنهم من خوض هذا الموضوع بكل تفصيلاته وتشعباته اعتمادا على الأجهزة المخبرية المتطورة التي أكدت صحة هذا الزخم من المعلومات العلمية الهائلة التي ابتكرها هؤلاء الأفذاذ في هذا الميدان المعرفي منذ قرون خلت وهذا بشهادة الغربيين أنفســــــهم ،يقول جورج مونان(Georges Mounin)«إنه من المستحي ل أيضا تجاهل الصوتيات العربية ،بغض النظر عن أصولها ومنابعها ،بدليل ذيوعها في الأوساط الثقافية حتى

---

1 – إن مصطلح علم الأصوات أو الصوتيات مصطلح عربي أصيل ، لا يخالطنا أدنى شك في ذلك ، وعلة ذلك : استعمال مدلولاته في الاصطلاح الصوتي بدقة علمية متناهية عند العرب القدامى ، يقول ابن جني ( 392 ه)« ما علمت أن أحدا من أصحابنا قد خاض في هذا الفن ،ولا أشبعه هذا الإشباع ». فهو مبدع هذا الفن و مؤسس هذا المصطلح المنعوت حاليا في الدراسات اللسانية ب :(Phonétique). ذلك أن كتبه الجليلة « سر صناعة الأعراب والخصائص » و غيرهما تؤكد بكل جلاء ووضوح هذه العبقرية الفريدة.

2 –ابن جني " اللمع " ،تح :حسين محمد محمد شرف ،القاهرة 1979 ،ص110-111.

3 – عصام نورالدين "علم الأصوات اللغوية الفونتيك، دار الفكر اللبناني بيروت،ط1 ،1992 ، ص2.

بعـــد القرن السادس عشر ،ومدى تأثيراتها على التفكير الصوتي الشرقي ...وانه لمن الضروري استثمارها على امتداد القرن الخامس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر. » [1]

إن مصطلح علم الأصوات أو الصوتيات مصطلح عربي أصيل ، لا يخالطنا أدنى شك في ذلك ، وعلة ذلك : استعمال مدلولاته في الاصطلاح الصوتي بدقة علمية متناهية عند العرب القدامى ، يقول ابن جني « ما علمت أن أحدا من أصحابنا قد خاض في هذا الفن ،ولا أشبعه هذا الإشباع » [2] . فهو مبدع هذا الفن و مؤسس هذا المصطلح المنعوت حاليا في الدراسات اللسانية ب :(Phonétique). ذلك أن كتبه الجليلة « سر صناعة الأعراب والخصائص » و غيرهما تؤكد بكل جلاء ووضوح هذه العبقرية الفريدة .

لقد بات من المؤكد أن اللسانيات الحديثة تعنى عناية كبيرة حين تدرس لغة إنسانية ما بالجانب الصوتي، و بات من المعروف أن اللـغة تدرس اليوم-كما أشـــــرنا- من مستويات أربعة هي: 1-المستوى الصوتي ( Phonétique) ،2-المستوى الصرفي( Morphologique) ،3-المستوى التركيبي(Syntaxique) ،4-المستوى الدلالي (Sémantique).

إذا فالصوت اللغوي باعتباره ظاهرة فيزيائية وفيزيولوجية قابلة للملاحظة هو قطب الرحى هو الأول والأهم في دراسة المستويات الثلاثة الأخرى، وتدور حوله معظم الدراسات اللسانية المعاصرة، ولأهميته تنبه العرب قديماً لقيمة الصوتيات في الدرس اللغوي،قال الجاحظ(255هــ):« الصوت هو آلة اللفظ ،والجوهر الذي يقوم به التقطيع،وبه يوجد التأليف .ولن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا ولا منثورا إلا بظهور الصوت ولا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع والتأليف .» [3].

إذا كان هذا المستوى بهذه الأهمية ،فلا عجب أن يكون في صدارة المستويات اللسانية الأخرى ،وهذه الأخيرة —في اعتقادي —تابعة له،فلا فهم ولا إفهام بدونه.به تتشكل العلامة اللسانية (Signe Linguistique)،خاصة في ظل هذا التطور العــــــتلمي ،واستحداث المخابر الصوتية ووحدات القياس الصوتي (الديسيبل)ومن حيث التردد والشدة(Intensité) وتحديد

---

1 - Georges mounin "Histoire de la Linguistique Dés Origines Au 20eme Siècle,Presses Universitaires de France,4e éd 1985 P203

2 – ابن جني " سر صناعة الإعراب ، تحقيق مصطفى السقا وآخرون،مكتبة مصطفى الحلبي،1954ج1 ،ص63

3- الجاحظ "البيان والتبيين ،تح عبد السلام محمد هارون ،دار الفكر للطباعة والنشر ،ج1 ،ص79.

عتبة السمع(Audition)،وعتبة التحمل (Seuil de Tolérance) « الصوتيات علم قديم من شأنه أن يضمن الوصف الفيـــــــــــزيائي والفيزيولوجي لأصوات اللغة ،خاصة في العصر الحديث نظرا للاستعمال التقني للوسائل المساعدة لرصد الصوت اللغوي ،وتحديد تردده وذبذباته ،بحيث يقدم هذا العلم التقدير الزمني لأي صوت في الثانية ،وكذلك عملية النطق كما يمكن لهذا العلم أن يحدد بدقة موضع اللسان والحجم والكمية والأعضاء المتحركة كاللسان والشفتان والأعضاء الثابتة كالحنك واللثة والأسنان... » [1]

إن اللسانيات السوسيرية –حسب علمنا –قد مهدت وبشكل واضح- لظهور علم قائم بذاته وهو علم الصوتيات ،بعدما ظل ردحا من الزمن تتجاذبه علوم أخرى وتحاول أن تلبسه ثوبها من خلال الفكرة الرائجة في اللسانيات الحديثة "يجب دراسة اللغة في ذاتها ولذاتها" بعيدا عن مسارها التحولي التاريخي، ولعل هذا ما أشار إلـــــــيه جورج مونان (Georges Mounin) بقوله: « لقد تبوأت الصوتيات مترلتها المعتبرة بين علوم اللغة ابتداء من النصف الثاني من القرن التاسع عشر ،وكانت قبل ذلك علما طبيعيا ،وجزءا من العلوم الدقيقة ،بينما كانت اللسانيات علما تاريخيا ،فهي تشكل جزءا من العلوم الإنسانية » [2]

إن الذي يبرر هذا المنحى ،ويؤكد مترلة الصوت اللغوي في الدراسات اللسانية ما أصبح رائجا في الدراسات اللغوية ،خاصة ما ألف في نشـــأة النحو العربي ،لأنه من المستبعد أن لم نقل من المستحيل أن يحيل الدارس لهذا الحقل المعرفي على الصفر ،فلابد من تكرار الإشارة والإحالة إلى هذه الإرهـــاصات الأوليـــة لظهور عـــلم النحو « إن الدراسة اللغوية النحوية انطلقت منطلقا صوتيا ». [3] ،فعناية العرب بالصوتيات قديمة تعود إلى اليوم الذي تسرب فيه اللحن، فأصاب العربية في أصواتها كما أصابها في نحوها وصرفها ودلالاتها ،وتكاد تجمع الروايات على منطلقها الديني البحت ،إذ سمع أعرابي يقرأ الآية القرآنية الكريمة (أن الله بريء من المشركين ورسوله) [4]. بكسر الصامت( اللام) في رسوله بدلاً من ضمها، يفهم منها أن لحن الأعرابي كان لحناً صوتياً

---

1- - Georges mounin" Clefs Pour La Linguistique " P 92-93

2 -IBID ,P92-93.

3 – مكي درار "الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية في كتاب سيبويه "خلفيات وامتداد " اتحاد الكتاب العرب ،دمشق 2007 ،ص16.

4 – التوبة /03

مسّ الصائت ، فنشأ عن هذا خطأ في الدلالة،على الرغم من أن العرب قديما نطقوا بالسليقة فكانوا فرسان البيان وبلغاء الكلام لعل ما يبرر ذلك أن العقلية العربية لهذه الفترة الشفوية كانت تتميز عادة بالعفوية قائمة على التقليد ،ولكنه تقليد فاعل غير متحجر ،ولسان حالهم قول الشاعر العربي :

وما أنا بنحوي يلوك لسانه ولكن سليقيّ أقول فأعرب

بات من المسلمات الآن أن هذا اللحن كان حافزاً لأبي الأسود الدؤلي (69هـ)،ويقال بإشارة من علي –كرم الله وجهه- على أن يضع نقط الإعراب.ولنتدبر ما قاله لكاتبه « إذا رأيتني فتحت فمي بالحرف فأنقط نقطة على أعلاه، وإذا ضممت فمي، فأنقط نقطة بين يدي الحرف، وإذا كسرت فمي فاجعل النقطة تحت الحرف، فإن اتبعت شيئاً من ذلك غنة فاجعل النقطة نقطتين». [1] إن صنيع أبي الأسود وان كان هدفه المحافظة على النطق السليم لكتاب الله عز وجل ،فهو ،به تتضح المعاني والدلالات ،ويعرف الفاعل من المفعول به والمبتدأ من الخبر والجار من المجرور وهلم جرا،ولعل هذا ما أكده العالم الجليل ابن جنيّ «الإعراب هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ ،ألا ترى انك إذا سمعت :أكرم سعيد أباه ،وشكر سعيدا أبوه ،علمت برفع إحداهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول به ،ولو كان الكلام شرجا* واحدا لاستبهم احدهما من صاحبه. » [2] ،فالإعراب في مدا خيلهِ المعجمية الليكسيكية (Lexique) يعني-كمـــا أورده الدكتور عبد الجليل مرتاض عن الخليل بن أحمد الإعراب هو« البيان ،يقال :أعرب الرجل عن حاجته إذا أبان عنها ويسم ي النحويون الحركات التي تعـــتقب في أواخر الأسماء والأفعال الدالة على المعاني إعــرابا ،لأنـــها بهـــا يكون الإعراب أي البيـــــتان ،ويقـــال للرجل المبيّن عن نفسه :معرب " » [3]

1 – مكي درار–المرجع السابق ص40 ،نقلا عن ابن النديم "الفهرست ".

2 –ابن جني "الخصائص "تح :محمد علي النجار ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،ط 4 ،1999، ج1،ص36.

* واحد أي سواء.

3 – عبد الجليل مرتاض "في رحاب اللغة العربية " ،ص107

لقد تناول سيبويه ظاهرة الحركات الإعرابية ،وحسبنا دليلا على ذلك ما تضمنه "الكتاب "في باب "الاستقامة من الكلام والإحالة" «فمنه مستقيم حسن ،ومحـــــال ،ومستقيم كذب ،ومستقيم قبيح ،وما هو محال كذب .فأما المستقيم الحسن ،فقولك :أتيتك أمس ،وسآتيك إذا .أما

المحال فأن تنتقض أول كلامك بآخره،فتقـــول :أتيتك غدا ،وسآتيك أمس .وأما المستقيم الكذب ،فقولك :حملت الجبل ،وشربت ماء البحر ونحوه .أما المستقيم القبيح ،فأن تضع اللفظ في غير موضعه ،نحو قولك : قد زيدا رأيت ،وكي زيد يأتيك »[1] ،بالإضافة إلى ما عالجه من طروحات خاصة تعلق بالاستقـــامة النحوية والاستقامة الدلالية حيث تندمج في تواؤم قوانين النحو م ع قوانين الدلالة ،فليس بالضرورة أن تكون كل جملة مستقيمة نحويا مستقيمة دلاليا ،ولنمثل لذلك بالجملة العربية "تنام الكتب هادئة على رفوف المكتبة " فهي جملة —كما نرى–مستقيمة نحويا من مستويات لسانية ثلاثة :صوتي ،صرفي و تركيبي لكنها فارغة وغير مقبولة دلاليا ،إلا إذا اعتبرناها نوعا من المجاز ( Métaphore)،فالجملة النحوية "المعيارية أو الأصولية" —حسب علـــمنا–لابد لها من معنى يحددها ،إن لم نقل تضافر بين المستويات اللسانية كلها . « إن المشكلة الأصلية في علاقة التركيب بالدلالة ،دفعت شومسكي ( Chomsky )(1957)إلى إبراز أن الجمل التي ليس لها معنى ،يمكن أن تكون على الأقل نحوية ،والجمل التي لها معنى يمكن أن تكون غير نحوية ،ومن هنا استنتج أن النحو "مستقل ومكتف بذاته عن المعنى» [2] .لكن الواضح أن هذا اللساني نفسه تراجع عن هذه الأفكار التي أسست إلى هدم العلاقة بين بنية الجملة النحوية وعلاقتها بالمستوى الدلالي ،ثم ألم يصرح تشومسكي(Chomsky)في موقع آخر قائلا « إن الجـــمل النحوية هي الجـــمل التي لها معنى (Signification) دلالي » [3].

1 - سيبويه "الكتاب "، تح عبد السلام محمد هارون ،ج1 ،ص25-26.

2- Dans sa formulation originale du problème de la relation entre syntaxe et sémantique .Chomsky (1957) a montre que les phrases qui n'avaient pas de sens pouvaient néanmoins être grammaticales et que des phrases qui avaient du sens pouvaient ne pas être grammaticales.De cela .il concluait que la grammaire est "autonome et indépendant du sens ".

-Robert Sarrasin "Psycholinguistique Expérimrntale et Théorie "Bibliothèque Nationale du Québec .1977;P83.

-[3]- Chomsky"Structure Syntaxiques "éd du seuil .Paris 1969 P107

الواضح من خلال ما تقدم أن الفكر مصاحب للجملة فيلبسها ثوب المعنى سواء أتعلق الأمر بالجملة البسيطة أو المركبة المعقدة ،بالنظر للبناء ،فالجملة ذات البناء البسيط تعبر عن معنى بسيط مثله ،والعكس صحيح ،ولنتأمل الجمل العربية الآتية :

"الأستاذ يشرح الدرس " ،هي جملة تسند "شرح الدرس " إلى شخص معين وهو الأستاذ .أما الجملة الثانية :

"الطفل يحب اللعب " ،كذلك هذه الجملة تسند "حب اللعب " إلى شخص الطفل من خلال هاتين الجملتين نلاحظ أن بؤرة الاهتمام انصبت على الفعلين "يشرح ،يحب "وهو ما يمكن أن يطلق عليه مصطلح "الإسناد(Prédicat) ،حتى أن الجملتين تعبران عن فكرة واحدة ،لكن رغم ذلك يجب ألا نذهب إلى التعميم في مثل هده الحالات ،فالجمل –كما هو معروف في الدراسات النحوية–ليست كلها بهذا التركيب البسيط .ولو تأملنا الجملة التالية : "أحمد يهوى اللعب وفاطمة المذاكرة" لتبين لنا –بعد التحليل–أن الفاعل أو المسند إليه( Sujet) هو "أحمد" و"يهوى اللعب "هو المسند (Prédicat) ،أما "فاطمة المذاكرة " ،فالمسند إليه "فاطمة" و"المذاكرة " مسند إليه، فالجملة مهما كانت تعقيداتها فإنها بالضرورة معبرة عن أفكار ومعان.

وإذا تصفحنا هذا الجانب المعرفي في كتب النحو العربي نلفي حتما أن الجملة العربية بنوعيها تتألف من عنصرين إسناديين هما المسند والمسند إليه ،وهما مستقلان في دلالتهما على العملية الاسنادية ،ولنا في اللسان العربي الكثير من الأمثلة الدالة على هذا المنحى :

–الجوّ لطيف . ( مبتدأ+خبر)

–أضحى الجوُّ لطيفا. ( اسمها + خبرها)

–لعل الجوّ لطيفٌ . ( اسمها + خبرها )

الملاحظ من خلال هذه العينة أن المسند إليه "لطيف " واحد في كل هذه الأمثلة ،لكن بالنظر إلى العوامل الداخلة عليه ،تعددت تسمياته من "خبر " في الجملة الأولى بحكم منزلته من المبتدأ ،إلى خبر بحكم دخول أضحى على الجملة الاسمية والتي تعمل عمل "كان وأخواتها" .،أما الأخيرة ،فقد جاءت خبرا ،بحكم دخول لعل على الجملة وهي من أخوات" إنّ ".

إن المسند والمسند إليه ليسا من الجدة في شيء إلا في طريقة بحثهما والتعامل معهما ،لان هذين المصطلحين راج استعمالهما من قبل العديد من النحويين وعلى رأسهم صاحب "الكتاب " سيبويه(180هــ ") إمام النحو ،والمنبع الصافي والمعين الذي لاينضب،وهو أعلم الناس بالنحو بعد

الخليل بن أحمد الفراهيدي،يقول في هذا الباب «هذا باب المسند والمسنـــــــد إليه .وهما مالا يســـــتغني واحد منهـــما عن الآخر. » [1].

**0بنية الجمل** (Structure des Phrases):

إن اللغة مؤسسة اجتماعية على حد تعبير "دي سوسير " متأثرا في ذلك بنظرية دوركايم(Durkheim)الاجتماعية ،ذات قواعد تفرض نفسها وتمارس سلطتها على الأفراد ،وتتناقل بطريق جبرية من جيل لآخر ،من هنا فاللـــــغة مستقلة عن القرارات الفردية ، وأداة ضرورية للتفكير ،لقد استطاع "سوسير " أن يحدث شبه قطيعة مع الفكر اللغوي القديم من خلال الدراسة الوصفية (descriptive) للغة «لقد ظل علماء اللغة في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين يبحثون اللغات بالمنهج المقارن ( compare) ،وكان البحث المقارن هو الشكل الوحيد المتصور للبحث اللغوي ،ولكن الباحــــــث "سوسير " اثبت بدراسته في نظرية اللغة إمكان بحث اللغة الواحدة بالتعرف على بنيتها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية ،وهذا البحث يرتبط بمستوى لغوي بعينه في زمن واحد ،ومعنى هذا البحث الوصفي لا يجوز له أن يخلط المراحل الزمنية ويخلط المستويات المختلفة» [2]

تجمع الكثير من المصادر في العديد من الحقول المعرفية ،خاصة اللســـــــانية منها أن عالم الاجتماع الفرنسي "كلود ليفي شتراوس (C- Levis –Strauss) هو أول من تناول البنيوية من خلال كتابه "الانتربولوجيا البنيوية(L'anthropologie Structurale) ،لكن في الحقيقة ان الباحثين والعلماء يجمعون على أن "دي سوسير " هو المرجعية للحركة البنيوية في العصر الحديث « لقد نشأت البنيوية حين بيّن فردينان دي سوسور بأن سياق اللغة لا يقتصر على التطورية ( la

---

1 –سيبويه "الكتاب " ،ج1 ،ص23

2 –محمود فهمي حجازي "مدخل الى علم اللغة " ،دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع 1998 ،ص 20-21

Diachronie) ،وان تاريخ الكلمة مثلا لا يعرض معناها الحالي .ويكمن السبب في الـــــ"نظام"(لم يكن سوسير يستعمل لفظة بنية)(...) فالعلاقة الأساسية التي تدخل في نطاق اللغة هي عبارة عن تطابق بين الشارة (Signe)والمعنى. » [1] ،ومن هنا يبدو إن سوسير في دراسته

العلمية لبنية اللغة قد عمد إلى التمييز بين الدراسة السانكرونية الآنية ،والدراسات التاريخية الدياكرونية «أما اللسانيات البنيوية التي أرسى قواعده "سوسير " فإنها تلتمس الع
ام دون الخاص وتقابل دراسة الوضع اللساني المحدد زمنيا ،ودراسة ما يطرأ عليه من تغيير وتحويل »[2]

لقد تبنى "سوسير " العديد من الأفكار التي أحدثت ثورة في مسار دراسة الظاهرة اللغوية كما يعلم ذلك الدارسون لهذا النوع من التخصصات ،ولسنا بصدد عرض كل الطروحات التي تبناها هذا العالم ،ولكننا مجبورون على تسليط الضوء على بعضها خاصة فيما يتعلق بمتطلبات منهجية هذا البحث ،رغم الانتقادات التي وجهت له فيما بعد ،لكن ذلك لم يمنع أن تمارس هذه الرؤى اللسانية تأثيراتها على مجموع الأبحاث اللسانية الحديثة و« سيظل كتاب " محاضرات في اللسانيات العامة(C.L.G)" قاعدة أساسية لكل الباحثين المعاصرين ،ومن هنا انه امن الضروري تحليل-باختصار- معطـــــيات النظرية السوسيرية .» [3]

لقد أحيط مفهوم "الجملة" من جانبي الوصف والتحليل بالكثير من الاهتمام والدراسة من لدن المنظرين اللسانيين في القرن العشرين « ومرد ذلك إلى طبيعة البنية التركيبية للجملة بوصفها آلية جوهرية قادرة على توليد عدد لاحصر له من البنى اللسانية ،زيادة على كونها الرابط الضمني بين التمثيل الصوتي ،والتمثيل الدلالي للنظام اللساني . » [4].

## الفكر البصري :

---

1 -جان بياجيه " البنيوية "تر :عارف منيمنه وبشير اوبري ،منشورات عويدات –بيروت،ط1 1971 ،ص64

2 -رونالد ايلوار " مدخل الى اللسانيات " ،تر :بدر الدين القاسم ،مطبعة جامعة دمشق ،سوريا ،1980 ،ص45.

3 -Robert Laffont " Révolution en Linguistique " .éd .Grammont .1975 P 59

4 -أحمد حساني " مباحث في اللسانيات" ،ص 99

يبدو مما سبق ان الأشكال التي عالجناها خاصة على مستوى "الجملة" أنها كانت عبارة عما تتضمنه من قضايا ومفترضات( Proposition)،وهذه الأخيرة مجالها محدد،بحيث لا تخرج عن إطار اللغة ،لكن لا يقتصر التعبير عن المفاهيم المختلفة عليها ،إذ يمكن ان تتعداها إلى أشكال أخرى ،،فيتجلى الفكر عبر صور بصرية (Images Visuelles) الكثير منا اعتقد في أحيان عدة أنه يفكر بطريق بصرية ،يسترجع من خلالها المدركات الداخلية ،أو وحدات من هذا النوع ،وثم يتم توافقها وتركيبها بحسب صيغ جديدة .وهنا يمكن ان نفترض ان عملية إدراك الأشياء من

حولنا تتم جملة لا تفصيلا ،وان العين تنجذب للشكل العام ،كما يمكن افتراض ان الإدراك يتم تفصيلا ،وان حاسة البصر تنساق للجزئيات ،وتتعرف على الكلمة بعد تحليلها إلى عناصرها .

يعتبر الكثير من الدارسين والمهتمين بالمجال الإجرائي لعـــــلم النفس التجريــــبي (Psychologie Expérimentale) ،إنه من الممكن ان تجد الطريقة السهلة لحل مشكلة ما اعتمادا على التفكير البصري مقارنة بالتحليل الكلامي.«والوجود في الأعيان والأذهان لا يختلف بالبلاد والأمم ،بخلاف الألفاظ والكتابة فإنهما دالتان بالوضع والاصطلاح» [1]فالعين حاسة مهمة لا غنى عنها في إدراك الأشياء على حقيقتها ،بل كل الحــواس .فلقد كان الإدراك الفكري البصري دافعا قويا للكثير من الإبداعات في تاريخ الإنسانية ،من رجال العلم والفنانين ،وفي تخصصات كالرياضيات والفيزياء ،وحسبنا دليلا على ذلك ،الفيزيائي الشهير صاحب النظرية الفيزيائية "ألبرت اينشتاين"(A-Einstein) الذي قال انه من النادر بالنسبة إليه التفكير بواسطة الكلمات ،وقد طور مدركاته الذهنية على شكل صور على الأقل واضحة بينة التي يمكن لها ان تنتج وتركب إراديا ،ومن الأمثلة البارزة في هذا المنحى ،نكتشف في مجال الكيمياء "فريدريش كوكيلي (Friedrich Kekulé) كان ملزما بتوضيح وتفسير بنية جزيئات البنزين( Les Molécules de Benzène*) ،في ليلة حلم بشكل يشبه الأفعى وهو يدور في شكل دائري حول نفسه ،وهو بذلك يرسم صورة أفعى وهي تعض ذيلها ،وهنا تفطن واكتشف ان بنية الأفعى

1 -ينظر أبو حامد الغزالي"معيار العلم في المنطق"،دار المعارف مصر (1969)،ص75-76.

هي البنية نفسها للبترين ،تلكم صورة متعلقة بالحلم ،ومستمدة منها جعلت الحل ممكنا لمشكل علمي هام. [1]

نخلص مما سبق ان لحاسة البصر دور مهم لا يقل أهمية عن الحواس الأخرى خاصة في إدراك الموجودات على حقيقتها دون ان نغفل في ذلك علاقة البصر بالذكاء .

---

[1]-Ernest R.Hilgard et Autres "Introduction à la Psychologie" TRAD;David Bélanger ,édit Etudes vivantes,Paris;1980,P314-315.

*Benzène : LIQUIDE INCOLORE .VOLATIL.COMBUSTIBLE ;OBTENU DU PETROLE OU DE LA HOUILLE;PREMIER TERME ($C_6H_6$)de la série des hydrocarbures aromatiques ou cycliques .composant (carb+hydro).

# الباب الأول

## الفصل الثاني

## نظريات اكتساب اللغة وتعلمها

**النظرية المعرفية** (Théorie Cognitive) **لبياجيه**(Piaget) [1]:

يدين علم النفس بالفضل الكبير لــ"جون بياجيه"( 1896-1980) (Jean Piaget) ،وليس من المبالغة ان نقرر انه قد أحدث ثورة في دراسة اللغة والتفكير عند الطفل «من منطلق أطروحته القائلة بأسبقية البنى المعرفية وخضوع اللغة للفكر .وكان هذا التصور قائما أصلا في تحليـــــله لتمركز لغة الطفل على الذات"égocentrisme" [2].

فقد ابتكر"بياجيه"الطريقة الإكلينيكية (Clinique) في الكشف عن أفكار الأطفال ،لان هذا المنهج« يساعد الباحث على تتبع تفكير

الطفل أينما ذهب فلا يقتصر دور الباحث على مجرد رصد المعلومات والملاحظات السطحية (كما يفعل السلوكيون ) وإنما يهدف إلى الكشف عما يكمن وراء السلوك الظاهري للطفل ،وتحليل كل ملاحظة أو تعليق يقدمه الطفل» [3] ،وكان أول من قام بدراسات منظمة للإدراك(Conception) والمنطق عند الطفل ،وتناول دراسة هذه المشكلات على أساس اتجاه جديد قائم على الاتساع والعمق والشجاعة.

إن النظرية المعرفية التي تبناها "بياجيه" نظرية تعتمد على النمو المعرفي ،وهو عملية ارتقائية موصولة من التغيرات التي تكشف عن إمكانيات الطفل ،وهذا المجال أصبح متداولا في ظل البحوث التي افرزها علم النفس اللساني ( Psycholinguistique) من خلال دراسة علماء النفس للظاهرة اللغوية او في المقاربات(Approches )للبعد النفسي فيها،فمن أولويات هذا العلم « معالجة المسائل النفسية التي يتضمنها استعمال اللغة (...) فهذا المجال يبحث بشكل عام في المسار العقلي القائم ضمن اكتساب اللغة واستعماله. » [4] .وركز "بياجيه"على الاكتساب للمفـــــاهيم المختلفة،وهذا النمو هو نتيجة لعوامل أساسية :

---

1 -جون بياجيه من مواليد1896 في سويسرا وتوفي عام 1980،مجال تدريبه الأساسي هو البيولوجيا ،حصل على الدكتوراه في العلوم البيولوجية ،وهو في الحادي والعشرين من عمره ،عمل في معمل بيته في تصميم اختبارات الذكاء .

2 - نور الدين النيفر "فلسفة اللغة"مؤسسة أبو جدان للطباعة والنشر والتوزيع،تونس،ط1، 1993 ،ص135

3 -محمد جاسم محمد "نظريات التعلم "،دار الثقافة للنشر والتوزيع ،ط1 ،2007،ص167.

4 -ميشال زكريا "قضايا السنية تطبيقية ،دراسة لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة تاريخية "،دار العلم للملايين ،بيروت ،1993 ،ص71

**أ–النضج البيولوجي :**

يعد من أهم العوامل التي تؤثر في طريقة فهمنا العالم من حولنا , إذا تعـــــد التغيرات البيولوجية التي يمر بها الفرد موروثة بفعل التركيب الجيني الذي يرثه الفرد في لحظـــــة التكوين وهذه الحقيقة لم يكتشفها إلا علم الأجنة(L'embryologie )والوراثة الحديثين فلم يتأكــــــد دور "الجـــــينات " وهي أجزاء صغيرة من الخلية الحية إلا في عام 1912 حين أثبـــــت "مورجان( Morgan ) ان هذه الجينات تنتقل عبر الحيوان المنوي الذكري والبويضة الأنثوية. [1] . ،لذا فالعوامل البيولوجية المتعلقة أساسا بالجانب الوراثي –حسب بياجيه–مساعدة على الاكتساب اللغوي والمفاهيم الدلالية لأن « التطور اللغوي يعود بالأساس إلى مجموعة من العوامل المتفاعلة فيما بينها :الوراثية .السمعية.المحيط الثقافي... » [2] فهي –من هذه الزاوية–وظيفة إبداعية ،ولعل ذلك ما لا يتفق مع أهم المحاور التي اعتمدتها النظرية العقلية الشومسكية في أن اللغة نتاج للذكاء لا نتاج تعلم بالمفهوم السلوكي ،وان هناك فطرية في البناء وفي عمل الذكاء يقول "بياجي":«تتضمن كل المسالك مظهرا فطريا ومظهرا مكتسبا ،ولكننا لا نستطيع تحديد كل منهما ،(ثم يردف قائلا) : لم أنـــف في يوم من الأيام وجود شيء اسمه"فطري" في العمل ،إذ أننا لم ننجح في يوم ما مـــن جعل هذا الإنسان الساذج إنسانا ذكيا. » [3] ، ومن المفاهيم اللسانية التي روج لهـــا "شومسكي " والتي أصبح جل الدارســـــين في ميادين علـــمية مختلفة يلهـــجون بها :الكفـــــــاية اللغوية

(Compétence Linguistique) والأداء الكــــــــلامي (Performance) التي ستناول أبرز معطياتها لاحقا.

**ب–التوازن:**

يحدث عندما تتفاعل العوامل البيولوجية مع البيئة والمحيط الذي ينـــــشأ فيه الطفل لان ارتقاء الكفاءة اللغوية« هو نتيجة للتفاعل بين الطفل وبيئته ،وبالـــــرغم من أنصار "بياجيه" لا يدعون

---

1 –ينظر كريمان بدير " الأسس النفسية لنمو الطفل " ،دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ،ط1 ،2007،ص25.

2- -ILLINGWORTH R.S "Développement Psychomoteur de l'enfant" trad:J.F.Eizenbaum ,éd Masson ,Paris 1978 ,P238.

3 - Jean Piaget " Shémas d'action et apprentissage du langage "éd le seuil ;Paris ,1979 ;P252

إن النظرية المعرفية في الارتقاء يمكن اعتبارها أيضا نظريـــة صريحة في تفسير النمو اللغوي إلا أنها تتضمن المفاهيم والعلاقات الوظيفية الأساسية التي تسمح لها بالقيام بالدور التفسيري في هذا المجال أيضا. »[1] .فمن المنطقي القـــول انه كلما نمى الفرد نموا جسدياً سليما كانت قدرته على الحركة والتفاعل مع المحيـــط الذي حوله أفضل.

**ج- الخبرات الاجتماعية :**

كلما نم الطفل دعت الطبيعة الاجتماعية للتفاعل مع غيره (الأسرة ،الحي )،فان هذا التفاعل –بالمحاكاة (Imitation) واللعب –سيؤثر حتما في النمو المعرفي للطفل لغويا وسلوكيا،ويتجسد « التداول اللغوي اجتماعيا في طريقة استعمال الإشارات والرموز الجماعية التي تعبر عنها الكلمات .بيد ان استعمال مثل هذه الأداة لا يستلزم ان يكون الطفل قد اكتسبها :انه يكتسبها عن طريق المحاكاة بالتحديد وبعد ان يصبـــــح بفضل المحاكاة قادرا على التفكير الصوري »[2] .وفي الحقيقة ان ما قام به "بياجيه" يعتبر جادا وجديدا في تاريخ الفكر السيكولوجي ،أفاد من آراء "جون جاك روسو"(Jean Jack Rousseau) بان الطفل ليس إطـــــلاقا بالشخص الراشد المصغر ،وبان عقله ليس بعقل الراشد على نطاق صغير ،وتكمن وراء هذه الحقيقة ،التي أيدها "بياجيه" بالإثبات التجريبي ،فكرة بسيطة في جـــوهرها فكرة التطور التي أضاءت كل دراسات "بياجيه".ان الحلقة التي توحد كل الخصائص المميزة لمنطق الطفل في وحدة معينة وفق لـــ"بياجيه" هي تمركز تفكير الطفل حـــــول الذات ( égocentrisme) –كما ذكرنا–وفي ذلك يتعين الركـــــن الأساس لكل نظامه ،أو يتحدد حجر الزاوية لكل البناء الذي شيده .فبهذه الخاصية المحورية يربط كل الخصائص الأخرى التي وجدها .هذا ما دفع ب"بياجيه" لتقديم الأساس الحقيقي لهذا التصور في بحثه الخاص باستخدام الطفل للغة .فقد آلت به بحوثه المنظمة إلى ان يصل إلى نتيجة بان كل أحاديث الأطفال تقع في مجموعتين أحاديث متمركزة حول الذات ،وأحاديث مطبوعة اجتماعيا « فالطفل يبدأ بالحس والحركة ،ثم بعد ذلك يطلق أسماء عليها ،فالأطفال عليهم ان يحققوا دوام الموضوعات يعني إذا غابت الأشياء عن العين تبقى موجودة وان

1 –المرجع السابق ،ص78.

2 – نور الدين النيفر ،المرجع السابق ،ص137

هنالك نوعان من الكلام : 1-الكلام المركزي الذاتي :لا يهتم ان يسمعه احد ويتكلم مع نفسه .2-الكلام المكيف للمجتمع :هو الكلام الذي يوجد إلى المستمع» [1] .ويكمن الاختلاف بينهما أساسا فيما يقومان به من وظائف ،ففي الكلام المتمركز حول الذات يتكلم الطفل فقط عن نفسه ولا يبدي اهتماما بمن حوله أو يشاركه الحديث ولا يتوقع إجابات ولا يهتم إذا كان هناك من يستمع إليه فهو أشبه بمونولوج في مسرحية :يفكر الطفل بصوت عال لا يلتفت إلى احد .أما في الكلام المطبوع اجتماعيا يحاول الطفل القيام بعملية تبادل مع الآخرين فهو يطلب ،يأمر يهدد يعلن ينتقد يوجه أسئلة [2] .لكننا ندرك تمام الإدراك –خلافا لما ذهب إليه "بياجيه" ان الترعة الاجتماعية هي الترعة الغالبة على تفكير الأطفال ،فنراهم في أحيان كثيرة يتقمصون الوازع الاجتماعي ويجسدونه ميدانيا ،وقد يبدو ان المونولوج –على حد وصف بياجيه-ما هو إلا عرض من أعراض التمركز حول الذات ،حتى وان بدا مختلفا عنه ،لان "المونولوج " لا يخرج عن إطار المجتمع الذي يتفاعل معه الطفل ،فهناك " تأثر وتأثير " .ان الطفل من خلال هذا السلوك يريد ان يعقد صلة بينه وبين الآخرين في الإطار الاجتماعي .أضف إلى ذلك ان الحديث « عن الذات لا يدل على عدم النضج النفسي ،لأن نسبة كبيرة من الراشدين لا يجدون حرجا في الحديث عن أنفسهم وعن شؤونهم الخاصة ،ولا تقل عن نسبة الأطفال في ذلك » [3] وما أكثر الراشدين الذين تراهم في الكثير من الأحيان وهم يحدثون الناس عن مغامراتهم الخاصة وأعمالهم العديدة دون حرج ،فهل يمكننا حينئذ ان نصف هذه السلوكات الراشدة على أنها "تمركز حول الذات ؟ خاصة إذا ما علمنا ان هذا السلوك يخصص –من قبل الدارسين في مجال علم النفس – للأطفال دون سواهم.

من خلال هذه الطروحات تبين لنا ان النظرية المعرفية التي يمثلها "اهلدر وبياجيه" في علم النفس ،الذي يتبنى الطرح (ضرورة الفصل بين اللغة والتفكير) ،بل ان الفكر سابق على اللغة .قد لقيت هذه النظرية العديد من الاعتراضا ت والانتقادات خاصة ما تعلق بوجود فاعليات واليات غريزية في الدماغ منذ ولادة الطفل والفاعليات اللغوية التي لا يمكن شرحها بيولوجيا ،فان "بياجيه" يقترح شرحها شرحا قائـــما على أساس من البنية التركـــــيبية التطورية للذكاء

---

[1] - نبيل عبد الهادي وآخرون "تطور اللغة عند الطفل " الأهلية للنشر والتوزيع ،الأردن ،ط1 ،2007 ،ص142.

[2] - ينظر المرجع نفسه ،ص142-143.

[3] - حنفي بن عيسى "المرجع المذكور سابقا " ،ص 149.

الحسي-الحركي فضلا عن ذلك فان "بياجيه" لا يخالف"لينبرغ Lennenberg" في مبدأ البحث العلمي من حيث ان هناك فاعلية فطرية غريزية لغوية في الدماغ البشري ولكن يخالفه في الأسلوب والمنهج المستخدم في دراستها. [1]

إن الاتجاه البياجي في تفسير علاقة اللغة بالفكر ،والدعوة إلى الفصل بينهما ،دعوة مقابلة – كما سنرى- للاتجاه السلوكي ومتناقضة معه .لكن الأفكار المعرفية لم تسلم أيضا من الانتقادات ،ولعل مرد ذلك هو الفصل بين الصوت والمعنى وهذا ما ترفضه اللسانيات السوسيرية الحديثة ،خاصة فيما نزعت إليه في ثنائية الدال/المدلول لذا «فهذا الاتجاه ليس بالاتجاه الأمثل أو الأحسن ،فمن يرون ان الكلام تعبير خارجي للفكرة أو ثوب لها ،أو يترعون إلى تحرير التفكير من كل المكونات الحسية بما فيها من الكلمات ،يتصـــــــــورون العلاقة بين الفكرة والكلمة كعــــــلاقة خارجية بحتة (...)وعلينا ان نتصور ما سيحدث عند الفصل بين الصوت والمعنى ،وهو أمر ترفضه اللسانيات الحديثة. » [2]

---

1 -ينظر "مازن الوعر "قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث "دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ،ط 1 ،1988 ،ص202.

2 -نور الدين النيفر "فلسفة اللغة واللسانيات " ،ص146-147.

**النظرية السلوكية** ( T-Béhaviourisme ):

تعتبر السلوكية (Béhaviourisme)من الاتجاهات الأساسية التي مكنت لنفسها أرضية صلدة في مجال علم النفس ،وعرف بداياته الأولى في مستهل القرن الماضي من خلال أعمال "واطسون " (Watson) [(1)] ،وتقوم على منهج تجريبي قائم على الملاحظة والتجربة ،وشاع صيتها في الدراسات والعلوم المختلفة ،لذا لم يكن هنالك بد من استثمار معطياتها الفكرية ونتائجها العلمية الميدانية ، و من بين هذه العلوم بينها علم اللسانيات" تتناول هذه الترعة السلوكات البشرية و«تعرض لدراسة الإنسان دراسة موضوعية و تبتعد عن كل استقصاء يقوم على الحدس الداخلي مقتصرة على رصد دقيق لمظاهر السلوك الخارجي». [(2)] ،ويرى السلوكيون ان الطفل حينما يتطلع ويكتشف الأشياء التي يمكنه التعبير عنها باستعمال مجموعة من الكلمات ،هو إذ ذاك يكتشف مدلولاتها ،وتتركز معطيات هذه النظرية على « السلوك الخارجي للإنسان ،معتبرة إياه مادة التحـــليل اللساني مهملة كل العمـــــليات الداخلية التي هي مصـــدر هذا السلوك . » [(3)]

لقد تبنى السلوكيون الفكرة "ان التفكير نوع من الكلام الصامت " ولكنهم يضيفون إلى كل ذلك ان هذا الكلام الداخلي الذي نسميه التفكير عبارة عن حركات خفيفة تسري على مستوى أعضاء النطق(Les Organes D'articulation)وان الإنسان يحس بهذا الكلام الداخلي عن طريق حركات خفيفة تدب في الفم والذقن والحنجرة [(4)] . لكن ما هي الآليات أو الميكانيزمات التي اعتمدتها النظرية السلـــــوكية في نظرتها للغة ؟

---

1 -تتلخص نظريته في ان الطفل قبل ان يتكلم هو نفسه وقبل ان يجرب إعادة الكلام يفهم القول المسموع أو على الأقل يفهم عددا من الكلمات التي تلفظ حوله ،وفهم الكلمة المسموعة يعني الاستجابة لها بالشكل المناسب إما بالعينين أو الوجه أو باليدين أو بالجسم...لمزيد من الشرح .ينظر عبد السلام المسدي "اللسانيات من خلال النصوص" ،ص147-148.

2 - رونالد ايلوار،" مدخل إلى اللسانيات" ، ترجمة : بدر الدين القاسم ، وزارة التعليم العالي ، سوريا، ص: 107

3 - نعمان بوقرة "المدارس اللسانية المعاصرة " مكتبة الآداب ،القاهرة ،(دت، دط ) ،ص140

4 -ينظر حنفي بن عيسى "محاضرات في علم النفس اللغوي " ،ص219 بتصرف

إن اللغة في الطرح السلوكي لا تخرج عن إطار (الحافز والاستجابة وفق متطـــــــلبات بيئية)،فهي عبارة عن «عادات صوتية يكيفها حافز البيئة .» [1] ،ولقد أقصت السلوكية من اهتمامـــــاتها جانب التحليل النفسي الاستبطاني الذي برهن علـــى قدرته في تقديم تفسيرات علمية مقنعة للظاهرة اللغوية ،بالإضافة إلى التفكير مادام اهتمـــامها منصبا على السلوكات الخارجية فهم « يركزون على السلوكات القابلة للملاحظة والقـــياس ،ولا يركزون اهتمامهم على الأبنية العقلية أو العمليات الداخلية التي تولد الأبنيــــــة اللغوية ...فالأنشطة العـــــــقلية لا يمــــكن ان ترى فإنها لا يمكن ان تعرف أو تقاس. »[2]. فلقد حاول العالم اللساني "بلومفيلد" (Bloomfield) من خلال كتـــــــابه "اللغة" Language إسقاط المفاهيم التأسيسية التي تقوم عليها النزعة السلوكية على الظاهرة اللغوية خاصة ما يمكن تسميته بالثنائية السلوكية : "Stimulus / Réponse"توفرهما البيئة أو المحيط .فلقد أقـــر "بلومفيلد " مبدئيا ان الجوانب الدلالية للعناصر اللسانية لا تعدو ان تكون الموقف الذي يقوم فيه المتكلم بالإنتاج الفعلي للكلام ،ورد الفعل أو الاستجابة التي يتطلبها من المستمع [3]

إن المنهج الذي اتبعه "بلومفيلد" في دراسته للغة يقوم –في تصوره- على تفسير السلوك البشري في حدود "المثير " و" الاستجابة " على غرار ما تعتمده العلوم الفيزيائية والكيمياوية في تفسير الظواهر على تتابع العـــلة والأثر (Cause et Séquences ).والملاحظ ان "بلومفيلد يرفض رفضا قاطعا المنهج الذهني (Mentalisme )الذي كان سائدا في عصره .[4] وهذا ما يؤكد تأثر "بلومفيلد " بالنزعة التي تبناها " واطسون " وأتباعه في ان علماء النفس ليسوا بحاجة إلى التسليم بوجود العقل أو أي شيء آخر لا يمكن ملاحظته لتفسير تلك النشاطات والقدرات

1 –ميشال زكريا "الألسنية(علم اللغة الحديث)مبادؤها وأعلامها ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت ،ط1 ،1980ص73

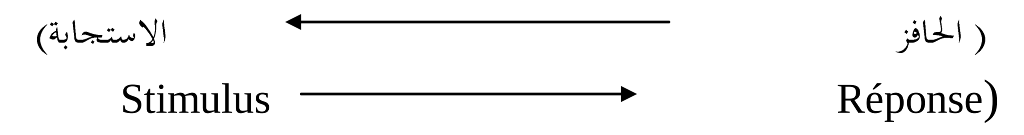
2 – نبيل عبد الهادي وآخران " تطور اللغة عند الطفل " ،ص93.

3 –ينظر احمد حساني "مباحث في اللسانيات" ،ص152.

4 - ينظر :أحمد مومن ،المرجع المذكور سابقا ،ص 194.

الخاصة بالكائنات البشرية التي وصفها علماء النفس التقليديون بأنها ذهنية ،أي ان سلوك أي كائن حيّ ،ابتداء من الأميبيا *وانتهاء بالكائن البشري ،لا يجب ان يوصف أو يفسر إلا في حدود

استجاباته لمثيرات نابعة من البيئة واستدل بلومفيلد على وجهة نظره هاته بإيراد مثال عن السلوك الفيزيولوجي في كتابه السالف الذكر ،هو (جاك وجيل والتفاحة) «فبينما كان جاك وجيل يتمشيان في حديقة ،رأت جيل(Jill) تفاحة يانعة على شجرة طويلة فطلبت من جاك( Jack) ان يذهب ليقطفها لها .هذا المثير الخارجي جعل جيل تحرك حنجرتها ولسانها وشفتيها (عملية كلامية )وهكذا فان استجابة جيل لهذا المثير الخارجي تصبح إثارة أخرى لجاك ،لذلك نرى جاك يتسلق الشجرة ليجلب التفاحة إلى جيل لتأكلها. » [1] .انطلاقا من هذه القصة ،يمكننا ان نقدم لها قراءات عدة إسقاطا على الثنائية السلوكية (مثير /استجابة) :لقد اشتهت "جيل " أكل التفاحة ،فكان هذا مثيرا وحافزا بيولوجيا(Stimulus Biologique) بحتا ،دفع بها إلى الطلب من صديقها "جاك" ان يقطفها لها رغم ان الأمر لم يكن سهلا (شجرة طويلة)، فالعلاقة القائمة بين المثير والاستجابة القوية.




-إن الطلب الذي قدمته "جيل "كان لسانيا بديلا للشعور الداخلي الاولي ,لنتصور أنها قالت له :

Please ,Jack I want to eat this apple.

ولربما كان كذلك بالنسبة ل"جاك" قبل تسلقه الشجرة .

Jack : yes ,of course.

فالقصة هي مجموعة من المثيرات والاستجابات ،-ولربما كانت من نسج الخيال –حتى يؤكد "بلومفيلد "على طروحاته في الميدان السلوكي،تطورت هذه الحوافز والاستجابات البيولوجية إلى عناصر لسانية(من خلال التخاطب) ،مكنتهما من التواصل لغرض معين ،فالكلام حاصل بينهما لامناص من ذلك لان « الكلام الذي تافه وغير هام في حد ذاته له شأن كبير لأن له معنى ويشتمل

---

* AMIBE : animal unicellulaire des eaux douces ou salées des sols humides ,se déplaçant par pseudopodes. Larousse ;P59.

الأميبيا : حيوان وحيد الخلية من المياه العذبة والمالحة ومن المناطق الرطبة ،ينتقل من خلال الزيادة السيتوبلازمية للخلية

1 –مازن الوعر "قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث " ،ص70.

هذا المعنى على الأشياء العامة التي يرتبط بها الكلام وخاصة الأحداث العملية » [1] . من خلال هذه الوقائع السلوكية يبدو ان التحليل اللساني البنيوي لهذا الحدث السلوكي الفيزيولوجي يتمثل

في هذه العملية وفقا للمعطيات التي انضوت تحتها القصة :-أحداث واقعية سابقة لعملية الكلام .-العملية الكلامية.-أحداث واقعية لاحقة لعملية الكلام. [2] ومن هنا فدراسة التواصل اللغوي ( التخاطب) تقتصر على استقصاء الحلقات المتتابعة المؤلفة من حوافر ومثيرات وردود فعل ( استجابات) لسانية مرتبطة بهذه المثيرات حسب مقتضى الحال،وقد أورد محمود السعران في هذا السمت قول "بلومفيلد "من كتابه "اللغة" قائلا : «إن اللغة تمكن شخصا من أن يحدث رد فعل عندما يتوفر لدى شخص أخر المثير...وهكذا ان تقسيم العمل (بل تنظيم المجتمع الإنساني كله) إنما تم عن طريق اللغة. »[3] .

إن الاتجاه السلوكي من خلال ما تقدم يبدو انه يضع نصب عينيه اللغة والفكر في قالب واحد ،فلا فرق بينهما على خلاف النظرية المعرفية البياجية «لان اللغة أصبحت في حد ذاتها مولدا للأحاسيس والمشاعر و الأفكار ،بل أضحت وسيلة للمعرفة ،وتتحكم في الدلالات... » [4] فضلا عن ذلك لا يمكن القول ان هذا الاتجاه السلوكي قد استطاع ان يقدم التفسيرات الكافية الشافية للغة واكتسابها من منطلق المثير والاستجابة .فلقد لقيت هذه النظرية انتقادات ،خاصة في تركيزها على الجانب الآلي وتشبيه السلوك الإنساني بسلوك الاميبيا أو القطط ،والقردة والكلاب التي أجريت عليها العديد من التجارب في المخابر .فالإنسان مكرم بالعقل عن بقية الحيوانات ،ولا يمكن ان نصفه بغير الإنسان .

1 - أحمد مومن ، " اللسانيات ، النشأة والتطور" ، ص: 196

2 - ينظرمازن الوعر ،المرجع السابق ،ص70.

3 - محمود السعران ، " علم اللغة – مقدمة للقارئ العربي"،دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،بيروت (دت،دط) ،ص 307.

4 - Francis Tollis'' la Parole et le Sens'' Armond Collin ,Paris 1991 ,P183

**النظرية الفطرية :**

إن الدارس لمسار النظريات اللغوية بصفة خاصة ،والنظرية العقلية بصفة خاصة يدرك مدى التعدّد في التسميات والاصطلاحات التي أحيطت بهذه النظرية من قبل الدارسين العرب والغربيين على حد سواء ،فمنهم من يرى أنها نظرية عقلية نفسية ،ومنهم من يرى أنها نظرية توليدية تحويلية (Générative Transformationnelle) ألصق وأدق .لكنها عموما تجمع على ان هذه النظرية جاءت كرد فعل على النظرية السلوكية ،التي تعتبر اللغة مجموعة من العادات الكلامية يكيفها حافز البيئة –كما سبق الذكر- والتي لا ترتبط الاستجابة الكلامية فيها بأي شكل من أشكال التفكير .

يعتبر "شومسكي " زعيم هذه النظرية ،وهو من أشهر علماء اللغة في الولايات المتحدة الأمريكية ،وتتجسد أعماله في مؤلفات عدة ،وتتمحور نظريته حول مصطلح الكفاية اللغوية (Compétence ling) أي تلك القدرة أو الموهبة الفطرية التي منحها الله للإنسان, فاستطاع عن طريقها أن ينتج ما لا يحصى من جمل لغته الأمّ،فهي حقيقة عقلية كامنة وراء الأداء الكلامي[1] لذا فإننا نميل-فيما نعتقد- أنها إلى تسميتها بالنظرية الفطرية أقرب وأدق.

لئن كانت النظرية السلوكية لا تميز بين السلوك الإنساني والسلوك الحيواني ،فقد أكدت النظرية الشومسكية على ان اللغة هي المميّز بين الإنسان والحيوان فهي « تنظيم عقلي فريد من نوعه تستمد حقيقتها من حيث أنها أداة للتعبير والتفكير الإنساني الحر .»[2] ومن ثم حُقّان توصف بالنظرية النموذجية أو النظرية المعيار (la théorie standard )[3]

---

[1] -ينظر احمد حساني " مباحث في اللسانيات " ص 127.

[2] -ميشال زكريا " الألسنية –علم اللغة الحديث –" المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،بيروت ،ط1983،2 ،ص74.

[3] – ينظر أحمد حساني ،المرجع نفسه ،ص 126.

ينظر تشومسكي ومن سار على نهجه للغة على أنها عبارة عن ملكة أو مهارة مفتوحة النهايات ,وهذه تتجسد في هذه القدرة العقلية وتتمثل في الجانب الإبداعي من العقل البشري ،بل وتعتبر اللغة ابرز مظاهرها.ويرى ان الطفل يمكنه أن ينتج ويفهم جملا لم يسبق له استخدامها , أو سماعها من قبل, ويستطيع أيضا من خلال إتقانه للقواعد التي تحكم بناء لغته أن يولد تراكيب لغوية خاصة به , وأن يفهم كلام الآخرين

لذا فإن كل الطفل في هذا العالم يستطيع بما حباه الله من قدرة فطرية له القدرة على تكوين قواعد

لغته من خلال الكلام الذي يسمعه وأن يكوّن مجموعة من الافتراضات متزايدة في التعقيد [1] .مما يفهم أن الطفل لديه جهازاً عقليًّا خاصاً يميز بالفطرة الأمور العامة التي تحكم أنظمة اللغات, أي أنه يتمكن من معرفة ما هو داخل في لغته , وما هو خارج عنها . فالكفاية تنم عن الاستعداد الفطري الضمني للغة بطريقة لا شعورية .ويميز " شومسكي بين الملكة اللغوية والأداء الكلامي (Performance )الذي هو «الاستعمال الفعلي للغة في الظروف المحسوسة.»[2] إذاً فالملكة اللغوية هي الموجه والمرشد ان صح القول للأداء الكلامي .

على الرغم من الانجازات التي حققتها النظرية الفطرية الشومسكية ،وتجاوزها لطروحات النظرية السلوكية خاصة في تفسيراتها لظاهرة الاكتساب اللغوي إلا أنها هي الأخرى لم تسلم نهائيا من الانتقادات خاصة على مستوى المفاهيم .إلا أننا –حسب علمنا –متأكدون ان هذه النظرية كان لها الفضل الكبير على الدراسات اللغوية .

[1] - ينظر حفيظة تازوتي " اكتساب اللغة العربية عند الطفل الجزائري " ،ص 60.

[2]- N-Chomsky" aspects de la théorie syntaxiques " P 12.

**التيار التفاعلي الاجتماعي ( نظرية فيجوتسكي) :**

يعتبر فيجوتسكي* مؤسس علم النفس السوفياتي .فما أسهم في علم النفس السوفياتي بالنظرية الاجتماعية التاريخية في تفسير نمو العمليات النفسية للإنسان ،وسعيه لخلق نظرية سيكولوجية محددة ،وما قام به من دراسات تجريبية عن نمو المفاهيم لدى الأطفال ،ومعالجته بالدراسة العلمية لقضية العلاقة بين التعلم والنمو العقلي للطفل .تعد من الانجازات التي أرساها هذا العالم في فترة التكوين الأولى لعلم النفس كعلم قائم بذاته .فإذا كان بعض علماء النفس «قد تناولوا عدة قضايا لها علاقة وشيجة باهتمامات علم النفس ،إلا أنهم لم يتطرقوا إلى دراسة المشكلات الحقيقية لتكوين النشاط النفسي في عملية نمو العلاقات المتبادلة بين الإنسان والعالم الخارجي المحيط به.» [1] بدليل اهتمامه البالغ بالوظائف النفسية العليا كالذاكرة والمنطق ،والانتباه ،فقد رأى ان تطور هذه الوظائف إنما هو نتيجة عملية اجتماعية تحدث في إطار التفاعلات ،وان اللغة « تتبع مثل هذه الوظائف النفسية ،المسار نفسه ،فمصدرها هو التفاعل الاجتماعي يبين الطفل والشخص الراشد في نظام اتفاقات اجتماعية وثقافية .» [2]

إن الطروحات التي اسسها " فيجوتسكي " –على خلاف النظرية العقلية والسلوكية – معتمدة على الجانب الاجتماعي والثقافي ،لذا فان طرق التفكير الخاصة بالفرد تخرج عن إطار الجانب الفطري للقدرات العقلية أو غيرها ،بل مرد ذلك إلى مستويات وطرق التفكير للبيئة الثقافية التي ينمو فيها الفرد .فتاريخ المجتمع الذي ينشا فيه الطفل والمرتبط بتجاربه داخل هذا المجتمع ،هي –في نظره–العوامل التي تحدد الطريقة التي يكون قادرا على التفكير بها [3].من هنا يتضح جليا على ان هذا العالم يرفض التيارات النفسية التي كانت سائدة في عصره ،ويتبنى الفلسفة الاجتماعية الماركسية ،خاصة المبادئ التي نادى بها " ماركس "( Marx ) ،و"انجلز" (Engels ) ،من حيث ربط النمو النفسي للطفل بهذه المبادئ ،ومنها : ان النشاط «يولد الفكر .ينبثق النمو عن مبادلات جدلية

---

* - فيجوتسكي ( 1896–1934 )باحث روسي ،اهتم بالدراسات المؤسسة على علم نفس النمو ،وبالتربية ،وعلم النفس المرضي ،وعلى الرغم من مسيرته العلمية القصيرة ،فانه قد تمكن من بناء نظرية النمو الإنساني تنسجم مع توجهات الماركسية التي بنى عليها المجتمع الروسي ،من مؤلفاته " التفكير واللغة "

[1] - ل.س .فيجوتسكي " التفكير واللغة " تر :طلعت منصور ،مكتبة الانجلو المصرية ،ط1 ،1976 ،ص 54.

[2] - حفيظة تازوتي " اكتساب اللغة العربية عند الطفل الجزائري " دار القصبة للنشر ،2003 ، ص 74.

[3] - ينظر المرجع نفسه ،ص 75.

وبالتالي فان النمو مسار تاريخي ضمن السياقات الثقافية ،وان سلوك الأفراد الذين يعيشون في بيئات اجتماعية خاصة مسؤول عن الاختلافات في الأدوار والامتيازات الموجودة بين الطبقات الاجتماعية ،وطرائق التفكير الخاصة.»[1]

إن استعراض كل القضايا التي أثارها هذا العالم ليس بالأمر الهين ،لذا فنحن مضطرون الى إغفال بعض الجوانب الأخرى من أعماله هذا الرجل ،ونتجه صوبا الى ما نصبو إليه ،خاصة فيما تعلق بالقضايا الجوهرية التي دافع عنها في علم نفس النمو وخاصة تعامل الطفل مع اللغة والتفكير .فمن الأهمية بمكان ان نتوقف عند هذه المسالة فقد انتقد هذا العالم مناهج دراسة الفكر البشري التي راجت في عصره والقائمة على دراسة الروح ووظائفها من خلال عملية الاستبطان .كما ندد بالسلوكية –كما أسلفت في القول- نظرا لإقصائها جانب الوعي ،كما أبدى امتعاضه من الاتجاه العقلي في اكتساب اللغة ،خاصة نظرية " شترن " ( Stern ) لأنه من أصحاب الاتجاه العقلي .كما علق على أفكار " بياجيه" لاسيما قضية التمركز حول الذات "égocentrisme ).[2]

**رؤية فيجوتسكي للغة والتفكير :**

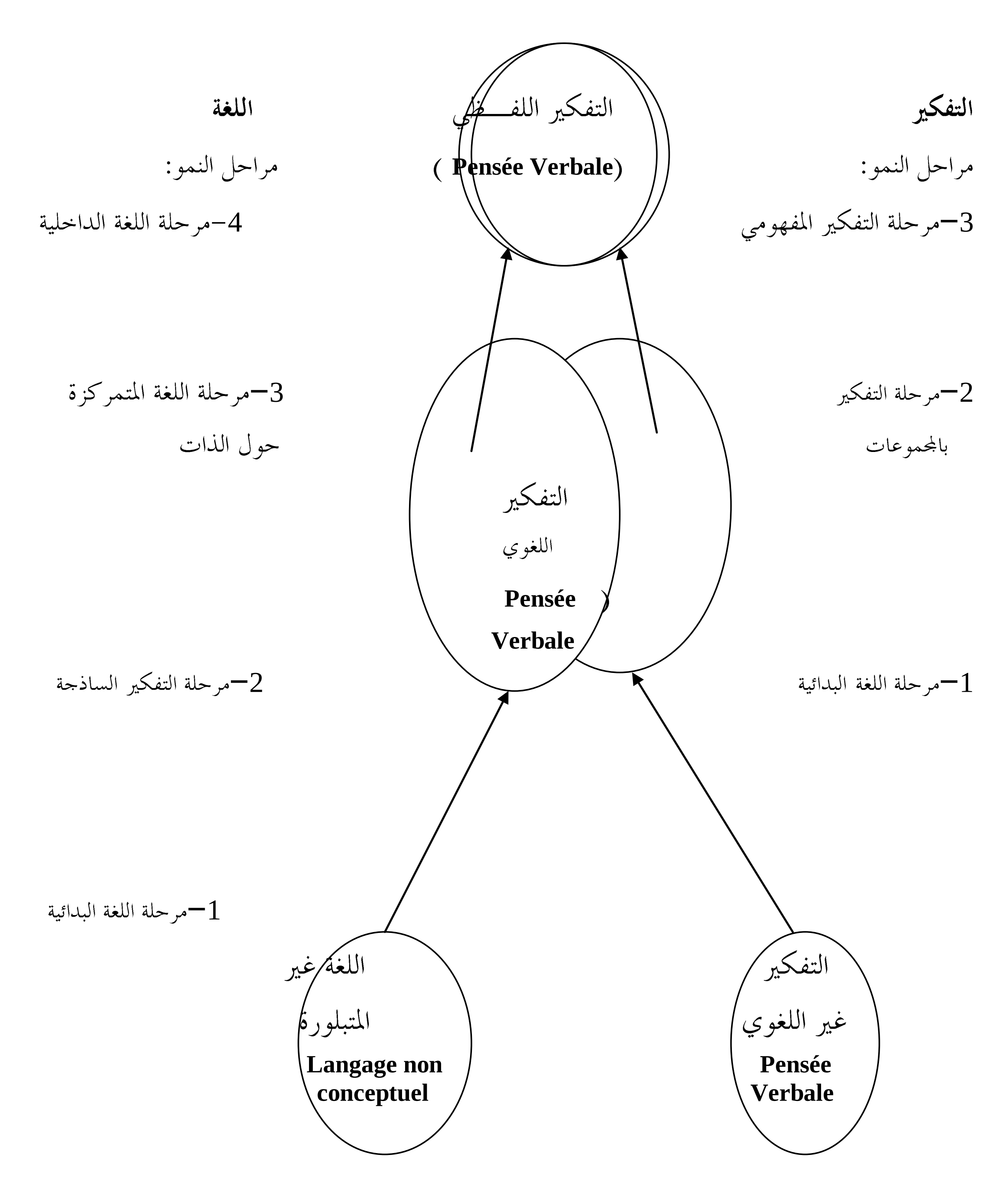
يتشكل كل من اللغة والتفكير لدى الطفل بصفة منفصلة ،لأنها تطورهما ينمو من أصول مختلفة ،وانه بالإمكان « تحديد مرحلة لما قبل النشاط العقلي في النمو الكلامي للطفل ،ومرحلة لما قبل اللغة في نموه التفكيري ،وحتى فترة معينة ،فان نمو الكلام والتفكير يسيران في خطوط مختلفة ،دون ارتباط احدهما بالآخر ،ولكن هذه الخطوط تتلاقى عند نقطة معينة ،يصير بعدها التفكير كلاميا ،والكلام تعقليا ،وهذا ما وضحه" ماري توماس ( Murrray Thomas ) و" كلودين ميشال (Claudine Michel ) في حلقتين للغة والتفكير من خلال الشكل التالي : [3]

---

[1] - حفيظة تازوتي ،م نفسه ،ص 75.

[2] -ينظر :المرجع نفسه ،ص 77 ،وبتصرف

[3] -نفسه ،ص 78-79.




إن النمو الغوي عند الطفل في نظر فيجوتسكي يخضع للمسار والقوانين نفسها التي تحكم نمو العمليات العقلية الأخرى ،أي أنها أي اللغة تعتمد على استخدام عمليات عقلية كالتذكر وغيره ،بل لقد توصل هذا الرجل إلى حصر نمو اللغة في مراحل هي حسب الجدول المبيّن أعلاه :

**1-المرحلة اللغة البدائية**(Stade de Langage Primitif ):وهي تسبق المرحلة التي تتداخل فيها حلقة اللغة مع حلقة التفكير الواعي ،أي هي مرحلة توافق بين الكلام قبل العقلي والتفكير قبل

اللغوي .وتمتد من فترة الولادة حتى العام الثاني تقريبا ،وما يميز هذه المرحلة :أنواع من الكلام المجرد من التفكير كتلك الأصوات الانفعالية التي يصدرها الطفل نتيجة حاجات بيولوجية كالجوع والعطش ...الخ ،صرخات تعبر عن الخوف ،مناغاة تعبر عن الرضا و الطمأنينة [1]

**2-مرحلة السيكولوجية الساذجة** (Psychologie Naïve ):وهي مرحلة متقدمة نوعا ما في حياة الطفل من حيث نموه اللغوي ،إذ يصبح الطفل يكتشف ان لهذه الكلمات التي يتلفظ بها من حين لآخر لها وظيفة رمزية ،بل يكتسب صفة الاستقلالية فلم يعد موجها من قبل الآخرين في تعرفه على الأشياء ،وإنما يبدي رغبة في الحصول علة هذه المعلومات بمفرده،فتنمو ثروته اللغوية بشكل ملفت للانتباه ،ويصبح حينئذ يستخدم الجمل التابعة وكلمات مثل :"لأن ،إذا ،حينما ، ولكن ...)وذلك قبل ان يدرك بفترة طويلة العلاقات الشرطية أو العليّة .[2]

**3-مرحلة اللغة المتمركزة حول الذات** ( S.L.égocentrisme ):مع بلوغ الطفل لمرحلة اللغة المتمركزة حول الذات ،يستطيع هذا الأخير ان يربط علاقات الأشياء المحيطة به مع اللغة ،وتمثل الجزء الأكبر في لغة الطفل قبل المدرسة ،وتظهر في حالات اللعب ،وبأشكال تعبيرية من أهمها المونولوج أو الحديث الداخلي ،واعتبر فيجوتسكي ذلك وسيلة تفكير جديدة وضرورية ليس للتعلم فحسب ،بل للتفكير أيضا .ولا تختفي اللغة المتمركزة حول الذات حسب فيجوتسكي حينما يبلغ الطفل سن السابعة ،بل انه يعتبر زوالها إعلانا عن ظهور المرحلة الرابعة التي توصف بمرحلة النمو الداخلي .[3]

**4-مرحلة النمو الداخلي** :يتعلم الطفل في هذه المرحلة استخدام عمليات تفكيرية داخلية في ذهنه ،وذلك في شكل غير منطوق ،وذلك بواسطة الذاكرة التي تستدعي إشارات داخلية على شكل علامات ،ويستعمل الطفل اللغتين الداخلية والخارجية على ح سواء فيدخل المرحلة الثالثة «التي

---

1 - ينظر :حفيظة تازوتي ،م نفسه ،ص 81

[2] - ينظر :ل.س .فيجوتسكي ،المرجع السابق ،ص 148.

[3] -ينظر :حفيظة تازقتي ،م نفسه ،ص 83.

تتميز بالإشارات الخارجية والعمليات الخارجية التي تستخدم كمعينات في حل المشكلات الداخلية تلك هي المرحلة التي يقوم فيها الطفل بالعد على أصابعه ،مرحلة اللجوء إلى وسائل خارجية آلية تعينه على التذكر ،وتتميز هذه المرحلة بالكلام المتمركز حول الذات .»[1]

من كل ما سبق تظل نظرية التفاعل الاجتماعي لـــ" فيجوتسكي إلى جانب النظريتين العقلية والمعرفية مصدر الهام للعديد من الدراسات والبحوث المتعلقة بظاهرة الاكتساب اللغوي عند الطفل فعلى الرغم من التطور الذي استهدف ميادين البحث العلمي بشكل عام ،والميدان النفسي بشكل خاص في الآونة الأخيرة إلا ان هذه الأفكار والرؤى العلمية والنفسية ظلت عالة على هذه النظريات المتقدمة وأعلامها "تشومسكي ،وبياجيه ،وفيجوتسكي...

**النظرية الانثروبولوجية** ( T-Anthropologique ):

وفي مقابل الاتجاهين السابقين ومحاولتهما إيجاد تفسير كاف للعلاقة بين اللغة والفكر ،يتراءى اتجاه ثالث الذي وقف موقفا وسطا بينهما ،ونعني به الاتجاه الانثروبولوجي الذي يوازن بين التفكير

---

[1] - م نفسه ،ص 149.

واللغة ،ويوصي بان لا تؤخذ العلاقة بينهما على أنها علاقة سببية ،وحجتهم في ذلك ان اللغة يمكن ان تصاغ من خلال الظروف البيئية ،والتنظيم الاجتماعي ،وأساليب التفكير السائدة [1]. فاللغة والفكر في المنظور الانثروبولوجي مترابطان ارتباطا وثيقا ،لان اللغة هي قالب الفكر أو المظهر الخارجي المجسد للفكر ،لان الإنسان يتلقى اللغة وما تحويه من أفكار ومدلولات بطريقة غير واعية ،فأصبحنا نعيش —كما قال عبد الجليل مرتاض –أسرى اللفظ( وهو يعلق على قول "وورفWhorf) « ندرك قوانين لغة الأم منذ طفولتنا المبكرة على نحو تلقائي أي بطرقة غير واعية ونحن نكتسب لغة الأم ،ونكتسب معها وفي نفس الوقت وبطريقة غير واعية أسلوبا نوعيا ومتميزا للتفكير كما نكتسب "ميتافزيقيا باطنية خافية. »[2] أليس "دي سوسير " هو الذي قد حدد العلاقة بين اللغة والفكر وتشبيههما بالورقة ذات الوجهين من خلال ثنائيته (الدال/المدلول) ؟،بل لا وجود لشيء اسمه "التفكير " دون ان يتجسد في عناصر لسانية وهو اللغة ،لان « التفكير ما هو إلا كتلة عديمة الشكل وغير قابلة للتمييز ،فالفكر هو بمثابة سحابة غازية ،ليس هناك مجال لأفكار مكونة مسبقا ،ولاشيء محدد ومميز قبل ظهور اللغة. ..فاللغة جامعة بين عنصرين الأفكار والأصوات » [3]

يبدو أن الطرح الانثروبولوجي (الذي ستكون له مع وقفة في مبحث آخر) قد حـــــدد عناصر التواصل اللغوي،فالتواصل من شأنه ان يعقد علاقة بين باث ومتلق أو المـــــرسل والمرسل إليه ،ومن المفروض ان يتبادلا مجموعة من الأفكار مجسدة في قالب لغوي ، فنحن لا نستطيع « بوصفنا بشرا ان نفكر في شيء لا تسمح به كفاءتنا اللغوية ،كمـــا أنه لا نستطيع ان نتواصل حول شيء لا نستطيع التفكير فيه فنحن محكومون إلى مدى معين في أفكارنا و أفعالنا باللغة التي نعرفها وهيكلة رؤيتنا للعالم » [4].

إن جدلية العلاقة بين اللغة والتفكير —كما بينا —ليس وليدة المعطيات الفلسفية واللسانية في الوقت الراهن ،بل هي ممتدة الجذور إلى الماضي البعيد ،أي بوجود الإنسان على وجه البسيطة

---

1 –ينظر نورالدين النيفر ،المرجع السابق ،ص147.

2 –عبد الجليل مرتاض "في رحاب اللغة العربية" ،ص35.

3 – Ferdinand de Saussure "Cours de Linguistique Générale " , P 155.–

4 –نور الدين النيفر ،المرجع السابق ،ص148.

،ومن ثم يمكننا القول أن محاولة تحديد أسبقية احدهما عن الآخر ضـــــرب من التهور ،فهما بمثابة الوجهين للعملة الواحدة كما أوضح "دي سوسير" فلا وجــود للغة بدون فكر والعكس صحيح لأنهما جوهرا إنسانية الإنسان لأن « كل إنسان مستقل لا يصبح ذاتا مفكرة إلا حين يمتلك اللغة والمفاهيم والمنطق ،وهذه في جوهرها نتــــاجات لتطور الممارسة الاجتماعية .من هنا نستنتج ان لتفكير الإنسان طبيعـــــة اجتماعية -تاريخية». [1] ،ومن هذا المنطلق لا يمكن إدراك الفكر بمعزل عن الكـــــلام الداخلي والخارجي ،ويؤيد "سوسير" هذا الربط -كما أسلفنا-بحيث من العبث الفصـــل بينهما ،فلا وجود لأفكار سابقة وتفرض استقلاليتها عن اللغة قبل ظهورها ،لان اللغة بوصفها نظاما من العلامات الدالة وفق التصور السوسيري هي الوسيلة المتفردة للتعـــــبير عن الفكر،و « لما كانت اللغة متزاوجة مع الفكر ،فليس سهلا علينا بين عشية وضحاها ان نجعل الواحد منهما في منطقة محرمة عن الآخر ،لان تجريد المرء من لغته الطبيعية لا يعني إلا محاولة فاشلة لتجريده من فكره ،أي محاولة القضاء على وجوده ،لان الفكر اللــغوي عمل غريزيا ،من خلال لغة الأمومة أو لغة مسقط رأسه على بلورة كـــــل المعطيات والمفاهيم مجردة ومجسدة -حسب الحالات المتصلة بالعادات اللغوية -في لحظـــة لا واعية ،وهكذا أصبحت لديه هذه اللغة بمثابة الصورة التي يشكلها الفكر عن الوجود وهـــذا ما عبر عنه "دولاكروا"(Delacroix) بطريقته الخاصة حين قال :"اللـــــغة دالة علـــــى الفكر" » [2]

إن ظاهرة الالتحام بين اللغة والفكر تنبأ على الصلة الوثيقة بين الجانب الصوتي الفيزيائي والجانب المفهومي ،فهذه العلاقة شبيهة إلى حد بعيد بين الصـــــــائت ( Voyelle) ،والصامت (Consonne) بالنسبة للصوت اللغوي في مجال الصوتيات فالصامت جسم والصائت روحه،يقول شومسكي : «ان الأسئلة التقليدية حول اللغة والفكر ،لن تجد بحق حلا نهائيا ،أو حتى بداية لحل نهائي ... » [3].ولا أظن أن هذه القضية الجدلية سترى النور في القـــريب العاجل

على تعبير العديد من اللسانيين والفلاسفة والمناطقة والمشتغلين بعلم النفس اللغوي ،وليس ثمة حل لهذا الطرح إلا بالعودة إلى دراسة وافية ومتأنية لعلم اللسانيات ،فهو المفتاح الجوهري لفهم

---

1 -فؤاد مرعي "في اللغة والتفكير"،دار الهدى للثقافة والنشر،2002 (دت) ،ص8

2 -عبد الجليل مرتاض "في رحاب اللغة العربية " ،ص35.

3 - -Chomsky "Langage et Pensée" ,P140-141

السلوك البشري ،فالعلاقة القوية بين اللغة والفكر يجعل اية دراسة لواحد منهما إسهاما وتقـــوية وتعزيزا لطروحات الطرف الثاني.

لقد أشرنا فيما سبق مدى تأثيرات الفكر السوسيري في مسار البحث اللســـاني الحديث للظاهرة اللغوية فقد « قطعت اللسانيات مسافات كبيرة في أغوار اللغة وآلياتهـــا الصعبة ،وامتداداتها في بقية علوم الإنسان و لم تتوقف الأسئلة الصحيحة التي صاغها اللســـانيون ،ومع ذلك لم يغب صوت "دي سوسير" لان أفكاره تؤسس نموذجا معرفيا صـــــوريا جديدا ،ومنهجية أصيلة .فقد امتد أثره إلى مختلف العـــلوم الإنسانية من انتروبـــولوجيا وفلسفة وتحليل نفسي وأدب...الخ» [1] ،وما يعلل هذا المنحى ظهور الكثير من المناهج والمدارس اللسانية المعاصرة ،تحاول بطريقة أو بأخرى تقديم التفسيرات العلمية للظاهرة اللغوية وعلاقتها بالجانب الفكري،والتي سنقتصر علـــى بعضها ،خاصة في منـــوال وصف البنية التركيبية وتحليلها ومحاولة تطبيقـــها على الجمـــــلة العربية.

1 -نور الدين النيفر ،المرجع السابق ،ص98.

# الفصل الثالث

## البنية اللغوية وتحولاتها في ضوء الاتجاهات اللسانية

**المدرسة التوزيعية**( Distributionnalisme)

إذا برزت بعض المسائل الخلافية والمنهجية بين البحوث اللسانية الأوروبية واللسانيات الأمريكية ،فان ذلك لا يعني القطيعة بين المدرستين،فقد برزت المدرسة الأمريكية في النصف الأول من القرن العشرين ،ولعل من أهم انشغالاتها في تلك الفترة الدراسات الانثروبولوجية ،وقد اتضح هذا الاهتمام في الدراسات الميدانية التي اضطلع بها ابرز مؤسسي هذه المدرسة من خلال معايناتهم ودراساتهم للغات الهنود الحمر في أمريكا،لكن لقد تبنت هذه المدرسة المنظور السوسيري البنيوي ،مع التفرد بمجموعة من الأعمال المستقلة والإضافية بالنسبة للسانيات السوسيرية « ينبغي أن نسجل هنا أنه من بداية القرن العشرين اقتربت الأبحاث حول اللغة في الولايات المتحدة الأمريكية في تلك الفترة بنظيرتها في أوربا ،مع اختلاف بسيط بالنظر إلى ان اللسانيين الأمريكيين اتجهوا إلى دراسة اللغات المتنوعة والقليلة التداول وغير المعروفة كاللغات الهندوأوربية ،هذا ما أجبرهم على بذل الكثير من المجهودات والاعتماد على العمليات الإحصائية ،والدراسات المقارنة.» [1] يعد فرانز بواس(1858-1942)ومؤلف كتاب" دليل الانثروبولوجيا" الذي نوّه بقيمته العلمية جورج مونان قائلا: « كتاب أساسي بالنسبة لعصره ،ولازال بهذه الأهمية إلى يومنا هذا في وصف اللغات . »[2]

أول وأعظم لساني أمريكي في تلك الفترة ،وهو من العناصر النشطة التي تكونت في مدرسة النحاة الجدد التي تمكنت من إنهاء الأبحاث العظيمة حول اللغات الأمريكية الهندية « إن المنهج اللغوي الذي استحدثه النحاة الجدد في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر حتى لو لم يكن مقبولا كليا ،فان أهميته أصابت موقعا مهيمنا في أحضان المواد اللسانية ،كاشتراطه قياسية التبدلات في اللسانيات ،لأن هذه الأخيرة لا تحدث بمحضر الصدفة بل نتيجة لحشد من العوامل ونزعات غالبا ما تعارض ومن أهم أهداف اللسانيات أنها تنهض بإيجاد تحديدات لهذه التغيرات» [3] .في عام (1917) أسس (فرانز بواس) (الجريدة العالمية للسانيين الأمريكيين) ،التي لعبت دورا حاسما في

1 --Robert Laffont " Révolution en linguistique" éd .grammont 1975 ,P121.

2- GEORGES Mounin" Histoire de la Linguistique des Origines Au 20eme siècle"P.U.F,1éd ,1967, P13.

3- عبد الجليل مرتلض "التحولات الجديدة للسانيات التاريخية"،دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ،2005 ص،128 -129

نشر الأعمال المنجزة في الولايات المتحدة الأمريكية ،هذا ما دفع باللسانيات الأمريكية إلى التطور بسرعة بفضل أبحاث "ادوارد سابير " ،و"ليونارد بلومفيلد" ،فضلا عن طلبتهم المجتمعين حـــول موجة(التحويلية)، التي سيطرت على كل البحـــوث اللسانية إلى غاية 1950،ولكن يجب ألا نقصي البحوث العلمية اللسانية للسانيين معروفين أمثال "سواتش" "توادل "وهوكات " وخاصة "هاريس" الذي يعتبر من أبرز المنظرين الأمريكيين والأستاذ "نـــوام شومسكي " مؤسس النحو التوليدي .

**اللغة في منظور النحاة الجدد:**

كان للأفكار التي اعتمدها النحاة الشباب، خاصة في تجديد النحو المقارن و المنتمون إلى هذا التيار اللساني المسمى بـــ"النحاة الجدد" أثرا في تطور المفاهيم التي اعتمدها "بلومفيلد" في اتجاهاته في دراسة اللغة ،فهي جماعة من اللسانيين ،واغلبهم من أصل ألماني ،كانت لديهم الإرادة في إقحام بعض المبادئ الفلسفية الوضعية *التي كانت –كمذهب–في أعلى ذروتها من حيث التأثير في العلوم والفلسفة على حد سواء ،وكان أمل هذه الجماعة اللغوية –كما ذكرنا–تجديد النحو المقارن ولهذا السبب سميت بـــ"النحاة الجدد" « هذه التسمية ألصقها بهم لسانيو الجيل السابق بأسلـــــوب فيه شيء من الاحتقار حتى يجعلوا طموحاتهم سخرية أمام الناس. »[(1)] لما أبداه هؤلاء الشباب من تحدّ بدليل أنهم أخذوا منهجهم من نظريات ("التحولية) لـــ" داروين"،وحاولوا تعليـــــل مذهبهم بأن اللغات شبيهة بالأنـــواع الحيوانية ،تتطور بموجب قوانين صارمة .وأكـــد هؤلاء الشبــــاب أن الشذوذات التي يمكن ان نجابهها في دراستنا لتطور اللغات ليست ناجمة إلا عن جهلنا بعـــدة قوانين وبتدخل عوامل أخرى خارجية (مثلا العوامل البسيكولوجية) ،لأن هذه القوانين التطورية الصارمة جدا لا توجد في المستـــوى الصوتي فحسب ،بل في المستـــوى الفـــونولوجي أيضا،ومن « بين الطروحات ذات الأهمية والمركزية أيضا في منهجية لسانيات النحاة الجـــدد هي الميـــزات النهائية للقوانين الصوتية ،بالإضافة إلى التقابـــلات الكلامية ...ثم اهتمامهم بعلـــم اللهجات واللسانيات

---

1- عبد الجليل مرتاض ،المرجع السابق ،ص120.

الجغرافية ودراسة الثنائيات اللغوية ... »[1]،وليس من قبيل الصدف –بالنـــــظر إلى ما وصل إليه الدرس اللغوي عند الألمان خاصة–أن "دي سوسير"رائد الدرس اللساني الحديث ومرجعيته يضمّن أفكار هؤلاء الشباب المتحدون في مذكرته،بل البحـــث الذي قدمه لنيل درجة الدكتوراه يشكل قسما هاما من أبحاث النحاة الشباب الجدد[2] ولذلك ظل "سوسير" يلهـــج حتى آخر حياته بالثناء عليهم [3] لقد أوضح "كارل برقمان"(1849–1919)،"وهنريش اوسثوف"(1847–1903)في مؤلفهما الصادر بين سنتي 1878-1910 الذي احتوى ستة مجـــلدات على الأقل ،والذي يعتبر بحق تعبيرا واظهارا للمدرسة الجديدة .لقد بدا واضحا ان الأعمال التي قدمها هؤلاء النحاة الشباب سجلت مرحلة حاسمة في تاريخ اللسانيات المقارنة الوراثية أو التكوينية.يمكن ان نخلص إلى أهـــم القضايا الأساسية التي تناولها هؤلاء النحاة الجدد.

**القضايا الأساسية للنحاة الجدد:**

إذا كان أصحاب هذه المدرسة قد عرفوا باطراد القوانين الصوتية ،فإنهـــــــم تميزوا كذلك بتشديدهم على بعض القضايا الأساسية . لقد رفض هؤلاء نظرية التطور اللغـــوي التي نادى بها "شليشر" وغيره،وعدوا اللسانيات علما تاريخيا قائما بذاته،بالإضـــــافة إلى استخدامهم للمبادئ والمفاهيم السيكولوجية في تفسير الظواهر اللغوية ،واستغنوا بذلك عن المنطق الذي ميز الدراسات النحوية التقليدية والعلاقات القائمة بين اللغة والفكر ،كما تخلـــوا عن نظـــــرة الرومانتيـــــكية التي ظهرت في ألمانيا والتي نـــــادت بالحفاظ على اللـــغة الأولى الفصيحة ،واقبلوا على دراســـة اللهجات الأوربية .[4]

---

1- GEORGES Mounin" Histoire de la Linguistique des Origines Au 20eme siècle"P.U.F;1éd; 1967; P212.

*Positivisme

* تعني بالظواهر اليقينية وترفض كل تفكير تجريدي في الأسباب المطلقة ، أي أن هذه الفلسفة لا تسلم إلا بما هو مرئي وتجريبي

2 -Carole Sanders"Lire Aujourd'hui (C.L.G);hachette ;Paris 1979 ;P11.

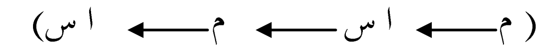
3- عبد الجليل مرتاض ،المرجع السابق ،ص121.

4 - ينظر أحمد مومن " اللسانيات النشأة والتطور " ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،الطبعة الثالثة ،سنة 2007 ،ص95

**بلومفيلد والاتجاه البنيوي:**

إن أدنى تأمل في المسار اللساني الحديث يهدي إلى أنه من المسلمـــات الإقرار بأعمال "ليونارد بلومفيلد"(1887-1949) في هذا الحقل المعرفي من خلال أعمـــاله التي كان لها التأثير الجم على اللسانيات الأمريكية حتى سنوات ( 1950-1955 )،وهو –كما نعـــلم-تاريخ ظهـــور النحو التوليدي .كان بلومفيلد أستاذا للغة الألمانية ،ثم درس اللسانيات العامة بجامعة شيكاغو(و م أ)قبل أن تبرز اهتماماته بالمشاكل العامة للسانيات ،كان رجلا مختصا في اللغات الهندواوربية وبعض من اللغات الأمريكية الهندية .[1] ،وفي عام 1933 ،نشر بلومفيلد كتابه الأســـاسي على شكل دليل وسمه بـــ" اللغة".

لقد بدا جليا أن هذا العالم اللساني كان متأثرا جدا بالنظرية الســـلوكية في علم النفس ،حيث يقول :« فعل الكلام مجرد سلوك ذو طبيعة خاصة »[2] ،وبدا عمله كلساني في إزاحة وإقصاء كل شكل من أشكال العقلية لصالح المفاهيم الإوالية* [3] ، فالكلام بمفهومه ،هو عبارة عن استجابة لمثير ما .كما بينا من خلال الشكل سلفا.




لا يخفى على الدارس للدرس اللساني الحدبث أن "دي سوسير " هو زعيم الاتجـــاه البنيوي ،بالنظر إلى الأفكار التي كان لها التأثير الواسع في المدارس اللسانية التي أعقبت ظهور (محاضرات في اللسانيات العامة)،لكن هذا الاتجاه قد تطور بشكل ملفت للانتباه لدى لساني المدرسة الأمريكية ،وخاصة لدى "بلومفيلد" ،،وبرز بشكل واضح في كتابه أو دليله(اللغة)،من خـــلال دراسته لهذه الظاهرة وخاصة المنطوقة منها ،فهو إذ ذاك يبحـــث في بنيتها ،والنـــظام الذي يحكمها «وقد اتبع البنيويون طريقة بلومفيلد في التحليل ،وذلك بتقسيم اللغة إلى مستويات ،وعدم الخلط بينها»[4] .

---

1 - -ينظر أحمد مومن ،نفسه،192-193.

2- Oswald Ducrot et Tzveten Todorov " Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage " ; P 49.

إوالية:"مصطلح يقال عن القواعد اللغوية المحدودة التي بوسعها ان تولد آليا عددا غير محدود من الجمل"

3- - نظر بسام بركة "معجم اللسانية"،منشورات جروس،ط1 ،1985 ،ص128.

4 -أحمد مومن ، المرجع السابق ،ص197.

إن زعيم المدرسة البنيوية الأمريكية يقترح في دراسته وتحـــليله البنيوي للغة هذه المستويات الأربع والتي أصبحت معروفة و متداولة في الدراسات اللسانية وتنحصر في:

أ-**المستوى الفونيمي**:وهي أصغر الوحدات الصوتية التي لا معنى لها في ذاتها ،لكنها قادرة على تغيير المعنى،وهي محصورة العدد بالنظر إلى طبيعة اللغة المتحدث عنها.

ب-**المستوى المورفيمي** : ويعتبرها "بلومفيلد " مكونات نهائية مع الاعتـــماد على إحصائها في كل مرحلة من مراحل التقطيع للمكونات المباشرة [1] ،وهذا الإجــراء يمكنه أن يُظهر مجموع السمات الدلالية ،وقد أثر هذا النوع من المنهجية التي اعتـــمدها بلومفيلد على المدرسة الأمريكية وخاصة التيار التوزيعي .

**المستوى التركيبي**:وهو موضوع علم الدراسات النحـــــوية وما يعرف في مصطلح اللـــــغات الأجنبية"،ويهتم بدراسة العلاقات الداخلية التي تربط الوحـــدات اللغوية ،والطرق المعتمد عليها في تأليف الجمل والتراكيب [2] ،ولكن الملاحظ ان هذا المستوى لم يلق حـــظا وافرا في الدراسات البنيوية مقارنة مع بقية المستويات الأخرى.

**المستوى الدلالي** :ويمثل المستوى الرابع من مستـــــويات التحليل اللساني ، ويرجع استعمال هذا المصطلح الى اللغوي الفرنسي "بريال" ،وتعود جذوره للعالم "سوسير" من خـــلال تصوره للعلامة اللغوية (الدال/المدلول)،لكن البنيويين أقصوا هذا الجانب لاعتمادهم على الجانب الشـــكلي الذي تبرزه البنية السطحية في دراسة اللغة كما سنبين ذلك لاحقا .

## مبادىء التحليل التوزيعي :

1-**مفهوم التوزيع** :لقد أخذ الطابع العلمي المميز موقعيـــته في المدرسة الأمريكية ،بالاعتماد على الدراسة الشكلية للغة ،واهتمامها بالنية السطحية ،مع إقصاء للجانب الدلالي ،ولا ضير من التذكير أن "بلومفيلد "هو المنـــــظر لهذه المدرسة « لقد أسقط بلومفيـــلد المعطيات النظرية لعلم النفس السلوكي على المنهج الوصفي اللساني ،مما أدى إلى ظهور نظرية لسانية متكاملة قائمة على أساس

---

1-Robert Laffont"Révolution en Linguistique " P125.

2 ينظر نور الهدى لوشن "مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي "المكتبة الجامعية الازريطة الاسكندرية ،مصر2000 ،ص149

مفهوم الوظيفة (...)والمقصود بعنصر لساني أنه وظيفي هـــــو الإشارة إلى موقعه بالنسبة للعناصر المحيطة به ،أو توزيعه في السيـــاق الكلامي ،لذلك استبدلها (سوادش) بكلمة توزيع ومنه سمي هذا الاتجاه اللساني بالتوزيعية.»[1]

إن التوزيعية كاتجـــــاه ،تهتم بالتحليل البنيوي شبيه بالحساب المنطقي ،يمكــــن من خلاله استكشاف الوحدات القــــاعدية للغة ،وعلاقاتها الشكلية،بالإضافة إلى معاينة السيـــاق الكلامي فالمتكلم حين يحدث الفعل الكلامي ،يحس أنه بإزاء اخــتيار للعناصر اللســانية التي من شأنها أن تحقق الهدف من مرســلته.

يقول الدكتور محمود سليمان ياقوت في السياق نفسه: « إن التوزيعية تشـــــير إلى أن الجمل أو السياقات اللغوية يتواجد فيها أحد العناصر اللغوية، وتـــؤدي تلك الجـــمل أو السياقات التأثير فيه» [2] فالتوزيع هو مجموع السياقات التي تظهر فيها وحدة ،فالجـــــمل الآتية :

| | |
|---|---|
| فتح زيد الباب. | فتح خالد الباب. |
| سجل زيد هدفا . | سجل خالد هدفا. |
| قرأ زيد كتابا . | قرأ خالد كتابا. |

ترينا أن السياقات التي ظهر فيها (زيد) هي : فتح...الباب... هدفا ،قرأ...الخ .وهذه السياقات هي التي تظهـــــر فيها أيضا (خالد) .نقـــول في هذه الحالة إن (زيد) و(خالد) لهما نفـــس التوزيع [3]

## 2-إقصاء المعنى:

لقد أشرت فيما سبق إلى الجانب الدلالي ،ورؤية التوزيعيين له ،وذلك من خــــلال إقصائه ،لأن اهتمامهم انصب على الجانب المنطوق أو المكتوب من اللغة أي دراسة البنية السطحية لا العميقة « إن استبعاد المعنى استبعادا كليا من التحليل اللغوي ،ليس لأنه لا أهمية له ،بل لإيمان أصحاب هذه المدرسة ،بان المعنى لا يمكن إخضاعه لنوع الدراسة الوصفية العلمية الدقيقة ،التي يمكن ان تخضع لها الأنظمة الظاهرة الأخرى. »[4]

---

1- احمد حساني ،المرجع السابق ،ص103

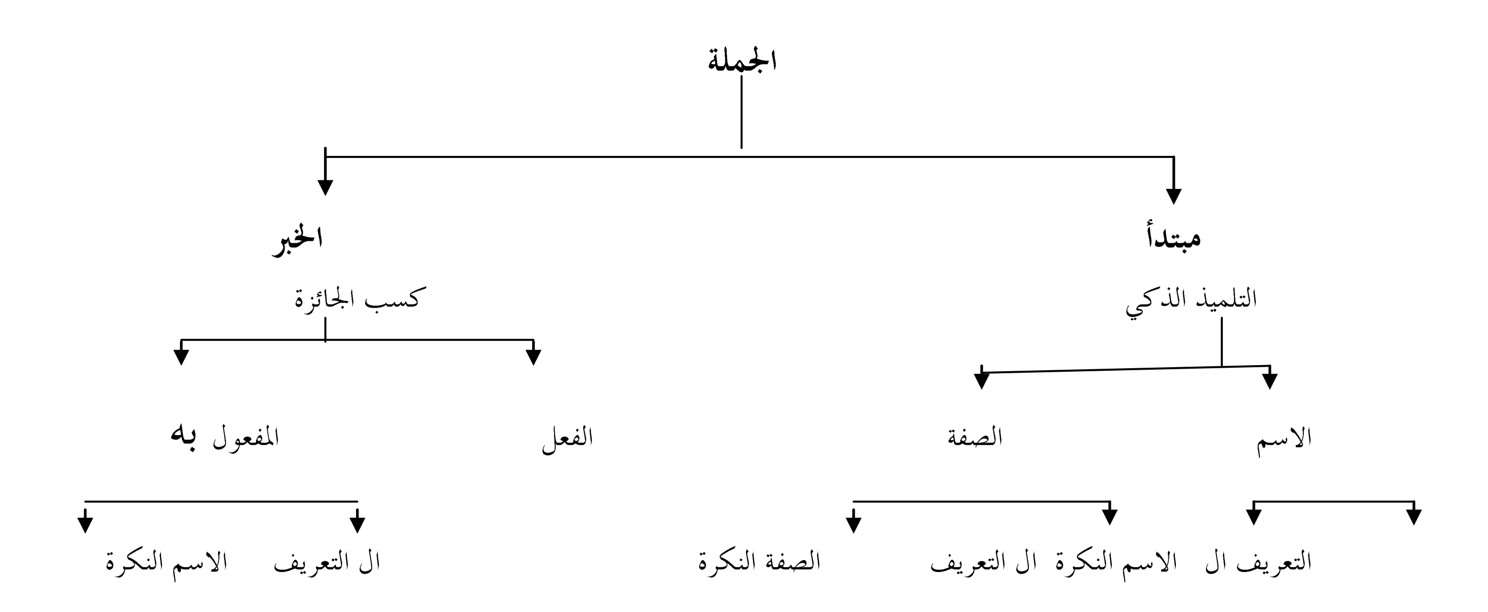
2- محمود سليمان ياقوت ، " منهج البحث اللغوي " ، دار المعرفة الجامعية للنشر ، الكويت ،2002م ص: 136.

3- مصطفى حركات " اللسانيات العامة " دار الآفاق (دت) (دط)

4- نايف خرما "أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة "، ص289

ويمكن أن نفهم من خلال ما تقدم ذكره أن التحليل التوزيعي يقوم على المنهج الوصفي، هذا المنهج الذي يسعى – كما رأينا- إلى دراسة الظاهرة اللغوية دراسة آنية، تتعلق بحالة معينة للغة وفي زمن معين. فهي بذلك دراسة علمية، والمعنى لا يمكن إخضـــاعه لهذا النوع من الدراسة، وهذا ما وجدناه في الاتجاه اللساني الذي يتبنى النظرية السلوكية في التحليل الدلالي، أنه لم يساهم في تطوير الدراسة الدلالية بسبب تلك النظرة الآلية إلى المعنى.

لا يعتمد المنهج التوزيعي في ظاهرة تحليل الجملة باعتبارها الأساسية للتوزيع والتقطـــيع أيضا والتراكيب على أنها سلسلة متصلة الحلقات في نسق أفقي ،وإنما تحلل على أساس أنها وحدة مؤلفة من طبقات بعضها اكبر من بعض إلى ان يتم تحليلها إلى اصغر أجزائها وفق ترتيب عمودي .[1]




## 3- تقسيم الكلام إلى مؤلفات مباشرة ونهائية :

إن المنهج التوزيعي يعتمد في تحليل البنية التركيبية على تحليل كل الجمل إلى مؤلفات ،حيث تفكك بنية الجملة المفردة إلى اصغر أجزائها التي لا تقبل التجزئة(كما هو مبين في الشكل) ،وذلك

1 - المرجع نفسه ،290.

وفق ترتيب عمودي كما سنبين ذلك من التمثيل.يقـــــول جورج مونان : «إن تحليل كل الجمل المفردة ممكن على نفس قاعدة الإبدال من التقـــــطيع الأصغر إلى الأصغر إلى أن تصير غير قابـــلة

للتجزئة ،وهذا ما نسميه "التحليل من المؤلفات المباشرة.»[1] ،وتجدر الإشارة هاهنا إلى أن المورفيم عند التوزيعيين مفهوم خاص يختلف عن مفهومه عند الأوربيين .فالمراد بالمورفيم عند الأوربيين هو الوحدة النحوية التي تقابل الوحدة المعجمية ، ويسميه أصـــحاب المدرسة الوظيفية أمثال "مارتيني "(martinet) باللفظم كما سبق وأن ذكرنا أما عند التوزيعيين فإنهم يفضلون استعمال مصطلح المؤلف ،وهو كل مورفيم ،أو ركن كلامي يمكـــن له ان يتدرج ضمن بناء أكبر منه ،وقد قسموا الكلام بناء على ذلك إلى: - مؤلفات مباشرة : قابلة للتقسيم إلى مؤلفات أصغر .

-مؤلفات نهائية :غير قابلة للتجزئة إلى مؤلفات اصغر ،علما ان المؤلفات النهائية هـــي أصغر من المؤلفات المباشرة ولكنها تحمل دلالة [2]

لقد حظي هذا النوع من التحليل لبنية الجملة المفـــــردة بشيء من الرضا ،لأنه- كفيل في رأيهم- بمعرفة العناصر اللسانية التي تألفه ،فضلا عن معرفة العـــــلاقات بين الكلمات ،قال نايف خرما عن تحليل بنية الجـــملة إلى : « العناصر التي تتألف منها ،ومعرفة أي جزء من أجزاء الكلام يتبع كل عنصر ،وذلك بموجب سلوكه اللغوي في الجملة ،والاهتداء إلى علاقات الكلمات بعضها ببعض . »[3]

وحتى تتضح الرؤية فلنأخذ على سبيل المثال الجملة العربية التالية:1- " نجـــح التلميذ الكسول ": نلاحظ أن هذه الجملة تنقسم إلى مؤلفين مباشرين وهما :

2)-نجح 3 التلميذ الكسول والمؤلف الثالث ينقـــسم بدوره إلى مؤلفين مباشرين : 4 التلميذ 5 الكســـــول وينقسم كل من 4 و5 إلى مؤلفين منفصلين 6- ال+ التلميذ 7- ال+

---

1- L'analyse de toutes les phrases singulières est possible sur la même base de la commutation par segments de plus en plus petits jusqu'à ce qu'ils soient indivisibles;c'est ce qu'on nomme l'analyse par Constituants immédiats .
-Georges Mounin " clefs pour la Linguistique"éd Seghers ,Paris,1971 ,P114.

2- احمد حساني ،المرجع المذكور سابقا ،ص107.

3- نايف خرما ،المرجع السابق ،291.

كسول ،مع العلم أن هذا المفهوم التوزيعي التحليلي للجملة ،وخاصة المؤلفات المباشرة تأخذ به الكثير من النظريات اللسانية [1]

نلاحظ من خلال هذا التحليل أنه يمكننا تحليل هذه الجملة إلى سبـــــعة مؤلفــــــــات تصنف حسب الآتي :

المؤلفات (1) (3) (4) (5) هي مؤلفات مباشرة « constituants immédiats » لأنه يمكننا تحليلها إلى مؤلفات أصغر عديمة الدلالة.

المؤلفات (2) (6) (7) هي مؤلفات نهايته « constituants terminaux » لأنه لا يمـــــكننا تحليلها إلى مؤلفات اصغر منها ذات دلالة ، وبالتالي يمكن لهذه المؤلفات أن تدرج ضمن بناء أكبر بسمي التوزعيون هذا التدرج بصندوق (هوكاتB.Hockett) .

إليك الملفوظ العربي ،ونحاول أن نسقط عليه هذه المفاهيم التوزيعية :

1- **التأهل المقبل سيفرح الجمهور.**

| -ال | -تأهل | -ال | -مقبل | -س | -يفرح | -ال | -جمهور |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| - ( 8 | (9) | -(10) | -(11) | -(12) | -13) | -(14) | -(15) |
| -(4) التأهل | | -(5) المقبل | | -(6) سيفرح | | -الجمهور (7) | |
| -(2) التأهل المقبل | | | | -سيفرح الجمهور (3) | | | |
| -(1) التأهل المقبل سيفرح الجمهور | | | | | | | |

-المؤلفات : (1) ، (2)، (3)، (4)، (5)، (6)، (7) هي مؤلفات مباشرة.

-المؤلفات : (8) ، (9)، (10)، (11)، (12)، (13)، (14) (15) هي مؤلفات نهائية لا تقبل التحليل .

[1] ميشال زكرياء : الألسنية علم اللغة الحديث ، المبادئ والأعلام ، ص: 233- 234

ان تحليل الجملة السابق قد أكد على منهجية النظرية التوزيعية في التحليل حسب ما يدعى (صندوق هوكات) ،حيث يبدأ من العناصر الأولية التي لا تقبل التحليل إلى مؤلفات أصغر(1-2-3-4-5-6-7 )فهي ( المؤلفات النهائية) وتمثل الجملة .هذه الأخيرة يمكن ان تحلل وتجزا إلى

ركنيين (الركن الاسمي والركن الفعل المبينان من خلال الجدول (التأهل المقبل هو ركن اسمي ) أما (سيفرح الجمهور فهو ركن فعلي) .

وفي الحقيقة نجد أن هذا التحليل التوزيعي–على نقيض ما رأيناه من قبل – قد تعرض للعديد من الانتقادات التي ترى أن المنهج التوزيعي يبقى قاصرا إلى حد ما ولا يستطيع الإجابة على كل التساؤلات التي تبقى مطروحة بعد الانتهاء من كل عملية تحليل «فضلا عن هذا فإننا حين نلجأ إلى السانتكس التحويلي يتبين لنا أن التركيبين الذين لهما نفس البنية التوزيعية لربما يكون لهما نفس البنية السانتكسية لأنهما لا يقبلان نفس القاعدة التحويلية"»[1]

إن هذه الطريقة التحليلية للجملة إلى مؤلفات من شأنها ضبط العناصر اللسانية في لغة من اللغات البشرية «لان اللسانيات التقليدية والبنيوية جعلت من الممكن ابتداء من الآن وضع نظرية نحوية صارمة من خلال الأشكال المتنوعة لهذا النوع من التحليل (التي تأسس من الكل في نظرية توزيعية) مجسدة بشكل مختلف نفس المؤلفات .»[2]، ولنتمثل الظاهرة التحليلية إلى مؤلفات للملفوظ الفرنسي التالي :

Il était un enfant pauvre.

---

1 -عبد الجليل مرتاض ، " التحليل اللساني البنيوي للخطاب" ، دار الغرب للنشر والتوزيع ، الجزائر، 2002م، ص: 109 .

2 -Georges Mounin " clefs pour la Linguistique" ,P114-115.

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| | | | | Enfant(8) | pauvre(9) |
| | Etre(10) | ait(11) | un(6) | enfant | pauvre (7) |
| IL(3) enfant | Etait(4) | | un | | Pauvre( 5 |
| | Etait | | un | enfant | pauvre(2) |
| IL | ETAIT | | UN | ENFANT | PAUVRE(1) |

بواسطة هذه الطريقة المسماة (صندوق) هوكات ،كل خانة مرقمة ،باستثناء الخــانة الأولى ،التي تعين القطع المتتابعة التي طرأ عليها الإبدال ،وكل خط أفقي هو عبارة عن مستوى بنائي أو تركيبي إضافي.([1]

لقد كان "بلومفيلد "أبعد أثرا في الدراسات اللغوية من " سابير " ،إذ أنه تأثــــــر بالمدرسة السلوكية التي لا تهتم إلا بدراسة ظــــاهر السلوك فقط ،فاللـــــغة مجموعة من العادات كغيرها من العادات السلوكية(... )ومن هنا لم تول هذه المدرسة اهتماما إلا بالكلام المنطوق والمـــسموع متجاهلة اللغة على أنها ظاهرة ذهنية [2]. ففي الفصل الثاني من كتـــابه " اللغة " يعرف "بلومفيلد" الكلام بأنه استجــــــابة لمثير خارجي .بمعنى أن ممارسة الإنسان للـــكلام لا يعدو كونه استـــجابة آلية لعناصر حسية خارجية [3].

## المدرسة الوظيفية (Fonctionnalisme)

[1]– Avec la méthode dite (de la boite) de Hockett ,ou chaque case numérotée ;sauf la première ;indique les tranches successivement commutes ,et chaque ligne horizontale un niveau de structuration supplémentaire.
- Georges Mounin " clefs pour la Linguistique",P115.

[2] – محمود أحمد السيد ،م نفسه ،ص 45.

[3] - م ،نفسه ،ص 45.

لاشيء يمكن أن نحيله على فراغ ،ذلك ما ينطبق على كل الدراسات اللسانية التي ظهرت بعد "دي سوسير " فقد تبنت أفكاره بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ،رغم الانتقادات التي وجهت إلى المدرسة السوسيرية ولعل ذلك يصدق على المدرسة الوظيفية للعالم الفرنسي "أندري مارتيني " ( André Martinet) ،وهو من مواليد 1908 ومن أبرز المواصلين لمدرسة "براغ"التي اهتمت بالجانب الفونولوجي (Phonologie) في علم الأصوات ،علما أن هذا الفرع من علم الأصوات —كما يعرفه الدارسون- يهتم بدراسة الصوت اللغوي داخل بنية الكلمة،أو علم يهتم بالصوت اللغوي من حيث الخصائص الوظيفية دون مراعاة الجانبين الفيزيائي والعضوي ،وهذان الجانبان من أولى اهتمامات علم الأصوات العام ،بالنظر إلى جانب النطق( L'articulation) للصوت اللغوي ومساره من الإنتاج وهو مرحلة فيزيولوجية إلى الانتقال التي هي مرحلة فيزيائية بحتة إلى الاستقبال أي "السمع"( Audition) وأقر العديد من الباحثين « أن الفونتيك يهتم بالدراسة الفيزيائية للأصوات،فضلا عن الجانب البسيكولوجي للكلام ،سمعي ،تصويتي ،وأحيانا بمساعدة الأجهزة ،لان الصوتيات لا تأخذ بعين الاعتبار المدلول (...) فيمكن لنا صوتيا أن ندرس لغة لا نفهمها»[1] في الحقيقة تكفينا هذه الإشارة إلى النوع الثاني من علم الأصوات اللغوية ،فليس ذلك من صميم موضوع بحثنا على الأقل في هذه المبحث.

إن منهجية البحث العلمي تحتم علينا الوقوف على خصائص واهتمامات هذا الجانب من علم الأصوات ،لأن العلم قبل أن يعرف بمجاله الإجرائي ،لابد أن يعرف بنفسه .فقد « استعمل فرديناند دي سوسير اللفظ( Phonétique)للدلالة على ذلك النوع من علم اللغة التاريخي الذي يحلل الأحداث والتغيرات والتطورات عبر السنين، فهو جزء أساسي من علم اللغة .في حين حدد مجال (Phonologie) لدراسة العملية الميكانيكية للنطق ،وعدّه من أجل ذلك علما مساعدا لعلم اللغة» [2] .إنّ التوليد المطرد لهذين المصطلحين( فونتيك/فونولوجيا) مرّده-حسب رأينا —على توالي المدارس اللسانية وتنوعها واتجاهاتها ،ودليلنا في ذلك نظرة "حلقة براغ اللسانية" إذ تستعمل مصطلح"Phonology"على عكس ما استعمله دي سوسير كما ذكرنا ،إذ تريد به « ذلك

1 -Christian Baylon .Paul Fabre ":Initiation à la Linguistique" .éd Fernand Nathan.1975. P84

2- -F- de sausure :Cours de linguistique générale ,P55-56

الفرع من علم اللغة الذي يعالج الظواهر الصوتية من ناحية وظيفتها( Fonction) اللغوية ،ولذلك نجد تروبتسكوي"Troubetzkoy" (1890-1938) يعتبر الفونولوجيا فرعا من علم اللغة ،أما "الفونتيك " ،فقد أخرجه تروبتسكوي ( Troubtskoy ) وجاكوبسون"Jackbson" من علم اللغة ،واعتبراه علما خالصا من علوم الطبيعة يقدم يد المساعدة لعلم اللغة». [1]

إن البحث الموضوعي في هذا المجال يلزم الباحث التمييز وإقامة الحدود بين هذين العلمين فلكل منهما أسسه ومنهجيته ،فيعد بذلك علما مستقلا عن الآخر على رأي بوداون دوكورتني "Boudoin de Courtenay(1845-1929) الذي دعا إلى وجود فرعين مستقلين من العلوم لدراسة جانبي الأصوات،فالأول يتعلق بالجانب الفيزيائي الفيزييولوجي وموضوعه في الأصوات المادية ،أما الثاني يعتمد على قواعد علم النفس ،ووظيفته دراسة الصور الذهنية للأصوات وما لها من وظائف في اللغة .و يعد هذا العالم من الناحية التاريخية المؤسس الفعلي لعلم الأصوات الوظيفي حسب رأى جورج مونان الذي قال: « يرجع اهتمامنا الخاص ببودوان في أيامنا هذه إلى كونه استكشف الطبيعة اللـــــغوية للفونام (Phonème) ووضع اللبنات العلمية النهائية التي تعـــد قاعدة اللســـانيات البنيوية » [2]. لقد بات مؤكدا أن الفونولوجيا أو علم وظائف الأصوات لا يمكنها أن تحفل بالمدلول ،فهي تدرس الدال من خلال علاقته بالمدلول ،إنها تدرس وظيفة الأصوات في اللغة « الفونولوجيا فتعتمد على تحليل القواعد التي بموجبها تتآلف الوحدات الصوتية الصغرى في لغة ما في إنتاج الملفوظات"énoncés" » [3]

إن الروافد الأساسية لعلم الفونولوجيا إنما تعود للمفاهيم والمبادئ التي طرحها "دي سوسير" في الفكر اللساني الحديث في كتابه"محاضرات في اللسانيات العامة" 1913،خاصـــــــــــة فيما يتعلق بالثنائيات اللغوية(اللغة/الكلام)(الدراسة السانكرونية الآنية/الدراسة الدياكرونية )( الدال/المدلول)وغير ذلك . وتبنى زعماء هذا العلم( تروبتسكوي ،جاكوبسون ،كارسفيسكي) هذه المفاهيم السوسيرية .ومن خلال كل هذا الطرح أن فكرة (الفونيم) هي قطب الرحى ونواة الدراسات الفونولوجية للغة ،بل لا تكاد تجمع تعاريف الأصواتيين في هذا المجال على تعريف

---

1 – أحمد مختار عمر "دراسة الصوت اللغوي " عالم الكتب للنشر ،جامعة القاهرة كلية العلـــــــوم ،ط1998، ص56.

2 – -George Mounin : ,Clefs pour la linguistique,P 94

3 -Robert Laffont " Révolution en linguistique,P96-97

أوحد للفونيم ،تبعا لتعدد الرؤى ،فمنهم من رأى بأنه إلى الجانب العضوي أي فيزيولوجي أقرب ومنهم من قال بأنه إلى الجانب السمعي ألصق يقول "دي سوسير" « الكثير من الفونولوجيين يهتمون خاصة بالتصويت( Phonation)أي إنتاج الأصوات عن طريق الأعضاء (الفم ،الحلق ...الخ ويهملون الجانب السمعي،وهذه الطريقة غير صحيحة » [1] ،ويذهب آخرون إلى الجانبين النفسي والوظيفي«إن الفونام في نظر دي سوسير هو مفهوم مركب ،ولايمكن تحديده بالاعتماد على الجانب العضوي فحسب ذلك أن الدارس للفونام (الصوت) لا يستطيع تتبع السلسلة الصوتية بحيث يمكنه تحديد بداية الصوت ونهايته،ويرجع السب في ذلك إلى أن الحركات العضوية أثناء إنتاج الأصوات والنطق بها تكون متسلسلة ومتواصلة ومرتبطة بعضها ببعض دون توقف». [2]

**المفاهيم الأساسية للمدرسة الوظيفية:**

أ-**وظائف اللغة**(Les Fonctions Du Langage):

إن الوظيفةالجوهرية التي تضطلع بها اللغة الإنسانية -بوصفها مؤسسة إنسانية( Institution Humaine)- في كل زمان مكان في نظر "مارتيني" هي ربط التواصل بين أفراد المجتمع المتجانس لغويا ،فاللغة الفرنسية « بالنسبة للفرنسي مثلا ،هي قبل كل شيء الأداة التي تسمح للأفراد (الناطقون بها) الدخول في علاقة مع الآخرين ،وسنرى أن أي تغيير عليها مع مرور الوقت إلا لمواكبة والتأقلم بطريقة اقتصادية ومقنعة لاحتياجات التواصل للجماعة التي تتكلمها . » [3]

لقد صار جليا أن الوظيفة الأساسية للغة هي التعبير عن العواطف والأحاسيس والانفعالات ،وهي خاصية إنسانية لايقاسمه فيها الغير ،وأداة لاغنى عنها في التعامل بين البشر ،لكن ليس معنى ذلك أننا نقصي الوظائف الأخرى للغة ،لأن « حصر جميع الوظائف في غرض واحد لايخلو من مغالاة ،(...) إن التعبير يتخذ عدة صور ،ولا يمكن أن نطلق على بعضها تسمية

---

1 - F- de sausure :Cours de linguistique générale ,P63

2 –**عبد الصبور شاهين "في علم اللغة العام " مؤسسة الرسالة ،ط 4** ،1984 ،ص117.

3 - André Martinet "Eléments de linguistique Générale"Armand Colin .4eme éd .1998 .P09.

اللغة إلا على سبيل المجاز.فأنواع السلوك اللغوي مختلفة وقد نجد من بينها ما لا يندرج في الوظيفة التعبيرية(Expressive).» [1] فضلا عن هذا فاللغة كفيلة بتقديم التفسير المقنع للظواهر النفسية من حيث هي أداة للتحليل والتركيب من خلال المثير والاستجابة –كما بينا سلفا –فهي تؤدي وظيفة نفسية (Psychique) « يرى ثورندايك '(Thorndike) أن وظيفتها النفسية ليست في التحليل والتركيب ،بقدر ماهي في إحداث استجابات لدى الأفراد .فاللغة إنما هي أداة نستعملها لإثارة أفكار وعواطف لدى الغير ،فهي إذن خاضعة لقانون الحافز والجواب (ح،ج) علما أن الحافز في مجال اللغة هو الكلمات ،والجواب هو السلوك اللغوي الناتج عنها. »[2].

لا يمكن من خلال هذه الآراء حول وظيفة اللغة أن نلغي تماما ما نحن بصدده في هذا المبحث وهو جدلية العلاقة بين اللغة والفكر :فهل يجوز القول أن اللغة تؤدي وظيفة تفكيرية ،بالنظر إلى الأدوات التي تستخدمها اللغة كالتحلي ل والتركيب مثلا ،يبدو إذن إننا نفكر باللغة ،ويمكننا استحضار العديد من الوقائع البعيدة زمانيا ومكانيا عن طريق اللغة :أليس هذا جانب من الفكر اللغوي ؟« اللغة هي عماد التفكير الصامت والتأمل ،ولولاها لتعذر على الإنسان أن يسبر الحقائق إلى عمق أعماقها حينما يسلط عليها أضواء فكره. » (3)

**ب-التقطيع المزدوج " (Double Articulation)والاقتصاد اللغوي.:**

يعد "مارتيني" من أبرز أساتذة اللسانيات الوظيفية ،ولعل مؤلفه (" Eléments de linguistique générale) الصادر عام 1960 يركز على ما أصبح معلوما في الدراسات اللسانية بـــ:التقطيع المزدوج " ( Double Articulation)التي تختلف به اللغة الإنسانية عن الأنظمة التواصلية الأخرى،ولكن هل يمكن أن نشك في إسناد هذا النوع من التقطيع إلى "مارتيني " أم أنه مقلد ومتأثر بمن سبقه في هذا المجال ؟ولنترك الإجابة لـــ"جورج مونان "( G-M) :«إن مصطلح التقطيع المزدوج للغة قديم جدا ،لكن هذه العبارة ظلت إلى وقت طويل غامضة » (4)

1 – حنفي بن عيسى " **محاضرات في علم النفس اللغوي" ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر** ،ط5 ،2003، ص67.
2 – المصدر نفسه ،ص69.
3 – نفسه ،ص70.
4 – -George Mounin : ,Clefs pour la linguistique,P 52.

فهي الخاصية ليست حكرا على لغة دون غيرها ،بل جميعها-كما سبق الذكر-خاضعة إلى هذا النوع من التقطيع الذي يتجلى في هذين المستويين وهما :

1-**التقطيع الأول**( la 1ere Articulation ):

يقرر "مارتيني" « أن هذا النوع من التقطيع يمكن من خلاله نقل التجربة الإنسانية فتحلل إلى متوالية من الوحدات( Suite d'unités) لكل منها صورة صوتية( Forme Vocal) ومعنى(Sens)،مثلا إذا عانيت من آلام في رأسي ،يمكنني ان أظهره عن طريق الصراخ( Cris) ،هذا يمكن ان يكون لاإراديا( Involontaire)،وفي هذه الحالة يلحق بالجانب الفيزيولوجي (...)لكن ذلك غير كاف حتى يصبح تواصلا لسانيا ،كل صرخة غير قابلة للتحليل (Inanalysable). »[1]

إن أقل الناس معرفة باللغة ،يدرك ان هذا النظام من العلامات الدالة يختلف كل الاختلاف عن ما تصدره الحيوانات من صرخات لأغراض بيولوجية كالدفاع عن النفس ،الجوع ،الأخطار المحدقة ...الخ ،ولا ترقى أبدا إلى اللغة البشرية ،حتى وإن ظن الظان أنها شبيهة بهاته اللغة ،ويحسب أنها تنم عن شيء من الذكاء ،لكن –في الحقيقة –الفرق شاسع ،ولا مجا ل للمقارنة،وفي السياق نفسه أورد "مونان" نصا لأرسطو في شعرياته(Poétique) هذا ملخصه : « إن الحرف هو عبارة عن صوت غير قابل للتقسيم ...الحيوانات أيضا تصدر اصواتا غير قابلة لتقسيم ،لكنني لايمكن ان أطلق عليها اسم "الحرف"» [(2)]

إن الوحدات المتوالية التي تحلل من خلالها التجربة الإنسانية تشكل دالا ومدلولا (Signifié/Signifiant) ،وتنعت هذه الوحدات باللفاظم (Les Monèmes) [(3)]،التي

---

1. André Martinet "Eléments de linguistique Générale",P 14

2 -George Mounin : ,Clefs pour la linguistique,P53

3 -المورفيم بأشكاله المختلفة(الحر ،المقيد الاشتقاقي...الخ) مصطلح أطلقه اللسانيون الأمريكيون على اصغر وحدة دالة ينتهي إليها التقطيع اللغوي ،بينما اللسانيون الفرنسيون المعاصرون أمثال "مارتيني" ينعتون هذا العنصر الغوي بمصطلح "المونيم"(Monème)، ويسمى في اللغة العربية بالوحدة الصرفية (Unité Morphologique) أو الكلمة.

بواسطتها –حسب الطبيعة الخطية للغة-يمكن ان نعبر عن هذه التجربة الإنسانية .ان التمثيل من شانه ان يزيل الكثير من الإبهام حول هذه العناصر اللساني ،ولنأخذ الحكمة العربية التالية :

**" القناعة كتر لا ينفذ"**

هذه السلسلة الكلامية ( Chaîne Parlée) خاضعة إلى التقسيم الأول إلى ست وحدات ،وهي على التوالي :"/الـــ/قناعة/ كتر/ لا/ ي/فنى/" هذه العناصر أو الوحدات-كما ندرك- غير قابلة للتجزئة إلى حدات دنيا لها معنى .علما ان كل لغة تقطع بحسب طبيعتها الخطية ضمن السلسلة الكلامية ،ولمزيد من التفصيل والبرهنة ،نأخذ الجملة الفرنسية :

"J'ai mal à la tête.. "

Dans l'énoncé dont nous servons ici ,on constate qu'il y a six monèmes(décomposables en plusieurs Phonèmes) ,qu'on peut les nommées (les monèmes)aussi dans la langue courante ,des mots :

J' ,ai ,mal ,à ,la ,tête.

Aussi bien ,la langue anglaise n'est plus épargné de ce phénomène linguistique y compris l'analyse des unités des phrases.

"He writes a letter to his friend." On constate aussi qu'il existe huit Monèmes décomposables en plusieurs Phonèmes :
He ,write (to write) ,s ,a ,letter ,to ,his ,friend.

2-**التقطيع الثاني**( la 2eme Articulation ):

يتم في هذا المستوى تحليل هذه الوحدات الدالة أوالوحدات الصرفية في اللسان العربي إلى وحدات صوتية لا تحمل دلالة في ذاتها ،ولكنها قادرة على تغيير المعنى « هذه الوحدات الصغرى تتخذ شكلا صوتيا لكنها عديمة الدلالة ونسميها بالفونيمات ،وهي وحدات صغرى للتقطيع الثاني للغة أو وحدات صغرى تمييزية( Distinctives)» [1] إذاً فالوحدات الدالة أو المونيمات

1 -George Mounin : ,Clefs pour la linguistique,P57

تخضع للتقطيع الثاني على مستوى الفونيمات باعتبارها وحدات دنيا غير دالة .الكلمة العربية مثلا :( طفل) وحدة دالة تتألف من ثلاثة فونيمات على الشكل التالي :/ط+______- /+/ ف ______في درجة الصفر/+/ لـ ُـ ُـ___ .أما بالنسبة للغة الفرنسية باعتبار أننا أخذناها كنموذج للمقارنة في ثنايا هذه المبحث فينطبق عليها ماتقدم ذكره تماما .( Mère .fer) فالفونيمين ( M ,F) لا يحملان معنى في ذاتهما لكنهما يغيران المعنى .

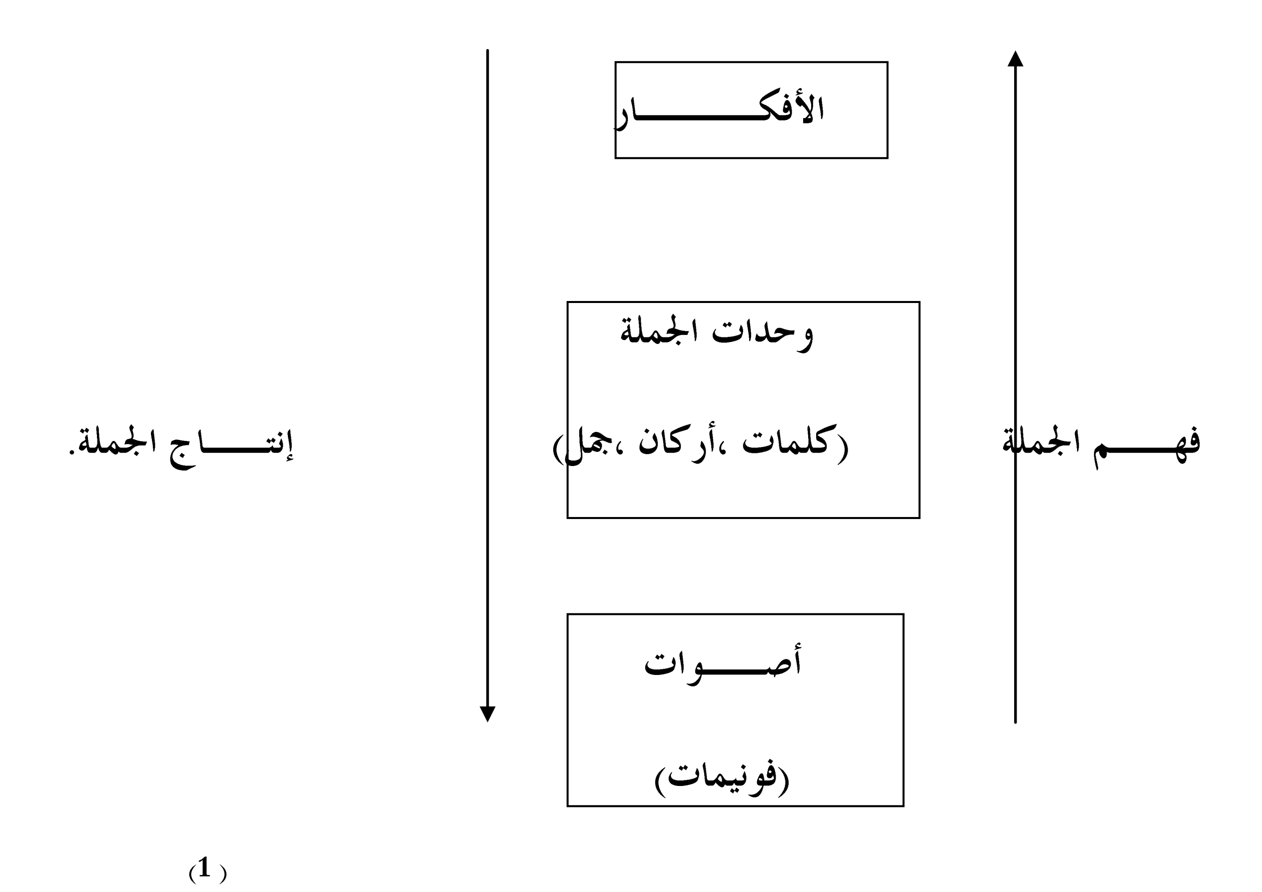
ان الطرح المارتيني لتحليل وتركيب اللغة الإنسانية وتقطيعها على مستويين ،قد يطرح العديد من الأسئلة ،خاصة فيما تعلق بالجانب الفونيمي ،لأن الفونيمات على حد تعبيره- من خلال الطروحات السابقة – بأنها لا تحمل دلالة في ذاتها .هل الفونيمات مثلا في اللغة العربية لا تحمل قيمة تعبيرية في ذاتها ،هذا المنحى وضحه (ابن جني )في فصل عنونه (باب في تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني) من كتابه "الخصائص" قائلا :« فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع ...وذلك إنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الإحداث المعبر بها عنها ،فيعدلونها بها ويحتذونها عليها ،وذلك أكثر مما نقدره وأضعاف مما نستشعره. من ذلك قولهم :خضم وقضم :فالخضم لأكل الرطب كالبطيخ والقثاء وما كان نحوهما من المأكول الرطب .والقضم للصلب اليابس .فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب .والقاف لصلابتها لليابس ،حذوا لمسموع الأصوات على محسوس الإحداث.» [1] وتعتمد هذه النظرية على أن الحرف العربي له قيمة تعبيرية في ذاته ،ولنتأمل المورفيمات العربية الآتية : غار/غاب/غاص.،ألا نلاحظ أن الفونيم بالتعبير اللساني فكل هذه الوحدات الصرفية قد دل على مطلق الاستتار والاختفاء.والحقيقة ان موضوع كهذا لازال بكرا ،ويحتاج إلى الكثير من الدراسات المتخصصة ،خاصة أن الفونيمات العربية يطابق شكلها السمعي الأكوستيكي جانبها الكتابي وأما اللغة الفرنسية فالعكس هو الصحيح ،وهذا مرجعه إلى كيفية حدوث النطق بالصوت .لأن حرف (الفاء) مثلا في هذا اللسان يكتب عادة (F) ومرة أخرى (ph) (FRÈRE/ PHARMACIE).

إن مثل هذه الظواهر الصوتية ليست خاصية عامة ،بل تنفرد بها بعض اللغات ،لان كل لغة تتضمن مجموعة متباينة من الفونيمات ،وربما لهذا السبب غالبا مانواجه مشاكل في معرفة نطق الكلمات الأجنبية ،لأن هذه الأخيرة يمكنها ان تستخدم فونيمات ليست من لغتنا في شيء لان

---

1 – ابن جني "الخصائص" تح :محمد علي النجار ،الهيئة المصرية للكتاب ،ط4 ،1999 ،ص159-160.

الفونيمات في حالة التوافق أو التنسيق( COMBINAISON) فيما بينها تكون كلمات خاضعة للقوانين الخاصة بكل لغة .




تناول"أندري مارتيني " في السياق نفسه ما أصبح ينعت في الدراسات اللغوية الحديثة والمعاصرة "بالاقتصاد اللغوي ( l'économie du langage)،وملخصه التعبير والتبليغ بأقل

1 -EDWARD MATTHEI et autres "INTRODUCTION à la psychologie "P301.

جهد ،وأقل الكلمات ،ولعل العلامة اللسانية أحسن دليل على ذلك،يقول "مارتيني":« ...إن هذا التنظيم(L'organisation) قد فرض نفسه على المجموعات البشرية ( Communautés Humaines) باعتباره الأكثر تقبلا واستجابة لحاجات الإنسان وقدراته ،الاقتصاد وحده الناتج عن التقطعين ،مكنه من امتلاك أداة التبليـــــغ التي أقدرته على إيصال الكثير من المعلومات بأقل جهد.» [1] ،ويرى "مارتيني" ان الإنسان يعيش في صراع قائم بين عالمه الداخلي وعالمه الخارجي فالعالم الخارجي في تطور مستمر ،ويتطلب ابتكار مفردات جديدة ،والطبيعة الإنسانية الداخلية ميالة إلى الخمول والجمود،واستعمال النزر القليل من المفردات الموجودة حولها .وبالإضافة إلى هذا فإن ثمة صراعا بين حاجيات التواصل التي تؤدي إلى تطوير اللغة من جهة ،وخمول الأعضاء ونزوعها إلى الاقتصاد في الجهد الذي تتطلبه عملية التلفظ والتذكر من جهة أخرى [2]

**مبادئ التحليل التركيبي للمدرسة الوظيفية :**

الآن أصبح جليا –من خلال ما سبق طرحه–أن التقطيع المزدوج كفيل بتحليل الجملة إلى مستويين (مونيمي وفونيمي )،ثم رأى "مارتيني "ان العلاقة التي تربط بين هذه الوحدات الدالة في أي نظام لساني (Système Linguistique) تتجلى في حالات مضبوطة ،تكاد تكون عامة في جميع اللغات المعروفة ،وهذه الحالات هي [3]

أ –**الوحدات(اللفاظم) المكتفية بذاتها** (Les monèmes Autonomes) :« وهي عبارة عن وحدات(لفاظم) دالة تتضمن في بنيتها المستقلة دليل وظيفتها» [4] ،أي تمثل وحدات مستقلة عن التركيب ،يمكن أن تغير موقعيتها السياقية من مكان لآخر ،ولا تحتا ج إلى وحدات أخرى لتحدد وظيفتها ،وفي هذا السياق يقول "مارتيني " « إن طبيعة العلاقة بين اللفظم المكتفي

---

1-. André Martinet "Eléments de linguistique Générale"- P17.

2 –أحمد مومن "اللسانيات النشأة والتطور"ديوان المطبوعات الجامعية ،ط3 ،2007 ،ص155.

3 – ينظر " احمد حساني " المصدر السابق ،ص113.

4 – خولة طالب الإبراهيمي" مبادئ في اللسانيات" ، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2000م،ص102.

بذاته ببقية الملفوظ( L'énoncé)،لا تعود أساسا إلى موقعه في هذا الملفوظ . » [1] ولتأكيد هذه الرؤية التحليلية ،ذهب مارتيني الى التمثيل بالملفوظ الآتي :

" "Hier ,il y avait fête au village.[2]

"أمس، أقيم حفل في القرية" يمكن أن نعبر عن هذا الملفوظ بموقعيات مغايرة للوحدة الصرفية (الأمس) دون أن يختل المعنى ،«وحتى يحافظ اللفظم على موقعيته دون إحداث تغيير للرسالة ،يجب ان ينتمي إلى (أمس،اليوم ،غدا) » [3] ، ولمزيد من التوضيح ،سنعتمد على بعض الأمثلة التطبيقية في نهاية هذا المبحث باللغة العربية ومقارنة ذلك باللغتين الفرنسية والانجليزية.

ب-**الوحدات (اللفاظم)الوظيفية** (Fonctionnels): ويقصد بها اللفاظم التي تحدد وظيفة الوحدات الأخرى التي لا يمكن لها الاستقلال بنفسه ا داخل التركيب الذي ترد فيه« الوحدة التركيبية التي لا تتوفر على استقلاليتها من خلال علاقتها مع بقية الملفوظ،هذه العلاقة تســــــند إلى لفظم آخر » [4] . إن دور الوحدات الوظيفية في مثل هذه الحالات هو ضبط العلاقة التركيبية لهذه العناصر اللسانية غير المستقلة بذاتها مثل:" au"بمعنى "في " في الجملة الفرنسية السابقة(Au village) ،ومثل حروف الجر في اللغة العربية، و النداء(L'impératif).

ج- **الركن المكتفي بذاته** (Le syntagme autonome): ويعني به« كل مؤلف من اللفاظم تكون العلاقة فيه وثيقة جدا، وأكثر من تلك العلاقة القائمة بين العناصر اللسانية الأخرى في التركيب، وهنا يكون للوحدات الوظيفية دور كبير في ربط هذا المؤلف ببقية عناصر التركيب، ويتألف الركن المكتفي بذاته من لفظين فأكثر،ولا تتوقف وظيفته على موقعه في السياق(Contexte)،بل دلالة هذا الكل من اللفاظم هي التي تحدد علاقته بالسياق الوارد فيه .ولكن في الغالب يشـــــترط وجود لفظم وظيفي لتحـــــديد حرية المجموعة في السياق الذي

---

1 – " André Martinet "Eléments de linguistique Générale–P111

2 – IBID ,P109-110–

3 – IBID ,P-110

4 -George Mounin : ,Clefs pour la linguistique,P 126-127.

ترد فيه » [1] ويمكن أن نعلل ذلك بالتركيب القرآني التالي: ﴿ وأشربوا في قلوبهم العجل﴾ [2] فالركن المكتفي بذاته (في قلوبهم) يتحدد علائقيا بوجود عنصر وظيفي مرتبط به وهو (في) فهو الذي يربطه ببقية العناصر الأخرى المكونة للتركيب، ويؤلفان معا ركنا مكتفيا ذاتيا[3].

د- **الركن الإسنادي** (Le syntagme prédicatif) :وهو« النواة التي ينبني حولها التركيب، وتعقد العناصر اللسانية روابطها به بطريقة مباشرة، أو لنقل هو النواة الأساسية للجملة، وأقل ما يمكن أن يكون عليه الكلام، وأقل ما يفيد. » [4] وللتمثيل سنتبنى المثال نفسه الذي اقترحه "مارتيني""Hier ,il y avait fête au village."يتضمن هذا الملفوظ الفرنسي لفظما مكتفيا بذاته"Hier "وركن مكتفي بذاته " au village " أما الركن" il y avait fête"ليس مكتفيا بذاته ،فهو مستقل ،يمكن تعيينه على أنه ركن إسنادي. [5] ويمكن أن نتمثل له بالتركيب القرآني التالي: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ﴾ [6] الذي يتكون من لفظة مستقلة، أي مكتفية ذاتيا، وهي (اليوم) وركن مكتف بذاته هو (على أفواههم) وبعدهما يبقى الركن (نختم) وهو عنصر لساني يملك القدرة على إنشاء رسالة ذات دلالة دون حاجة إلى العناصر الأخرى، ومن ثم فهو ركن مستقل بذاته، وهو ركن إسنادي، أو نواة إسنا دي على تعبير أندري مارتيني [7] .

بقي ان نشير هاهنا إلى النوعين المقترحين من قبل "مارتيني " لظاهرة الإلحاق و هما:

أولا: الإلحاق ب**العطف** (Coordination) :هو الذي يبقى الكلام مطابقا لبنية الجملة النواة، إذا حذف العنصر الأولي (المعطوف عليه)

مثال: " قام الأطفال والشيوخ" ،إذا حذف العنصر الأولى (الأطفال) تصبح الجملة " قام الشيوخ" مطابقة للجملة الأولى .

1 - أحمد حساني المصدر السابق ،ص114-115. وينظر -André Martinet "Eléments P112-113 de linguistique Générale

2 - البقرة/ 93.

3 - أحمد حساني المصدر نفسه ،ص115.

4- George Mounin : ,Clefs pour la linguistique,P 128

5-André Martinet "Eléments de linguistique Générale–,P123-124

6 - يس/ 65

7 - أحمد حساني "مباحث في اللسانيات " –115

ثانيا: الإلحاق ب**التبعية:** ويختلف عن الإلحاق الأول، ففيه يتميز الملحق بوظيفة تختلف عن وظيفة العنصر الأولي (المتبوع) مثال:"كافأه بجائزة كبيرة من الكتب."لا يمكننا حذف العنصر الأولي (جائزة) لأن وظيفته التركيبية تختلف عن العنصر التابع (كبيرة ).

ومفهوم الإلحاق عند "مارتينيه" يتضمن وظائف مختلفة: كالنعت والمضاف إليه والمفعول والمعطوف.ومن منطلق التحليل الوظيفي للبنى التركيبية يعرف الجملة بقوله: هي كل تركيب تتصل عناصره بركن إسنادي وحيد أو متعدد عن طريق الإلحاق [1].

**أمثلة تطبيقية :**

من خلال كل ما سبق من تحليل لهذه المفاهيم التي تبنتها المدرسة التوظيفية في دراستها للجملة ،تبين لنا ان نعقد هذا المبحث التطبيقي لتجلية الغموض الذي حفلت به هذه المبادئ التركيبية.ولنتمثل لها بالملفوظ العربي البسيط التالي :

**"غدا ،سأذهب إلى الجزائر ".**

يتشكل هذا الملفوظ (L'énoncé) من لفظم مكتف بذاته (M-AUT) وهو (غدا) ،يمكن حينئذ ان يغير هذا اللفظم موقعيته في السياق الوارد فيه ،كأن نقول مثلا :" سأذهب إلى الجزائر غدا " أو "سأذهب غدا إلى الجزائر " .الأكيد أن اللفظم المكتفي بذاته قد ظهر في مواقع مختلفة دون ان يؤثر على معنى الجملة ،انه يحمل استقلاليته في نفسه.ودائما مع نفس المثال ،فان اللفظم الوظيفي (Fonct) في الملفوظ السابق "إلى " إذ استطاع ان يحدد وظيفة العنصر "الجزائر" الذي لا يمكن ان يستقل بنفسه عن السياق الذي ورد فيه .ان حرف الجر"إلى" في مفهوم النحو العربي قد تمكن من إقحام "الجزائر "في الملفوظ ويمنحه دورا في الملفوظ ،بل ان حرف الجر حدد العلاقة التركيبية للعناصر غير المستقلة.

يمكننا كذلك ان لهذه المبادئ التحليلية التركيبية بالملفوظ الفرنسي ترجمة للملفوظ العربي السابق ،فنقول : "Demain ,je partirai à Alger".

1 - ينظر "أحمد حساني –المرجع نفسه ،ص116-117.بتصرف

يتكون هذا الملفوظ الفرنسي من :لفظم مكتف بذاته وهو"Demain"الذي بإمكانه تغيير موقعه في الملفوظ فنقول مثلا :.Je partirai <u>demain</u> à Alger ،أو

"Je partirai à Alger <u> demain</u>"

أما فيما يتعلق باللفظم الوظيفي ،فان (à) يقوم بدور أساسي في تحديد وظيفة (Alger)في هذا السياق.ولنتأمل الظاهرة اللسانية نفسها في الملفوظ الانجليزي :

Tomorrow ,I will go to Algiers

يتألف الملفوظ الانجليزي من لفظم مكتف بذاته وهو :"tomorrow" بحيث يحدد استقلاليته بنفسه ،فنراه يغير موقعه من مكان لآخر دون ان يؤثر ذلك على المعنى ،فيمكن القول :

"I will go tomorrow to Algiers." أو "I will go to Algiers tomorrow".

أما ما تعلق باللفظم الوظيفي ،فإننا نلاحظ أن " To" قد أخذت موقعيتها فحددت بذلك وظيفة "Algiers"

أما فيما يخص المبدأ التحليلي التركيبي الثالث ،أي الركن المكتفي بذاته (SYNT-AUT) يتألف من لفظة وظيفية مقترنة بلفظة تابعة، لا تحدد وظيفتها النحوية من خــلال جزء واحد من عناصرها، بل من خلال تركيب العناصر مجتمعة كـــ: الجـــار والمجرور، والمضاف و المضاف إليه والنعت والمنعوت ... " .ولنمثل له بالملفوظ العربي التالي:

**"قرأت مع طلبتي كتاب اللسانيات."**

إن عبارة (مع طلبتي ) تدل على المعية والجر ،ولا تفهم من خلال جزء واحد من العبارة ، بل من خلال ارتباط العنصرين معا، ويجوز تغيير موقعها،فالمؤلف (طلبتي ) لا تتحقق علاقته بالملفوظ حسب السياق الوارد فيه إلا بوجود لفظم وظيفي مرتبط به ،وهو(مع)،الذي من شانه الربط بين (طلبتي) ببقية عناصر الملفوظ ،ويؤلفان معا " ركنا مكتفيا بذاته"(مع طلبتي ).

إذا مثلنا للمبدأ التحليلي الرابع ،فليكن الملفوظ العربي التالي :

"غدا سينتصر المسلمون على أعدائهم"

فإذا تأملنا هذا الملفوظ ،نلفي انه يتألف من لفظ مكتف بذاته وهو "غدا " ،ويتكون أيضا من ركن مكتف بذاته وهو" على أعدائهم " ،وبعد عزل هذين العنصرين ،يبقى العنصر القادر على إنشاء الرسالة بذاته دون إضافات والحاقات. [1] * .

**المدرسة التوليدية التحويلية**( Générative transformationnelle):

على الرغم من الهفوات التي حملها الفكر اللساني السوسيري ،إلا أن أفكاره ظلت تعاود نفسها في اللسانيات الحديثة والمعاصرة ،وحسبنا دليلا على ذلك هذه الاتجاهات المتنوعة في الحقل التركيبي لدراسة الظاهرة اللغوية ،فلم يعد هناك « أي مسوغ لتجاهل أعمال "دي سوسير" ولتجاهل اللسانيات ،فلا أحد من اللسانيين وعلماء الانثروبولوجيا والمحللين النفسانيين المشهورين لا يحيل بشكل أو بآخر إلى أعماله ،حتى أولئك الذين اعتبروه متجاوزا يستخدمون في أعمالهم ترجع أصولها إلى "دي سوسير " بشكل كبير » [2] ،ومن أكثر هذه المناهج استعمالا وتأثيرا ما أصبح ينعت باللسانيات التوليديةالتحويلية التي اعتمدت على ظاهرتي التوليد والتحويل لتفسير اللغة التي هي قطب الرحى .

في مقدمة كتاب (Révolution en Linguistique ) أفرد مؤلفه حوارا خاصا مع زعيم هذه المدرسة "نوام شومسكي "(Naom Chomsky) ،ومن المحاور التي تناولها الحوار مسألة "اللغة" .س:« كيف تعرف اللغة ؟ ج: أظن أن اللغة هي قبل كل شيء وسيلة خلق وتعبير للفكر .»[3] س:« لماذا إنه من المفيد التعبير عن أفكارنا ؟ ج:إليك هذا المثال عن شخص حكم عليه بعشرين عاما يقضيها في مؤسسة عقابية لنظام فاشي (Fasciste)لأسباب سياسية ،وفي كل الاحتمالات ،من غير الممكن أن يتعرف أي شخص على أفكاره ،لكن هذا لن يمنعه من التفكير ،وحتى من تجسيده كتابةً ...إنه يستعمله ولا أظن أن هدفه الأساسي هو التواصل ،إن

---

1- -André Martinet "Eléments de linguistique Générale P124
.*"A lui seul; constituer le message ,ce n'est pas à lui de marquer ses rapports avec d'eventuelles adjonctions ,et les complements …

2 –نور الدين النيفر " فلسفة اللغة " ،ص99.

3" -Robert Laffont" Révolution en Linguistique ,P30

هدفه يناسب حاجته الإنسانية للتفكير ،للإحساس ،للتعبير . » [1] . من هذا المقتطف من الحوار ،تتجلى معالم هذه النظرية ومنهجها ،بالنظر إلى النواة المركزية للدراسات التحويلية" للغة ".

**الكفاية اللغوية والأداء الكلامي :**

لقد استمد "شومسكي" الأصول الفلسفية لنظريته من فلاسفة القرن السابع والثامن عشر وعلى رأسهم "ديكارت" الذي يرى أن الإنسان يمتلك « قدرات فريدة لا يمكن

تفسيرها تفسيرا آليا ،وان صلح هذا التفسير أحيانا في ميدان الوظائف الحيوية والسلوكية للإنسان ،وان أظهر هذه القدرات وأعظمها هي اللغة الإنسانية ،التي لا تحدها أية ارتباطات أو قوالب تعبيرية ثابتة ،نتيجة لمؤثرات أو حالات فسيولوجية ،ومن ثمة فهي صورة للعقل البشري باعتباره أداة عامة صالحة ،لكي تلائم كل الحوادث والاحتمالات . » [2] ،ومن هنا يرى "شومسكي "بأن للإنسان قدرة عقلية كامنة وراء السلوك الكلامي الظاهر [3] ، تتكون لدى الفرد في سن مبكرة فتجعله قادرا على إنتاج عدد لا متناهي من الجمل التي يتطلبها الموقف الذي يمر به ،وهذا دون أن يكون قد سمعها أو عرفها من قبل ،وهي ملكة لسانية ذاتية خاصة بمتكلم اللغة الذي تترعرع بصورة طبيعية في البيئة التي تتكلمها [4] . إن هذه القدرة تنحصر في جانب "الإبداعية "(créativité) من العقل الإنساني ،وتعتبر اللغة الإنسانية من أبرز مظاهرها فيرى "شومسكي" أن المبادئ العقلية بمفردها كفيلة بتقديم التفسير الكافي للاكتساب اللغوي .

إن الطفل في نظر "شومسكي " يأتي إلى هذا العالم مزودا بكم هائل من القدرات الفطرية (Innés) تمكّنه من تقبل هذه المفاهيم اللغوية ،وتكوين البنى اللغوية ( Structures Linguistiques) عن طريق التقليد (Imitation ) الواعي أو غير الواعي للكلام الذي يسمعه من مؤثرات مختلفة (البيت ،الشارع،الأصدقاء...الخ) ،فالطفل- في نظره -يمتلك بطريقة لاشعورية القواعد الكامنة ضمن المعطيات اللسانية (Données Ling) التي يكتسبها من البيئة أو المحيط

---

1 - IBID ; P 30-31-

2 – حسام البهنساوي " لغة الطفل في ضوء مناهج البحث اللغوي الحديث "،دار المناهل للطباعة ،مصر 1994 ،ص102.

3 –نور الهدى لوشن ،ص109–110.

4 –ينظر احمد عزوز "المدارس اللسانية :أعلامها مبادؤها ومناهج تحليلها للأداء التواصلي " ،دار الأديب للنشر والتوزيع ،ص180

ويطلق "شومسكي " على تلك القدرة بـــ" الملكة اللغوية (Compétence Linguistique)،هذه الملكة بوصفها فطرية تجسد من خلال تكوين مجموعة من العناصر اللسانية وفق نظام معين خاص بكل لغة ،ومن هنا « فاللغة هـــي عبارة عن آلية ،يكـــون الكلام من أبرز اهتماماتها ،من حيث الديناميكية ،بينما القواعد ما هي إلا تنظيم محرك لهذه الآلية... » [(1)]فالملكة اللغوية اختصارا وفق ما قاله " شومسكي هي : « معرفة المتكلم –المستمع المثالي للغته»[2]

إن الأمر الذي لايعزب على أحد ان الملكة اللسانية بالمفهوم الشومسكي ،تنـــاوله صاحب "المقدمة " ابن خلدون ،ويبدو من خلال الدراسات الوافية في هذا المجال أن ابن خلدون قـــد حاز قصب السبق قبل "شومسكي " منذ زمن طويل في هذا الباب ،وعلى الرغم ان هذه البحث النوعي ليس من صلب اهتمامنا –على الأقل في هذه الموضوع- إلا ان "ابن خلدون " قد عبر أحسن تعبير عن الملكة اللسانية ومقارنتها بصناعة العربية ،ولنستمـــع إلى هذا النزر القليل من أقـــواله : «اعلم ان اللغات كلها شبيهة بالصناعة ،إذ هي ملكات في اللسان ،للعبارة عن المعاني وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها (...) فالملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال لان الفعــــــل يقع أولاً وتعود منه للذات صفة ،ثم تتكرر فتكون حالا .ومعنى الحال أنها صفة غير راسخة ،ثم يزيد التكرار فتكون ملكة أي صفة راسخة ...[3] وأما صناعة العربية إنـــما هي معرفة قوانين هذه المـــــلكة ومقاييسها خاصة فهو علم بكيفيةٍ ،لا نفس كيفيةٍ .فليست نفس الملكة وإنما هي بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع علما ،و لا يحكمها عملا ...[4] .فشتان بين الملكة التي تعدّ صفة راســـخة في الذهن تعين على اكتساب مهارة ما ،وصناعة العربية لأننا نعلم جيدا ان الطفل يعـــــرف كيف «يتكلم قبل ان يذهب إلى المدرسة أو ان يسمع بشيء اسمه القواعد النحوية والصرفية .وكلنا نعلم ان فحول الشعراء ،وبلغاء الكلام ،وفرسان البيان في القديم ، لم يكونوا يعرفون شيئا من القواعد ،بل كانوا ينطقون بالسليقة ،فما لحنوا ولا أخطأوا ،ولا صدرت عنهم هفـــوة لسان ،ولا عثرة قلم ...»5

---

1 – ميشال زكريا " مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة " المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،ط2، 1985، ص 62.

2 - N-Chomsky " Aspects de la Théorie Syntaxique " TRAD Jean claude Milner ; éd le seuil ;Paris 1978 ; P52

3 -ابن خلدون " المقدمة " تح :لونان ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،2004 ، ص 574.

4 - نفسه ، ص 579.

5 -حنفي بن عيسى " محاضرات في علم النفس اللغوي " ص 169.

**الأداء الكلامي** (Performance):

أما الأداء الكلامي (Performance) ،فهو الاستعمال الفعلي للغة في الواقع ضمن سياق (Contexte) معين ،فمن المنطقي أنه أثناء الكلام ،فان المتكلم سوف يعمد إلى العودة إلى ملكته اللغوية أو كفاءته اللغوية بمفهوم "شومسكي " ،أو جاز القول ان الأداء هو« الخروج بالكفاءة اللغوية من حيز القوة إلى حيز الفعل ،وهو عبارة عن الجمل التي ينجزها المتكلم في سياقات التواصل المتنوعة . » [1] .لكن السؤال الذي لازال مطروحا هو :هل يمكن للفرد ان يعبر أحسن تعبير في كل السياقات الكلامية عن كفايته اللغوية.؟أو بعبارة أخرى :هل يكون الكلام في كل الأحوال تجسيدا فعليا للكفاءة اللغوية ؟ أن الإجابة عن مثل هذه التساؤلات الوجيهة ،تحتم علينا التريث ،حتى لا ننطلق في تقديم أحكام جزافية يرفضها التحليل اللساني المعاصر ،خاصة في ضوء التقدم الهائل الذي أحرزته الدراسات اللسانية للظاهرة اللغوية اعتمادا على نتائج البحوث المتعددة في ميادين مختلفة كعلم النفس والانثروبولوجيا والتحليل النفسي وعلم اللسانيات البيولوجية وعلم الأعصاب،واللسانيات العصبية ( Neurologie/Neurolinguistique ) ...الخ ،لكن حتى لا يظن بنا ظان أننا نتهرب من هذا السؤال ،يمكننا القول أن الكلام لا يكون دائما تعبيرا أمينا عن الكفاية اللغوية ،ولربما لظروف متنوعة (نفسية ،اجتماعية ،ثقافية ..) تحيط بالعملية التلفظية ،لا يمكن للأداء أن يكون عاكسا بصورة مباشرة لهذه الملكة «فأداء المتكلم ،تبرز بعض الهفوات والأخطاء ،ومردها إلى عوامل عدة منها محدودية الذاكرة ،عدم الانتباه ،والانفعال والغضب والتعب والسهو ،ومن السهل التعرف عن هذه الأخطاء انطلاقا من المعرفة الكامنة بالكفاءة اللغوية التي يتمتع بها كل شخص .. » [2]

لقد تبنى "شومسكي " كأساس لنظريته المبادئ الفلسفية ،خاصة الفلسفة الديكارتية ،وانتقد بشدة طروحات علم النفس السلوكي أو السلوكية(Behaviourisme) التي انتهجها العديد من اللغويين كـ"بلومفيلد "، مع العلم أن علم النفس السلوكي يعتمد في دراسته للغة على (مثير واستجابة)( Stimulus / réponse) السلوكية « هي نظرية نفسية تقدم شرحا للظواهر اللسانية

1 – نور الهدى لوشن –المرجع المذكور سابقا ،ص 338.

2 – ميشال زكريا ،المرجع السابق ،ص 34.

من خلال تحليل السلوكات المرئية وما ينجر عنها من استجابات لوضعيات مختلفة ،هذه الوضعيات هي عبارة عن مثيرات واستجابات ... »[1]

| مثير Réponse | استجابة Stimulus |
| --- | --- |

لقد تمكنت النظرية التوليدية التحويلية من قلب مسار البحث اللـــــغوي من الاعتماد على النتائج المحققة في ميدان علم النفس اللغوي بحسب المعطيات السابق ذكرها إلى توجه عقلي مهمته معرفة القـــدرة الكـــامنة وراء الفعـــل اللساني «ونظرا لهذه الأهمية تعد النظرية اللسانية الأوسع انتشارا ،والأكثر توافقا مع طبيعة اللغة البشرية . »[2]

لقد بات واضحا أن الهدف الذي رامه "شومسكي" من خلال معطـــيات هذه النظرية،هو وضع نموذج قواعد يمكن من خلاله استكشاف البنية التركيبية للجملة وهـــي قضية لغوية صارت من صميم التحليل اللغوي في النظريات اللسانيـــة الحديثة وعلى رأسها هذه النظـــرية التي نحـــن بصددها .

إن هذا العــــالم (شومسكي) قد رفض كـــل شيء أتـــت به البنيوية(Structuralisme )،ولكنه في صميم أعمـــاله التوليدية التحويلية إنما هو بنيـــوي ،وإنمـــا ما فعله شومسكي هو أنه قلب البنيوية رأسا على عقب وأتى بالشيء الجديد لم تلتفت إليه البنيوية وهو دراسة اللغة على أنها ظاهرة فيزيائية ،رياضية وبيولوجية تعمل داخل الدماغ البشري [3] ،وعلى ضـــوء ذلك فاللغة في نظر شومسكي :مجموعة متناهية من الجـــمل ،كل جملة منها طولها محدود ،ومكونة من مجمــوعة

1 - jean Dubois ET Autres "Dictionnaire de Linguistique et des Sciences du Langage , - P64

2 -أحمد حساني "مباحث في اللسانيات "،ص P64.119

3 -ينظر "مازن الوعر "دراسات لسانية تطبيقية" ،ص32.

متناهية من العناصر ،كل اللغات الطبيعية في شكليها المكتوب والمنطـــوق تتوافق مع هذا التعريف وذلك لأن لكل لغة طبيعية تحتوي على عدد متناه من الفونيمات علما بأن عدد الجـــمل غيـــــر متناه. [1] .وتشير الكثير من المصادر في هذا الحقل المعرفي أن الفكرة السائدة حول الجملة والتي نادى بها "شومسكي "و"هاريس"(Harris) –كما أوضحنا–ليست وليدة اللسانيات المعاصرة بل قال بها "همبلد"(W.Von Humbold)قبله مرذ آلاف السنين حيث قال في الســــياق نفسه : «كل متكلم للغة معينة باستطاعته إنتاج رسالة أو مرسلة لم تنتج أبدا قبـــله ،وكل مستمع مؤهل لفهمها فورا شريطة أن يكون هو نفسه قادرا على تكـــلم هذه اللغة ،هذه الحقيقة الــــدالة على الملاحظات التي كان قد لاحظها "همبولد" أن اللغة مجموعة من العناصر المتنـــاهية التي يمكنها انجاز عدد غير متناه من الرسائل . » [2]،فاللغة بهذا المنظور الهمبولدي ليست مرآة عاكسة لعادات الفكر الجارية للشعب الذي يتكلمها لكن هذا الأساس ليس بسيطا لأنه يمارس مقابل ذلك تأثيرا على هذا الفكر ،وهكذا فإن اللغة شرط لامنـــاص منه لرؤية العالم من قبل النــــــــاس الذين يستعملومها .هذه الرؤية هي الشــــكل الداخلي للغة ،في حين أن البنية الصوتية ليست أكثر من شكل خارجي [3] ،من هنا يمكننا القول أن الطرح الذي اعتمده "همبولد" هو طرح ينظر إلى اللغة على أنها خاصية فكرية تتعلق بالفكر ولا تبرحه .أليس هو القائل (أي همبولد) :إن اللغة ضرب من الملـــــكة الفطرية أو قوة داخلية خاصة بالفكر الإنساني حتى وان كان الإنسان عاجزا على سبر أغوارها بسبب أن اللغة والإنســـان قد خلقا معا مؤيدا في ذلك ما ذهب إليـــه كل من (فرانس بوبF-Bopp)و شلـــيغل ،من ن الإنسان البدائي دفعته طاقته الفطرية العجيبة الخلاقة إلى إبداع اللغة دفعة واحدة [4].

---

1 – ينظر : مازن الوعر "دراسات لسانية تطبيقية" ،ص120

2- . "Tout Locuteur d'une langue donnée est capable d'émettre des messages qui n'ont jamais produits avant lui et n'importe quel auditeur est susceptible de comprendre immédiatement a la condition d'être lui-même capable de parler cette langue . une telle réalité signifie conformément aux remarques qu'avait déjà faites W-VON HUMBOLD que la langue est un ensemble d'éléments finis qui permettent de créer un nombre infini de messages.
-Robert Laffont "Révolution en Linguistique" .P132.

3 –ينظر عبد الجليل مرتلض "التحولات الجديدة للسانيات التاريخية" ،ص109.

4 – ينظر عبد الجليل مرتلض "في رحاب اللغة العربية' ،ص37.

تعتمد اللســـانيات التوليدية على ما يصطلـــح على تسميته بـــ" القواعـــد الركنية"( Les REGLES Syntagmatiques) التي باستطاعتها أن تولـــد كل الجمل التي تولدها القواعد الأولى ،بينما العكس غير وارد إذ توجد بعض الجمـــل تعجز القواعد ذات الحالات المحدودة من توليدها [1].

الجمـــــلة وفق هذا المنظور ،يمكن تجـــزئتها(Décomposer) إلى ركـــــــــــن اسمي (Syntagme Nominal)،وركن فعلي ( Syntagme Verbal) ،وفي نفــــس الوقـــت يمكننا كذلك تجزئتهـــــما (رك/ اسم+رك /فع)إلى وحـــدات أصغر(Unités plus petites) وإذا كان هذا المجال بحاجة إلى التطبيق أكثر حتى تتضح الرؤى وتنجلي الصعوبات ،فلنأخذ الجملة العربية الآتية :

**الأستاذ الناجح يعمل مخلصا.**

إننا ندرك مسبقا أن الجملة موضوع التطبيق تنقسم إلى ركنين(اسمي وفعلي )،فالركن الاسمي :"الأستاذ الناجح"،أما الفعلي :"يعمل مخلصا".،ومن هنا نستطــــــــــيع تقسيم(Diviser) كل ركن على حده ،فالحـــــدس (L'intuition) يرشدنا على أن الركن الفـــعلي قابل للتجزئة إلى وحـــدتين:الفعل (يعمل )وباقي الركن"مخلصا"،لكن الوحدة الثانية هي عبارة عن ركن اسمي آخر والفعل غير قابل للتجزئة إلى وحدات صغرى لأنه مكـــون من كلمة واحدة ،لكن الركن الاسمي قابل للتجزئة . إن الجملة بهذا التقسيم والتجزئة قابلة للتحليل إلى مســـتويات اصغر ،وليس ذلك وقفا على اللغة العربية ،بل اللغات الإنسانية الأخرى يمكن أيضا أن تخضـــع لنفس التحـــــليل وتقاسمها هذه الميزة ،وإليك الجملة الفرنسية :

" L'équipe sérieuse gagnera un match difficile."

Nous savons déjà qu'elle se divise en syntagme nominal (L'équipe sérieuse ) et syntagme verbal (gagnera un match difficile), nous pouvons séparer chacun de ces syntagmes (voir la figure) , le syntagme peut se décomposer en deux unités :le verbe (gagnera) ,et le reste du syntagme ( un match difficile ).Mais la seconde unité est en fait un autre syntagme nominal ? le syntagme verbal est peut se

1 -ينظر أحمد حساني ،المصدر السابق ،ص122.

fractionner pour donner un verbe plus un syntagme nominal ? le verbe ne peut se décomposer en unités plus petites Puisqu'il est forme d'un seul mot ?mais le syntagme nominal est encore décomposable .il contient un déterminant (un)suivi d'un nom (match) ? suivi d'un adjectif (difficile), les syntagmes nominaux formés de cet ensemble particulier d'unités ,(déterminant +nom + adjectif ).se rencontrent fréquemment dans la langue française.

Figure de l'analyse syntagmatique:

L'équipe sérieuse gagnera un match difficile.

PHRASE

L'équipe sérieuse — Syntagme Nominal

Gagnera un match difficile. — syntagme verbal

L' équipe sérieuse gagnera un match difficile.

DETERMINANT + NOM + ADJECTIF + VERBE + SYNTAGME NOMINAL.

UN MATCH DIFFICILE

DETERMINANT + NOM + ADJECTIF

مما سبق ،يمكننا أن استنتاج أن الجملة في إطار تحليل بنيتها التركيبية ،تمر عبر تطبيق القواعد الركنية- التي سبقت الإشارة إليها مع نموذجين تطبيقين للجملة العربية والفرنسيق على حد سواء –إلى مرحلة القواعد التحويلية ،ثم تطبيق القواعد المورفو-فونولوجية* ،وهذا المسار يولد الجملة في شكلها النهائي .[1]

لقد أصدر "شومسكي" عام 1965 كتابه " أوجه النظرية التركيبية " Aspect de la théorie syntaxique) التي تعد بمثابة الجذع المشترك(Tronc commun) لكل الأبحاث اللسانية التوليدية.

1 -VOIR: Chomsky"Structure Syntaxiques ,P23

* هو علم أصوات البنى

يعدّ شومسكي النحو "syntaxe" من اللغـــــة بمنزلة القلب من جسم الإنسان ،وأن مفهوم القواعد "grammaire" يشمـــــل النحو بالإضافة إلى الصرف والنظام الصوتي ونظام المعاني،فهو مفهوم شامل لوجوه اللغة المختلفة .[1]

الواضح أن "شومسكي "قد تبنى تقسيم " سوسير " للغـــة إلى "لغة وكلام " إلا أنه فرق بين مظهرين لغويين هما المقدرة اللغوية "أو " الإبداعية اللغوية " والأداء الغوي " ،فالمقـــدرة اللـــغوية هي مجموعة من القواعد الذهنية التي يمارس الإنســـان اللغة على أســـاسها ،وهي قواعد فطرية لم تتعلم بالتلقين والحفظ ،تمكّن الإنسان من صوغ جمل جديدة وفهم جمل أخرى من غير أن يتعلمها سابقا .وهذه المقدرة ليست محدودة ،إذ على أساسها يتمـــــكن الناطق بلغة معينة من صوغ عدد لا متناه من الجمل وفهمه حتى ولو لم يكن له معرفة سابقة به ويتمكن من الحكم على جمل جديدة من حيث الصواب والخطأ [2]

أما **الأداء اللغوي** فيعرفه بأنه ممارسة اللغة واستعمالها في الحياة الـــــيومية ،ويرى أن هدف الدراسة اللغوية هو معــــــرفة المقدرة الغوية من خلال الأداء اللغوي ،إذ لا يمكن الوصول إلـــى تلك القواعد الذهنية التي تنظم لغة من اللغات إلا عن طريق الكلام الخارجي المحسوس ،ويســـمي " شومسكي " تلك القـــــواعد بالقواعد المولدة [3] .إجمــــالا فأن ثنائية الكفاية / الأداء تتلخص وفق ما يقوله شومسكي يشير «مصطلح الكفاية اللغوية الى قدرة المتكلم –المستمع المثالي على أن يجمع بين الاصوات اللغوية وبين المعاني في تناسق وثيق مع قواعد لغته »[4]

إنّ الذهـــن ليس صفحة بيضاء ينقـــش عليه ما يراد من الصيغ والمفردات كمـــا يـــرى السلوكيون ،إنما هو مزود بالمقـــدرة الفطرية على التوليد والصياغة ،يمتلك الطفل تجهيزه الفطري جهازا تتمثل فيه فطرية لغوية على درجة عالية من التعقيد يتيـــح له هذا الجهاز ان يقوم بتحـــليل الأصوات التي يسمعها [5].فاللغة في منظور "شومسكي " : هي مجموعة متناهية ،أو غير متناهية من الجمل، لكل جملة طـــول محدود ، وهي مؤلـــفة من مجموعة متناهية من العناصر ،وان كل اللغات الطبيـــــــعية في شقيها المكتوب والمنطوق تنسجم مع هذا التعريف ،،ذلك ان كل لغة طبيـــعية

---

[1] -محمود أحمد السيد " اللسانيات وتعليم اللغة " دار المعارف للطباعة والنشر ،سوسة ،تونس ،ط1 ،1998 ، ص47.

[2] – ينظر :م نفسه ،ص 47.

[3] - ينظر :–نفسه ،ص 48.

[4] - Chomsky " Linguistique Cartésienne " ; éd le Seuil ; 1969;P 125-

[5] - المصدر السابق ،ص 50.

تحتوي على عدد متناه من الفونيمات ،مع العلم ان عدد الجمل غير متناه [1] ويبـــــدو أن فكرة شومسكي فيما يتعلق بتعريفه للغـــــــة ليست بالأمر الجديد في علـــم اللسانيات الحديـــــث فالفكرة نفسها قال بها " همبـــلد Humboldt" " اللـــغة استعمال غير متناه بوسائل متناهية "[2] إن هذه الفكرة على الرغـــم من موضوعيــــــــتها في حقل الدراســـة اللغوية ،إلا أنهــــا — في تصورنا —ليست قصب سبق بالنســـبة لـــ"شومسكي " ،ويكفــيــــــنا استدلالا في هذا المجال ما حفلت به الكثير من المدونات العربية القديمة ألم يقل الآمــــــدي : " إن الأسمـــاء ،وان كانت مركبة من الحروف المتناهية فلا يلـــزم أن تكون متناهية " [3]

ومّما سبق طرحه لابد من الإشارة إلى ان النظرية التوليدية (générative )نشأت بفضل تشومسكي ، حيث تجرأ هذا الأخير على نقد مدرسة بلومفيلد نقدا قويا، فأصبح بهذا النقد زعيما للمدرسة اللغوية في أمريكا .وقد أسس تشومسكي نظريته على أنقاض المدرسة ، إذ قاد "تشومسكي" «ثورة علمية نجم عنها نموذج جديد للتفكير في اللغة ، أفرز مجموعة من الإشكالات يجب أن يعتني بها اللغوي ، وضمنها الاهتمام بالجهاز الداخلي الذهني للمتكلمين ، عوض الاهتمام بسلوكهم الفعلي »[4]

**مكونات النظرية التوليدية :**

تتألف قواعد هذه النظرية الشومسكية أو ما أصبحت تنعت بالنظرية المعيار من المكونات الآتية :

1-**المكون التركيبي** (Composant Syntaxique)،أو العنصر الأولي : ويعد المكون التوليدي الوحيد الذي يفرد لكل جملة بنية عميقة ( Structure Profonde)التي تمثل التغيير الدلالي للجملة ،وبنية سطحية ( S-de Surface) التي تمثل التفسير الفونولوجي للجملة .[5] و هي المشير

---

1- N-Chomsky " Structures Syntaxiques" 1991 P 28

2- N-Chomsky " Aspects de la Théorie Syntaxique " TRAD Jean claude Milner ; éd le seuil ;Paris 1978 ; P 09 .-

3 -ميشال زكريا " الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية ( النظرية الألسنية )،ط2 ،المؤسسة الجامعية ،بيروت ،لبنان ،ص 127.

4 – عبد القادر الفاسي الفهري ، اللسانيات واللغة العربية ، منشورات عويدات ، بيروت ، ط 1 ، 1986 ، ص 65 .

5 -احمد حساني " مباحث في اللسانيات " ،ص 127-128.

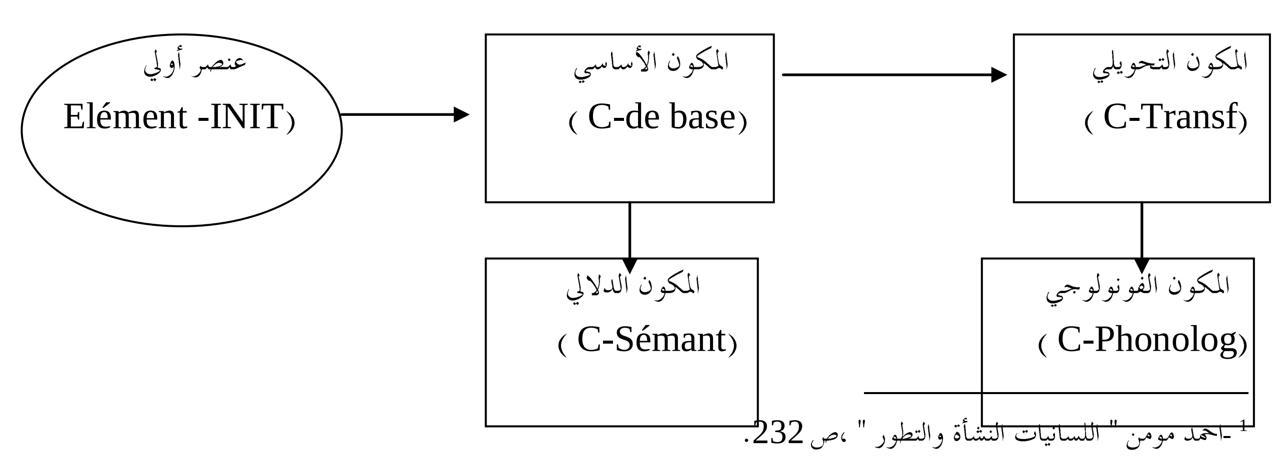
المشير الركني (L'indicateur Syntagmatique) الذي يحـــــتوي على العناصر الأولية التي تكونها إعادة الكتابة .

**2- المكون الأساسي** ( Composant de Base ) ان هذا المكون يحتوي على مجموعة من قواعد إعادة الكتابة التي تولد عددا غير محدود من البنى التحتية ،كما يحتوي على مداخل معجمية (Entrées Lexicales )مزودة بسلسلة من السمات المميزة مثل :حي ،إنسان ،محسوس ،مجرد ...الخ وبعد إدراج كل الوحدات المعجمية ،نحصل على البنية العميقة.[1]

3-**المكون التحويلي** (C-Transformationnel ):يتكون هذا المكون من قواعد معينة تسمح بتحويل البنية العميقة المولدة بوساطة قواعد إعادة الكتابة إلى بنية سطحية في المتوالية الكلامية الفعلية من خلال عمليات الحذف والزيادة والتوسع والاختصار وإعادة الترتيب وغيرها [2].

4-**المكون الدلالي** (C-Semantique ) :يشتق معنى كل جملة من بنيتها العميقة بوساطة قواعد التفسير الدلالي ،ويعد هذا المكون عنصرا أساسيا جديدا ،كان " شومسكي " قد أهمله من قبل في مرحلة البنى التركيبية ،كما أهملته اللسانيات التوزيعية التي سبقته. [3]

5-**المكون الفونولوجي** (C-Phonologique ) :يشتمل هذا المكون على مجموعة من القواعد الفونولوجية التي تقوم باشتقاق التفسير الصوتي لكل جملة انطلاقا من بنيتها السطحية ،ثم كتابتها برموز صوتية عالمية (A.I.T )خاصة بكل لغة .[4]وكملخص لما سبق عرضه ،نعتمد هاهنا على هذه الخطاطة .

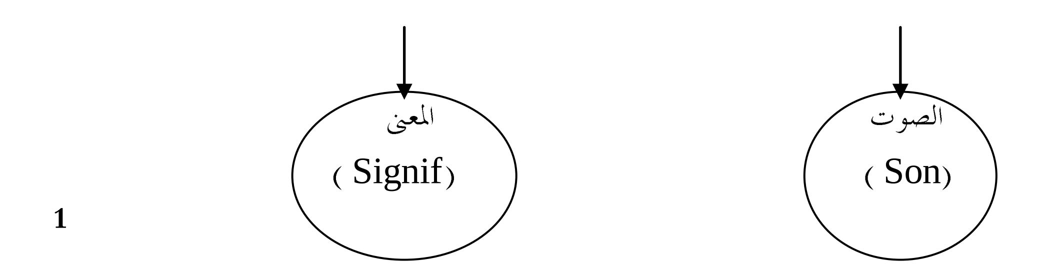



[1] -احمد مومن " اللسانيات النشأة والتطور " ،ص 232.

[2] -احمد حساني ،م نفسه ،ص 130 ،وينظر :احمد مومن ،م نفسه ،ص 232.

[3] -م نفسه ،ص 130. وينظر احمد مومن ،م نفسه ،ص 232.بتصرف

[4] -نفسه ،ص 130.




يمكننا القول إجمالا من خلال هذا البسط للمفاهيم الأساسية للمدرسة التوليدية التحويلية ،خاصة في مجال البنيتين السطحية والعميقة أن الاكتساب اللغوي اللاواعي للغتنا الطبيعية يتم بواسطة التفسير الدلالي للبنية العميقة أول ما يتم ،بينما البنية السطحية ليست إلا ظاهرة صوتية للتعبير عما تحويه البنية العميقة ؟

**البنية السطحية والبنية العميقة :**

لقد نشأ النحو التوليدي كرد فعل على التيار السائد آنذاك وهو البنيوية ،التي لا تهتم من اللغة إلا بجانبها الظاهري وهو ما يسميه " شومسكي " البنية السطحية( ...)ويرى شومسكي ان البنيوية غير قادرة على شرح العلاقات التي يمكن ان تقوم بين مختلف الجمل،وذلك تبعا لمجموعة من الإجراءات التي تحدث لتجعل جملة على مستوى السطح تختلف عن الجمل الأخرى[2] وذلك عن طريق:

1 – الحذف(Délétion )، 2 – التعويض(Replacement )، 3 - التوسيع (Expansion )، 4 - الاختصار Réduction )، 5 – الزيادة (Addition )، 6- إعادة الترتيب (Permutation )، 7 - التقديم ( Avancement).

أما البنية العميقة كما يراها "تشومسكي " بنية مجرد مفترضة ينتجها الأساس وتحتوي على كل العلاقات النحوية، والوظائف التركيبية والمعلومات الدلالية اللازمة لتفسير الجملة واستعمالاتها

[1] -احمد مومن ،م السابق ،ص 231.

[2] – ينظر محمود فهمي حجازي ، مدخل إلى علم اللغة ، دار قباء للنشر والتوزيع ، 1998 ، ص 123 .

الممكنة[1] .أما البنية السطحية «فهي البنية النهائية الظاهرية المستخدمة في سـياق ما في سلسلة أفقية من الكلمات، ذات سمات صوتية أو كتابية ، وهي لذلك تحتـوي على كل المكـونات الفونولوجية اللازمة للتفسير الصوتي» [2].

إن الدارس للتراث العربي سيجد حتما ان هذه المفاهيم اللسانية قد تداولها العرب قديما ،فقد أشار عبد القاهر الجرجاني إلى ذلك ،ولكن بمعطيات ومفاهيم نابعة من عصره ،فحتى وغن لم يذكر ذلك صراحة ،وهذا من خلال رؤيته للألفاظ على أنها إذا كانت أوعية للمعاني فإنها لا محالة تتبع المعاني في مواقعها ،فإذا وجب لمعنى ان يكون أولا في النفس وجيب للفظ الدال عليه ان يكون مثله أولا في النطق .بقليل من التمعن في الجملة ،فالمعنى المراد من " وجب لمعنى ان بكون أولا في النفس " أدركنا ان المقصود ها هنا هو البنية العميقة (Structure Profonde ) التي تحوي المكون الدلالي (Composant Sémantique ) الذي من شانه تقديم المعنى الأصلي للتركيب اللغوي . أما " اللفظ الدال عليه في النطق" فالمراد منه البنية السطحية التي تنتهي بشكل دلالي صوتي .[3] من هاهنا فان البنية السطحية ما هي إلا الشكل الفيزيائي ،أي تلك الجملة المستعملة في عملية التواصل ،أما البنية العميقة فهي الجملة النواة ( Noyau ) فهي على حد تعبير " شومسكي " أساسية لفهم الكلام و من ثم تقديم التفسير الدلالي للكلام ،وهي ضمنية تتمثل في ذهن المتكلم المستمع ،يعكسها التتابع الكلامي المنطوق الذي يكون البنية السطحية .فالبنية العميقة –حسب نظره– بنية تحتوي على كل العلاقات النحوية والوظائف التركيبية والمعلومات الدلالية اللازمة لتفسير الجملة واستعمالاتها الممكنة ،أما البنية السطحية فهي بنية نهائية ظاهرية .

قدّم الدكتور أحمد حساني في شكل نقاط مختصرة أهم الفروقات بين البنيتين: البنية العميقة والبنية السطحية،نوردها على الشكل الآتي :

–إنها البنية المولدة في قاعدة التركيب بواسطة قواعد إعادة الكتابة والقواعد المعجمية .

–إنها البنية التي تمثل التفسير الدلالي للجملة.[4]

---

[1] – ينظر محمود أحمد نحلة ، مدخل إلى دراسة الجملة العربية ، دار النهضة العربية ، بيروت 1988 ، ص 60 .

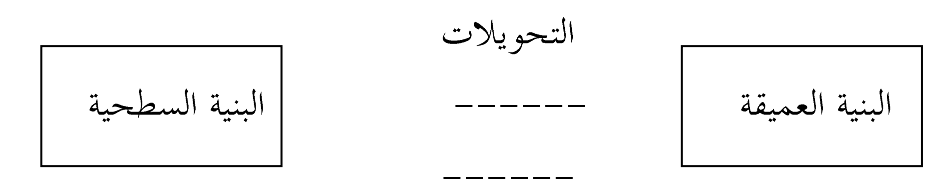
[2] – المرجع السابق ، ص 61 .

[3] - ينظر :حسام البهنساوي " أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث " دار المناهل للطباعة والنشر ،القاهرة ،1994 ،ص36.

[4] -ينظر :احمد حساني " مباحث في اللسانيات " ،ص 128 ،نقلا عن عبد القادر الفاسي الفهري " اللسانيات واللغة العربية" 68/1.

-إنها البنية التي يمكن لها ان تُحول بوساطة القواعد التحويلية إلى بنية سطحية .

أما البنية السطحية فهي نتاج العملية التوليدية التي يقوم بها المكون التركيبي ،أي هي الشكل الصوتي النهائي للتتابع الكلامي المنطوق فعلا ،فهي إذن " ترتبط بالأصوات اللغوية المتتابعة ،وبين تحديد التفسير الصوتي للجمل عبرها."[1]. ان القواعد التحويلية التي اقرها شومسكي تعد ثورة على المفاهيم التي تبنتها المدرسة السلوكية ،لذا فان هذه التحويلات ( Transformations )في شكلها ربط بين البنيتين (Structures ) ولكن « إذا اقتضى الأمر تطبيق أكثر من عملية تحويلية .فان البنى المتوسطة يقوم بتوليدها عدد من التحويلات حتى يتم تكوين البنية السطحية ».



[2]

إننا-من خلال ما تقدم-نقر ان النظريات اللغوية والمدارس اللسانية التي عرفها الفكر اللساني المعاصر وقد لاحت في سماء أمريكا وأوربا قد قدمت خدمات جليلة للغة الإنسانية لا يذكرها إلا جاهل بهذه الجهود الجبارة والمضنية أو جاحد بها ،وإذا كان البحث في أصل اللغة الذي تقاذفته الكثير من الرؤى الميتافزيقية يميل إلى الإنسان شرع في التواصل منذ ان وجد على وجه البسيطة عن طريق الكثير من الإيماءات أو الصرخات والحركات ...فذلك بداية لاكتساب الإنسان لغة ذات طابع مميز لها عن سائر النشاطات المتصلة بالكائنات الحية الأخرى.

[1] - نفسه ،ص 1280،نقلا عن :ميشال زكريا " الألسنية (علم اللغة الحديث ) قراءات تمهيدية " ،ص 112.

[2] - أحمد مومن " اللسانيات النشأة والتطور " ،ص 207.

# الباب الثاني

## الفصل الأول

## نشأة اللغة الإنسانية

**اللغة الإنسانية:**

لقد تبوأت اللغة الإنسانية مكانة مميزة من حيث المجال الإجرائي للعديد من العلوم الإنسانية كعلم اللسانيان وعلم النفس اللغوي وعلم الاجتماع وغيرها بالنظر لأهميتها في تحقيق التواصل والتفاعل بين بني البشر.ومن هنا تبلورت الاهتمامات باللغة خاصة من قبل علماء النفس اللغوي ،واتضحت معالم ذلك في ثلاث محاور أساسية تهم اللغة نفسها بالدرجة الأولـــــى ،وهي : فهم اللغة ،إنتاجها وآليات ذلك ،اكتساب اللغة ومراحله .

مما يجدر ذكره هنا ان طبيعة الطفل متحركة لا ثابتة ،وهي تسير دائما في اتجاه النمو والتكامل بتعاون جميع المظاهر الجسمية والانفعالية والعقلية والاجتماعية التي تعمل ككل متناسق لا انفصال بينها.تبدأ حياته غامضة كل الغموض ثم تنتقل شيئا فشيئا الى الوضوح ،ولعل مرد هذا الغموض — كما بينا سابقا–هو طبيعة الطفل التي تميل في هده المرحلة الى التركيز حول ذاته (égocentrisme)،ويرقى سلوكه ،فيصبح مثلا يستجيب لصوت امه دون رؤيتها ولاسمها ولصورتها دون وجودها .وتعلم اللغة ليس في الواقع بالأمر الهين اليسير ،فقد يقضي الطفل السنوات الطوال دون ان يتعلم الشيء الكثير لأسباب متعددة منها الصحية ،والاجتماعية والبيولوجية ...الخ نرغم الاستعداد الفطري الذي يميز الطفل ،فهو مبرمج ( Programmé ) سلفا لتعلم اللغة ،وذلك بمعلومات تامة ضمن قواعد كلية ،وبهذا المنظار فاننا نتصور عملية الاكتساب اللغوي بمترلة إجراء يقوم به الطفل ليستطلع على قواعد لغته بذاته من اجل استخدام القواعد الكلية الموجودة ضمن كفايته اللغوية الفطرية .[1]

ان تعلم الطفل للغة بشكليها المعروفين المنطوقة والمكتوبة ،لان الفهم يسبق الإنتاج اللغوي بالمنطق والعقل لان الطفل في بداية تعامله اللغوي يفهم ما يلقي اليه من مفاهيم وعناصر لغوية او ملفوظات معينة ،ثم يعتمد بعد ذلك على التقليد (Imitation) ،فالطفـــل يفهم « اللغة قبل ان ينطق بها .ونظرا لعمومية اللغة المنطوقة التي يتكلم بها المتعلم وغير المتعلم ،وخصوصية اللغة المكتوبة التي يتعامل بها المتعلمون فقط .» [2]ومن هنا بات لزاما تناول الشكل الأول من شكلي

---

[1] – ينظر ميشال زكريا " قضايا السنية تطبيقية ،دراسات لغوية اجتماعية نفسية ،مع مقارنة تراثية " ندار العلم للملايين ،بيروت نلبنان ،ط1 1993 ،ص68.

[2] –جمعة سيد يوسف " سيكولوجية اللغة والمرض العقلي " عالم المعرفة ،الكويت ،1990،ص 87.

اللغة منطلقين من جوهرها ومادتها ،والمستوى الأول من مستويات التحليل اللساني ،ونعني بذلك الأصوات ،لان « اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم » [1] .

**المستوى الصوتي :**

لا غرابة أن سمي القدماء الإنسان "حيوانا ناطقا" ،وفي هذا تمييز بينه وبين الحيوان ،ذاك ان النطق خاصية تخص الانسان وحده فلا تتجاوز ه الى غيره من الكائنات الأخرى في هذا العالم .لقد أهلت الطبيعة الإنسان وهيأته بأعضاء مسئولة عن التصويت ( Phonation)،وإنتاج الصوت بوصفه ظاهرة فيزيولوجية ،وفيزيائية،أول ما يثبت به الإنسان « وجوده في لحياة ،بصرخة الولادة وآخر ما يفارق به المسلم الحياة ناطقا بالشهادة،يعلن عن أوقات الصلاة بالصوت ،ويدخلها بالصوت ويخرج منها بالصوت ،يعقد الإنسان معاهداته ويبرم اتفاقاته بالصوت ،يعلن الموافقة والرفض بالصوت ،وأقصى ما يتعرض له السجين من العقوبة ان يجعل وحيدا منعزلا ،لا يسمع صوته احد ولا يسمع هو صوت احد » [2] .ولكن يجب ان نميز هاهنا ما بين الصوت بشكل عام كالذي يحدث نتيجة القرع والقلع كما أكد على ذلك ابن سينا دونما شرح أو تفسير [3].

والصوت اللغوي (Phone Linguistique) فالنوع الأول من الأصوات لا يهمنا في الدراسات اللغوية ،وموجود بأنواع شتى في المجال الطبيعي ،لكن النوع الثاني فهو قطب الرحى في الدراسات اللغوية ،ولكي يكون الصوت « لغوياً بالمعنى العام فإن الأصوات الصادرة عن الجهاز النطقي يجب أن تكون ذات معنى وتنقل رسالة محددة من عقل إنسان إلى آخر» [4]

لقد دأب الأصواتيون إلى تقسيم علم الأصوات إلى جانبين : علم الأصوات العام أو الفونتيك (Phonétique) الذي يتناول بالدراسة الأصوات اللغوية بمعزل عن الوظائف اللغوية التي تؤديها هذه الأصوات ،ويعتبر علما قديما بالموازا ة مع علم الأصوات الوظيفي أو الفونولوجيا

---

1 –ابن جني "الخصائص " ،ص

2 –مكي درار " المجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية " ،دار الأديب للنشر والتوزيع ،ط2 ،2006 ،ص02.

3 –ينظر:محمد الصالح الضالع " علوم الصوتيات عند ابن سينا " ،دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ،القاهرة ، 2002.،ص 33.

4 – ماريو باي " أسس علم اللغة" ، تر د. أحمد مختار عمر ، ليبيا ، منشورات جامعة طرابلس كلية التربية ، 1973، ص38

(Phonologie)،وهنا وجب ان نشير إلى مدى التداخل والاضطراب الذي تعرفه الصوتيات في التعامل مع هذين المصطلحين ترجمة وتعريبا .،فالصوت باعتباره ظاهرة قابلة للملاحظة بجانبيها الفيزيائي والفيزيولوجي ،فان علم الأصوات يدرس الصوت «الإنساني بصورة عامة ،باعتباره مادة حية ذات تأثير سمعي ،إن هذه الدراسة لا تشم ل بطبيعتها النظر في الوظيفة الصوتية ولا القوانين التي تحكـــم بنيتها ،وإنما تنصب على الكيفية التباينـــية لطبيعة النتاج الصـــوتي وانتقـــالاته ومن ثـــــم استقباله » [1] ومن اهتمامات هذا العلم –يقول الدكتور أحمد حساني -:

1-وصف جهاز النطق الإنساني وصفا تشريحيا .

2-البحث في الصوت من حيث جهاز الاستقبال ،فتتلقى الأذن الصوت ،ويتم تحويله عبر الأعصاب الناقلة إلى الدماغ .

3-وصف النشاط العصبي والعضلي في إنتاج واستقبال الأصوات .

4-تحديد مخارج الأصوات،وضبط عملها في التجويف الصوتي. [2]

إذاً من أبرز الاهتمامات التي يوليها علم الأصوات عناية بالغة ،ويتناولها بالدرس والتحليل ثلاث مسائل أساسية وهي : الإنتاج والانتقال والاستقبال . فالمرحلتين الأولى والأخيرة فيزيولوجيتان ،أما المتوسطة فهي فيزيائية بحتة،ويمكن تفصيل ذلك :

أ-إحداث المتكلم للصوت ،وهذا الفرع يسمى الدراسة الصوتية الفيزيولوجية أو النطقية (Phonétique Articulatoire).

ب-انتقال الصوت في الهواء ،ودراسة الموجات الصوتية ( Ondes)،وتعرف هذه الدراسة بالفيزيائية أو الأكوستيكية (PHY-Acoustique ).

ج-استقبال الأذن للصوت ،وتعرف هذه الدراسة بالدراسة الصوتية السمعية ( PHON-Auditive)، وهذا النوع الأخير هو أحدث فروع علم الأصوات على الإطلاق .وهو ذو جانبين ،جانب عضوي أو فيزيولوجي وجانب نفسي.

من المؤكد ان الطبيعة ميزت الإنسان مجموعة من الأعضاء تشترك بدور مباشر في إنتاج الأصوات اللغوية ،ويمكن تسمية هذه الأعضاء بأعضا ء النطق( Organes de la Parole)أو

---

1 – عبد القادر عبد الجليل "الأصوات اللغوية "كلية العلوم والآداب ،الجامعة الهاشمية ،الأردن 1998،ص21.

2 –ينظر :احمد حساني " مباحث في اللسانيات " ، ص71.

جوارح النطق كما سماها فقهاء العربية قديما ،إذ أن عملية الكلام لا تحدث اعتباطا ولاشعوريا ،وإنما تخضع لنشاط يقوم به عدد« من الأعضاء يشمل الرئتين والحجاب الحاجز ،القفص الصدري

،والقصبة الهوائية والممر الأنفي ،والممـــــــــر الفموي ،بما فيه من أعضاء :اللهاة وسقف الحنك الرخو ،وسقف الحنك الصلب ،واللثة والأسنان والشفتان.» (1)

إن الدراسة الفيزيولوجية أو النطقية تعد من أهم المسائل التي توليها الصوتيات اهتماما بالغا وتتناولها بالشرح والتحليل ،وذلك من خلال ملاحظة الطفل ،وهو يبدأ في التعامل مع الأصوات اللغوية إنتاجا ونطقا لغرض التواصل مع غيره من أفراد مجتمعه ،وخاصة الأم لما لها من تأثير مباشر على تعليمية الصوت اللغوي للطفل في سن مبكرة جدا لما ذكرناه من أسباب فيما سبق فالاكتساب اللغوي مرتبط بالأم،فهي التي « تناغي طفلها وتدربه على الأصوات اللغوية ،حتى يستوي لسانه ،وتستقيم مخارج حروفه على الوجه الصحيح الذي تعارف عليه المحيط .» (2) ،بل تعد الأم النموذج اللساني الذي يقتدي به الطفل ،فيحاول ان يقترب منه اكثر فاكثر ،دون ان ننسى في خضم ذلك وهذا التفاعل اللغوي بينهما ان ذلك يبدو غير كاف ان لم نعزز هذه القدرات العقلية وتشجيعها .إذن التعزيز (Renforcement) مطلوب ومرغوب .

**الأصوات اللغوية :**

إن من صلب الاهتمامات لعلم الصوتيات في الوقت الحاضر دراسة الأصوات اللغوية بشقيها الرئيسيين ،وهما : الصوامت ( Consonnes) ،والصوائت (Voyelles)،ومرد هذا التقسيم هو الطبيعة الصوتية لكل من الشقين :

1-**الأصوات الصائتة** (Voyelles): وهي التي عند النطق بها يندفع « الهواء من الرئتين مارا بالحنجرة ،ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم في ممر ليس فيه حوائل تعترضه فتضيق مجراه (...) فالصفة التي تختص بها أصوات اللين هي كيفـــية مرور الهواء في الحلق والفـــم وخلو مجراه من حوائل وموانع »[3]. والملاحظ تعدد المفاهيم التي طالت الصوت الصائت كالمصوتات،والطليقات

1 - عبد الرحمن أيوب "الكلام إنتاجه وتحليله " مطبوعات جامعة الكويت ،ط1،1984،ص21.
2 -حنفي بن عيسى ،المرجع المذكور سابقا ،ص 127.
3 - إبراهيم أنيس " الأصوات اللغوية " ،مكتبة الانجلو المصرية ،ط4 ،1971 ،ص 26.

والعلامات الإعرابية(Désinences)التي هي الفتحة(a) أو الضمة(o )أو الكسرة (i ) ،ونظائر ذلك نتيجة إشباع صامت قبله (الألف ،الياء ،والواو)في اللسان العربي ،أو المميزات الوظيفية في المصطلح اللساني العربي.

من هذا المنطلق فان العملية الكلامية تتم في شكلها الأساسي عن طريق التحكم في هواء الزفير الصاعد من الرئتين ،وتختلف العملية الكلامية عن التنفس العادي في أن الثاني يتم في صورة صامتة في العادة لتحرك تيار الهواء دون عوائق –أما العملية النطقية فلا يمر الهواء معها حرا طليقا-كما يحدث في عملية التنفس –وإنما يصادف الهواء في اندفاعه إلى الخارج عدة عوائق ومكبحات تولد أصواتا فعملية «التصويت (أي العملية الكلامية )أشبه ما تكون بعملية انبعاث الأنغام عن آلة موسيقية ذات أوتار مهتزة ،فالصدر والرئتان يقومان مقام المنفاخ ،والقصبة الهوائية تقوم مقام قناة الهواء والحنجرة منطقة يتحول فيها الهواء الخارج من الرئتين إلى صوت يدعى الصوت المزماري ،فإذا وصل هذا الصوت إلي الأقسام العليا من أنبوب الهواء (البلعوم والحفرتان الأنفيتان والفم) فانه يتحول إلى نغمات تتخذ شكل الحروف ،وهذه الحروف التي كانت بالأصل مجرد أصـــــوات فيزيائية تنتظم فيما بينها لتؤلف كلمات» [1].إذن فالصوت الإنساني ذبذبة تنشأ عن اندفاع الهواء من الرئتين –كما ذكر حنفي بن عيسى – نحو الخارج ملامسا وتري الحنجرة ،والحلق ،واللسان ،والشفتين ،وهو المادة الوحيدة التي تتكون منها اللغات البشرية على اختلافها ،بعد تآلف الذبذبات في صور شتى ،وابسط أنواع التآلف بين هذه الذبذبات هي المقاطع ،التي يتكون كل مقطع منها من صوتين : صوت ساكن ،وصوت لين فلا يكاد يوجد في لغة من اللغات صوت بسيط مستقل ،وإنما يوجد مع غيره في صورة مقطع بسيط مكون من ذينك الصوتين . [2]
لكن الإشكالية التي تطرح دائما عل بساط البحث حينما تناول الأصوات اللغوية أيهما أسبق ظهورا الصامت أم الصائت ؟وتلك مسالة صوتية بحتة أسالت الكثير من الحبر ،ونحن في غنى عن ذلك على الأقل في ثنايا هذا البحث ،وان كنا نعتقد بنظرية الملازمة بينهما «إن حديث الحرف لم ينفصل عن الصوت منذ أن تحدث الناس عن الحرف ونطقوا به ،فالحرف ليس إلا صورة ذهنية

---

1 –حنفي بن عيسى ،المرجع المذكور سابقا ،ص 117.

2 – ينظر :مكي درار ،المرجع المذكور سابقا ،ص65 ،ونقلا عن :مهدي المخزومي " مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو " ،ص 166.

للصوت المنطوق المسموع وتحويل الصورة السمعية إلى صورة بصرية هي عملية تقريبية ،ومن ثم فالصوت سابق للحرف في الزمان والتحقيق » [1]

وحتى نتأكد من هذا المنحى ،سنعود قليلا إلى الإرهاصات الأولية لنشأة علم النحـــــو العربي ،لان منطلقه كان صوتيا ،ودائما نعود ،كما يعود إليه اغلب الباحثين للتأكيد على الجانب الصـــــــوتي والملازمة بين الصوت والحرف ،والقصة المشهورة لأبي الأسود الدؤلي (69ه)، مع كاتبه في قوله :« إذا رأيتني فتحت فمي بالحرف فأنقط نقطة على أعلاه، وإذا ضممت فمي، فأنقط نقطة بين يدي الحرف، وإذا كسرت فمي فاجعل النقطة تحت الحرف، فإن اتبعت شيئاً من ذلك غنة فاجعل النقطة نقطتين» [2]

إن القراءة المتأنية لنص أبي الأسود السابق ذكره يؤكد مما لا يدع منفذا للشك انه لاحظ أثر الشفتين في نوعية الصوت الصائت (Voyelle)،فحين سمى الحركات القصيرة فتحة وضمة وكسرة اعتمد على شكل الشفتين ووضعيهما عند النطق من حيث القرب بينهما استدارة ، فضلا عن موقع اللسان انتصابا وانجرارا، وفي هذا إشارة إلى ميزة متفردة تخص المميزات الوظيفية في اللسان العربي التي لا غنى له عنها « لقد تبنى النحويون هذه المصطلحات التي ابتدعها أبو الأسود الدؤلي مثلما تعاطاها العروضيون ،قال أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش (215هـــ)" ليس من حروف العـــرب ولا غيره ا شيء يخلو من أن يكون مضـــموما أو مكسورا أو مفتوحا أو موقـــوفا " » [3] .وإن الذي يسند هذا الرأي المتمثل في ملازمة الصوت للحرف والعكس صحيح رأي جورج مونان (G-Mounin) نقلا عن أرسطو(Aristote)في شعرياته( Poétique) أن الحرف عبـــــارة عن صوت غير قابل للتقسيم... * [4]

وهناك حالتان أساسيتان لتصنيف الصوائت هي :

---

1 - مكي درار "الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية في كتاب سيبويه "خلفيات وامتداد " اتحاد الكتاب العرب ،دمشق 2007 ،ص46

2 - مكي درار "الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية في كتاب سيبويه "خلفيات وامتداد " ،ص40. نقلا عن ابن النديم "الفهرست ".ص40

3 - عبد الجليل مرتاض "في رحاب اللغة العربية "،ديوان المطبوعات الجامعية 2004،ص6-7

la lettre est un son indivisible*

4 - Georges Mounin " Clefs pour la linguistique " P 53

1-وضع اللسان داخل الفم 2-شكل الشفتين.

*فإذا ارتفع الجزء الأمامي من اللسان نحو مقدمة الحنك ،أو هبط نحو قاع الفم تحدث الصوائت الأمامية (Antérieurs)

*وإذا تجمع اللسان في مؤخرة الحنك تحدث الصوائت الخلفية(Postérieures)

*وإذا شغل اللسان مترلة بين المترلتين السابقتين تحدث الصوائت المتوسطة ( Médianes) أو المركزية(Centrales)

*وإذا قامت الشفتان بحركة مستديرة تحدث الصوائت المستديرة(Arrondies)

*وإذا اتخذت شكل انفتاح أفقي تحدث الصوائت المنفرجة(Etirées). [1]

ولعل هذا هو أساس التقسيم الذي اعتمده اللغويون لتصنيف الأصوات إلى هذين القسمين حيث ينبني على طبيعة الأصوات وخواصها بتركيز الاهتمام على:أوضاع الأوتار الصوتية ،وطريقة مرور الهواء من الحلق والفم أو الأنف ،إضافة إلى خاصية ثالثة تتمثل في أوضاع الشفاة وأشـــــكالها المختلفة ،وإن كان يعدها بعض اللغويين في مجال التفريق بين أنوا ع الحركات لا بينها وبين الأصوات الصامتة.

**2-الأصوات الصامتة** (Consonnes) :

إن هذه النوع من الأصوات قد يكون مجهورا كما قد يكون مهموسا،والصوت الصامت هو «الذي يحدث في نطقه أن يعترض مجرى الهواء اعتراضا كاملا كما في حالة البناء أو اعتراضا جزئيا من شانه أن يمنع الهواء من أن ينطلق من الفم دون احتكاك مسموع كما في حالة الثاء والفاء مثلا» [2]

تتميز الأصوات الصامتة بكيفية النطق بها ،إذ تعترض الهواء حواجز عضوية أثناء مروره عبر الممر الصوتي .والصوامت العربية هي:"همزة القطع-ب-ت-ث-ج-ح-خ-د-ذ-ر-ز-س-ش-ص-ض-ط-ظ-ع-غ-ف-ق-ك-ل-م-ن-ه-و-ي-" ويمكن لنا ان ندرس الأصوات الصامتة من الجوانب التالية :

---

1 - أحمد حساني"مباحث في اللسانيات"،ص:76-77.

2 - محمود السعران"علم اللغة ،مقدمة للقارئ العربي"،ص:139

1-نتفحص مكان النطق ونلاحظ عمل أعضاء جهاز النطق وكيفية إنتاج الصوت ،وهذه الأمور تتعلق بالمخرج الصوتي (Point d'.articulation).

2-نتفحص العائق العضوي ،من حيث درجة انفتاح المجرى الصوتي او اقفاله ( Degré d'.aperture).

3

3-معاينة الأحداث الخاصة التي ترافق اجتياز العائق العضوي ،ومعرفة كيفية التلفظ بالأصوات الصامتة (Mode d'.articulation)

4-قياس المدة الزمنية التي يستغرقها النطق بالصوت الصامت .

5-معاينة بعض الفراغات الرنانة المساعدة في عملية النطق بالأصوات الصامتة ( Résonance accessories).[1]

و من خلال كل ما سبق بالنسبة لنوعي الأصوات ، يمكن استنتاج ما يلي :

1-الحركات(الصوائت)كلها مجهورة في الكلام العادي ،أما الأصوات الصامتة (الصوائت)منها ما هو مجهور والأخر مهموس.

2-الصوت المجهور إن المهموس الذي يحدث أثناء النطق به اعتراض أو عائق تام في مجرى الهواء فهو صوت صامت مثل:الباء والدال واللام.

3-الصوت المجهور أو المهموس الذي يحدث إثناء النطق به اعتراض جزئي في مجرى هوائه محدثا احتكاكا من أي نوع يعد صوتا صامتا مثل:السين والشين والصاد.

4-كل صوت لا يمر الهواء حال النطق به (مهموسا أو مجهورا)يعد صوتا صامتا مثل :الميم والنون (لان الهواء في هذه الحالة يمر من الأنف بدل الفم)

5-كل صوت ينحرف هواؤه فلا يخرج من وسط الفم و إنما يخرج من جانبيه أو أحدهما صوت صامت مثل:اللام.

-و أما الهمزة التي اختلف في تحديد نوعها الكثير من اللغويين فهي:صوت صامت كذلك وليست من الحركات في شـــيء لأنه يحدث في نطقها أن يقابل الهواء باعتـــراض تام في الحنجرة.[2]

---

1 -ينظر أحمد حساني "مباحث في اللسانيات " نص 77-78.

2 - ينظر كمال بشر "علم اللغة-الأصوات"،ص:94

إن الفرق واضح بيّن بين اللغة البشرية والإشارات الحيوانية ،لما بيناه من أسباب وميزات فارقة بينهما ،إلا ان المهم من كل ذلك ان الإنسان مميز بالعقل واستعمال تلك القدرات العقلية الكامنة في مختلف السياقات والأحوال ،وما يعلل ذلك السرعة التي يتعامل بها الطفل مع هذا النظام العجيب ،فلا تمر إلا فترة وجيزة حتى يبدأ الطفل يتعاطى اللغة ،ويرتقي نظامه اللغوي في السنوات الثلاث الأولى من العمر ،وهذا بفضل العمل العجيب للمخ البشري و مجموع الخلايا العصبية ،لأن المخ –كما أصبح معروفا في العلم الحديث –يعتبر « أساس العمليات المعرفية ،وكل العمليات

السيكولوجية الأخرى ،والسلوك من قبيل التخاطب مع الآخرين ،أو الإدراك أو التذكر أو التفكير ،ويتم كله من خلال الوظيفة المركبة مكتملة التنظيم التي يقوم بها اثنا عشر بليونا من الخلايا العصبية التي تشكل في مجموعها ما يسمى المخ البشري.» [1] .فضلا عن ذلك فالإنسان مزود بالمركز الحركي الكلامي ،ويشير بعض الدارسين ان هذا الجزء مسئول عن اللغة ،وهو ما يطلق عليه اسم (منطقة بروكا Broca)،وهو جراح فرنسي .فقد اكتشف هذا الجراح ان « ان ملكة الكلام( faculté de parler) قد تم تحديدها في الطبقة الأمامية اليسرى الثالثة من الدماغ (Troisième circonvolution frontale gauche) ،ولكننا نعلم ان تحديد هذا المكان قد أصبح معلوما للجميع وما يتصل به من الكلام بالإضافة إلى الكتابة ... » [2] .

إن العملية التلفظية أو عملية الإنتاج الغوي في مرحلته الأولى من قبل المتكلم تستدعي بالضرورة التوافق التام بين جميع المراكز الحسية نلان التلفظ في حد ذاته عملية مركبة ترتكز على عاملين اثنين وهما : أ–العامل الحركي (Motrice) ،ب–العامل الحسي ( Sensationnel) ،وذلك بالترابط التام بين وسائل الاستقبال (M - Réception) والمراكز الحسية والحركة في اللحاء .ويحدث ذلك على النحو التالي [3] :

1 -إدراك حسي سمعي(S -auditive )( يسمع الطفل أصواته التي يتلفظ بها وفي ذلك تقليد ذاتي )

---

1 - جمعة سيد يوسف " المرجع المذكور سابقا ،ص 165.

2 - F.DE SAUSSURE " C.L .G " P 27

3 - ينظر أحمد حساني " دراسات في اللسانيات التطبيقية –حقل تعليمية اللغات - ،ص102.،وبتصرف

2 -إدراك حسي سمعي( S –auditive) ( يسمع الطفل الأصوات التي يتلفظ بها غيره ،وفي ذلك تقليد للغير )

3 -إدراك حسي بصري(S -visuelle) ( ربط الأصوات المنطوقة بصورة الشيء نفسه ،مثلا كلمة /بابا/يربطها بالأب )

4 -إدراك حسي لمسي (يتلفظ الطفل بكلمة ويلمس الشيء الذي تشير إليه تلك الكلمة ).[1] يبدو ان التضافر بين هذه المدركات السابقة تمكن الطفل من إدراك بعض المفاهيم

الدلالية حول عناصر لسانية معينة حتى ولو كانت بسيطة ،ويمثل ذلك خطوة في مسيرة لغوية طويلة . الملاحظ من خلال ما تقدم ان ظاهرة التقليد التي يتبناها الطفل في أول سنواته اللغوية تمكنه من إدراك خصوصية الأصوات ومقارنتها ،مثلا يستطيع ان يدرك صوت الأم من بين عشرات الأصوات مجتمعة ،فهو الصوت الأقرب إليه حيا وجنينا (Embryon)

إن نمو المكون الفونولوجي لدى الطفل يساعده عل نطق أول الأصوات الشفوية كـــــ" (الباء،والميم) ،وهما من المخرج الشفوي (Labial)، وقد أقر الكثير من الدارسين إلى مرجع ذلك يعود إلى عامل عضوي ،بحيث أثناء العملية التلفظية بهذه الأصوات ،تلتقي الشفتان السفلى والعليا التقاء محكما لإنتاج هذين الصوتين ،وهما من أوائل الأصوات التي يستطيع الطفل النطق بها ،وعللوا ذلك بأن « الطفل يرى حركة الشفتين حين يسمع هذه الأصوات من أمه وأبيه »[2] فإذا سلمنا فرضا ان هذه الأصوات أي الشفوية هي أول الأصوات التي يستطيع الطفل النطق بها في حياته وفي مسار تعامله مع اللغة ،ومرد ذلك –كما رأينا –إلى التقليد الذي يمارسه الطفل للوالدين ومن خلال حركة شفتيهما ،لكن يمكن كذلك للطفل الأعمى مثلا ان ينطق بمثل هذه الأصوات رغم انه لم ير من قبل الوالدين وهما ينطقان هذه الأصوات .

1 –احمد حساني ،المرجع نفسه ،ص 103.ونقلا عن مصطفى فهمي " سيكولوجية الطفولة والمراهقة " ،ص 52.بتصرف

2 – إبراهيم أنيس " الأصوات اللغوية " ،ص 217.

في الحقيقة هناك تفسير آخر يبدو أكثر منطقية وعلمية من الرأي الأول ،وهو أن العضلات التي تشرف على نطق هذه الأصوات الشفوية قد تمرنت من قبل فأصبحت جاهزة أكثر من الأعضاء الأخرى ،وذلك لتعودها أي الشفتين على عملية الرضاعة وامتصاص الحليب . [1]

يبدأ الطفل شيئا فشيئا التحرر من تقليد والديه ،حيث يتوالى اكتساب الطفل للصوامت كالدال والتاء وهما صوتان من المخرج الأسناني اللثوي (Apicale Alvéolaire) ،ثم صوت الفاء وهو أسناني شفوي (Labio dentale)،لكن الكثير من الأطفال في هذه المرحلة يبدلون الكاف تاء لان الصوتين يتحدان في صفتي الهمس والشدة ،ولا فرق بينهما إلا في المخرج ،فانتقال المخرج من أقصى الحنك إلى أدناه يبرر هذا الإبدال ( Substitution) ،فينطق الطفل مثلا (كلب —تلب ) .ومن الأصوات الصعبة على الطفل من حيث النطق (الراء،الذال ،الثاء) .فأحيانا نسمعه منهم "واوا" ونجده أحيانا "لاما" فيقول الطفل في (ورق—ولق) .ولاشك ان

الواو واللام أسهل من الراء نطقا ،لأنهما لا يحتاجان الى جهد عضلي كبير .وكثير من الأطفال يقلبون الشين "سينا" فيقولون مثلا في ( شمس —سمس ) [2]

مما هو في عداد المؤكدات أن اللغة الإنسانية هي رابط وثيق بين الطفل وما حوله ،وهي الأداة المثلى التي يتم بواسطتها هذا الاحتكاك إلا أنها لا تكتسب بصورة تلقائية ،وليست هبة يضيفها الإنسان إلى ما يملكه بدون عناء ومشقة ونصب .ان كان كذلك فلامناص من بذل جهد جهيد من اجل النطق والتمرس عليه ،وتعلم التكلم ،وربما بتصحيح الأخطاء أو عدم معاودة المحاولة الفاشلة أو الخاطئة ،وهذا مرتبط بالتفاعل بين الطفل والأولياء من نموه اللغوي ، فقد أكدت الحقائق العلمية ان النضج الفيزيولوجي عامل أساسي للنمو اللغوي ،لان الأطفال بجميع فئاتهم يجتازون المراحل نفسها من النمو اللغوي بغض النظر إلى نوع اللغة والظروف الثقافية التي يعيش فيها الطفل .ان النمو الحركي قد يكون موازيا لسلسلة من العمليات العقلية التي تنم عن تطور لغوي ،بحسب الجدول التالي [3] :

1 - ينظر مصطفى فهمي ،المرجع المذكور سابقا ،ص 53.

2 -إبراهيم أنيس ،المرجع السابق الذكر ،ص 220-221.

3 - جمعة سيد يوسف ،المرجع المذكور سابقا ،ص 161.

| السن | الارتقاء الحركي | الارتقاء اللغوي |
|---|---|---|
| 12 أسبوعا | يرفع رأسه عندما يكون منبطحا على وجهه | يبتسم لمن يتحدث إليه ويخرج أصوات مناغاة |
| 16 أسبوعا | يلعب بالشخشيخة عندما توضع في يده | يدير رأسه استجابة للأصوات البشرية |
| 20اسبوعا | يجلس مستندا | يخرج أصوات مناغاة تشبه الحروف المتحركة والحروف الساكنة |
| 6شهور | يمد يده ليقبض على الأشياء | تتحول المناغاة إلى لعب كلامي يشبه الأصوات ذات المقطع الواحد . |
| 8 شهور | يقف مستندا يلتقط الفتات بالسبابة والإبهام | زيادة في تكرا مقاطع معينة. |
| 10 شهور | يحبو ،يرفع نفسه للوقوف ،يسير بعض الخطى الجانبية وهو مستند إلى شيء ما . | يبدو كأنه يميز بين الكثير من كلمات الراشدين المختلفة عن طريق الاستجابات المتمايزة. |
| 12 شهرا | يمشي عندما يمسكه احد من يد واحدة ،يجلس نفسه على الأرض | يفهم بعض الكلمات وينطق (ماما —بابا —دادا ). |
| 18 شهرا | يمكنه ان يقبض ويمسك بالأشياء ويعيدها بدرجة جيد ة ،يحبو نزولا عن الدرج بالخلف . | له حصيلة لغوية ما بين 3و50كلمة ينطقها مفردة. |
| 24 شهرا | يجري ويمشي ويتسلق الدرج صعودا ونزولا . | تزداد حصيلته اللغوية إلى أكثر من 50 كلمة ،ويستعمل |

| | | |
|---|---|---|
| | | عبارة من كلمتين. |
| 30شهرا | يقف على قدم واحدة لمدة ثانيتين ويمشي بعض الخطى على أطراف أصابعه. | زيادة هائلة في المفردات المنطوقة والكثير من الجمل التي تحتوي على 3-5 كلمات. |
| 3سنوات | يمشي 3 ياردات على أطراف أصابعه ويقود الدراجة ذات الثلاث عجلات. | يبلغ عدد المفردات حوالي 1000كلمة ينطقها بوضوح تام. |
| 4سنوات | القفز على الحبل ،الحجل برجل واحدة | تبدو اللغة وقد اكتمل لها الاستقرار. |

ومن هنا فالأسرة بكاملها خاصة الوالدين في ترقب مستمر وفي أمس الحاجة لأولى الفونيمات التي ينطق بها الطفل ،باعتبارها معلما على السلوك السوي ،وسلامة لجهازه الصوتي من العيوب أو الأمراض اللغوية .ويمكن ان نحدد المراحل-بشكل مختصر - التي يكتسب فيها الطفل اللغة في مرحلتين ،وهما :

**مراحل الاكتساب اللغوي لدى الطفل :**

**أ-المرحلة القبلغوية** (Stage Pré linguistique):

**1-طور الصراخ** (Cri /Hurlement crying): إن الصرخات الأولى التي يصدرها المولود وهو مقبل على الدنيا قد أدهشت العلماء والنفسانيين والفلاسفة واللسانيين ،بل لم يستطيعوا ان يجدوا لها جوابا ،وتفسيرا علميا مقنعا ،ومن هنا فتح مجال الاحتمالات .فقد تكون الصرخة احتجاجا من قبل الطفل على هذا العالم ،ولكن السبب المنطقي لهذه الصرخة الأولى بعد الميلاد مباشرة هي تشبث الطفل بالحياة ،وأيضا من اجل « تزويد الدم بالأوكسجين ،كما يكون سبب الصراخ التعبير عن الألم ،ووفق ذلك يؤدي الصراخ حاجات بيولوجية ،أو قد يعبر عن ألم يشعر به الطفل ،أو تحقيق بعض الوظائف الاجتماعية كالجوع والعطش والتعب أو الألم ...اذ ان الصراخ

إشارة من الطفل لانتباه الآخرين » [1] .لكن هل يمكن التمييز بين أنواع شتى من الصرخات ،فنقول هذه صرخة تعبر عن الجوع ،وتلك تعبر عن العطش ...الخ من الصرخات الكثيرة والتي قد تكون متواصلة لساعات في بعض الأحيان ؟.ويكاد يكون من المؤكد ان « الصرخات الصادرة عن الأطفال غير مميزة بعضها عن بعض ،إذ لا يوجد صراخ خاص للجوع ،وصراخ آخر للتألم ...الخ ولقد تجد من الآباء من يعتقد بأنه يستطيع –من مجرد سماعه للصراخ–ان يميز فيما إذا كان الصراخ تعبيرا عن الجوع أو الألم أو الانزعاج ...ولقد يصدق حكمهم أحيانا ،وذلك من قبيل الاستنتاج لا الفهم ...لهذا يمكننا القول بان الصراخ من الأفعال المنعكسة غير الإرادية.» [2] .

المؤكد مما سبق أن الصراخ هو أول صوت يخرجه الطفل بعد الولادة مباشرة ،دلالة على الحالة السوية للطفل ،وانه بدأ يتنفس وهو حينئذ لا يعبر عن حالة انفعالية كما قد يتوهم البعض ،لأن الصراخ علامة سيميولوجية على الصحة والمعافاة ،وكثيرا من الأطفال لا يصرخون بعد الولادة ،وذلك مؤشر على الحالة غير الطبيعية للطفل كما يؤكد ذلك الكثير من الأطباء في اختصاص أمراض النساء والتوليد (les gynécologues) .ويذهب الباحثون في علم النفس إلى ان الصراخ يكون على« نوعين :أ–الصراخ النفسي : يكون فيه صراخ الطفل سريعا جدا عند الولادة ،ويكون بنسبة 60 صرخة في الدقيقة ،ويرجع هذا إلى سرعة التنفس عند الطفل ثم تقل إلى 40 صرخة في الدقيقة . ب– الصراخ والراحة : ويعبر به الطفل الراحة الجسدية والنفسية والفيزيولوجية ،ومصدر هذا الصراخ الحنجرة .» [3] .في الحقيقة أن هذه الصرخة الأولى التي يستقبل بها الطفل الحياة تعبر– بعيدا عن التفسيرات اللاواعية –عن سلامة الجانبين الفيزيولوجي و اللغوي عند الطفل ،لان الصراخ هو عبارة عن كمية من الهواء المندفعة من الحنجرة الى الرئتين ،وما يتخلل ذلك من اهتزاز الوترين الصوتيين (les cordes vocales،)فالجانب التنفسي مما سبق يزود الدم بالقدر الكافي من الأوكسجين .وقد يتخذ الطفل من الصراخ سلاحا للتسلية ،خاصة إذا ما رأى الطفل انه في

1 – كمال الدسوقي " النمو التربوي للطفل والمراهق دروس في علم النفس الارتقائي " ،دار النهضة العربية ،بيروت لبنان ،1979 ،ص 447–448.

2 – حنفي بن عيسى ،المرجع المذكور سابقا ،ص 130

3 – نبيل عبد الهادي وآخران " تطور اللغة عند الأطفال " ،ص 122.

كل مرة يصرخ ،فيبادر الأهل إلى الوقوف إلى جانبه ،وربما حمله على الذراع مع هشهشته .فلم يرد الصبي من الصراخ في أول الأمر « التعبير عما يشعر به ،ولكننا نسارع عادة إلى الطفل حين يصرخ رغبة منا في عونه ومساعدته .فلا يلبث الطفل ان يربط عملية الصراخ بما يقدم إليه أهله من وسائل الترفيه عنه ،ويتخذ هذا الصراخ سلاحا يسله كلما شاء إحدى تلك الوسائل .فالصراخ الذي لم يكن في أول الأمر إلا نشاطا عضليا ،قد يصبح بعد قليل من الزمن عملا إراديا عند الأطفال ،يستغله الطفل دون رحمة لمن يقضون الليل ،وهو فوق أذرعتهم يغنون له الأغاني أو يؤرجحونه فوق الأيدي مفضلا كل هذا على النوم في سريره هادئا مطمئنا .» [1].وفي هذه الحالة من الأفضل والأجدر بالنسبة للوالدين أو من يقومون بتربية الطفل ان يتركوه يتمادى في

بكائه لان في ذلك تمرن لعضلات نطق الأصوات ،ولكن شريطة التأكد ان الطفل في كامل صحته وانه قد نال قسطه من الراحة والغذاء . [(2)]

## 2-طور المناغاة (Babillage ;lallation):

في حقيقة الأمر يكون الصراخ فعلا لاشعوريا ،ولا إراديا ،ومن الصعب في بداية الأمر التمييز ان كان إراديا لغرض التسلية كما أوضحنا ،أو سلوكا لا إراديا ،ثم تلي هذه المرحلة العشوائية(الصراخ) مرحلة أرقى ،وهي المناغاة ،وليس المقصود منها ان الطفل يريد ان يعقد اتصالا مع الوالدين خاصة ،بل لغرض اللعب والله و ليس إلا .إذ ان هذه الأشكال « الصوتية العشوائية تكون في حد ذاتها المادة الخام التي سيعتمدها الطفل في إحداث الأصوات اللغوية فيما بعد.» [(3)] . الواضح ان هذه الأشكال الصوتية التي ينطقها الطفل من حين لآخر هي تعبيرات إرادية تختلف عن الصراخ ،فالطفل يتلفظ ببعض المقاطع الصوتية وغالبا ما تكون مكررة للعبث واللهو كما ذكرنا ،لذا تراه منهمكا في المناغاة لفترات طويلة مقارنة مع الطور الأول إذا كان هادئا مطمئنا ،فضلا عن تدريب جهازه النطقي على التلفظ بالأصوات والمقاطع .و«الذي يعجب الطفل في هذه

---

1 – إبراهيم أنيس ،المرجع المذكور سابقا ،ص 216.

2 -ينظر المرجع نفسه ،ص 216.

3 -احمد حساني " دراسات في اللسانيات التطبيقية –حقل تعليمية اللغات – ،ص107.

المناغاة ،هو هذا الاتصال الصوتي والأثر السمعي ...فهذا الاتصال بين الصوت وبين الســــمع واضح إلى درجة نجد فيها الوليد الصـــــم الذي يصرخ ،لاينا غي أبدا .» [1] .ومن مظاهر المناغاة لدى الطفل قدرته على نطق الأصوات الصائتة المسبوقة بالصامت كما في (با–نا– لا–ما) رغم الفرق الواضح بين هذا النطق ونطق الراشد ،لان فم الطفل لازال بحاجة إلى النمو ،فطول شدقه حين « يولد حوالي 45 مليمترا ،ثم تزيد نسبة الطول إلى 60مليمترا في الشهر الثالث ،والى 75مليمترا في آخر العام الأول ،ثم ينمو بعد ذلك طول الشدق نموا بطيئا جدا ،لان طول الشدق عند الطفل في سن الخامسة هو نفس الطول عند الكبار لأنه في الرجال حوالي 99مليمترا وفي النساء حوالي 90 مليمترا.» [2] .ومن النتائج التي يمكن الاستعانة بها في دراسة هذه الظاهرة الصوتية أو الشكل النطقي ،الملاحظات التي أبداها علماء النفس التجريبي ،ومن خلال ملاحظاتهم

للنتاج اللغوي وتطوره عند الطفل .ومن ذلك اعتماد الطفل بشكل ملفت للانتباه على الأصوات الصائتة ،وهذا ما سبقت الإشارة إليه .فإذا أصغى الإنسان إلى « الطفل وهو يناغي ،فانه سيلاحظ ان الأصوات التي يصدرها تتغير وتتلون وتتمايز .ومن ذلك ان الحروف الصائتة ( Voyelles ) أكثر عددا في مناغاة الطفل من الحروف الصامتة (Consonnes) وأول ما يتلفظ به من الحروف الصائتة هي التي يكون مخرجها في تجويف الفم الأمامي ( Cavite Buccale).أما التي مخـــــرجها تجويف الفم الخلفي فإنها تتأخر عنها في الظهور ...» [3] .لكن السؤال الذي يظل مطروحا هو ،ما هي المدة الزمنية التي يظهر فيها هذا الشكل الصوتي ؟لقد أثبتت بعض الدراسات ان الطفل في الشهر الثالث أو الرابع يبدأ تحكمه في الممر الهواء وتوجيه صدى الوتريين الصوتيين ،ثم ابتداء من الشهر السادس تظهر المناغاة بشكل جيد ،ثم تصل الى القمة في الشهر الثامن ،ثم تبدا في التقهقر بالتدريج الى ان تنعدم في مرحلة الكلام في الشهر الخامس عشر .[4]

---

1 –حنفي بن عيسى ،المرجع السابق ،ص 131.،نقلا عن كولان " سيكولوجية الطفل " تر :حافظ الجمالى .دمشق 1956 ،ص 166.

2 –إبراهيم أنيس ،المرجع المذكور سابق ،ص 217.

3 – حنفي بن عيسى ،المرجع السابق ،ص 133

4 –ينظر احمد حساني " " دراسات في اللسانيات التطبيقية –حقل تعليمية اللغات – ،ص107.نقلا عن صالح الشماع " ارتقاء اللغة عند الطفل " ،ص 64.

إذن مصير المناغاة التوقف عند الطفل نهائيا في الشهر الخامس عشر ،بعد مرور هذا الشكل الصوتي بالتقهقر تدريجيا ،ومعنى ذلك —حسب علمنا —ان الطفل بدا يدرك ماهية الأصوات من حوله ،بل صار يعي بشيء من الاهتمام والانتباه كلما سمع الأصوات اللغوية ،ولعل هذا هو السبب الذي جعله يقلع عن المناغاة ويلتفت إلى ناحية ورود الصوت ،وعندما يبلغ الشهر السادس ،كأنني به «يفرق بين الصوت الودود والصوت الناهي المؤنب .وفي الشهر التاسع تعلق بذهنه بعض الكلمات المألوفة التي يسمعها من والديه ،وهي كلمات لا يسمعها على صورتها الأصلية نلان الكبار يتكلفون لهجة خاصة في مخاطبة الرضع نقصد تسهيل عملية النطق عليهم ...مع اختصار المفردات الطويلة،واستعمال صيغ التصغير ،وتحاشي الحروف التي يصعب على الطفل التلفظ بها ،والتعويض عنها بما هو أسهل ...» [1]

من الايجابيات في هذا الباب ان موضوع الاكتساب اللغوي لدى الطفل قد أحيط بزخم هائل من الدراسات التي حاولت ان تؤسس لتطور النظام الصوتي عند الطفل في الشهر الثلاثين من عمره ،ومن بينها الأبحاث النفسية واللسانية على نحو ما قام به العالمان " جاكبسون Jakobson

وعالم النفس " ايروين Irwin"،ولعل أحسن دراسة هي التي اضطلع بها هذا الأخير ،وهي دراسة مستفيضة حول النسب المئوية لظهور الحروف الصائتة والصامتة لدى الأطفال الأمريكيين الرضع .فأحصى عدد الحروف الصائتة ،فوجد انها تبلغ اثني عشر صوتا ،وعلى سبيل المقارنة ،نشير إلى ان لغة الراشدين لا تزيد فيها الحروف الصائتة على ثلاثة ،أو على ستة بتعبير أصح [2] لان ابن جني ذكر ذلك في (باب في مضارعة الحروف للحركات ،والحركات للحروف) حيث قال :« وسبب ذلك ان الحركة حرف صغير ،ألا ترى ان من متقدمي القوم من كان يسمى الضمة الواو الصغيرة ،والكسرة الياء الصغيرة ،والفتحة الألف الصغيرة ،ويؤكد ذلك عندك انك متى أشبعت ومطلت الحركة أنشأت بعدها حرفا من جنسها ...فمما أجرى من الحروف مجرى الحركات الألف والياء والواو ...» [3]

---

1 –حنفي بن عيسى ،المرجع السابق ،ص 133.

2 –ينظر حنفي بن عيسى ،المرجع نفسه ،ص 133-134.

3 –ابن جني "الخصائص " ،ص 318.

أما الحروف الصامتة ،فقد أحصى منها "ايروين " في كلام الرضع ستة وعشرين ،فيكون مجموع الحروف الصائتة والصامتة ثمانية وثلاثين .ومن هنا فان هذه الدراسة يمكن وصفها بالهامة لأنها لا تنطبق على الأمريكيين فحسب ،بل على جميع الأطفال من حيث تعاملهم مع هذه الأصوات الصائتة والصامتة على حد سواء ،ولكن لا يمكننا ان نأخذ بهذه الدراسة على أنها لا تقبل النقاش ،وذلك ان الأطفال لايستوون في إنتاجهم لهذه الأصوات ،بالنظر الى البيئة التي قد تعلمه نطقا مغايرا لنطق صوت في بيئة مغايرة .فالطفل الجزائري مثلا في منطقة تمنراست في الجنوب الجزائري ،لا أظن أنه ينطق صوت (الجيم) مثلا كما ينطقه الطفل في وهران أو الجزائر العاصمة مثلا.وحتى في مناطق مختلفة من بيئة محددة ،فالطفل في الريف —حسب علمي- لا ينطق بنفس الكيفية والكمية الصوتية للصوامت العربية ،ودليلنا ميداني جدا .إذ الطفل القاطن بمنطقة السوقر أو قصر الشلالة ،التابعتان إلى مركز الولاية (تيارت ) ينطق الغين قافا .فيقول في الملفوظ العربي ( غاب الولد عن الامتحان ---قاب الولد عن الامتحان ) والأمثلة كثيرة.ويمكننا القول بعد هذا كله ،ان المناغاة هي الطريق التي يتعلم بها الطفل اللغة ،فعن طريقها يستعذب الطفل إصدار

الأصوات وإدراكها . و من ذلك كله ،يبدو لنا جائزا إجراء مقارنة بسيطة بين الطورين السابق ذكرهما (الصراخ والمناغاة) [1]

| الصراخ | المناغاة |
|---|---|
| 1-الصراخ غير مقطعي ومشترك مع الحيوان. | 1-أصوات مقطعية خاصة بالإنسان. |
| 2-غالبا ما يقترن بانفعالات مؤلمة وغضب. | 2-يقترن في الغالب مع حالات الرضا والراحة. |
| 3-غير إرادي . | 3-يمكن للطفل السيطرة لحد ما على جهازه |
| 4-الصراخ عشوائي ولا يسير حسب إيقاع | الصوتي . |

1 -ينظر :فيصل محمد خير الزراد " اللغة واضطرابات النطق والكلام " ،دار المريخ السعودية ،1990 ، ص50،وينظر نبيل عبد الهادي وآخران ،المرجع المذكور سابقا ،ص 123-124.

| معين.<br>5- محدود النطاق ويسجل بسرعة وسهولة.<br>6-يخدم حاجات عضوية. | 4-المناغاة ذات الحان حسب الحالة الوجدانية للطفل.<br>5-تسجيل المناغاة صعب لحد ما.<br>6-المناغاة قد تخدم حاجات عضوية أو وجدانية |
|---|---|

ومن خلال ما تقدم يمكننا ان نستنتج أهم العناصر التعبيرية لدى الرضع بحسب العمر ،وما يناسب ذلك من سلوكات لغوية [1] .

| **العمر بالأشهر** | **السلوك التعبيري** |
|---|---|
| من 0 إلى 06 | -تبدر منه الأصوات الأولى<br>-يستجيب لصوت إنسان<br>-يناغي<br>- يصوت تعبيرا عن السرور<br>-يتلاعب بصوته |
| من 06 إلى 12. | -يصوت تعبيرا عن نفاذ صبره واستيائه.<br>-يقلد الأصوات.<br>-يصوت تعبيرا عن تعرفه على من وما حوله.<br>-يصغي إلى الكلمات المألوفة.<br>-ينطق بأول كلمة. |
| من 12 إلى 18. | -تصدر عنه أصوات معبرة ومفردات هي من وضعه. |

1 -حنفي بن عيسى ،المرجع السابق ،ص 132.

| | |
|---|---|
| | -يمتثل لأوامر بسيطة .<br>-يقلد المقاطع الصوتية والكلمات.<br>-ينطق بالكلمة الثانية.<br>-يفهم معنى "لا" و"لاتفعل" ويمتثل لذلك. |
| من 18 إلى 24 | -ينطق بأكثر من كلمتين لأول مرة.<br>-يسمّى الشيء أو الصورة باسميهما.<br>-يفهم أسئلة بسيطة.<br>-يركب كلمات.<br>-يستعمل الضمائر لأول مرة. |
| من 24 إلى 30. | -يستعمل الجمل وأشباه الجمل لأول مرة.<br>-يميّز بين الحروف. |

من المؤكد الآن ان شكل المناغاة يعد خطوة رائدة نحو تحول في حياة الطفل اللغوية ،من مجرد العبث واللهو والتسلية بالأصوات كما أشار إلى ذلك الدكتور إبراهيم أنيس إلى طور آخر يحتاج فيه الطفل إلى توظيف كل هذا الكم من الأصوات والرصيد اللغوي ،حتى ولو كان بسيطا ،لكنه لبنة تقوم عليها مراحل أخرى مهمة في حياة هذا الطفل .

3-**طور التقليد** (Imitation) :

بعد تمرن الطفل على إطلاق صراخا ته اللاواعية ،ومناغاته الإرادية لبعض الأصوات السهلة من حيث مخرجها وتداولها .لقد وصل الطفل إلى عتبة أخرى لا تقل أهمية ،خاصة أنها متعلقة بحاسة مهمة أخرى وهي السمع ،ولا يمكن في هذا الباب ان نظن ان الانتقال من المرحلة الأولى التي هي الصراخ إلى المرحلة الثانية التي وسمناها بالمناغاة يكون بصورة مفاجئة ومكوكية ،لسبب بسيط وهو ان المراحل اللغوية كلها جميعا متضافرة مع بعضها البعض ،فالأولى تسلمك للثانية دونما لفت للانتباه وهكذا دواليك إلى غاية الوصول للغة النموذج.فالطفل مؤهل لسماع الأصوات المختلفة ومحاولة تقليدها ، وخاصة ما كان منها صوتا« بشريا وهو يفعل ذلك إنما يخترع كلمات

هي من صنعه هو ،ولا يلبث الراشد ان ينتبه لها ،وان يخاطبه بها لكي يتفاهم معه ...» [1] ومعنى ذلك ان الراشد يساير الطفل في كل تلفظاته ،بل الأكثر من ذلك -وقد أشرت إلى هذه القضية فيما سبق- ان الراشد يحاول ان يخلق تموقعات لغوية وتبدلات كلامية خاصة حتى يفهمه الطفل ،ويشجعه على تقليدها .

لقد أشرنا فيما سبق ان الطفل في بداية تعامله مع اللغة ،يكون سلوكه على نحو خاص ،إذ يكون متمركزا حول ذاته ،ولعل ما نستشفه من أقوال العلماء الذين يرون ان الطفل ميال للاستجابة لصوته .فالطفل « يسمع صوته ،فيصبح ذلك الصوت كأنه حافز يحدث استجابة بترداد الصوت المتلفظ به ،كأنه الصدى ،ويظل الطفل على هذا المنوال ،سجين صوته إلى ان يحدث في محيطه ما يخرجه من هذه الحلقة الصوتية التي يسميها علماء النفس (الاستجابة الدائرية

(Réponse cercle).» [2] فالتقليد من شأنه ان يخرج الطفل من هذه الدائرة الإستجابية إلى فضاء أرحب ،بحيث يصبح قادرا على التأليف والتركيب بين مختلف العناصر اللسانية وفق سياقات محددة.

**ب-المرحلة اللغوية** (S- Linguistique):

**1-تعلم المفردات** ( Lexique):

إن المراحل السابقة المتداخلة —كما وصفناها —قد هيأت الطفل لبلوغ المرحلة اللغوية ،فأصبح حينئذ قادرا على التلفظ بجملة من المقاطع الصوتية ذات الدلالات المعينة ،ويقر العلماء أنهم « يحددون هذه الفترة في حدود السنة بالنسبة إلى اغلب الأطفال ،وفي حوالي الشهر التاسع بالنسبة إلى الممتازين منهم .» [3] .بعد ان أصبح الطفل يتحكم في إدراك الأصوات اللغوية الصائتة منها والصامتة من خلال التقليد .يبدأ في تشكيلها في مجموعات مقطعية ( Syllabique ) تكون كلمات ذات معنى ( Signification )،والأغلب أن الطفل يميل إلى استعمال هذه المقاطع الصوتية المتكررة التي تعكس علاقته ببيئته ومحيطه،مثل ( بابا-ماما-تاتا-دادا-نانا-)،ثم تتوالى

---

1 -حنفي بن عيسى ،المرجع السابق الذكر ،ص 137.

2 -م ،نفسه ،ص 137.

3 -حنفي بن عيسى ،نفس المرجع ،ص 139.

الكلمات الأخرى بالظهور مثل ( داد ،دود ،توت ،تات) [1] .وتقوم هذه «المفردات مقام الجملة :فلقد يعني بقوله "بابا" "أريد الكرة" ،أو "أين الكرة" ،أو "انظر إلى الكرة"وذلك كله بحسب السياق ،وما على الكبار الا ان يستنتجوا المعنى المقصود من الإشارة التي يرفق بها الطفل الكلمة ،أو من نبرة صوته ،أو من ملامـــح وجهه ...» [2] والملاحظ أيضا ان الطفل يكتفي بالكلمة الواحدة ويريد بها جملة تامة ،كأن يقول مدعما قوله بالإشارة (الخبز ) وهو يريد ان يقول (أريد خبزا) ،أو (اشرب ) وهو يقصد (أريد ماء)،وما إلى ذلك من الكلمات ذات الدلالات .

بات من المؤكد ان الطفل في نهاية العام الأول من عمره ،يستطيع تكوين بعض المفردات على الرغم من البون الشاسع بينها وبين الكيفية التلفظية التي يبديها الراشدون ،وكما أومأنا إلى ذلك سلفا ،فان الراشدين وخاصة الأولياء يحاولون تبسيط نطق بعض المفردات حتى يتمكن الطفل من

تقليدها ،خاصة إذا ما علمنا ان هناك الكثير من المفردات الصعبة التي لا يجد الطفل سهولة في نطقها ،ويوعز ذلك إلى تقارب المخارج الصوتية ،والى الجهد المبذول في نطقها ،فنطق المفردات التي تتوالى فيها الشينيات (les chuintantes) ليس كمثل المفردة التي تتضمن الأصوات الشفوية فالمفردات لدى الطفل تظهر «دون تطابق تام مع أصول نطقها عند الكبار ،وتتزايد المفردات لديه بين العام الأول والثاني بشكل بطيء ،وبعد هذه الفترة تتزايد وتتطور لغته بسرعة حتى يبلغ سبع سنوات.ويرتد ازدياد الكلمات هذا إلى ان الطفل يكون قد اكتسب تنظيم لغته الفونولوجي وترتبط كلمات الطفل ،حتى السنة الخامسة بقضايا محيطه القريب.» [3] . إن اكتساب الطفل للنظام الفونولوجي ،سيساعده حتما في الإقلاع عن التعبير الاشاري أو بالأحرى ربط المفردات بأشكال إيمائية اشارية ،فيمكننا القول هنا ان الطفل أصبح يدرك العلاقة القائمة بين المفردة ومدلولاتها تبعا لسياقاتها .إذ ان انتقال « الطفل من ملفوظ الكلمة الواحدة إلى ملفوظ الكلمات المتعددة يمثل مؤشرا على تمكنه من بعض القواعد التركيبية الأولية . » [4] .ان الطفل يتعامل مع المفردات الغوية في سياقات متعددة ،ولكن لا أظن أنه أصبح قادرا في هذا السن على فهم المعاني

1 –ينظر عبد القادر عبد الجليل "الأصوات اللغوية " ،دار صفاء ،الأردن ،ط 1 ،1998 ،ص 323.

2 –حنفي بن عيسى ،المرجع السابق ،ص 139.

3 –ميشال زكريا " الألسنية (علم اللغة الحديث ) المبادئ والأعلام " ،ص125.

4 –الغالي احرشاو " الطفل واللغة " ،المركز الثقافي العربي ،ج1 ،ط1 ،1993 ،ص 103.

الدلالية للمفردة الواحدة في سياقات مختلفة ،ومن هنا فالطابع التعميمي قد أخذ حظه في الاستعمال اليومي للطفل ،ولعل هذا الطابع سيسهل عليه إنتاج الملفوظات أو الجمل الأولية ،وكان ذلك دافعا للكثير من البحوث ،وعلى الرغم من نتائجها الايجابية ،فقد شكلت قصورا في جوانب عدة يجملها (F .François) في« التمركز الواضح على لغة الراشد والتركيز المفرط على المنظور التركيبي الذي يمثل بدون شك السبب الواضح وراء فشلها » [1]

لقد أثبتت العديد من الدراسات المقدمة في هذا المجال ان حصيلة الأطفال من المفردات تختلف ،وتتفاوت ،ومن أهم هذه البحوث ،ما قام به العالم "سميث (Smith) في عام 1926 [2] .

إن الملاحظة التي لابد منها هي ان الطفل مع بلوغه السنتين والنص أو ما يزيد عن ذلك قليل يكون قد وسع حصيلته الإدراكية والمعرفية للألفاظ المتداولة ،وتتصل هذه الألفاظ في معظمها بما

يتصل به اتصالا مباشرا ،واعني بذلك -كما ذكرنا - أسماء أفراد أسرته كـــــ" بابا ،ماما ...الخ" ،أو تلك الأسماء المتعلقة بالناحية البيولوجية لديه كالأكل والشرب والنوم ،أو مما يدور به من أسماء الأثاث وحاجات اللعب ... ومن هنا يمكن القول ان معظم الكلمات التي يكتسبها الطفل ما قبل المدرسة ذات مدلولات محسوسة ،وخاصة التي ترمز إلى الحركة . [3] وهي الفكرة نفسها التي ذهب إليها حنفي بن عيسى في ان الطفل أول ما يتعلمه من المفردات هو الأسماء ،وبالأخص« أسماء من يحيط به من الأشخاص .وبما ان الأسماء هي الغالبة في المرحلة الأولى من حياة الطفل ،فقد دعا هذا الأمر بعض المؤلفين الى الحديث عن طور يسمونه طور التسمية " Naming "،حيث ان همّ الطفل الوحيد هو معرفة أسماء الأشياء » [4] و بعد تمكن الطفل من المفردات التي هي السماء في أغلبيتها ،يبدأ الطفل في توظيف الضمائر لأول مرة عند أواخر السنة الثانية موازاة مع الأسماء ،لكن اذا بلغ ثلاثين شهرا عندئذ تتناقص الأسماء تاركة المجال للأفعال والضمائر ،والنعوت ،وبعض الظروف،وأحرف الجر في تزايد .ولكن كيف يمكن تعليل هذه الظاهرة المتمثلة في أسبقية الأسماء

---

1 -Françoise (f) et autres " la syntaxe de l'enfant avant 5 ans " Larousse ;1 éd ;1977;Paris ;P85.-

2 - ينظر ملخص هذه البحوث والاستنتاجات: حنفي بن عيسى ،المرجع المذكور سابقا ،ص 140.141.

3 - ينظر أحمد محمد المعتوق " الحصيلة اللغوية ،أهميتها ،مصادرها ،ووسائل تنميتها " الكويت (الصفاة) ،1997 ،ص 51-52.بتصرف

4 - حنفي بن عيسى ،المرجع السابق ،ص 142.

على غيرها من العناصر اللسانية الأخرى ؟ ان ميل الطفل إلى الأسماء بداية مرجعه النفعية من جهة ،وعدم قدرته على التجريد من جهة أخرى [1] .

ولعل التساؤل المطروح هو ما إذا كان الانتقال من ملفوظ الكلمة الواحدة إلى ملفوظ الكلمات المتعددة سيصاحبه تطور في الشكل التركيبي فقط أم سيشمل المعنى الدلالي أيضا ؟

**2-تركيب الجمل** (Syntaxe) :

لقد أصبح مردودا الاعتقاد ان اللغة تعرف عن طريق بنيتها التركيبية السانتكسية كما اعتقد بذلك "شومسكي " لان ظاهرة الاكتساب اللغوي لا تتم فقط بواسطة هذه البنية التركيبية ،لان هذه الأخيرة لا« تشكل الا مستوى واحدا من بين ثلاثة طوابع أساسية ،وهي :البنية الفونولوجية ،والبنية المورفولوجية ،والبنية السانتكسية» [2].إن المستوى التركيبي ( Syntaxique) كفيل بتقديم توضيحات للبنية التركيبية التي يستعملها الطفل ،لان التركيب «هو جزء من القواعد يساهم

في تقديم التفسير الكافي للقوانين التي بموجبها تتآلف الوحدات اللسانية الدالة ضمن الجمل ،وهو علم يهتم بالجانب الوظيفي على الفرق بينه وبين المستوى المورفولوجي » [3] .

إن هذه المرحلة ليست منفصلة عن بقية المراحل السابقة سواء أتعلق الأمر بالمرحلة القبلغوية أو المرحلة اللغوية ،فهي مراحل –كما بينا- متداخلة فيما بينها ،لان هذا الطور (التركيبي) يعتمد على تعلم الطفل للمفردات ثم شيئا فشيئا وبشكل غير مفاجئ تماما تظهر العلامات والمؤشرات على ان الطفل دخل مرحلة متقدمة في التأليف بين الوحدات اللسانية على نحو خاص ،فتكاد جميع الدراسات التي أجريت في هذا الشأن على ان الطفل يبدأ في «تكوين البنى التركيبية المكون ة من كلمتين عندما تصل مفرداته إلى خمسين كلمة ،أي حينما يكون عمره يقارب السنتين .ولكن سرعان ما تبدأ في التزايد إلى ان تصل إلى 200 أو 300زوج من الكلمات.» [4] إن التركيب المكون من كلمتين الذي يعتمده الطفل في هذه المرحلة يسمى أيضا المرحلة التلغرافية،فتكون اللغة

---

1 - ينظر حنفي بن عيسى ،المرجع السابق ،ص142.143

2 -Denis Girard "Linguistique Appliquée et Didactique des langues " éd;Armond collin ;longman ;1972.P06.-

3 - Jean Dubois et autres " dictionnaire de linguistique et des sciences du langage" ;P468.-

4 - احمد حساني "دراسات في اللسانيات التطبيقية –حقل تعليمية اللغات- ،ص 121

أشبه بلغة البرقيات،ويعتبر هذا النظام من تصميم الطفل لذاته ،وهو انه قام ببناء ذاته لاعتقاده بان ذلك هو الحل المناسب ليعبر عن ذاته،وعن حاجاته وقد يستخدم الطفل بعض الأحيان الإشارات عندما يعجز عن التعبير في الكلام. [1].ان التحكم الواضح لدى الطفل في البنية التركيبية قد يظهر حينما يقارب السنتين كما جاء في القول السابق ،لمن هناك من الدارسين من يرجح هذا الاكتساب إلى حوالي الشهر الثامن عشر إلى العشرين ،وفي هذه المرحلة تظل اللغة ابسط من لغة الراشدين- ولعل ذلك شيء طبيعي –وأكثر انتقائية برغم أنها تضم الأسماء والأفعال ،والصفات وكذلك الأدوات والضمائر .فيكون الكلام« إبداعيا جديدا وليس نسخة من لغة الراشدين .» [2] .الملاحظ أيضا ونحن نتناول هذا المستوى اللساني (التركيب) ان الطفل لايسيطر بشكل مطلق ولا يدع مجالا للخطأ ،بل ان هذا النظام ينمو تدريجيا كذلك فيكون نمو «الجمل ذات الكلمتين بطيئا في البداية ثم يتقدم بسرعة.والمثال الآتي –يقول المؤلف- لبعض أشكال حديث الطفل ،حيث كان العدد التراكمي لتركيب كلمتين مختلفتين والمسجلة في شهور هو : 14، 24 ، 53 ، 89 ،350 ، 1400 ،2500 فأكثر .ولا ينتج الطفل مثل هذه المنطوقات عن طريق تجاور غير متآلف للكلمتين ،بل ان هذه المنطوقات تضم فئتين من الكلمات :الفئة الأولى صغيرة وتسمى الكلمات المحورية ،والفئة الثانية فئة واسعة مفتوحة من الكلمات...»[3]

لكن ووفقا للمعطيات الواردة في القول السابق .هل كل طفل بلغ هذا السن المحدد ،فهو منطقيا وبالأحرى بيولوجيا مؤهل للتمكن من المستوى التركيبي للجمل والملفوظات اللسانية ؟

ما اعتقده هو ان الطفل مهيأ للمرور بهاته المرحلة ،فيتقن تركيب الجمل التي يتلفظ بها انطلاقا من عوامل عدة ،منها كفاءته اللغوية ،ومراحل النمو التي اجتازها ،وتقليده خاصة للغة الكبار ،لكن تبقى هذه المعطيات نسبية للغاية إذا ما لم يحاول الطفل في كل مرة بلوغ هذا الهدف ،وما يعلل ذلك الانطوائية بالنسبة لفئة غير قليلة من الأطفال ،منعتهم أو حرمتهم من الالتحاق بهذا الصنف الطبيعي من الأطفال .ان « الحصيلة الغنية بالمفردات ،وان تكن قرينة صالحة يستدل منها

---

1 –ينظر نبيل عبد الهادي وآخران ،المرجع السابق الذكر ،ص 125.

2 –جمعة سيد يوسف ،المرجع السابق الذكر ،ص 114.

3 – م- نفسه ،ص 115.

على ان صاحبها سيكون عند الكبر منطلق اللسان ،إلا أنها لا تعني بالضرورة ان مثل هذا الطفل المهذار سيكون أفصح لسانا وابلغ بيانا من الطفل الملازم للسكوت ...» [1] .

إن الحقيقة العلمية تحتم علينا –ولو كنا في بداية الطريق–ان لا نأخذ بهذا الرأي كرأي لا يقبل المناقشة وانه من المسلمات ،إذ ان الطفل إذا كان زاده اللغوي من مفردات وتراكيب ونحوهما واسعا ،فهذا بالضرورة والمنطق ان يكون عند الكبر فصيح اللسان واسع البيان إلا في حالات شاذة جدا ،والشاذ في العرف اللغوي "يحفظ ولا يقاس عليه" ،ثم هل يمكننا الجزم دائما على ان السكوت– الذي أشار إليه حنفي بن عيسى–هو علامة من علامات الضعـــف والبلادة والتقهقر ألم نقرأ الحكمة "لو كان الكلام من فضة لكان السكوت من ذهب " وحتى لا يظن بنا ظان أننا نشجع السكوت ونرغب فيه ،فذلك غير المنحى الذي نريده ،وغير المقصد الذي نقصده ،بل إننا نؤكد على إثراء القاموس اللغوي للطفل من مفردات وتراكيب ،والمداومة على استعمالهما حتى يستقيم لسانه ،أما السكوت في مواطنه خلق وفي غير مواطنه عقال كما ذكر الجاحظ .فقالوا "ليس شيء أحق بطول سجن من لسان" [2]

لا يحسبنّ أحد أن اكتساب الطفل لهذا النظام التركيبي يتم بصورة عفوية ومفاجئ ة ،بل ان العكس هو الصحيح ،لان هذا النظام لا يتأتى إلا بطول الممارسة ،فقد يخطا الطفل ويفشل في تركيب بنية لسانية وفق النظام اللساني القائم في المرة الأولى والثانية ،لكنه لن يخطا في المرة القادمة ،لان هذه الممارسة سمحت له بتشكيل هذه القوانين ذهنيا ،فيدرك مثلا موقعية الفعل من الفاعل من المفعول به ،وموقعية النعت والصفة والحال...الخ ،فيعد التركيب حينئذ ملكة لسانية مستقلة "فإذا تنوسي الفعل تنوسيت الملكة الناشئة عنه " كما وضح العلامة ابن خلدون .بقي ان نشير في نهاية هذا المبحث ان التحديد المعتمد لمراحل الاكتساب اللغوي للطفل بالشهور والسنوات والأسابيع ونحو ذلك ماهو إلا بالشكل « التقريبي ،وانه قد يحدث أحيانا ان ينكص الطفل إلى سلوك لغوي متأخر .فقد يكون في السادسة ،ولا تزا ل ترد على لسانه كلمات تقوم مقام الجمل

1 - حنفي بن عيسى ،المرجع السابق ،ص 144.

2 -يراجع "باب في الصمت " –الجاحظ "البيان والتبيين " ،تح :عبد السلام محمد هارون ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،ج1 ،ص 194.

(كما أوضحناه ،فبقول الطفل "الماء " وهو يرى الجملة التامة"أريد ماء) .والجدير بالذكر ان هذا السلوك ملحوظ لدى الكبار أيضا فقد نجد من الراشدين من يعبر بكلمة واحدة عن عدة معان لا تصاغ عادة إلا في جملة مركبة .» [1]

على كل فان الجمل في تركيبها البسيط بالنسبة للطفل تؤدي وظيفة رئيسية ،ويضاف إلى كل ذلك ان عملية الإنتاج اللغوي وارتقائه للطفل لازالت في ديناميكية مستمرة ،فيزداد معها الثراء الغوي ،سواء أتعلق الأمر بالجانب المفرداتي أم المعاني التي تؤديها بحسب السياق .

3-**الجانب الدلالي** (Sémantique) :

من المؤكد أن الطفل لا يستخدم المفردات وما يترتب عنها من تركيب إلا بعد ان يكون قد تمكن من تكوين صور ذهنية ثابتة ،أو مفاهيم ( Concepts ) عن الأشياء أو الأحداث التي تحيل إليها هذه المفردات أو الجمل ،فبات الطفل الآن يقرن بين الدال ومدلوله ،حتى ولو غاب الدال عن ناظريه ،ولا يخفى على الدارس اللساني ان العلاقة بينهما (Signifié/ Signifiant ) هي علاقة اعتباطية( Arbitraire ).ان الطفل الذي يتلفظ « بكلمة (هــَوْ) تقليدا لنباح،قد أدرك العلاقة القائمة بين الصورة السمعية (Image Acoustique ) (هــَوْ) ،ومفهوم الكلب » [2] .ومن

هنا هذه العلامة اللسانية بديلة عن المفهوم الغائب نلان العلامة اللغوية تنوب عن الشيء وتغني عن إحضاره.ولا نبتعد كثيرا عن هذا المقام ،فالطفل بفرط سماعه ،و ولوعه باكتشاف العالم من حوله ،تراه محبا للحيوانات الأليفة كالكلب ،وإذا غابت عنه قطته يوما ،تراه يبحث عنها في الدار والساحات القريبة من مترله وهو يردد (مْــيَوْ) .من هنا نتأكد انه الطفل أصبح يقرن بين الصورة السمعية والمفهوم ،وهو القط .ولكن السؤال الذي طرحناه من قبل ونظل نطرحه هو:هل كل ما يتلفظ به الطفل من تراكيب سنضمن لها السلامة الدلالية ؟

إن التواؤم بين المستويين اللسانيين (التركيبي والدلالي ) قد افرز بعض المعطيات التي يمكن ان نسترشد بها للخوض في هذا الموضوع الشائك ،وأول ما نلجأ إليه لفك هذا القفل —حسب رأينا —هو "الكتاب" لسيبويه التي تضمن في باب له " الاستقامة من الكلام والإحالة" ،فقال :

1 -حنفي بن عيسى ،المرجع السابق الذكر ،ص 145.

2 - احمد حساني "دراسات في اللسانيات التطبيقية —حقل تعليمية اللغات- ،" ،ص 114.

«فمنه مستقيم حسن ،ومحال ،ومستقيم كذب ،ومستقيم قبيح ،وما هو محال كذب .فأما المستقيم الحسن ،فقولك :أتيتك أمس ،وسآتيك إذا .أما المحال فأن تنتقض أول كلامك بآخره،فتقول :أتيتك غدا ،وسآتيك أمس .وأما المستقيم الكذب ،فقولك :حملت الجبل ،وشربت ماء البحر ونحوه .أما المستقيم القبيح ،فأن تضع اللفظ في غير موضعه ،نحو قولك : قد زيدا رأيت ،وكي زيد يأتيك» [1]

إن القراءة الأولية للقول تنبأنا بمدى التواؤم بين التركيب والدلالة ،أو الاستقامة النحوية والاستقامة الدلالية حيث تندمج في قوانين النحو م عقوانين الدلالة ،فليس بالضرورة دائما أن يكون كل ملفوظ مستقيم نحويا فهو مستقيم دلاليا ،ولنا في اللغة العربية العديد من الأمثلة على ذلك "غضبت السماء فخلعت لباسها الأزرق ،ولبست لون الحداد" فهو ملفوظ —كما نعلم – مستقيم نحويا من مستويات لسانية ثلاثة ،لكنه غير مقبول دلاليا ،ويعلل البعض هذه الظاهرة بالجانب المجازي (كالكناية والاستعارة)(Métaphore)،فالجملة النحوية "المعيارية أو الأصولية" — حسب فهمنا—لابد لها من معنى يحددها ،ويبعد أي التباس .صرح شومسكي( Chomsky) قائلا « إن الجمل النحوية هي الجمل التي لها معنى (Signification) دلالي » [2] .

إن الجملة النحوية(grammaticale) تطلق عادة على كل ملفوظ (Un énoncé)صادر عن متكلم منتم إلى اللغة ومطابق لقواعده١ (conforme à ses règles) ،ولذا فان تحليل لغة طبيعية يبين لنا مفهوم Grammaticalitéمؤسس على حكم المتكلمين الأصليين لهذه اللغة ،وهذا الحكم مرتبط بكفاءة Compétence،وهذا الحكم الحدسي Intuitif هو الذي يهتدى به إلى رفض ماهو غير مقبول نحويا Agrammatical مثل الجملة الفرنسية j'ai vu rien ( لم أر شيئا )ان Grammaticalité وهي تابعة للكفاءة متميزة عن القبولية L'acceptabilité وهي تابعة للأداء Performance ان ملفوظا متواترا وذا معنى يمكن ان يعتبر غير نحوي من قبل المتكلمين les locuteurs ويجب ان نميز أيضا بين درجات ما هو نحوي ،إذا اعتبرنا جملة : j'ai rien vu (لم أر شيئا ) كجملة غير نحوية ،وهذا ليس في كل الحالات ،فان هذا ليس بدرجة :

---

1 - سيبويه "الكتاب " ،ج1 ،ص25-26.

2 - Naom Chomsky"Structure Syntaxiques " P107-

j'ai vu rienالذي يعد أقبح شكلا [1] .ومن المعاجم الفرنسية من يصف النحوية Grammaticalité بقوله :« كل متكلم من الناحية التعريفية يملك نحو لغته يمكنه ان يقدم أحكاما لـــ" Grammaticalité"حول ملفوظات مرسلة .فالمتكلم السليقي ( Natif) يمكنه القول ما إذا كانت الجملة المكونة من كلمات تنتمي إلى لغته محكمة التأليف ،مقارنة بالقواعد النحوية التي هي قاسم مشترك مع كل المتكلمين الآخرين،وهذه المقدرة الطبيعية أو الفطرية تنتمي لكفاءة المتكلمين ،وليست تابعة لا إلى الثقافة ولا إلى الجماعة الاجتماعية للمتكلم .ففي اللغة الفرنسية ،نمثل بالجملة التالية :L'enfant aime le chocolat (يحب الطفل الشكولا) [2] وإن شئنا ان تكون جملة اسمية( G-Nominal) (الطفل يحب الشكولا)،فهي جملة نحوية grammatical،وعلى العكس Aime chocolat enfant فهي جملة غير نحوية Agrammatical. فالمتكلم يمكنه ملاحظة وتمييز ما هو نحوي مما هو غير نحوي ،فإذا كان هناك اختلاف بين المتكلمين حول نحوية الجملة ،فهذا معناه ان كفاءاتهم (قواعدهم النحوية) متغيرة في نفس النظام .ان الأحكام الصادرة بخصوص النحوية Grammaticalité لا تتأتى فقط بالقبول أو الرفض ،ولكن توجد درجات للنحوية التي يمكن تقييمها من خلال طبيعة القاعدة المخروقة (la règle violée).الجملة التالية : ?

L'enfant n'a pas du avoir eu de chocolat (الطفل لم يكن بمقدوره الحصول على الشيكولا) ،فهي جملة منحرفة ( Déviante)،مشكوك في نحويتها (من خلال علامة الاستفهام Point d'interrogation)

لأن بنيتها ليس متطابقة بشـــــكل تام مع قوانين النحو .فالنحويةيمكن تميـــيزها انطلاقا من المعنى ...»[3] وأورد جورج مونان ( G-Mounin) رأيا يخص النحوية وغير النحـــــوية جاء فيه :« ...وقد ألح شومسكي في العديد من المرات على ضرورة التمييز بين الجملة النحوية و الجملة الممكن تفسيرها دلاليا ،وهي جملة يمكن ان تكون عديمة المعنى ،ولكنها من الممكن ان تكون

---

1 - ترجمة:عبد الجليل مرتلض "في رحاب اللغة العربية "،ص 152.
R.GALLISSON /D.COSTE " Dictionnaire de la linguistique" ; P 257.
2 - نترجم الملفوظ الفرنسي ترجمة نحافظ من خلالها على الترتيب الأصلي لعناصر الجملة الفعلية في اللغة العربية .

3 - Jean Dubois et autres "Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage " ;P 226-227.-

صحيحة تماما من وجهة نظر بنينها التركيبية السانتكسية على نحو الجملة التالية : ( la voile licite[1] accepte la rose verte )أي (الشراع المسموح به قانونا يقبل الوردة الخضراء) .

- جملة ملاحظة (Observé ) في مدونة (Dans un corpus ) .ان المدونة تشمل مجموعة متناهية(fini )بالضرورة ،لكن الجمل في لغة معينة تكون مجموعة غير متناهية ( infini )،وكنتيجة لذلك توجد عدد غير محدد من الجمل التي لا يمكن ان نجدها في مدونة أخرى ،ولكن ليس من الواجب اعتبارها كمنتمية للغة ذاتها ،أي كجمل نحوية .

-جملة ممكنة باعتبار درجة معينة من الاحتمالات الإحصائية( probabilité statistique ) في مجموعة غير متناهية من الجمل،فكل جملة أو كل نموذج من الجملة سيكون لها احتمال من الظهور(probabilité d' occurrence [2]) قريب من الصفر.» [3]

وليس بعيدا عن القبولية النحوية ،فاللغة الانجليزية لا تشذ أيضا عن هذه القوانين النحوية من حيث القيولية او الرفض ،رغم ان لكل لغة نظامها التركيبي الخاص بها ،ولنتأمل الملفوظ الانجليزي :.The children likes sweet (يحب الطفل الحلوى ) أو (الطفل يحب الحلوى ) فهي جملة صحيحة نحويا أي grammatical ،وعلى نقيض ذلك Likes sweet children،فهي جملة غير نحوية Agrammatical،بل غير مفهومة وغامضة Ambiguë .

بات واضحا أن التركيب لوحده دون المستوى الدلالي ،لن يزيد الملفوظ إلا غموضا وتأويلا فعلى الرغم ان علم التركيب –كما يعتقد البعض-لايهتم إلا بالشكل .إلا ان معنى الملفوظ في أي لغة كانت لن يتحدد بشكل بارز ومفيد رغم تتابع الكلمات في نظام متآلف إلا بتدخل المستوى الدلالي الذي من شأنه تحديد المعنى تحديدا خاصا بحسب السياق.

---

1 - LICITE : PERMIS PAR LA LOI .VOIR "LAROUSSE .1991 .P 569.-

2--occurrence : ling:Apparition d'une unité linguistique (phonologique ;grammaticale ou lexicale )dans un corpus. ..voir "Larousse ":P 676.

3 - GEORGES MOUNIN "dictionnaire de la linguistique" ;P 158.-

# الفصل الثاني

# الاكتساب اللغوي بين الفطرة والتقليد

بات من المؤكد أن موضوع الاكتساب اللغوي أضحى من أهم الموضوعات التي أولاها اللغويون والفلاسفة والنفسانيون وعلماء التربية اهتماما بالغا على مر العصور و تعاقب الحضارات الإنسانية لا لشيء إلا لغرض تفسير طبيعتها ،وفك رموزها ،واكتشاف طبيعتها العملية والنفسي ة اللغوية التي تمكن الإنسان من اكتساب هذه النظام العجيب ،والتحكم في آلياته منذ الصغر .،ومن هنا ان نطرح سؤالا وجيها :كيف يتسنى لطفل في سنوات عمره الأولى أن يكتسب هذه اللغة ؟هل مرد ذلك إلى نواميس الطبيعة التي زرعت فيه هذه البذرة لتنمو وتتطور موازاة مع متطلبات المجتمع التي تفرض سيطرتها عليه؟أم في الأفق ميكانيزامات أخرى بديلة لم تصل البحوث العلمية اللسانية والنفسية إلى فك شفراتها؟

نظرا لأهمية اللغة ،نُسجت العديد من النظريات اللسانية والاتجاهات النفسية والتحاليل الفلسفية الممزوجة بالرؤى الميتافيزيقية أحيانا ،محاولة منهم تقديم التعاليل العلمية المنطقية لهذا النظام العجيب ،ولعل ذلك كان دافعا قويا لظهور الكثير من الآراء حول بذورها الأولى ،ودواعي نشأتها وتطورها ،وفي ضوء هذه الحقائق سنحاول طرح هذه النظريات التي ظهرت تفسيراً لنشأة اللغة .

**النظريات اللغوية حول نشأة اللغة**

**1-نظرية الإلهام والوحي والتوقيف**:تقرر هذه النظرية ان الفضل في نشأة اللغة الإنسانية « يرجع إلى الهام الهي هبط على الإنسان فعلمه النطق وأسماء الأشياء » [1]، ،فتذهب هذه النظرية إلى ان الله عز وجل قد أوحى إلى الإنسان الأول وأوقفه على تسمية الأشياء بمسمياتها ،وذلك بعد ان مكنه من النطق ،وما يعزز هذه المنحى اعتماده من قبل فلاسفة العصور القديمة كالفيلسوف اليوناني (هيراقليط Héraclite) المتوفى عام 480 ق م.وفي العصور الحديثة طائفة من العلماء منهم (لاميLami) في كتابه (فن الكلام L'art de Parler) والفيلسوف (بونالد Vicomte de bonald)في كتابه" التشريع القديم "(Législation Primitive) [2]

---

[1] -علي عبد الواحد وافي " نشأة اللغة عند الإنسان والطفل " نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ،ط 2، 2005ص30.

[2] -ينظر المرجع نفسه ،ص31.

ولقد تناول العلماء المسلمون الظاهرة اللغوية أيضا وحفوها بتفسيرات دينية بحتة ،ومن هؤلاء "الجاحظ" (255ه )وأبو الحسن الأشعري (324ه) واحمد بن فارس (395ه) الذي يقول : «ان لغة العرب توقيف ودليل ذلك قوله جل ثناؤه .( وعلم ادم الأسماء كلها ) ،فكان ابن عباس يقول :علمه الأسماء ،وهي هذه التي بتعارفها الناس من دابة وارض ،وسهل وجبل وجمل وحمار وأشباه ذلك . » [1] الذين يعتمدون على قوله تعالى:﴿ وعلم الأسماء كلها ﴾ [2] ،وإذا تأملنا الآية الكريمة ننجد ان هذه الأخيرة ليست نصا صريحا فيما يدعون إليه ،واقصد بذلك الوحي والإلهام «وذلك انه قد يجوز ان يكون تأويله :أقدر آدم على ان واضع عليها،وهذا المعنى من عند الله سبحانه وتعالى لا محالة .فإذا كان ذلك محتملا غير مستنكر سقط الاستدلال به. » [3] وإذا سلمنا فرضا ان القوة الإلهية كان مصدرا أساسيا في ظهور اللغة ،فمن غير المعقول إطلاقا ان يقع الناس في أخطاء في استخدامهم للغة ،وان هذه الأخيرة ستكون واحدة للبشرية جمعاء ،لكن هذه الاختلاف اللغوي يفسر تفسيرا غيبيا كما ورد في الكتاب المقدس(la Bible) عن قصة برج بابل بأن أولاد نوح عليه السلام أرادوا تشييده لبلوغ السماء ،ففرق الله سعيهم بتغيير لغاتهم التي يتفاهمون بها ،ويعز التنوع للغات الطبيعية إلى الخرافات المتعلقة بيرج بابل [4] ،فكان للناس لغة واحدة يتعاملون بها ،وكلام متشابه ،ولكنهم حينما قرروا بناء برج شاهق وعظيم يتطاول إلى السماء ،فان الله أجابهم بان فرقهم على الأرض «والله خلق من الطين جميع حيوانات الحقول وجميع طيور السماء ،ثم عرضها على ادم ليرى كيف يسميها وليحمل كل منها الاسم الذي يضعه له الإنسان .فوضع ادم أسماء جميع الحيوانات المستأنسة ولطيور السماء ودواب الحقول . » [5]

من هنا فالطفل قي رأي العديد من اللسانيين والنفسانيين لم يكن من قبيل الحظ أو الصدفة ان يكون الفراضيات الخاصة بموضوع اللغة هذا ما يجعلنا« نعتقد ان الأطفال يأتون إلى هذا العالم ،وهم مبرمجون جينيا للتعامل مع اللغة ،ويعد هذا جزءا من ارثنا البيولوجي » [6] .واتخذ الجاحظ

---

[1] -ابن فارس "الصاحبي في فقه اللغـــة وسنن العرب في كلامها ". تح : السيد أحمد صقر ، القاهرة ،مطبعة عيسى البابي الحلبي ،1964،ص31.

[2] -البقرة/31

[3] -ابن جني "الخصائص " ،ج1 ،ص42.

[4] - VOIT : Josiane Boutet " Langage et Société " éd; le seuil ;1997;P 05-

[5] - حنفي بن عيسى "محاضرات في علم النفس اللغوي "،ص19.

[6] - ERNEST R.Hilgard et Autres "Introduction à la Psychologie" P307-

موقفا مغايرا –حسب علمنا –من الموقف الذي تبناه ابن جني ،ومن سار في ركابه ،لان الجاحظ يأخذ بنظرية الإلهام والاصطلاح –التي سنبينها لا حقا–في الآن ذاته ،ويمكن ان نفهم من ذلك انه يوحد بين الرأيين (الإلهام+الاصطلاح) .يقول الجاحظ : « فإذا كان العرب يشتقون كلاما من كلامهم ،وأسماء من أسمائهم ،واللغة عارية في أيديهم ممن خلقهم ومكنهم وألهمهم وعلمهم ،وكان ذلك منهم صوابا عند جميع الناس ،فالذي أعارهم هذه النعمة أحق بالاشتقاق واوجب طاعة ،وكما انه له ان يبتدئ الأسماء ،فكذلك له ان يبتدئها مما أحب فقد سمي كتابه المنزل قرآن ،وهذا الاسم لم يكن حتى كان .» [1]

## 2–نظرية التواضع والاصطلاح :

إن النظرية التواضعية جاءت لتأكد على معطى آخر بديل عن النظرية الأولى ذلك ان اللغة حسب زعمهم استحدثت بالاتفاق والمواضعة ،وممن قالوا بهذا الرأي في العصور القديمة الفيلسوف اليوناني "ديموكريت"(Démocrite) الذي عاش في القرن الخامس ق.م.،ومن امة العربية العالم اللغوي الشهير "ابن جني "الذي يرى « ان أكثر أهل النظر على ان أصل اللغة إنما هو تواضع واصطلاح ،لا وحي وتوقيف ،وذلك بان يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعدا ،فيحتاجوا إلى الإبانة عن الأشياء المعلومات ،فيضعوا لكل واحدة منها سمة ولفظا ،اذا ذكر عرف به مسماه ،ليمتاز عن غيره ،ويغني عن إحضاره إلى مرآة العين ،فيكون ذلك اقرب واخف وأسهل من تكلف إحضاره ،لبلوغ الغرض في إبانة حاله(. ..)فكأنهم جاءوا إلى واحد من بني ادم ،فأوموا إليه وقالوا :إنسان إنسان إنسان ،فأي وقت سمع هذا اللفظ علم ان المراد به هذا الضرب من المخلوق( ...) فمتى سمعت اللفظة من هذا عرف معناها ،وهلم جرا فيما سوى هذا من الأسماء والأفعال والحروف . » [2] ،لقد لقيت هذه النظرية من حيث طرحها الاصطلاحي انتقادا من قبل العديد من الدارسين ،بوصفها غير جديرة بالمناقشة لتفاهتها –في نظرهم – وتخميناتها الخيالية التي تحمل في

---

[1] ـ الجاحظ "الحيوان " تح :عبد السلام محمد هارون ،دار إحياء التراث العربي بيروت ،لبنان ،ج1 ،ص 348 ،وينظر مازن الوعر ،المرجع السابق ،ص 556

[2] – ابن جني ،الخصائص ،ص45.

ذاتها دليل بطلانها « وقد ذهب المتعصبون له في تصوير منشأ اللغة مذاهب ساذجة غريبة تدل ابلغ دلالة على مبلغ انحرافه عن جادة الصواب ونطاق المعقول . » [1]

## 3-النظرية الغريزية :

يذهب الداعمون للنظرية الغريزية على أنها خاصية إنسانية زود بها جميع أفراد النوع الإنساني ،فهي خاصية تحمل كل فرد على التعبير عن كل مدرك حسي أو معنوي بكلمة خاصة به ،ولعل أعمق دراسة ظهرت في القرن الثامن عشر هي التي قام بها المفكر الألماني "هيردر" 1774-1803(Herder) عندما اصدر كتابا له تناول فيه موضوع أصل اللغة فنال به جائزة أكاديمية برلين .وقد تصدى بادئ ذي بدء لهدم الاعتقاد الراسخ في زمانه من ان اللغة لم يبدعها الإنسان ،بل هي هبة من عند الله ،وملكة غرسها في نفسه ،قائلا بان اللغة ،لو كانت من عند الله ،لكان اقرب إلى المنطق ،وقوانين العقل مما هي عليه .فاللغات لا يتحكم فيها قانون الاطراد ،بل ان الأمثلة التي تشذ فيها عن القاعدة أكثر من ان تحصى ،وهذا دليل على أنها من وضع الإنسان [2] .ان هذا الرأي يفند –مما لا يدع مجالا للشك- مزاعم أصحاب النظريتين السابقتين ،فلا هي تواضع واصطلاح ،ولا كانت نتيجة لطابع غريزي في الإنسان،فالتفسير المعقول «لهذه الظاهرة :هو ان الفضل في نشأة اللغة يرجع إلى غريزة زود بها الإنسان في الأصل للتعبير عن مدركاته بأصوات مركبة ذات مقاطع ،كما زود باستعداد فطري للتعبير عن انفعالاته بحركات جسمية وأصوات بسيطة. » [3]

## 4-النظرية الصوتية :

لقد ذهب جمهور من العلماء الباحثين في هذا المجال على ان اللغة ليست من الآراء السابقة في شيء ،بل هي كلها إنما تقليد لأصوات الطبيعة المسموعة ،ولعل هذا ما نحاه ابن جني ،واعتمده بعض الباحثين المعاصرين في فهمهم للفونيمات العربية ،وأنها تحمل قيم تعبيرية في ذاتها ،على عكس ما ذهبت إليه اللسانيات الحديثة ،والاتجاهات اللغوية المعاصرة في ظاهرة الفونيم باعتباره اصغر

---

[1] - علي عبد الواحد وافي،المرجع السابق ،ص 33.

[2] - ينظرحنفي بن عيسى ،المرجع السابق ،ص25-26.

3 – علي عبد الواحد وافي،المرجع السابق ،ص37.

وحدة صوتية غير دالة ،لكنها قادرة على تغيير المعنى ،ونذكر على سبيل التوضيح لا غير (باعتبار أننا طرقنا هذا الباب من قبل)،ما ذكره ابن جني باب عظيم (الألفاظ أشباه المعاني ) : « فأمـــــا مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع ،ونهج ملتئب عند عارفيه ماموم .وذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر عنها ،فيعدلونها بها و يحتذونها عليها ،وذلك أكثر مما نقدره ،وأضعاف ما نستشعره .من ذلك قولهم : خضم ،قضم ،فالخضم لأكل الرطب ،كالبطيخ والقثاء وما كان نحوهما من المأكول الرطب .والقضم للصلب اليابس ،قضمت الدابة شعيرها ،ونحو ذلك ،فاختاروا الخاء لرخاوتها ،والقاف لصلابتها لليـــــابس فحذوا لمسموع على محسوس الأحداث... » [1] و في الحقيقة ان مثل هذه الآراء تحتاج إلى الكثير من البحوث الجادة ،خاصة فيما تعلق بمشاكلة الألفاظ لمعانيها ،فان ابن جني بنظرته المتفحصة وذكائه المتوقد قد لاحظ هذا التشاكل الصوتي ،فمثلا الأبنية الثلاثية (غار،غاب ،غاس...)المشكلة من الفونيـــــم العربي (الغين ) باعتباره اصغر وحدة صوتية ،قد غير المعنى ،ولكنه يكتسب موقعا تعبيريا ذاتيا ،لان الأفعال السابقة تدل على مطلق الاختفاء والاستتار [2] .لكن ما يبدو من خلال تصفحنا للكثير من هذه النماذج ،ان الأمر ليس من المسلمات(Postulats) وليس قاعدة عامة ،لان الفونيمات العربية من خلال إخضاعها للدراسة تبين أنها لا تؤدي نفس الغرض ،ولا تكفي ان تؤخذ هذه الدراسة على أنها قانون عام.

اللغة –في مفهوم ابن جني–إنما هي تشاكل الأصوات المسموعة مع الأحداث المعبر عنها « كدوي الريح،وحنين الرعد ،وخرير الماء ،وشحيح الحمار ،ونعيق الغراب ،وصهيل الفرس ،ونزيب الظبي ونحو ذلك ،ثم ولدت اللغات من بعد ذاك فيما بعد ،وهذا عندي وجه صالح ،ومذهب متقبل. » [3] .

ان هذه النظرية قد لقيت مساندة من قبل العديد من الباحثين خاصة في هذا المجال ومنهم اللسانيون وعلى رأسهم "ويتني"(Whiteny)،وانطلاقا من معطيات هذه النظرية ،يبدو ان الإنسان الأول قد حاكى الأصوات الطبيعية التي تعبر عن انفعالات ،فكثيرا ما نصف التقلبات المناخية وما تصحبه من مطر وسيول جارفة ورعود ،فنعبر عن ذلك بتعبير فنقول (الطبيعة غاضبة)

---

[1] - ابن جني ،المرجع السابق ،ص159-160

[2] -ينظر : حنفي بن عيسى ،المرجع السابق ،ص52.

[3] -المرجع السابق ،ص48.

أليس هذا ما يدل على انفعالها وفق ما قال به ابن جني ،ثم تأتي مرحلة أهم من الأولى من حيث مصاحبتها للتفكير .ولعل « هذه النظرية هي أدنى نظريات البحث -في أصل اللغة –إلى الصحة وأقربها إلى المعقول ،وأكثرها اتفاقا مع طبيعة الأمور وسنن النشوء الخاضعة لها الكائنات وظواهر الطبيعة والنظم الاجتماعية. » [1]

ويعتبر القرن الثامن عشر –في نظر الدارسين-قرن النظريات اللغوية ،فبالإضافة إلى " فيكو " (Vico) جند ثلاثة باحثين في اللغة وهم :

-جان جاك روسو " Jean jack Rousseau" (1712-1778) الذي اعتقد ان الرجال الأوائل اجتمعوا فيما بينهم ليصطلحوا على تسمية الموجودات ونجد آثار نظريته في المجتمع الإنساني التي تعرف بـــ" العقد الاجتماعي " ( Contrat Social )

-كونديلاك (Condillac )(1715-1780 ) الذي تخيل حالة امرأة ،ورجل لا ينطقان ثم شعرا بحاجة قوية إلى الكلام فيأخذان في الصراخ والقيام بحركات وإشارات مختلفة ،وعندما تتكرر نفس الحركات والأصوات ،فلن تلبث الأصوات ان تحل محل الحركات .

-لايبتز Leibeinz ( 1646-1716 ) وعلى النقيض من سابقيه ،فهو لا يرى فائدة من البحث في أصل اللغة ،فهي ظاهرة قديمة جدا قدم الإنسانية ،لذلك على الباحث –في نظره- ان يطبق الدراسة الإحصائية لمفردات اللغة ،والمقارنة بين اللغات .[2]

وفي الوقت الحديث نجد عددا من اللغويين الذين ركزوا دراساتهم على أصل اللغ ة ،هكذا يعتقد اللغوي الايطالي "فيكو" (1668-1744 )ان اللغات في تطورها مرت بادوار ثلاثة :

أ-كان للبشر لغة أولى إلهية أو تطورية سماها لغة الآلهة كانت ذهنية قبل كل شيء فلم يعرف الناس وقتئذ استعمال الكلام

ب-أصبح للبشر لغة الأبطال وهي لغة البطولات والشعر وهي أيضا خرساء أي أنها رمزية مؤلفة من شعارات بطولية تستوجب التقليد الصامت ،لغة الأوسمة والتماثيل والنصب التذكارية

ج-لغة الدهماء من صنع الجماهير وهي لغة الآداب العالمية لأنها تستمد قوتها من سلطان الجماهير [3]

---

[1] - علي عبد الواحد وافي،المرجع السابق ،ص43.

[2] - Georges Mounin ' la linguistique des origines aux vingtième siècle " ,P14

[3] - ينظر خير الله عصار ،ص 14.

لئن أُحيط موضوع أصل اللغة ،والبحث اللغوي في هذا الباب بدوافع مختلفة ،وبهالة من الآراء الميتافزيقية والخرافات والأوهام إلا أننا أمام رؤى متناقضة أسست للبحث العلمي الجاد في أهمية اللغة الإنسانية ،لا من حيث أصلها ،لان هذا الموضوع –محسوم مسبقا-بحيث لا يمكن ان نصل إلى نظرية مقنعة مانعة ،بل هناك من دعا إلى التوقف نهائيا في البحث في هذا الجانب بحجة انه لا فائدة من ورائه.فاللغة قديمة قدم الإنسان في هذا الوجود فلقد «ألفنا اللغة من حولنا منذ ان أطلقنا صرختنا الأولى في هذا العالم كما ألفنا السماء من فوقنا منذ ان فتحنا أعيننا لأول مرة في هذا الكون ولقد اعتدنا سماع أصوات اللغة وتراكيبها في حياتنا اليومية كما اعتدنا مشاهدة نجوم السماء ليلا والتمتع بنور شمسها نهارا ...ولقد أدى جهل الإنسان بأحوال السماء ونظام الكواكب إلى ظهور افتراضات خاطئة من قديم الزمان تحول بعضها إلى خرافات طريفة ،هذا ينطبق على حال اللغة فكل الناس يستعملونها لكن القليل منهم قد درسها بصورة موضوعية وحللها بشكل علمي » [1] ،والأمر البديهي الذي لا مراء فيه ان الفضل في نشأة اللغة الإنسانية يعود إلى المجتمع نفسه ،فلولا اجتماع الأفراد بعضهم ببعض وحاجتهم إلى التعاون والتفاهم وتبادل الأفكار والتعبير عن الأحاسيس والخواطر ما وجدت لغة .ألم يؤكد "دي سوسير" على الطابع الاجتماعي للغة باعتبارها مؤسسة اجتماعية(Institution Social ).قال ابن سينا (428 ه )في هذا السمت : « لما كانت الطبيعة الإنسانية محتاجة إلى المحاورة لاضطرارها إلى المشاركة والمجاورة، انبعثت إلى اختراع شيء يتواصل به ذلك (...) فمالت الطبيعة إلى استعمال الصوت، ووفقت من عند الخالق بآلات تقطيع الحروف وتركيبها معا ليدل بها على ما في النفس من أثر... » [2]

إذا كانت اللغة الإنسانية بهذه المترلة ،انبرى العديد من المهتمين بهذا الميدان اللغوي إلى تقديم ووضع عدد من الخصائص التي ينفرد بها هذا النظام التواصلي عن بقية الأنظمة التواصلية الأخرى التي لا ترقى في مجملها إلى اللغة البشرية لخصائص أهمها.

**خصائص اللغة البشرية** : تعتبر اللغة الإنسانية من أهم واعقد المظاهر السلوكية ،نظرا لتشعب البحث العلمي ،واختلاف النظريات اللسانية والنفسية والاجتماعية والفلسفية في معالجتها ،لان

---

[1] - عبد السلام المسدي " اللسانيات من خلال النصوص " ،39.

[2] - ابن سينا –العبارة من كتاب الشفاء ،ص1-2.

الإنسان منذ ولادته وان تباعدت الأمكنة والأزمنة مؤهل وقادر سلفا على اكتساب هذا النظام الذي يتحدث به مجتمعه والتعامل معه بمرونة مطلقة ،شريطة –كما يؤكد بعض علماء النفس التجريبي–ان لا يكون عمر الطفل قد بلغ السنة الرابعة عشر من عمره ،وفي هذه الحالة يصعب بل يستحيل عليه تعلم اللغة ،وهذا التأكيد يتمركز حول القليل من المحاولات اليائسة في محاولة تعليم اللغة لأشخاص معزولين منذ الولادة عن المجتمع الإنساني ،ويعيشون في بيئات متوحشة . [1] ،وإلا كيف نفسر ظاهرة الاكتساب اللغوي حتى لدى الأطفال المصابون بأمراض عقلية ،فبالرغم من الخلل الذي طرا على المراكز الإدراكية للمخ إلى أنهم قادرون على تكلم اللغة مع بعض الصعوبات العائدة إلى أسباب مختلفة كما سنبين ذلك في الفصل الخاص بالأمراض اللغوية .

إن أقل الناس الماماً بالدرس اللساني ،يدرك ان اللغة الإنسانية تعبر عن سلوك واع ،وميزة خاصة ينفرد بها البشر دون غيرهم من الكائنات التي تقاسمه هذا العالم ،فهي وسيلة لامناص من التواصل بها ،والإعراب عن مكنونات النفس البشرية وما يختلجها من أحاسيس ومشاعر ،ولا يمكن حينئذ ان نسوي بين هذا النظام الفريد وبين الرموز والإشارات والأصوات التي تصدرها الحيوانات لأغراض بيولوجية وغريزية بحتة ،فالإنسان كرمه الله تعالى بالنطق والتفكير « ذلك ان قدرة الإنسان تعتمد اللغة لمعرفة الأشياء ،والأفكار تبيّن قدرته على نوع من الهيمنة والسيطرة عليها. » [2] .فما من شك ان هذا النظام يضطلع بمهمة أساسية في أي مجتمع لغوي ،وهي التواصل والتعبير بين أفراد المجتمع ،فهي أداة لا غنى عنها للتعامل بها في حياتهم ،فان كانت الوظيفة التعبيرية (Expressive) هي النواة ،فليس معنى ذلك أننا نضرب صفحا عن الوظائف الأخرى ،التي تعد– في الحقيقة–وظائف ثانوية إذا ما قيست بالوظيفة المحورية وهي التعبير.يقول "اندري مارتيني A-Martinet): «ان الوظيفة الأساسية للغة هي التعبير والتواصل ،لأنها قادرة على تلبية كل المتطلبات للجماعة المتكلمة بها» [3]

---

1 - ERNEST R.Hilgard et Autres "Introduction à la Psychologie" P -307 -

2 -حلمي خليل " دراسات في اللغة والمعاجم" ،دار النهضة العربية ،بيروت لبنان ،ط1 ،1998 ،ص334-335.

3- ANDRE Martinet " éléments de linguistique générale" P0 9

كثيرا ما نتعامل مع الظاهرة اللغوية موقف لمتعصب لمستوى لساني دون آخر ،وفي ذلك هدر وتجن على اللغة نفسها،لذلك ان تدرس اللغة –أية لغة–من مستويات لسانية أربعة . فاللغة شبيهة إلى حد بعيد بجسم الإنسان «الذي يتألف من أجهزة ،والأجهزة من أعضاء ، والأعضاء من أنسجة ، والأنسجة من خلايا ،فكذلك بالنسبة للغة فهي تتركب من كلام والكلام من جمل والجمل من كلمات ،والكلمات من مقاطع وحروف ،فهكذا اللغة تتركب من وحدات صغيرة تنتظم فيما بينها لتؤلف وحدات أخرى اكبر منها ،وكلها مترابطة بحسب نسق معين وبحسب ترتيب خاص. » [1]

لقد صار من المؤكد ان اللغة الإنسانية تدرس من مستويات مختلفة ،لفهم أصواتها ووحداتها الصرفية وبنيتها التركيبية والدلالية .

1-**المستوى الصوتي** : قال الجاحظ(255ه):« الصوت هو آلة اللفظ ،والجوهر الذي يقوم به التقطيع،وبه يوجد التأليف .ولن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلام ا موزونا ولا منثورا إلا بظهور الصوت ولا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع والتأليف . » [2]،فالصوت هو النواة التي تبنى عليها المستويات اللسانية الأخرى ،فهي المادة الخام ،وعليها يقوم التقطيع والتأليف ،ان اللغة في جانبها الصوتي تعتمد على وحدات صغيرة عديمة الدلالة في ذاتها ،لكنها تغير المعنى من تشكيل لآخر،وهذه الوحدات محصورة ومعدودة تبعا لطبيعة كل لسان فما من لغة كثرت حروفها الهجائية ،إلا وكانت أغنى من حيث المفردات واقدر على التعبير عن مختلف الحقائق.

وليس عجبا ان عبقرية العالم اللغوي ابن جني الذي سبق عصره قد جادت –في حدود علمي– بأحسن تعريف للغة،لازالت الدراسات اللسانية المعاصرة تجتر وتلوك مذهبه ،لأنه عبر عن طبيعة البنية اللغوية المحصورة في المستويات الذكورة سابقا ،بالإضافة إلى وظيفتها الحيوية في المجتمعات اللغوية ،فقال : « أما حدّ اللغة ،فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم . » [3]

2-**المستوى الدلالي** :لقد أصبحت الدلالة أو علم الدلالة منذ مطلع القرن العشرين فرعا من فروع البحث اللغوي معترفا به في علم اللغة ،ومع ذلك يرى جورج مونان ان دراسة هذا الفرع لم تبلغ بعد الرشد العلمي ،ويرى الكثير من الالسنيين أنها الجزء من الألسنية التي تعترض تطبيق مبادئ

---

[1] -حنفي بن عيسى ،المرجع السابق ،ص58.

[2] - الجاحظ "البيان والتبيين ،ج1 ،ص79.

[3] - ابن جني "الخصائص " ،ج1ص33

الهيكلية (Structuralisme)عليه أكثر العقبات ،وهي عقبات لم تتضح طبيعتها بعد،وان الآراء في هذا الفرع من العلم وكذلك الأعمال ،مازالت تشعرنا في كثير من الأحيان أننا أمام "برج بابل" وهو ما يجب الاعتراف به صراحة [1].

إن الحديث عن المستويات اللسانية ليس حكرا عل هذا المستوى دون غيره،فنحن إذ ذاك في فضاء مجهول الأبعاد ،ذلك ان المستويات اللسانية تتضافر فيما بينها في علاقة تتطلبها الطبيعة الخطية للغة ،ولكن هذا التقسيم يعزى إلى الدراسة المستقلة فقط.إذن فالدلالة لا تنفصم عن العلامة اللغوية التي تحدثنا عن بعض مفاهيمها فيما سبق ،لكن ارتبط ظهورها بتقرير "دي سوسير " في معرض حديثه عن الثنائية (الدال/المدلول) على اعتبار أنهما وجهان لعملة واحدة ،لا يشكلان العلامة اللسانية ،لان الرمز(الدال)« يتجلى في صميم اللاشعور ،وهذا ما ذهبت إليه النظرية اللغوية السوسيرية في الدلالة ...فلابد لنا من تفسير العلاقة بين الدال والمدلول على اعتبار أنها صلة لا تخلو من انفصال مادام الدال المتضمن في اللاشعور لا يحيل بالضرورة إلى مدلول واضح تماما. » [2] ،فاللغة نظام من العلامات الدالة ،فالعلامة تواؤم بين الصورة السمعية والمفهوم .فاللغة « بهذا المفهوم يمكننا من خلالها استحضار عالم خيالي لا وجود له في الواقع الحسي...فنظام العلامات الدالة في اللغة البشرية يتجاوز كزنه نظاما اشاريا يشير إلى أشياء موجودة ،بل يتعدى ذلك إلى ما ليس له هذا الوجود الواقعي ،فهو لا يقتصر في دلالته على الحاضر الآتي ،بل يتجاوز ذلك للدلالة على الماضي والدلالة على الغائب ،والدلالة على المتوقع الممكن »[3] ،لان الكلمات وفق ترتيب قواعدي خاص تشير إلى مفاهيم معينة توحي بالضرورة إلى أشياء أو أحداث نكون قد استلهمنا منها صورا ذهنية من قبل خاصة في المراحل الأولى للاكتساب اللغوي.

3-**المستوى التركيبي** : يرد التركيب في معاجم اللغة العربية على مهنى علوّ شيء على شيء ،يقول ابن منظور في معجمه (لسان العرب) : « ركب الدابة يركب ركوبا :علا عليها » [4] ،وهو يرد للتراكم ووضع الشيء على الشيء .يفيد المعجم ان "تراكب السحاب وتراكم : صار

---

[1] -محمد حماسة عبد اللطيف " النحو والدلالة " ،دار الشروق ،ط1 ،2000، ص40.،وينظر G-Mounin" clefs pour la linguistique " ;P134.-

[2] -زكريا إبراهيم "مشكلات فلسفية "،دار مصر للطباعة (دت،دط)،ص172

[3] - محمد عماد الدين إسماعيل "الأطفال مرآة المجتمع " سلسلة عالم المعرفة ،الكويت ،1986 ،ص 115.

[4] - ابن منظور "لسان العرب" دار صادر بيروت ،1986 ،ج1 ،ص 428.

بعضه فوق بعض ...وركّب الشيء : وضع بعضه فوق بعض،ويرد على معنى ان يتبع شيء شيئا ،يقول صاحب اللسان :"وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه :"فإذا عمر قد ركبني " " أي تبعني وجاء على اثري ،لان الراكب يسير بسير المركوب ،يقال :ركبت أثره وطريقه إذا تبعته ملتحقا به (1) .ويبين الشريف الجرجاني في تعريفاته اصطلاح التركيب في اللغة حيث يقول : «التركيب جمع الحروف البسيطة ونظمها ليكون كلمة » (2)

فإذا كان المستوى الأول يهتم بدراسة الصوت اللغوي باعتباره الماد ة المكونة للوحدات الصرفية والوحدات الدالة أو المونيمات على حد وصف المدرسة اللسانية الوظيفية ،أو مصطلح الكلمة في اللسان العربي فهذا النظام اللغوي« يتألف من بنى صوتية ومعجمية (ألفاظ) وتراكيب (جمل) ودلالات (معاني) وباعتبارها نظام قائم بذاته ،فان هذا سيسمح بالحديث عن السنية جديدة لان النظام أو النسق هو المقدمة الأولى لمفهوم البنية الذي سيحتل مكان الصدارة في التحليلات اللسانية ضمن المدرسة البنيوية. » (3) .ان التركيب (Syntaxe)هو الكفيل الوحيد بإيجاد مجموع العلائق بين العناصر اللسانية في ملفوظ وفي سياق محدد بحسب الطبيعة الخطية للغة طبعا ،فيعتبر علم التراكيب أساس الدراسات اللسانية ذلك لأنه «قلب الأنظمة اللغوية ،ومحصلتها النهائية فهو الذي يصل بين الأصوات والدلالات ،ولكن ينبغي ان نلاحظ ان اللغات لا تجري على متوال واحد في تركيب الفونيمات للتعبير عن المعنى ،أو بعبارة أخرى ان تركيب الألفاظ في صورة جمل بسيطة أو معقدة لا يجري عل نظام واحد في كل اللغات إذ لكل لغة طريقتها الخاصة في نظم الكلام» (4)

من هنا عمد بعض الباحثين إلى إحصاء مجموعة من الخصائص التي تنفرد بها اللغة الإنسانية وسنحاول ان نرد بعضها ترتيبا حسب أهميتها ومنها :

-تتسع لغة الإنسان للتعبير عن تجاربه الماضية والحاضرة ،وخبراته ومعارفه.

-يتشكل هذا النظام من رموز اصطلاحية غير مباشرة .

-الإنسان مؤهل بيولوجيا ونفسيا للتعامل مع هذه الرموز لغرض التواصل بينه وبين أفراد مجتمعه.

---

[1] – نفسه ،ج3 ،1714،مادة :ر ك ب.

[2] - الجرجاني "التعريفات" ،ص71.

[3] -الزواوي بغوره" المنهج البنيوي . بحث في الأصول والمبادئ والتطبيقات" دار الهدى الجزائر ،ط1 ،2001 ،ص36.

[4] -حلمي خليل " مقدمة لدراسة علم اللغة " ،ص108.

-اللغة الإنسانية بوسعها التعبير عن المدركات الحسية الملموسة( Concrètes) ،فضلا عن الأشياء التي لا وجود لها في الواقع الحقيقي ،وان شئنا سميناها بالأشياء المجردة(Abstraits).

-يتألف هذا النظام التواصلي من اصغر الوحدات الصوتية تتآلف فيما بينها اعتمادا على القواعد التركيبية الخاصة بكل لغة. -تتنوع لغة الإنسان بتنوع الجماعات التي تستخدمها بفعل عاملي الزمان والمكان.

-الإنسان مهيأ فطريا لاكتساب لغة المجتمع الذي ينشا فيه. [1]

من الخصائص التي تميز اللغة أيضا وهو ما وقفنا عليه في مبحث سابق ،خاصية التقطيع المزدوج(Double Articulation)الذي اعتمده العالم اللساني الفرنسي "اندري مارتيني" (A-Martinet) في مؤلفه الموسوم بـــــــ" مبادىء اللسانيات العامة"( éléments de linguistique générale) ورأى ان اللغة قابلة للتقطيع على مستويين وهما :

1-على مستوى المونيمات ( Monèmes):وهي الوحدات الدالة التي تقبل التحليل الى وحدات اصغر عديمة الدلالة. [2]

2-على مستوى الفونيمات : ( Phonèmes) الفونيم اصغر وحدة صوتية ليست لها دلالة في ذاتها ،ولكنها قادرة على تغيير المعنى . [3] والفونيمات محدودة في كل لغة والإنسان وحده الكفيل بإدراكها وتمييزها وأية ذاكرة آلية حتى الآن لم تستطع ان تنوب عنه على الرغم من الجهود المضنية التي بذلت ولازالت تبذل (...) ومنها أي (الفونيمات) تتشكل مفردات أية لغة وهي معرضة للتطور والتبدل مثلما هي معرضة للدمار والنسيان . [4]

من خلال ما سبق ندرك ان الإنسان أصبح يعيش تحت رحمة اللغة ،فقد أضحت وسيلة —لامناص —من التعامل بها لا يحده في ذلك زمان أو مكان ،يعبر بها ،يتفاهم مع أفراد مجتمعه اعتمادا على رموز دالة،ومن السذاجة ان نتصور حياة الإنسان خارج نطاق اللغة ،بها يولد وعلى ضوئها يعيش وعلى آخر أصواتها يفارق هذا العالم .

---

[1] -أحمد حساني "دراسات في اللسانيات التطبيقية-حقل تعليمية اللغات" ديوان المطبوعات الجامعية ،2000(دط)،ص 70-71.

[2]- A- Martinet " éléments de linguistique générale",P19

[3]--IBID .p19-20

[4] - ينظر —عبد الجليل مرتاض "التحولات الجديدة للسانيات التاريخية " ،ص61.

بات من المؤكد ان اللغة الإنسانية هي أرقى أساليب التعبير التي أهل لها الإنسان ،لذا انبرت الكثير من الدراسات اللغوية لدراستها وكشف مكنوناتها ،وإبراز خصائصها التواصلية ووظائفها المتنوعة ،رغم أننا أكدنا فيما سبق –كما أكد ذلك الدارسون من قبل–ان الوظيفة النواة للغة هي التعبير وعقد التواصل بين البشر في المجتمع الواحد ،ومن هذه الوظائف :

-تعمل اللغة على تزويد الفرد بالمعرفة والمعلومات والإفادة منها .

-تعتبر اللغة الأداة التي تعمل على نقل لخبرة بواسطة الذهن .

-تساعد اللغة على التفكير والتحليل وربط المعلومات .

-للغة وظيفة أساسية في نقل التراث بما في ذلك من قيم وثقافة عبر الأجيال المتلاحقة .

-اللغة تمكن الفرد وتسعفه في إنتاج نظام لغوي يتجاوز نظام اللغة المعيارية .

-اللغة قناة رابطة بين أفراد المجتمع البشري ،لها القدرة على نقل المعلومات والإخبار على مسافات بعيدة خاصة في ظل التطور الإعلامي المسموع والمرئي

-تأخذ اللغة طابعا رمزيا من حيث كونها نظاما من العلامات الاصطلاحية التي تحيل إلى أشياء واقعية في العالم الخارجي. [1]

وفي الإطار نفسه ، قسم "هاليداي "(Haliday) وظائف اللغة–التي نوردها مختصرة – إلى ثمان : الوظيفة النطقية والوسيلية،التفاعلية ،التنظيمية ،الشخصية ،التخيلية ،الاستكشافية ،الإخبارية والإعلامية ،والوظيفة الرمزية [2] ،ومن الدارسين في مجال علم النفس اللغوي من أضاف إلى كل هذه الوظائف وظائف أخرى من شانها ان تفسر بعض الظواهر الاجتماعية والنفسية للغة وهي : الوظيفة الاجتماعيةو والوظيفة النفسية ،لان اللغة خير أداة للتحليل والتركيب فبواسطتها استطيع ان احلل أي وضع أو أية فكرة إلى أجزائها .[3]

**الأسس البيولوجية للغة:**

إن موضوع اللغة لم يعد حكرا ووقفا على الدراسات اللسانية من خلال تعدد النظريات اللغوية وتشعب المناهج التحليلية للظاهرة اللغوية فحسب ،بل تعداه إلى مجالات أخرى ألقت بظلالها على

---

[1] -ينظر – أحمد حساني،المرجع السابق ،ص74-75.

[2] -ينظر –نبيل عبد الهادي وآخرون " تطور اللغة عند الطفل " ،ص25-26.

[3] -ينظر –حنفي بن عيسى ،المرجع المذكور سابقا ،ص68.

مثل هذه الإجراءات في تناولها للغة ،ولما كانت اللغة تدخل في أصل معظم العلوم الإنسانية ،إما كعنصر أساسي في ميدان البحث ،وإما كأداة يتحتم استعمالها في التعبير عن معطيات هذا العلم أو ذاك ،فقد تداخلت مفاهيم اللسانيات في معظم العلوم الإنسانية ،ونشا عن هذا التأثر و التأثير المتبادلين بينهما تيارات فكرية وعلمية حديثة كعلم النفس الذي تقاطع منهجيا وإجرائيا مع الدرس اللساني فتولد ما أصبح ينعت بعلم النفس اللساني ( Psycholinguistique) لان «الدراسات اللغوية أصبحت قوية البنيان ،وثابتة الأركان ،منذ ان اخذ العلماء يعتبرون الكلام مظهرا من مظاهر السلوك» [1] ،و علم الاجتماع في تناوله للجانب الاجتماعي من اللغة فأضحى يسمى بعلم الاجتماع اللساني ( Sociolinguistique) ،بالإضافة إلى علوم أخرى كالرياضيا ت والانثربولوجيا وغيرهما ،ولعل ما يهمنا في هذا الباب الجانب البيولوجي وتضافره مع علم اللسانيات ،فتولد علم قائم بذاته من حيث الأدوات الإجرائية وهو "اللسانيات البيولوجية (Linguistique Biologique).

إن اللغة تكوين بيولوجي يماثل العمليات البيولوجية الأخرى التي زود بها الكائن البشري كالمشي والأكل والهضم...الخ ،هذا حقل اللسانيات البيولوجية ،هذا العلم الحديث المتفرع عن اللسانيات «يدرس اللغة كظاهرة بيولوجية للكائن الحي مع التركيز على الجوانب العصبية والفيزيولوجية والوراثية... »[2]

إن الحديث عن اللغة الإنسانية يجرنا إلى الحديث عن القدرات العقلية والذهنية التي يضطلع بها الدماغ البشري الذي جعل من « اللغة من ابرز السمات التي تحدد السلوك البشري ،فالإنسان هو الوحيد المؤهل لاستعمال اللغة » [3] .فهو حجر الأساس في التعامل مع اللغة ،وإلا كيف نفسر ظاهرة الاكتساب اللغوي لدى الطفل منذ نعومة أظافره فيصبح من السهل عليه الاندماج في المجتمع بهذا النظام العجيب . إذا الدماغ البشري هو اللغة ،فلا لغة بدونه ،وما يعلل هذا المنحى الأنواع الحيوانية التي تصدر اصواتا في ظروف مختلفة كالخوف من خطر داهم أو إشباع رغبات جنسية وبيولوجية وغير ذلك ،لكن هذه التواصلات الصـــوتية لا ترقى إلى مستـــوى اللغة

---

[1] - م ،نفسه ،ص126.

[2] -أحمد مختار عمر " محاضرات في علم اللغة الحديث" عالم الكتب ،القاهرة ،ط1 ،1995 ،ص54.

[3]- -Adrien .J et autres "La recherche en Neurobiologie" ;éd du seuil;1997;P280

البشرية « فمعرفة بنية اللغة البيولوجية واختلافها عن بنية المعرفة الموجودة عند أذكى الحيوانات كالشمبانزي من اهتمامات علم اللسانيات البيولوجي» [1]

وستكون لنا وقفة خاصة مع ظاهرة التواصل لدى الحيوانات في مبحث لاحق .

إن تعامل العلماء مع هذه الظاهرة خاصة في مجال النفس التجريبي فقد بذلوا جهودا مضنية لمعرفة الفروقات بين اللغة البشرية والاتصال عند بقية الأنواع الحيوانية ،وذلك اعتمادا على معطيات الدراسة اللسانية للغة ،فتبين ان الشامبانزي مثلا التي تظهر أنماطا من السلوك تجعلها على رأس الحيوانات مرتبة من حيث الذكاء ،وعلى الرغم من ذلك لا تستطيع ان تحول الإشارات الصوتية التي تصدرها الى رموز لغوية «حتى عام 1970تقريبا ورغم الجهود لتعليم الشامبانزي الكلام باءت بالفشل ...كل ما تم تحصيله من خلال هذه العملية ان أصبح هذا النوع باستطاعته التواصل اعتمادا على اليدين فقط» [2] ،ومن خلال التجارب على هذا النوع أورد المؤلف تجربة "قاردنر وقاردنر( Gardner et Gardner) عام 1970فقد علما الشامبانزي المدعو"Washoe"من جنس "أنثى" النظام الأمريكي اللغوي الاشاري ( SYSTEME Americain de langage par signes)( American sign language) وهو نظام مخصص للأفراد الصم ،بدأت التدريبات منذ ان عمر هذا الحيوان العام تقريبا ،ثم تواصلت حتى بلغ السنة الخامسة من عمره ،لكن المحاولة فشلت فأصبح "واشو" بإمكانه تنفيذ بعض الحركات اعتمادا على الملاحظة والتقليد.[3] ، ولعل ما يعلل هذا المنحى وقصور القرد عن تعلم اللغة الإنسانية يعود بالأساس إلى نقص في المخ لدى هذه الحيوانات وهذا في ظل الفروق التشريحية بين القردة والإنسان

إن المخ البشري مزود بما يسمى "مناطق الترابط(Les Aires D'association)،وهي عدد هام من مناطق اللحاء المخي لكنها لا ترتبط مباشرة بالمراكز الحسية أو الحركية ،تقوم بعملية الدمج للكثير من المؤثرات الخارجية لمختلف الحواس ،ويمكنها أيضا ان تساهم في عمليتي التعلم اللغوي أو الفكري [4] فتقوم هذه التركيبات الترابطية بتحويل الإشارات السمعية والبصرية إلى تكوينات لفظية .ان الارتباط بين النمو اللغوي والنمو الحسي الحركي قد يبدو متداخلا من حيث

---

[1] - مازن الوعر "قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث " ،ص 402.

[2]- Ernest D-Hilgard et autres " Introduction à la Psychologie" P 309

[3]--IBID .P308.- " Introduction à la Psychologie , P308

[4]- -IBID.p55

التأثر والتأثير لكن قد لا يجمع بينهما علاقة سببية فالاكتساب اللغوي مستقل تماما عن النمو الحركي ،ويبدو هذا جليا خاصة لدى الأطفال الذين يشكون من عوارض مرضية كالصم البكم ،فرغم النمو العادي للجانب الحسي الحركي إلا أنهم عاجزون بالجملة على ممارسة اللغة ويكتفون بالتعامل عن طريق الإشارات الخاصة التي تمكنهم من ترجمتها ذهنيا،وهذا ما تعتمده المدارس المتخصصة في هذا الميدان .من هنا يتبدى الفرق الواضح بين العنصر البشر يوما حباه الله به من جوانب فسيولوجية بيولوجية التي تساعده على اكتساب اللغة وبين الحيوانات التي تفشل في اكتساب حتى المراحل البدائية للغة الإنسانية.

إن الدراسة العلمية الموضوعية للدماغ البشري ليست بالأمر السهل ،بل قد تكون معروفة النتائج منذ البداية ،فكل الدراسات لهذه البنية المعقدة لا تعدو ان تكون محاولات لا غير . لكن أصحاب الاختصاص يعتقدون ان ملامح الجهاز العصبي (Système Nerveux)تمكن الإنسان من الاكتساب اللغوي مقارنة مع الأنواع الأخرى ،فالبشر يتميزون بمخ اكبر ودرجة اكبر من التلفيف المخي (Hémisphère Cérébral)،فالتلفيف الأيسر يتحكم ويراقب الجهة اليمنى من الجسد ،بينما التلفيف الأيمن يتحكم في مراقبة الجهة اليسرى ( ينظر الشكل )،وهناك ميزتان فبالجهاز العصبي المركزي (système nerveux centrale)يرى البعض من الدارسين لهذا الجانب أنهما خاصتان باستخدام البشر للغة فالتلفيف الأيسر مختص بالاستعمال اللغوي ،بينما الأيمن للتصور العقلي والفهم [1]

إن آخر إطار يمكن العودة إليه في مناقشة طبيعة اللغة وتطور الكلام عند الإنسان هو من دراسات الدماغ والمجرى الصوتي ،وهذا بالنظر إلى الزيادة الكبيرة في حجم الدماغ البشري ،وقد اظهر "جسيوند" (Geschwind) من مدرسة هارفرد الطبية في بوسطن ان« مناطق الاستقبال الأساسية في دماغي الإنسان والقرد متشابهة ،ويقع الاختلاف بينهما في تطور دماغ الإنسان لمناطق ربط أساسية وخاصة المنطقة الواقعة بين الفص الجداري –الصدغي التي تقع على نحو مناسب وسط مناطق الإحساس الحركي السمعي البصري » [2] ،ويعتقد ان تطور الربط هذا يفسر سلوك التسمية عند الإنسان .فهو يرى ويحس بشيء ما ويسمع اسمه ويتعلم إصدار الاسم نفسه بعد ربط

---

[1]-. " Introduction à la Psychologie" P56, -.Ernest D-Hilgard et autres

[2] -جلوريا ج.بوردن وكاثرين .س.هاريس " أساسيات علم الكلام" ،تر محي الدين حميدي ،دار الشرق العربي ،سوريا ،1990 ،ص438.

المتلازمات البصرية والسمعية والحسية –الحركية للشيء المراد تسميته .وتثير التسمية تطورا لغويا ابعد.وان أي تعطيل في منطقة الاتصال في الفص الجداري–الصدغي يتدخل في مقدرة التسمية ومقدرات لغوية أخرى.من هنا فالدماغ البشري من حيث تركيبته الفيزيولوجية مؤهل كي تتلقى المستقبلات الحسية تنبيهات تترجم بنشأة رسالات عصبية حسية ،بالإضافة إلى ان المخ يقوم بترجمة هذه الرسالات العصبية إلى إحساسات واعية ،ومهم القول ان النشاط الدماغي يتحكم في مظهري الإحساس الواعي والحركات الإرادية [(1)] .من هنا وبحسب المعطيات العلمية الخالصة في هذا العلم ،فان المخ (Cerveau )،والدماغ الاوسط ( Diencéphale )،والنخاع الشوكي ( Moelle épinière ) المشكله لما يعرف بالجهاز العصبي المركزي ،هذا الأخير « ينظم عمل أعضاء الجسم المختلفة ،كما انه المكان الذي تجري فيه العمليات الذهنية العليا » [2].فكما هو واضح من خلال هذا الرأي فان عمل الجهاز العصبي المركزي لا تقف سيطرته على التحكم في كل ما يصدر عن الإنسان من خلال عمل الأعضاء وبفضل الخلايا الخاصة التي تعرف بالخلايا الحسية أو المستقبلات (Récepteurs )الموزعة في كل أنحاء الجسم ،وهذه الخلايا مسؤولة عن تحويل التنبيهات (Stimulis ) الخارجية إلى نبضة كهربائية (Impulsion électrique )وتنتقل بدورها إلى المراكز العصبية (Centres Nerveux )للجسم حتى يقدم التفسيرات الكافية من طرف الخلايا المعروفة بالعصبونات (NeuronS ).[3]

يجزم علماء الأعصاب والطب والباحثين في الدماغ البشري على وجه الخصوص ان هذه المراكز العصبية هي التي تتولى نقل وتحويل النبضة الكهربائية إلى أحاسيس ينجر عنها اختيار الاستجابة اللازمة إراديا أو لا إراديا .بعد ذلك يقع تحويل هذه الاستجابات إلى سيالة عصبية جديدة تنقلها عصبونات أخرى إلى تلك الأماكن من الجسم المطـــلوب منها القيام بعمل ما وهي الأعضاء المنفذة [4].لذلك سيظل البحث الدماغي مستمرا ،ورغم الجهود العلمية في هذا المجال العلمي إلا ان علماء الأعصاب لم يتوصلوا بعد إلى تقديم التفسيرات العلمية المقنعة لهذا الجهاز العجيب ،وما قُدم لحد الآن لا يعدو ان يكون عبارة عن محاولات لا غير.

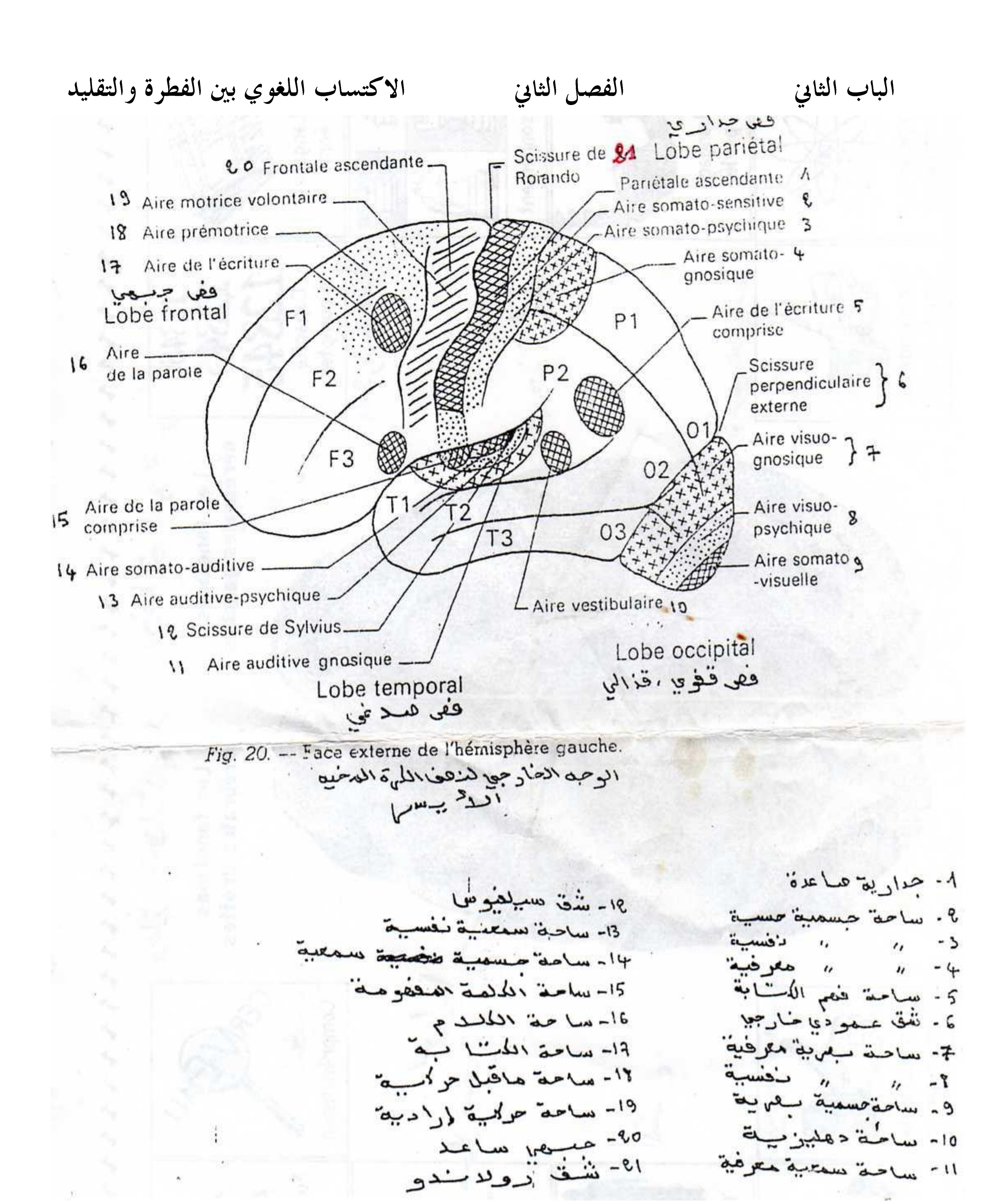
---

[1] -سهيلة رغيس وآخران " كتاب العلوم الطبيعة والحياة للسنة الأولى ثانوي (ج م آ) "،ديوان المطبوعات المدرسية ،06/05،ص73.

[2] – نوريا روكا ومارتا سيرانو " الخلايا المورثات والصبغيات " تر :محمد هناد ،دار القصبة ،2007،ص 12

[3] – نفسه ،ص 4

[4] -ينظر المرجع نفسه ،ص 5.




[1]

---

[1] -Sherwood " Physiologie Humaine " Nouveaux horizons de Boeck ,2 éditions.2006. P27.

يعد ايريك لينبرج ( E-lenenberg)(1964)من أهم العلماء الباحـــــــثين في هذا الميدان ،وتحدد مفهوم اللسانيات البيولوجية من خلال أبحاثه ،حيث دعا إلى« بحث المفهوم البيولوجي للطاقات اللغوية وإرجاعه إلى مكانه الطبيعي في الدراسات اللسانية ،نظرا لوجود علاقات متشابكة بين الطاقات اللغوية والطاقات البيولوجية في الدماغ البشري.» [1] ،فلقد أصبح واضحا الآن بعد ان اتجه البحث اللساني لدراسة نظام معقد وهو الدماغ وأثره في اكتساب اللغة ان تستفيد اللسانيات من علم آخر يعد جديدا وهو علم اللغة العصبي ( Neurolinguistique)وهو علم يتجه إلى دراسة العلاقة بين اللغات المختلفة ووظيفة المخ ( Cerveau)بالإضافة إلى علاقة اللغة بالقدرات المعرفية .فالمخ «يشغل حيزا كبيرا من فراغ الجمجمة ،وهو العضو ذو التخصص الدقيق في جسم الإنسان ويزن حوالي 1300 غرام للشخص العادي ،ويتألف من أقسام مختلفة هي المخ الأمامي (The fore Brain) والمخ الأوسط ( Mid-Brain) والمخ الخلفي ( Hind Brain)ويحيط بالمخ ثلاثة أغشية تعرف في مجموعها بأغشية المخ (السحايا Meninges) [2]

ظل هذا التأثر والتأثير بين علمين قائمين بذاتيهما ،وأعني بذلك علم اللغة ،وعلم البيولوجيا بات لزاما ان تستثمر الجهود اللسانية خاصة في جوانب الاكتساب اللغوي في المباحث البيولوجية وان تأخذ المعطيات اللسانية مأخذا جديا ،وهذا بالنظر إلى ما توصلت إليه البحوث العلمية خاصة في ميدان التشريح ،ومن المفيد ان نناقش الأهمية الممكنة للغة من جراء تحديد وظائف جانبي الدماغ البشري الواضحة من خلال التشريح فقد تبين ان الإنسان يستخدم احد نصفي الدماغ في بعض الوظائف والنصف الآخر في وظائف أخرى ،أما اللغة فهي مسيطرة على نحو جلي في نصف الدماغ الأيسر على الرغم من وجود بعض الاختلافات الفردية فالقسم الأيسر من الدماغ البشري مسؤول عن العمليات اللغوية ،بل يحتوي على مراكز لكلام ،لذا يتوجب على علماء اللسانيات البيولوجية تحديد طبيعة تلك العلاقة المنظمة للعمليات الدماغية لدى البشر عامة ،وهذا هو معيار العالمية في الدراسات البيولوجية اللغوية . [3] لقد نال المستوى الصوتي حظه كذلك صمن الدراسات البيولوجية ،خاصة بإسقاط المفاهيم الرياضية على هذا المستوى ،من حيث العملية النطقية للأصوات «ولضبط تأثيراتها المختلفة على الاذن الإنسانية ،والحقيقة لم يقتصر البحث الرياضي على

---

[1] -مازن الوعر ،المرجع لمذكور سابقا ،ص281.

[2] -صبحي عمران شلش " علم وظائف أعضاء الحيوان العام" ،در البعث قسنطينة ،الجزائر،ج1 ،ط1(1984)،ص161.

[3] -ينظر :قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث "،ص301،وبتصرف

الأصوات اللغوية فحسب ،بل لقد أخذت فاعلية البحوث الرياضية تنجر على علم النحو العام أيضا » [1]

عموما فان الأبحاث في علم اللسانيات البيولوجية قد أثبتت نجاعتها وذلك اعتبارا من النتائج المحققة في ضبط العلاقة بين اللغة ودراسة العلاقات التنظيمية التي يوفرها الدماغ البشري ،وربما ان المستقبل سيكشف الكثير من القضايا التي تتعلق باللغة البشرية وكشف خصائصها ومناطقها بدرجة علمية اكبر على مساحات الدماغ البشري ودحض بعض الطروحات التي تتبنى ان للحيوان —خاصة الشامبانزي-يمكن ان يتكلم اللغة. [2]

[1] -نفسه ،ص302.

[2] - Adrien .J et autres "La recherche en Neurobiologie"- P280

## التواصل اللغوي:

لقد أومأنا —سلفا–ونحن نتناول قضية اللغة إلى تعريف العلامة ابن جني له بقوله « أما حد اللغة ،فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم » ،وهذا لعمري من اضبط التعاريف واجلها ودقتها العلمية ،في ظل التعريفات الحديثة للغة على أنها نظام من الرموز ،ومعنى هذا ان اللغة تتكون من مجوعة من الرموز تكون نظاما متكاملا .واللغة أكثر الرموز التي يتعامل بها الإنسان تركيبا وتعقيدا [1] .ولعل هذا ما يجعلنا نفرق بشكل واضح بين الرموز الأخرى التي تستعمل لأغراض تواصلية كالإشارات المرورية والضوئية على ضوء التعاربف التي أوردها "جورج مونان (G-Mounin)للغة فقال: «اللغة بمفهوم "جسبرسن" ( Jespersen) هي عبارة عن أية وسيلة اتصالية بين الكائنات الحية .ويقول "لالاند" ( Lalande ) " هي كل نظام من العلامات يمكن اعتماده كوسيلة للاتصال » [2]. من هنا وقياسا على ما استدلنا به على "النظام" فالضحك هو لغة كذلك ،الدموع أيضا هي عبارة عن لغة ،وكثيرا ما نسمع في حياتنا اليومية (ان المرأة ل تجيد إلا لغة الدموع) ،ومن ذلك أيضا :الرسم ،النحت الموسيقى ،السينما كذلك ،التجمعات الدينية ،المباريات الكروية ،الإشارات المرورية على الطرقات ،العلامات الضوئية ،الإشارات البحرية ،زقزقة العصافير ،أصوات القردة ،رقصة النحل ،احتكاك قرون الاستشعار لدى النمل ..فكل ما سبق يمكن ان يتحول إلى علامات ومن هنا منطقيا هي عبارة عن لغات.[3] .

إن هذه الرموز التي استند إليها "جورج مونان" في الحقيقة تبدو رموزا بسيطة جدا بالمقارنة مع اللغة البشرية ،لأن الإنسان وحده هو الذي يتعامل باللغة بطريقة ذهنية إدراكية لطبيعة هذه الرموز المنسجمة لتكون نظاما مركبا معقدا ،يقول "دي سوسير": « هي نظام من العلامات معبرة عن أفكار ،ومن هنا يمكن مقارنتها بنظام الكتابي وأبجدية الصم والبكم وبأشكال التحية وبالعلامات العسكرية ...الخ لكنها الوحيدة الأكثر أهمية من بين هذه الأنظمة » [4] . إن هذه الطروحات في

---

[1] -ينظر محمود فهمي حجازي " مدخل الى علم اللغة " ،دار قباء للطباعو والنشر والتوزيع (دت ،دط) ،ص10.

[2] - Georges Mounin "clefs pour la linguistique" ;P29.-

[3] - IBID ;P 30–

[4] - F.DE SAUSSURE" cours de linguistique générale",P33–

ميدان اللغة ،والتفريق مابين ما هو لساني وغير لساني شجع " سوسير" على جعل اللسانيات منضوية تحت الراية السيميولوجية (Sémiologique) « يمكن ان نتوقع ظهور علم يدرس حياة

العلامات ضمن إطار الحياة الاجتماعية ،ومن هنا يكون جزءا من علم النفس العام ،ويمكن تسميته بالسيميولوجيا من اللاتنية "سيميون" وهي العلامة ...ولكن باعتبار انه لم يظهر بعد لا يمكننا ان نتوقع ماذا سيكون عليه ،ولكن من حقه ان يكون موجودا ومكانته مضمونة مسبقا .اللسانيات ما هي إلا جزء من هذا العلم ،والقوانين التي سيكتشفها علم السيميولوجيا يمكن تطبيقها على اللسانيات . » [1] ،فاللسانيات من المنظور السوسيري تدرس فقط العلامات اللسانية في حين ان السيميولوجيا تدرس كل التواصلات اللسانية وغير اللسانية إسقاطا على التعارف التي ساقها "جورج مونان " لمفهوم اللغة.

اللغة هي عبارة عن أصوات –كما عبر عن ذلك ابن جني – ولكنها تحمل دلالات معينة بالنظر إلى طبيعة الدال والمدلول في مفهوم العلامة اللغوية ،ومن هنا فسائر الأنظمة التي ذكرناها من قبل هي أنظمة اشارية بسيطة لا ترقى إلى مستوى هذه اللغة العجيبة. لذا ليس غريبا أن أصبح تعريف ابن جني للغة ملاذا آمنا لكل من يروم الإبحار في بحر لجي متلاطم الأمواج وهو بحر اللغة ،وحسبنا ذليلا على ذلك اعتماده من قبل المحدثين العرب والغربيين على حد سواء ،رغم التستر على ذلك ،ورغم الاضطراب الذي تعج بها الساحة اللسانية من جراء التعاريف المتضاربة حينا والمتناقضة أحيانا أخرى «التواصل هو تبادل كلامي مابين المتكلم الذي ينتج ملفوظا معينا إلى متكلم آخر ،وهذا الأخير يرحب بالاستماع إلى إجابة واضحة أو ضمنية بحسب الملفوظ ... » [2] ،لكن المعجم الفرنسي لتعليمية اللغات يذهب إلى القول :التواصل هو تبادل "معلومة ما " بين باث ومتلق بفضل رسالة تمر عبر قناة ،كالتواصل الهاتفي مثلا . » [3] . رب سائل يسألنا :أين يكمن جوهر التأثر ؟

---

1 - IBID",P33-

2 -Jean Dubois et autres "Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage" ;P94

3. Gallisson.R et Coste .- "Dictionnaire de Didactique des Langues" .P102-103

إن التعريف السابق لابن جني يؤكد —بدقة علمية متناهية —بنية اللغة ،واهم الجوانب المكونة لها والتي اعتمدتها التعاريف اللسانية المعاصرة :من حيث الجانب الصوتي وما يتعلق بالصوت اللغوي من حيث الإنتاج الذي يعد عملية فيزيولوجية بحتة لأنها تعتمد بشكل كلي على أعضاء

النطق في التصويت أو إصدار الأصوات اللغوية ،فضلا عن ذلك الجانب السمعي الاكوستيكي من خلال الاذن ومكوناتها ،أما الجانب الانتقال فهو مرحلة فيزيائية ينتقل الصوت بعد الإنـــتاج عبر تموجات الهواء ليصل إلى المرحلة النهائية وهي الاستقبال.فهذا الجانب قد أقرته اللسانيات الحديثة فلا مجال لمناقشته ،أما العنصر الثاني فهو ما عبر عنه فارس الصوتيات "ابن جني" ،فحدد حينئذ الطابع التعبيري والوظيفة التعبيرية للغة ،فالإنسان محكوم عليه ان يتعامل بهذا النظام للتعبير عن آرائه ومكنونات نفسه ،وأحاسيسه وعواطفه ،فالغاية منها « الإبانة عن أغراض من يتكلمون بها في مجتمع ما ،سواء أكانت هذه الأغراض فكرية أو وجدانية أو لمجرد التسلية الشخصية ،ومن البيّن ان الأغراض التي تبين اللغة عنها تختلف في كل مجتم ع عنه في الآخر ،وهذا بتأثير العصر والبيئة . »[1] ،فاللغة نشاط إنساني تبعا للعضو الفاعل لها وهو اللسان ،ألم يحدد ابن خلدون هذه الناحية في مقدمته متبنيا رأي ابن جني ؟ ،قائلا : « اعلم ان اللغة في المتعارف عليه هي عبارة المتكلم عن مقصوده ،وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن المقصد لإفادة الكلام ،فلابد ان تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها وهو اللسان .وهو في كل امة بحسب اصطلاحاتهم . »[2].

لقد حدد ابن خلدون كما رأينا وظيفة اللغة وهي الإفادة والتعبير وتبادل الأفكار والمعلومات ،ولكن بكيفية معينة ،تلك هي إذن الوظيفة الرئيسية التي تؤديها الألسنة البشرية . [3].ان الحقيـــقة التي لا مراء فيها ،ان اللغة ملكة لسانية ،وهذا ما وضحه ابن خلدون استنادا إلى القول السابق :فهي ملكة وهذه الأخيرة صفة راسخة في النفس الإنسانية تعين على اكتساب مهارة ما ،فلا ضير

[1] -محمد عيد "الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون " ،عالم الكتب القاهرة ،1979 ،ص108.

[2] -ابن خلدون "المقدمة " ،دار الفكر ،بيروت ،لبنان نط1 ،2003 ،ص 565.

[3] - ينظر خولة طالب الإبراهيمي " مبادئ في اللسانيات " ،ص24-25.

ان المقدرة على الكلام هو ملكة لان هذه الأخيرة « لا تحصل إلا بتكرار الأفعال ،لان الفعل يقع أولا وتعود منه للذات صفة ،ثم تتكرر فتكون حالا... » [1]

لعل الجاحظ من خلال التعريف السابق قد سلط الضوء على مستويات التحليل اللساني التي تخضع لها اللغة الإنسانية من :الجانب الصوتي ،المورفولوجي والتركيبي والدلالي ،وهذا ما يمثل فرقا وميزة خاصة لهذا النظام مقارنة بالحيوانات من حيث الاتصال والتواصل فيما بينها .ان فكـــــرة

الاتصال مفهوم اعم من من اللغة وأوسع نطاقا إذ يمكن ان يحصل بعدة طرق من بينها اللغة كما عبر عن ذلك الدكتور حنفي بن عيسى في محاضراته [2] .ان مفهوم الاتصال ومفهوم اللغة أصبح
من الأولويات في الدراسات اللسانية ليوم خاصة في ظل التطور الهائل الذي تشهده مختلف الميادين الحياتية ،وما تعلق بالتطور في مجال الاتصالات .فيجمع علماء اللســـانيات على ان الكلام يضطلع بمهمتين أساسيتين ،وهمـــا التوصيل والتعبير ،فاللغة –بمفهوم الوظيفة الأولى-أداة تمكن المتخاطبين من الاتصال بعضها ببعض للتعامل أو التعاون في حياتهما اليومية ،وأما التعبير فهو التبليغ والتوصيل[3]

**أساسيات التواصل اللغوي :**

بات من البديهي –في ظل تطور الدرس اللساني الحديث- معرفة العلاقة الوطيدة بين اللغة والتواصل ،هذه الثنائية التفاعلية ولدت مفهوما وإجراءا جديدين وهو التواصل اللغوي ،وهو في ابسط تعاريفه التفاعل بين طرفين أو أكثر من الأفراد المجتمع اللغوي في شتى مجالات الحياة بغية التعبير عن حاجيات أو رغبات ونقل المشاعر والأحاسيس ،ومن هنا وجب ان نشير إلى طبيعة الرسالة المتبادلة بين الطرفين ،بحيث لا تقتصر على التعبير اللفظي ،بل يمكن ان تتجاوز ذلك الى مستويات أخرى من التواصل ،فالتواصل الآن معقود بين الكاتب والقارئ لان الكاتب « هو

[1] – ابن خلدون ،المرجع نفسه ،ص 574.

[2] - يراجع في هذا الباب ،حنفي بن عيسى ،المرجع المذكور سابقا ،ص 67.

[3] -ينظر محمد الصغير بناني " النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين " د،م،ج الجزائر 1994، ص195

مصدر كل ما ورد في كتابه من أخبار وأفكار .والقراء هم بمثابة المقصد .وعملية الكتابة والتسجيل هي بمثابة الإرسال .وبقاء محتوى الكتاب مكتوبا هو المسلك الذي يضمن للكتاب الديمومة عبر الزمان والمكان .وأخيرا فان عيون القراء وعقولهم هي أجهزة الاستقبال »[1] ،وكذلك الشأن بالنسبة للمستمع لوسائل الإعلام المختلفة المسموعة منها والمــــرئية،فيكون السامع حينئذ متلقيا للرسالة الصادرة ،وفي كل هذه الحالات الطرفان(المرسل ،المرسل إليه) كلاهما يعتمد على عمليات عقلية وذهنية مادتها ومضمونها اللغة .من هنا يتبين لنا ان التواصل عملية يشترك فيها عدة عناصر وهي :

أ-مصدرSource.

ب-مقصد Destination

ج-مرسلة Transmetteur

د-مسلك أو قناة Voie ou Canal

ه-مستقبلة Récepteur [2]

ان الإنسان مهيأ ومؤهل للتواصل مع غيره ،مرسلا أو مستقبلا بالنظر إلى الجهازين الذين حباهما الله به وهما :النطق والاستماع .

-**آلية النطق**(Mécanisme D'articulation):

من المتعارف عليه ان الأعضاء التي تنعت عادة بأعضاء النطق عند الإنسان وتشترك بشكل مباشر أو غير مباشر في عملية التصويت(Phonation)هي في البديهي تقوم بوظائف بيولوجية أساسية تتوقف على انتظام أدائها حياة الجسم بكامله ،ولقد كان نشاط الأعضاء الظاهرة من جهاز النطق موضوعا للملاحظة العلمية من« جانب علماء اللغة الهنود واليونان منذ القديم ،وضرب المسلمون في ذلك بسهم وافر ،ولا تزال جهود سيبويه والخليل بن احمد وابن جني وغيرهم موضع التقدير والدراسة في شتى مراكز البحث الأكاديمي العالمي حتى الآن» [3].

---

[1] - حنفي بن عيسى ،المرجع المذكور سابق ،ص78.

[2] - حنفي بن عيسى ،م نفسه ،ص77.

[3] - سعد عبد العزيز مصلوح " دراسة السمع والكلام" ،عالم الكتب ،القاهرة ،ص65.

إن الآلية التي تتحكم في عملية النطق تتم في شكلها الأساسي عن طريق التحكم في هواء الزفير الصاعد من الرئتين، وتختلف العملية الكلامية عن التنفس العادي في :أن الثاني يتم في صورة صامتة في العادة لتحرك تيار الهواء دون عوائق –أما العملية النطقية فلا يمر الهواء معها حرا طليقا–كما يحدث في عملية التنفس –وإنما يصادف الهواء في اندفاعه إلى الخارج عدة عوائق ومكبحات تولد أصواتا،ولنستمع لقول ابن جني في هذه الباب ،وهو يصف الجهاز النطقي بطريقته العلمية « وقد شبه بعضهم الحلق والفم بالناي، فإن الصوت يخرج فيه مستطيلاً أملس ساذجاً، كما يجري الصوت في الألف غفلاً بغير صنعة، فإذا وضع الزامر أنامله على خروق الناي المنسوقة وراوح بين

أنامله، اختلفت الأصوات، وسمع لكل خرق منها صوت لا يشبه صاحبه، فكذلك إذا قطع الصوت في الحلق والفم باعتماد على جهات مختلفة كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة،ونظير ذلك وتر العود ،فان الضارب إذا ضربه وهو مرسل سمعت له صوتا ،فإذا حصر آخر العود ببعض أصابع يسراه أدى صوتا آخر ،فان أدناها قليلا سمعت غير الاثنين...» [1]

فعملية التصويت (أي العملية الكلامية )أشبه ما تكون بعملية انبعاث الأنغام عن آلة موسيقية ذات أوتار مهتزة، فالصدر والرئتان يقومان مقام المنفاخ، والقصبة الهوائية تقوم مقام قناة الهواء والحنجرة منطقة يتحول فيها الهواء الخارج من الرئتين إلى صوت يدعى الصوت المزماري، فإذا وصل هذا الصوت إلي الأقسام العليا من أنبوب الهواء (البلعوم والحفرتان الأنفيتان والفم) فانه يتحول إلى نغمات تتخذ شكل الحروف، وهذه الحروف التي كانت بالأصل مجرد أصوات فيزيائية تنتظم فيما بينها لتؤلف كلمات.[2]

وما يمكن قوله واستنتاجه من خلال ما سبق أن الحنجرة (Glotte Larynx)هي مصدر الطاقة الصوتية، أي حينما يصل الهواء المنبعث من الرئتين المار بالقصبة الهوائية إلى الحنجرة يتحول إلى اثر صوتي مسموع، فالحنجرة هي التي تولد الصوت، ويتم ذلك بواسطة مجموعة من العضلات التي تقوم بمهمتين أساسيتين هما:تشد الأوتار الصوتية –بتضييق المزمار أو توسيعه –كما ذكرت سالفا –فان المزمار منطقة مثلثة الشكل تتقدم من الجانبيـــن الأوتار الصوتية ( CORDES

[1] - ابن جني "سر صناعة الإعراب" تح حسن هنداوي ،دار القلم ،دمشق ،ط 2، ج1 ،1993 ، ص8..

[2] - ينظر حنفي بن عيسى"محاضرات في علم النفس اللغوي "، ص:117.

VOCALES)ويمكن تقريب هذه الأوتار من بعضها البعض بواسطة الغضروفان الحنجريان(Deux Arythénoides)والعضلات المتصلة بها حينما تتقارب يحدث التصويت، فهناك إذن تناسب طردي بين تقارب الأوتار الصوتية وحدوث التلفظ بها حينما تتقارب يحدث التصويت، فهناك إذن تناسب طردي بين تقـــــارب الأوتار الصوتية وحدوث التلفظ [1] . ولا تعني دراسة النطق أكثر من الوصف التفصيلي لعملية التحكم في جهاز النطق بالطرق التي يتم بها إصدار أصوات الكلام المختلفة ،فلابد حينئذ من المعرفة الكاملة لهذه الأعضاء التي سنوردها مختصرة وهي :-مجموعة الأعضاء المكونة للجهاز التنفسي تحت الحنجرة وتشمل : القفص

الصدري ،وعضلات البطن ،بالإضافة إلى القصبة الهوائية ،,الشعب الهوائية والرئتين .-الحنجرة وهي المصدر الأساسي للصوت الإنساني ،وتشمل مجموعة من الغضاريف والمفاصل والعضلات والأغشية .-تجاويف ما فوق الحنجرى وتتكون من ثلاثة تجاويف أساسية وهي: تجاويف البلعوم ،والأنف ،والفم ،ويشمل الأخير الفك العلوي ،والفك السفلي والحنك ،واللسان ،والشفتان ،والأسنان [2] .

**الجهاز السمعي :**

الاستماع خاصية مميزة تقترن بصفة الإدراك للصوت اللغوي بالنسبة للعنصر البشري لان هذه الحاسة مشتركة بين الإنسان وغيره من الحيوانا ت وبعض الآلات ،ومن هنا« لا يحسن إطلاق مفهوم السمع واصطلاحه على الصوت اللغوي الإنساني ،لان الصوت ذبذبات فيزيائية عامة تدركها حاسة فيزيولوجية عامة ،أما العملية السمعية اللغوية الإنسانية فتمر في ثلاث مراحل ،مرحلة الاستقبال الصوتي ،يتبعه التحويل وأخيرا التقرير.»[3] إذا السمع كحاسة فيزيولوجية قاسم مشترك بين بني البشر وغيرهم ممن يقاسمهم هذا الوجود ،وبالتالي من الأجدر الميل إلى استعمال

---

[1] - ينظر المرجع نفسه ،ص117-118.

[2] – سعد عبد العزيز مصلوح ،المرجع المذكور سابقا ،ص 66.

[3] -مكي درار "المجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية" ،دار الغريب للنشر والتوزيع ،ط 2 ،2006 ،ص 143.

المصطلح الذي يعبر عن إدراك الصوت الذهني ثم اتخاذ القرار وهو علم الصوت الاصغائي،لأننا لا نستقبل الصوت من اجل «استقباله فقط ،لان ذلك تحصيل حاصل من وظيفة الاذن ،وإنما نستقبله من اجل فهمه ،وتحويل الموجات الصوتية الفيزيـــــائية إلى مواقف وقرارات . » (1) .لقد ثبت علمياً أن حاسة السمع لدى الإنسان من أهم الحواس الخمس في عمليتي الإدراك الذهني للأصوات اللغوية ومن ثم عقد التواصل لا مع غيره فحسب وإنما مع الكون كله الذي يمتلئ بآلاف الأصوات ليلاً ونهاراً، وأنها الحاسة التي لا تتوقف عن العمل حتى في حالة نوم الإنسان (2)

إن المتابع لنتاجات الدراسات الصوتية في العصر الحديث يدرك مفارقة عجيبة ،وتنحصر في اهتمام هذه المؤلفات بالجانب النطقي ،وإبراز دور الجوانب الفزيولوجية المتعلقة بالجانب النطقي خاصة دون مراعاة الجهاز الأخر الذي لا يقل أهمية عن الأول ،وظني بهم أنهم يعدون النطق هو

الأولى بالدراسة من غيره ،وفي ذلك يقول "دي سوسير" :«إن الدراسات الصوتية الحديثة وإن كان اهتمامها منصبا على أعضاء النطق وتحديد وظائفها، فلم يكن الحديث عن هذا الجهـــــــاز منفصلا عن جهاز السمع لما له من دور فعال في استقبال الصوت وإدراكه،ولكن الكثير من الدارسين لعلم الأصوات الوظيفي يهتمون بدرجة كبيرة بالجانب التصويتي، أي إنتاج الأصوات من قبل الأعضاء كالحنجرة، الفم..و يهملون في ذلك الجانب السمعي،وهذه الطريقة ليست صحيحة... » (3) .إذا للمستمع–انطلاقا من القول السابق– أهمية عظمى، فالأذن عضو غضروفي ليس باللحم المسترخي ولا بالعظم الصلب، بل هي بين ذلك درجة ،وتعين الاذن البشرية من حيث خصائصها على اكتساب المهارات اللغوية« Pour connaître une langue c'est la manipuler acoustiquement son effort»[4]5 .فأول مهارة يحسن المتعلم توظيفها هي مهارة السمع ، وهي التي تعينه على النطق ؛ وتساعده على المحاكاة اللغوية ؛ لذلك ارتبطت ارتباطا وثيقا بالقراءة ، ودقة الاستماع تمكن المتعلم من التحصيل الصحيح للملكة اللغوية ، ويظهر أثر الاستماع في الانتظام اللغوي المطرد ، وكلما كان الجهاز السمعي سليما كان تقدم الناشئ في

---

[1] -نفسه ،ص 142

[2] - ينظر كريم زكي حسام الدين "الدلالة الصوتية "، مكتبة الأنجلو المصرية ط 1، 1992 ص 7

[3] - F-Sausure ‘cours de linguistique GLE ‘P63-

[4]- jean cureau – branco vuletic ." enseignement de la prononciation – les systèmes verbo tonal". Ed . sidier 1976 . p . 13

القراءة ، ولذلك اعتمد كمنهج تعليمي في المراحل الأولى في المدارس التقليدية ( المدارس القرآنية والكتاتيب ) «rien ne veau une oreille attentive» [1] .فلا شيء يساوي أذنا منتبهة ؛ ولدورها كجهاز استقبال ؛ انصب عليها البحث ؛ وظفتها التعليمية(la Didactique )في تعليم اللغة المنطوقة .

وفي هذا السمت نفسه أشار إبراهيم أنيس إلى أداة السمع ذاكرا أقسامها : «وهي معقدة التركيب، يقسمها علماء التشريح إلى ثلاثة أقسام :الأذن الخارجية، وتتركب من صيوان وصماخ (...)ويلي هذا الأذن الوسطى التي فيها عظيمات ثلاث صغيرة تسمى عادة بالمطرقة، السندان، والركاب، أما الأذن الداخلية ففيها أعضاء السمع الحقيقية لانتشار ألياف العصب السمعي بأجزائها، وفي الأذن الداخلية السائل التيهي، وفيه تنغمس الأعصاب السمعية» [2]

من خلال هذه الوقفة السريعة مع الجهازين الهامين في عملية التواصل ،واعني بذلك جهازا النطق والسمع ،يمكننا القول :ان عملية التواصل ما هي إلا تأثير متبادل بين طرفي الرسالة(المرسل والمرسل إليه) في سياق اجتماعي معين بطريقة مباشرة أو غير مباشرة كما أوضحنا ذلك من خلال الرسالة المتبادلة بين المؤلف مثلا وجمهوره من القراء،خاصة بعد التطور الذي تشهده فنون الكتابة .

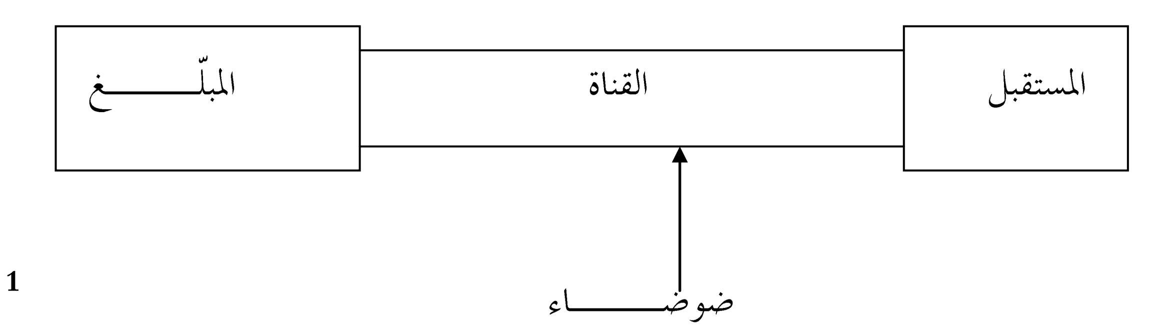
**نظرية شانون ""Shannon "التواصلية:**

كان مصدر الإلهام لأولى محاولات النظر في تركيب اللغة هو نظرية " شانون" في مجال الاتصالات ،والفكرة الأساسية التي تعتمدها هذه النظرية هي ان المعلومات « لا علاقة لها بمحتوى الرسالة لكنها تتحدد فقط على أساس الإقلال من كمية عدم التأكد .لو ان نتيجة يمكن التنبؤ بها تماما ، لا يكون هناك عندئذ عدم تأكد بالنسبة لها ،لذلك فالرسالة المبلغة لا تحوي معلومات [3]،واقترح " شانون " النموذج التالي لكيفية انتقال المعلومات من المرسل إلى المستقبل.

[1] - Malmberg ". les domaines de la phonétique ". ed . puf . 1971 . p 35. -

[2] - إبراهيم أنيس"الأصوات اللغوية "المكتبة الانجلو المصرية، ط4 ،1979ص15

[3] - جوديث جرين " التفكير واللغة " تر :عبد الرحيم جبر ،الهيئة المصرية للكتاب ،1992.ص 153




1

لقد أشار "شانون"إلى قضية العشوائية أو الحد الأقصى من عدم التنبؤ بعيد عن ان يكون عليه الأمر عندما يتعامل مع اللغة البشرية .ان القضية التي يسعى –في نظرنا – شانون لتوضيحها ومن ثم تثبيتها على أساس نظرية تضاهي النظريات الأخرى هي ان اللغات الإنسانية –بعيدا عن قيامها بإبلاغ الحد الأقصى من المعلومات –تتسم بقدر كبير من الإطناب أو التكرار .والإطالة أو

الإطناب أو التكرار التي نشير إليها هنا في هذا الصدد هي بتعبير بسيط كمية ما يمكن التنبؤ به في رسالة ما.ولكن على الرغم على ان التكرار يشتمل على فقدان قدر كبير من الحد الأقصــــــــى للمعلومات إلا انه يؤدي دورا نافعا في النقل الجيد للرسائل .فلو حدث نوع من الاضطراب أو التشويش في القناة (Canal )هذا يجعل من الصعب سماع الرسالة بأكملها .[2]ولعل نظام البرقيات (Télégramme )المعمول به في الاتصالات يؤكد هذا المنحى. إذ سعيا لتوفير النقود ،والتقليل من كلفة البرقية يجتهد المرسل في حذف أو إسقاط كثيرا من الكلمات التي لا فائدة منها في نظره ،بل يكتفي فقط بالكلمات المهمة .

وتسمى –نظرية المعلومات –عادة بنظرية الفائدة وضعها علماء الاتصال لتكميم الفائدة ،أو .بمعنى آخر قياس كمية الفائدة التي يحتويها الرسالة ،فتقاس أهمية الرسالة بأهمية الخبر الذي تحمله،وإزالة كل تشوش الممكن حصوله في الوقت نفسه في عملية التواصل ،فمن البديهي القول ان « نقل الأشياء الفارغة من حيث المضمون الإعلامي ،عبر القنوات ،عملية مكلفة ولا تعود بأية منفعة لعملية التواصل .فنقل أشياء فارغة من المضمون عبر الخطوط التلغرافية عملية شبيهة جدا

---

[1] - المرجع السابق ،ص 153.

[2] - جوديث جرين،م نفسه ،ص 155

بنقل صناديق فارغة في سيارة شحن ذهابا وإيابا ،مسافة مئات الكيلومترات .فالعمليتان مكلفتان ،ولا تعود بأية فائدة .» [1]

لقد تنبه العلماء والدارسو ن في مختلف المجالات الحياتية ان التواصل أو دراسته بالأحرى أضحى مطلبا مهما وحافزا قويا لفهم العملية التواصلية وما يمكن ان ينضوي تحته من استفهامات بين الباث والمتلقي،ومن بين هؤلاء "كلود شانون"( Claude Shannon)و"وارين ويفر"( W-Weaver)،حيث اقترح هذان العالمان "نظرية التواصل"( La Théorie de Communication)عام 1949.حيث أصبحت هذه النظرية –في عالم الاتصال–ملفتة للانتباه خاصة أولئك المهتمون بالجانب الإعلامي ،بل لقد أقحمت اللغة الإنسانية في عالم آخر وهو عالم الرياضيات والمعادلات والقياس .هذه النظرية التي ظهرت بعنوان " النظرية الرياضية للتبليغ"( La Théorie Mathématique de communication)

(Mathematical Theory of Communication) ،والذي يدعم أهميتها تأثيراته على مجالات متعددة «على اللسانيين وعلماء النفس ،ويمكننا القول ان علم النفس اللغوي من حيث الظهور كان نتيجة التقاء هذه الأفكار التي اقترحها "شانون Shannon ".» [2] ارتكزت النظرية الرياضية للتبليغ على ستة عناصر وهي :

1)مصدر المعلومات

2)مرسل

3)قناة

4)مستقبل

5)هدف

6)مصدر الضجيج

وقد اعتمدت النظرية السالفة على محاور عدة من أهمها خاصة في مجال التواصل اللغوي :

1–مخطط اوو ترسيمة التواصل ومفهوم القانون او السنن (Les Codes)

2–قياس كمية الإعلام (Mésure de la quantité d'information)

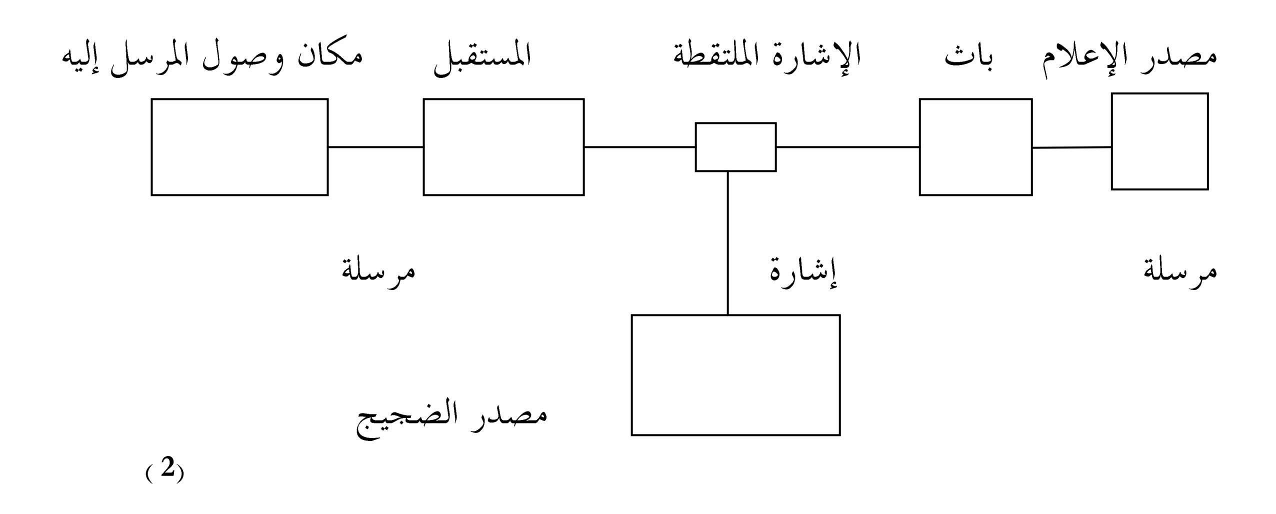
3–مفهوم الإنسان الآلي المتناهي (Notion d'automate fini) .

---

[1] -ميشال زكريا " الألسنية (علم اللغة الحديث )المبادئ والأعلام.،ص60.

[2] - BRENARD Pottier et Autres " Comprendre la Linguistique" éd ;Marabout ;Vervier ,1975;P44.-

والترسيمة التي يقترحها "شانون" تمكننا من إدراك عملية التواصل ،كيف تحدث وترسل ،وكيفية انتقال الإعلام وعبوره ،ووصوله من خلال مرسلة مشتركة بين الباث والمتلقي [1]




[2]

يوضح المخطط أعلاه ان مصدر الإعلام هو الذي ينهض بإعداد مرسلة وهذه الأخيرة لكي تصبح جاهزة للإرسال ،يجب ان تفك أو تشفر على مستوى الباث من خلال الإشارة المتبناة أو المتفق عليها عبر قناة التوصيل أو التبليغ الذي يربط الباث والمتلقي معا .ثم يأتي دور المستقبل الذي عليه ان يفك الإشارة التي التقطها ،وبتصويب أو تصحيح المرسلة الموجهة إلى المرسل إليه [3] .وقد تنبه "شانون "و"ويفر "إلى أمر آخر قد يؤثر على عملية التواصل وهو مصدر الضجيج ،فأحيانا ما يكون هذا الأخير معيقا للعملية التواصلية فلا تتحق ق الرسالة من مصدرها إلى الهدف المقصود ،ولعل ذلك مانكتشفه من خلال التشويش الذي يلحق الصورة التليفزيونية أو سوء التقاط البث الإذاعي على الموجات العاملة أو سوء التفاهم بين المتكلم والمستقبل عبر الهاتف لعائق تشويشي معين ...الخ.إلا ان هذه الترسيمة قد عدلت فيما بعد لتكون على الشكل التالي :

باث او مرسل مرسلة مستقبل او مرسل إليه

[1] - ينظر عبد الجليل مرتاض "اللغة والتواصل" ،دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع (دت،دط) ،ص81.

[2] – نفسه ،ص 82.

[3] - ينظر المرجع نفسه ،ص82.

1)

قناة

(

## عناصر التواصل اللساني :

إن الاهتمام بالعملية التواصلية خاصة في العصر الحديث أصبح أكثر من أي وقت مضى ضرورة ملحة ،نظرا لما تشهده الحياة اليومية من تطورات عجيبة في كل الميادين خاصة وسائل الإعلام بشتى أشكاله ،الأمر الذي حدا بالإنسان إلى ضرورة الامتلاك الجدي لمهارات التواصل اللغوي من حسن الاستماع وجودة الحديث فضلا عن إتقان الفنون الكتابية كالقراء ة والكتابة ،حتى يسهل على الفرد الاندماج في المجتمع ،والتمكن من الآليات التواصلية لغرض الإقناع تارة والاقتناع تارة أخرى .من هنا ،فلا عجب ان يكون الإنسان محور هذا الاهتمام بحكم انه المتحكم

في هذه العملية سواء أكان باثا أو متلقيا ،وذلك بفضل تكوينه النفسي والفيزيولوجي والقدرات العقلية والذهنية التي حباه الله بها ،بالإضافة إلى وجود رسالة (Message) موضوع التواصل بينهما فالكلام الإنساني كلام هادف أي يؤدي وظيفة معينة فإما ان يكون معبرا أو موصلا أو مؤثرا ،ويتوقف الأمر على ما إذا كان الموضوع ينظر إليه من زاوية المتكلم أو الرسالة أو السامع.[2] الآن يبدو واضحا العناصر التي تتفاعل مع بعضها البعض من اجل إنجاح العملية التواصلية :

**المرسل** (Destinateur): غني عن الذكر ان المرسل هو الطرف الحيوي في الدارة التواصلية اللفظية ،بل هو –ان شئنا– مصدر التواصل ،ولذا تناولته النظريات اللسانية بمفاهيم اصطلاحية منها: الباث (L'émetteur)،أو الشخص المتحدث "أ"(A"Individu" )[3] ،ولكن على الرغم من هذا الاختلاف البين في استعمال مصطلح (المرسل) إلا ان الرؤى متفقة تماما على ذلك الركن الهام في عملية التواصل فهو الشخص الذي « يقوم بتسنين الإرسالية ،وذلك بجمع مضمونها في توفيقات

---

[1] – عبد الجليل مرتاض ،م نفسه،ص82.

[2] -ينظر ستيفن اولمان (S-Ollmann) "دور الكلمة في اللغة " ،تر كمال بشر ،دار غريب القاهرة (دت) ،ص 27.

[3] - F.DE Saussure " C L G" P 27-

رمزية ،ينطقها أو يكتبها ،ولا يخفى ما تفترضه عملية النطق من شروط ،كالتحكم في النظام الفونولوجي للغة ،وما يتطلبه التعبير من تحكم في الأنظمة الصرفية ،والنحوية والدلالية ،وهي نفس الشروط التي تفرضها عملية التعبير الكتابي ،إلا ان هذه الأخيرة تتطلب إضافة إلى ما سبق التحكم في طريقة الترميز المتواضعة ،أي ترجمة الإرسالية إلى رموز خطية .» [1] .ولعل التواصل بشقيه الشفوي والكتابي يطرح العديد من الأسئلة الوجيهة فيما يخص طبيعة كل طرف وبخصوص الآليات المعتمدة و الأدوات الإجرائية الواجب التحكم فيها خاصة في مجال التواصل الخطي،ان الأمر الذي تحمد عاقبته « أن لا أحد من الباحثين في التراث الثقافي الأدبي الفصيح أو اللهجاتي يختلف لحظة مع الآخر في ان الخطاب أو التواصل الشفوي متباين أو متعارض مع الخطاب أو التواصل الخطي ،والأمر كله منطلق كم طبيعة التواصل وأدواته ،فإذا لمسنا هذه الأدوات التي تتأسس عليها عملية التواصل ،فسيسهل علينا لاحقا ان نلمس ما يصل أو يفصل الخطابين :الشفوي والكتابي.» [2] .ومن هذا المنطلق ،فان الأهمية معقودة على التواصل اللساني رغم التباين

بين اللغة الشفاهية والكتابية،لان الغرض أولا وأخيرا من التواصل هو إيصال الفكرة المراد تبليغها اعتمادا على رموز لغوية دالة ،فالمرسل يجتهد في الاستعانة بالألفاظ التي تحمل دلالات معينة حتى يبلغ من التخاطب هدفه فيقول عبد القاهر الجرجاني في هذا السمت : « الدلالة على الشيء لا محالة إعلامك السامع إياه ،وليس بالدليل ما أنت لا تعلم به مدلولا عليه ،وإذا كان كذلك وكانوا مما يعلم ببدائه المعقول ان الناس إنما يكلم بعضهم بعضا ليعرف السامع غرض المتكلم ومقصوده فينبغي ان ينظر إلى مقصود المخبر من خبره وما هو ؟ أهو يعلم السامع وجود المخبر به من المخبر عنه ؟ أم ان يعلمه إثبات المعنى المخبر به للمخبر عنه ؟ فإذا قيل ان المقصود إعلامه السامع وجود المعنى من المخبر عنه ،فإذا قال :ضرب زيد .كان مقصوده ان يعلم السامع وجود الضــــرب من زيد ،وليس الإثــــبات إلا إعلامه السامع وجود المعنى . » [3] .ولعل علماء البلاغة و الدراسات البلاغية قد أفاضوا في مناحي الخبر من حيث الأغراض التي يمكن ان تصاحب الخبر وهي :فائدة

---

[1] -المصطفى بن عبد الله بوشوك " تعلم وتعليم اللغة العربية وثقافتها " ،مطبعة النجاح الجديدة ،ط3 ،2000 ،ص122.

[2] -عبد الجليل مرتاض "اللغة والتواصل" ،ص77.

[3] - الجرجاني عبد القاهر " دلائل الإعجاز في علم المعاني " تصحيح وتعليق:محمد رشيد رضا ،مطبعة المنار،ط1331،2 هـــ ،ص 408.

الخبر ولازم الفائدة .فما يهم العملية التواصلية —في تقديري —هو الغرض المنوط بفائدة الخبر المتمثل في إفادة السامع بشيء يجهله ،وإلا لا فائدة مرجوة من الخبر إذا كان السامع بعلم بهذا الخبر ،وذلك ما ينعت بلازم الفائدة ،يقول السكاكي في هذا الباب : « فإذا اندفع المتكلم في الكلام مخبرا لزم ان يكون قصده في حكمه بالمسند إليه في خبره ذاك إفادته لمخاطب متعاطيا مناطها بقدر الافتقار فإذا الجملة الخبرية إلى من هو خالي الذهن عما يلقي إليه ليحضر طرفها عنده وينتفش في ذهـــنه استناد احدهما إلى الآخر ثبوتا أو انـــتقاء كفى ذلك الانتفاش حكمه ويتمكن لمصادفته إياه » [1]

أظن أنه لا يحتاج الباحث إلى وقت طويل ليدرك ان العملية التواصلية من المفترض ان لا تؤدي وظيفتها الأساسية إلا بتوفر طرفي الرسالة ،واخص هنا (المرسل والمرسل إليه) ،فقد يقتصر الاتصال على المتحدث —على حد تعبير سوسير–نفسه ،كأن يكون حديثا داخليا أو ما ينعت بـــ"المونولوج "فهو حديث داخلي لأغراض نفسية– لسنا في مقام مناقشتها– فليس في نيته ان يعقد اتصالا بطرف آخر إلا إذا افترضنا على غرار ما فعل "سابير "(Sapir) ان « المتكلم

والسامع مندمجان في شخص واحد ،ويمكن ان يقال انه يوصل الأفكار لغيره» [2]،فضلا عن ذلك مما لا أثر فيه للاتصال أيضا ما يسمى بـــ"المناجاة "–بالنسبـــــة للمسلم —من صــــــلاة ودعاء واستغفار...الخ فلا يبدو ان الاتصال معقود في مثل هذا السلوك ،فليس له إلا طرف واحد ،ولكن بدافع العقيدة الإسلامية الراسخة والإيمان القوي بقدرة الله عز ّوجلّ يتمثل المسلم ويستحضر الكثير من الآيات الكريمة كقوله تعالى :﴿إن الله لا يخـــــفى عليه شـــيء في الأرض ولا في السماء ﴾[3] وقوله جلّ ثناؤه: ﴿...فإن يشإ الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته إنه عليم بذات الصدور﴾ [4] ،حينئذ يتيقن المؤمن ان الحوار والتواصل جار بينه وبين خالقه سبحانه وتعالى ويتوق إذ ذاك إلى استجابة منه عز وجل بطريقة من الطرق وما ذلك على

---

1 -السكاكي (أبو يعقوب يوسف) "مفتاح العلوم " ،منشورات الكتب العلمية الجديدة ،بيروت ،لبنان ، (دت ،دط )ص 81

2 - ينظر :حنفي بن عيسى " محاضرات في علم النفس اللغوي " ،ص67.

3 –آل عمران/05

4 – الشورى :من الآية 24.

الله بعزيز.اذن فالمرسل إليه قد يكون مفترضا خاصة في الخطابات الشفوية ،والافتراض في هذه الحالة يكون بالنيابة المتواترة أو المتسلسلة .ولذلك حين خاطب الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين في «حجة الوداع كرر عليه الصلاة والسلام (ألا هل بلغت؟ الّلهم فاشهد!)خمس مرات بعد كل مرسلة جزئية ،وكانت إجابة الحضور (المسلمين)في نهاية المرسلة الرابعة بعد ان كرر عليه الصلاة والسلام (ألا هل بلغت؟ الّلهم فاشهد!).قالـــــوا :نعـــــم .قال عليه الصلاة والسلام :فليبلّغ الشاهد الغائب.[1] فالغائب اليوم ( أي في حجة الوداع )غيابا مباشرا في الزمان والمكان هو في الحقيقة مرسل إليه أيضا ،فيعد حينئذ حـــاضرا في حجة الوداع بدليل ان الشـــاهد لهذه الحجة سيطلع حتما الغائب اعتمادا على القرينة وهـــي الأمر بصيغة :الفعل المضارع المقرون بــــ"لام الأمر" في قوله :(فليبلغ )وطاعة للرسول عليه الصلاة والسلام .

**المرسل إليه**(Destinatair**e**) : هو الطرف الثاني في العملية التواصلية ،يقابل المرسل أثناء التخاطب الكتابي أو الشفوي ،و لم يسلم أيضا هو كذلك من الاختلافات على مستوى المفهوم الاصطلاحي ،فقد رأينا من قبل أن "دي سوسير " ينعت المرسل بالمتحدث "أ" Aفلزاما ان يكون

في الجهة المقابلة من يتلقى الرسالة ،ويفك شفراتها ،وهو المتحدث "ب-B" [2] ،ويصطلح على تسميته أيضا بالمستقبل (Le Récepteur) لأنه يستقبل الرسالة مستعمـــلا جهازه السمعي،ولا يخفى على احد أهمية هذا الجهاز ،فالسمع هو « أبو الملكات اللسانية » [3] لغرض التقاط محتوى المرسلة ،لان الصوت اللغوي —كما رأينا —محكوم عليه ان ينتقل عبر الموجات الصوتية من مرحلة الإنتاج إلى مرحلة الاستقبال تتخللهما مرحلة فيزيائية بحتة.فالاستقبال فهو عملية منوطة بحاستي البصر والسمع .رب سائل يسألنا :إذا كان الاستقبا ل وظيفة تختص بها بالأذن من حيث استقبالها للصوت كيفما كان دون البصر ،فبم نفسر هذا التلاحم بين الحاستين ؟ نترك الإجابة عن هذا السؤال المحير لفارس الصوتيات ابن جني ،في مقام مقارنته بين ما تسمعه الأذن من تواصل ،وما

---

[1] - تراجع الخطبة كاملة في : البيان والتبيين — للجاحظ ،تح وشرح عبد السلام محمد هارون ،،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،ج2 ،ص 31-33

[2]- F.DE Saussure "C.L.G P 28-

[3] -ابن خلدون ،"المقدمة " ،566.

تلحظه العين من مميزات توافق المقام التواصلي ،وكل الظروف المرئية الحاصلة أثناء العملية .فيقول: «فلو كان استماع الأذن مغنياً عن مقابلة العين، مجزئاً عنه لما تكلف القائل ولا كلف صاحبه الإقبال عليه والإصغاء إليه ،وعلى ذلك قال :

العين تبدي الذي في نفس صاحبها من العداوة أو ودّ إذا كانا

وقال الهذلي :رفوني وقالوا :يا خويلد لاترّع فقلت –وأنكرت الوجوه –:هم هم .

أفلا ترى إلى اعتباره بمشاهدة الوجوه ،وجعلها دليلا على ما في النفوس.» [1] .

الملاحظ ان ابن جني قد أجرى موازنة بين حاستي السمع والبصر .فالسمع ـــ في فلسفة ابن جني ـــ غير كاف لفهم الرسالة التواصلية إذا لم يؤازره رؤية الملامح الخارجية الفيزيولوجية للمرسل وما يتبناه من إشارات وما تنتابه من تغيرات ، فتزيد هذه الملامح في فهم نص الرسالة على أكمل وجه . فابن جني يعتبر بمشاهدة الوجوه ويجعلها دليلاً على ما في النفوس [2]

في الحقيقة إننا مدعوون لإطالة النظر في هذا الجانب الذي يجمع بين حاستين أساسيتين من حواس الإنسان ،ونستحضر المثل العربي (ربّ إشارة ابلغ من عبارة ) الكثير منا في تواصلاته اليومية وفي أماكن شتى وأزمنة مختلفة ،تخوننا اللغة ،فلا مناص من الاعتماد على بعض الإشارات المرافقة للخطاب الشفوي حتى يمكننا إيصال الرسالة موضوع الحديث من اقرب طريق ،وبأدق

التفاصيل ،ولا احد ينكر هذا السلوك أو يرفضه على الأقل في التواصلات المباشرة الشفوية .فالتضافر بين البصر والسمع شيء مطلوب ومحمود عواقبه للإحاطة بالظروف والملابسات المختلفة التي رافقت الرسالة .يقول الجاحظ في هذا المقام :«والإشارة واللفظ شريكان ،و نعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ وتغني عن الخط ...ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس معنى خاص الخاص .

قال الشاعر:العين تبدي الذي في نفس صاحبها من المحبة أو بغض إذا كانا

والعين تنطق والأفواه صـــــــامتة حتى ترى من ضمير القلب تبيانا. » [3]

إن أبسط تعليق يمكن ان نقدمه لهذا البيت أن الرؤية قد تحل محل النطق ،فإذا نظرت إلى الباث

---

1 –ابن جني "الخصائص " ،ص248.

2 ينظر ابن جني ،المصدر السابق ،ص248

3 - الجاحظ" البيان والتبيين " ،ج1 ،ص77-79.

وهو يباشر في العملية التخاطبية ،أدركت منه ما لم يعبر عنه صراحة ،انطلاقا من حكمة علي كرم الله وجهه ،(ما أضمر احد شيئا إلا ظهر على صفحات وجهه وفلتات لسانه ) «وقال لي بعض مشايخنا رحمه الله أنا لا أحسن أن أكلم إنساناً في الظلمة» [1] ، وفي الباب نفسه أي :التفاعل بين الرؤية والسمع ما ذكره ابن جني في مؤلفه«...ولذلك قال سيبويه في نحو من هذا :أو لان الأول وصل إليه علم لم يصل إلى الآخر ،يعني ما نحن عليه من مشاهدة الأحوال الأوائل .فليت شعري إذا شاهد أبو عمرو وابن أبي إسحاق ،ويونس ،وعيسى بن عمر ،والخليل وسيبويه ،أبو الحسن ،وأبو زيد ،وخلف الأحمر ،والأصمعي ،ومن في الطبقة والوقت من علماء البلدين ،وجوه العرب فيما تتعاطاه من كـــــلامها ،وتقصد له مـــــن أغراضها ،إلا نستفيد بتلك المشاهدة وذلك الحضور مالا تؤديه الحكايات ،ولا تضبطه الروايات ،فتضطر إلى قصود العرب ،وغوامض ما في نفسها حتى لو حلف منهم حالف على غرض دلته عليه إشارة ،لا عبارة ،لكان عند نفسه وعند جميع من يحضر حاله صادقا فيه ،غير متهم الرأي والنحيزة والعقل . »[2]

إن أدنى تأمل في القول السابق ندرك ان هذه الثلة من العلماء الأفذاذ الذين عملوا جاهدين من اجل سلامة اللغة العربية ،وذلك من خلال الجمع لهذه اللغة من البوادي والأمصار ،وتأليفه لمصنفات لازالت معينا صافيا لكل من يروم البحث في هذا اللسان المتفرد ،وتمنوا مشاهدة العرب وهي تتعاطى الكلام ،فيتبين حينئذ مقاصدها من الخطاب وغوامض كلامها ...فما أحوجهم إلى إشارات ملازمة لهذا الكلام ،حتى يتضح المقصود والتبليغ.

لعل من المؤكد –في وقتنا الحاضر–ان الأبجدية المعمول بها لدى فئة الصم البكم ،باتت من أنجع الطرق التواصلية ،فالإشارة نابت عن الصوت وحلت محله ،فمبلغ« الإشارة ابعد من مبلغ الصوت .فهو أيضا باب تتقدم فيه الإشارة الصوت» [3] .لقد استطاع الجاحظ ان يحرز قصب السبق في تعامله مع الإشارة وهو علم حديث أصبح ينعت بالسيميولوجيا ،الذي تنبأ "دي سوسير" بظهوره ،ومجاله الإجرائي منذ مدة زمنية طويلة ،فكان للجاحظ –من هذا الجانب –نظرة ثاقبة وفكر سبق زمانه بدليل ما توصلت إليه الدراسات اللسانية والسيميولوجية الحديثة .

---

[1] -ابن جني "الخصائص "،ص 248

[2] – المصدر السابق ،ص 249.

[3] -نفسه ،ص79

بات من الضروري التأكيد على أهمية العملية التواصلية خاصة فيما يتعلق بقدرات المتلقي والباث واشتراكهما في نفس الموقف التواصلي ،وضرورة إتقانهما للغة المستعملة في التخاطب سوا أكان المضمون منطوقا أو مكتوبا ،مسموعا أو مقروءا شريطة ان تكون القناة الفاصلة بينهما واضحة تتسم بالهدوء والبعد عن الضوضاء وعن كل ما يكدر صفو العملية التواصلية من حيث الفهم والإفهام ،ذلك ان الضجيج له اثر نفسي في الإنسان لأنه «كلما زاد ،ازداد معه الشـــك ،وقلت الثقة بصحة الخبر المسموع ،لان الخـــبر مادام الضجيج يداخله ،ليـــس صورة مطابقـــة للخبر الأصلي ،وإنمـــا هو أمارة منه وعلامة . » [1] ،بالإضافة إلى ذلك، فهناك من الشروط الموضوعية الواجب توفرها أثناء عملية التواصل ومنها :

أ-إشراك المرسل والمتلقي في نفس الموقف التواصلي .

ب-اشتراكهما في نفس التجارب اللسانية .

ج-اشتراكهما في الموقف الوجداني (الاهتمام بموضوع ومضمون المرسلة ).

د-توفر الحد الأدنى من وضوح القناة.

ه-توفر كلا من المرسل والمرسل إليه على قدرة لسانية وأداء كلامي يسمح لهما بالترميز (Codage)،وفك الترميز (Décodage). [2]

**الرسالة** (Message) :

يقتضي النشاط التواصلي في جانبه اللساني توفر عنصر لا غنى عنه في مثل هذه التخاطبات ،وهو الرسالة التي تربط بين المرسل والمرسل إليه ،فتتمثل في شكل مفاهيم وصور سمعية تحمل أفكارا من قبل الباث لتستقر على شكل موجات صوتية في اذن المتلقي .ان الرسالة «تعين تتابع الرموز المتلائمة تبعا لقواعد توافقية أو انسجامية محددة ،مع ان الباث ينقل إلى المتلقي هذه الرموز بواسطة قناة التي تعد مرتكزا فيزيائيا للتحويل والانتقال ...فالرسالة عبارة عن شكل وليست معنى ،وهذا الشكل يتغير تبعا لطبيعة النظام التواصلي وكذلك السنن» [3] ،ومن خلال هذا التعريف

---

[1] -حنفي بن عيسى ،المرجع المذكور سابقا ،ص102.

[2] - ينظر : المصطفى بن عبد الله بوشوك " تعلم وتعليم اللغة العربية وثقافتها " ،ص122.

[3]- Jean Dubois et Autres"Dictionnaire de Linguistique… ":P298.

المعجمي لمفهوم الرسالة ،أصبح جليا ان الرسالة هي عبارة عن شكل تجسده الأصوات اللغوية في طابعها المادي الفيزيائي والي تحيل طبعا إلى مرجعية معينة وفق لمجموعة من السنن ،ولذا ذهب البعض إلى تسميتها بـــــ" الخطاب الأصغر" [1]

ان تناول الرموز الاشارية في مجال التواصل عملية معقدة ،وقد بينا الفرق بين أنواع التواصلات اللسانية وغيرها فيما سبق ،فان كان كذلك ،فان المجال أصبح مفتوحا للنظم الاشارية التي هي من اختصاص علم السيميولوجيا التواصلية ،كلاشارات البحرية ,أشكال التحية ...الخ والتي تعرض لها "جورج مونان " وهو يحاول تعريف اللغة .فالرسالة هي مجموعة من «الخبرات والمعلومات ،والمهارات المختلفة ،والحقائق العلمية ،والقيم الإنسانية التي يريد المرسل إيصالها إلى المتلقي ،حتى يستفيد منها ويتفاعل معها ،ويقوم بدوره بإبلاغها إلى غيره من أفراد مجتمعه لتتم الفائدة. » [2] .الرسالة اذن عنصر هام في العملية التواصلية لما تحمله من أفكار ورؤى يريد الباث تبليغها للمتلقي ،لكن في الحين ذاته ،لا يمكن ان نغفل عنصرا مهما في هذا المجال ،وهو السياق (Contexte) أو الظروف والملابسات قصد إدراك القيمة الإخبارية التي صاحبت الرسالة ،وكل ما يتصل بالكلمة «من ظروف وملابسات والعناصر غير اللغوية المتعلقة بالمقام الذي تنطق فيه الكلمة ،ولها هي الأخرى أهميتها البالغة في هذا الشأن» [3]. ما يستوقف الباحث في هذا القول

هو ما يتعلق بقوله (العناصر غير اللغوية ) ،فهذا يجرنا إلى الاعتقاد بمدى قبولية العناصر اللغوية من تلك العناصر غير اللغوية ،فالأولى خاضعة إلزاميا إلى الجانب اللغوي من حيث هو نظام من العلامات الدالة ،أما الآخر فيتوافق مع الظروف الخارجية التي أحاطت بعنصر الرسالة ،ولعل ذلك ما ذهب إليه المفكر الفرنسي في التمييز بين السياق اللفظي ،والسياق غير اللفظي [4]

عموما فان التواصل اللغوي بات من أكثر الأنواع شيوعا خاصة في عصرنا الحالي لجملة من الأسباب والظروف المتعلقة بمجالات عديدة ،ولعل أهمها التطور المذهل التي تعرفه البشرية في

---

[1] -ينظر عبد السلام المسدي " الأسلوبية والأسلوب نحو بديل السني في نقد الأدب "،الدار العربية للكتاب ،ليبيا ،1977 ،ص98.

[2] - محمد وطاس " أهمية الوسائل التعليمية في عملية التعلم عامة وفي تعليم اللغة العربية للأجانب خاصة" ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر 1988.ص41

[3] –ستيفن اولمان (S-Ollmann) " دور الكلمة في اللغة " ،ص55.

[4] - . Dominique Maingueneau" Les Termes Cles de l'analyse du Discours .;éd : le seuil ;Paris 1996 .p 26. "-

ميدان الاتصالات ،ولكن على الرغم من هذا يظل التواصل اللغوي يفرض نفسه ،بل لا يجد الإنسان عنه بديلا ،لسبب بسيط وهو اللغة ،فالإنسان مهيأ نفسيا وفيزيولوجيا لتداول الأخبار والمعلومات وتناقلها دون ضوابط زمانية أو مكانية .

**الدارة التواصلية السوسيرية** [1] (1857-1913) :

أظن أنه ليس هناك من داع يدعونا إلى الوقوف عند كل محطات حياة هذه الشخصية المرجعية لعلم اللسانيات الحديث.ففرديناند دي سوسير(F.De Saussure) قد احدث تحولا منهجيا وفكريا في مسار علم اللغة الحديث ،وذلك من خلال كتابه"محاضرات في اللسانيات العامة (Cours de Linguistique Générale)الذي رأى النور عام 1916 ،من خلال جهود تلميذيه "شارل بالي (C-Bally) و"سيشهاي(Sechehaye) . لقد حمل هذا الكتاب كما هائلا من الأفكار التي تعد جديدة بالنظر إلى ظروف عصره ،فكان بمثابة نقلة نوعية في سماء الفكر اللغوي القديم .لذا فان "سوسير" وان كان « قد أحدث قطيعة مع الفكر اللغوي السابق ،فان قطيعته تلك ستظل في جوهرها المعرفي والابيستمولوجي استمرارية للفكر اللساني القديم » [2] فاللسانيات كعلم قائم بذاته ،ما كان لها- فيما أعلم-ان تعرف هذا النضج والتأسيس لولا هذا الكتاب .وما الجهود اللسانية الحديثة والمعاصرة والنظريات اللغوية المتعددة ،والمناهج التحليلية للبنية

التـــركيبية للغة الإنسانية إلا أدلة قاطعة على ما نرومه ،ولا ينكرها إلا جاحد،بل ان الثنائيات السوسيرية ظلت تراجع نفسها في الفكر اللساني بطريقة أو بأخرى مستلهمة الفكر السوسيري التي يشكل المحور المعرفي للسانيات الحديثة ،ورغم تعدد هذه الثنائيات ،إلا أننا محكومون –بما يقتضيه منهج البحث-على الوقوف على البعض منها ،خاصة ما يخدم الغرض من العملية التواصلية ،ما اقترحه "سوسير" في هذا المحور.

لقد ميز "سوسير" ما بين اللغة والكلام ،واعتبر اللغة ظاهرة اجتماعية أو بالأحرى مؤسسة اجتماعية ،،بينما الكلام ما هو إلا تجسيد للغة في الواقع الكلامي،يقول "دي سوسير" في هذا

---

[1] الملاحظ أننا دائما في تعاملنا مع هذه الأعلام الأجنبية ،نتبنى "النسبة"في المفهوم النحوي العربي ،آخذين بذلك الطريقة المعتمدة من قبل الباحثين اللسانيين الغربيين في مؤلفاتهم ،وحتى الدارسين والباحثين العرب (Saussurienne)مثلا.

[2] - أحمد حساني " مباحث في اللسانيات " ،ص 34.

السمت :«لا ينبغي لنا ان نخلط بين مفهوم "اللغةLangage "و"اللسان Langue" ،فما اللغة إلا جزء محدد منه ،بل عنصر أساسي ،وهي في الوقت نفسه نتاج اجتماعي لملكة اللسان( Produit Social de la faculté du langage)،ومجموعة من التواضعات الضرورية التي تبناها الجسم الاجتماعي لتمكين الأفراد من ممارسة هذه الملكة .وإذا ما نحن تأملنا إلى اللسان بصورة عامة ،فإننا نجده متعدد الجوانب ومتغير الخصائص ،وبالنظر إلى انه ينتمي إلى الفرد والمجتمع ،ونظرا لأننا لا يمكن ان نكتشف وحدته ،فليس باستطاعتنا ان نصنفه في أي صنف من الوقائع البشرية.» [1]

.اللغة في نظر "دي سوسير" هي كل متكامل ،ليست حكرا على واحد دون الآخر ،بل تنتمي إلى الجانب الاجتماعي العام ،ليس في مقدور الشخص ان يغير فيها شيئا إضافة أو نقصانا ،فهي الذاكرة الجماعية للجماعة اللغوية .أما الكلام فهو الجانب الخاص والفردي من هذه الملكة ،بل هو تجسيد للغة في الواقع. إذن اللسان هو النموذج الاجتماعي« الذي استقرت عليه اللغة ،أو قل انه صورة من السلوك السوي بالنسبة إلى الأغلبية من أبناء الأمة الواحدة ،وذلك ان الفرد حينما يتكلم ،فانه ولا شك ،ينحرف قليلا او كثيرا عن لسانه الوطني (...) باستثناء الحالات المرضية لأنه يقترب ما أمكن من ذلك الشكل النموذجي .وما من انسان إلا وتجده يبذل ما في وسعه لكي يكون لسانه اقرب إلى الفصحى التي هي في الواقع ذلك النموذج المثالي الذي يحاول كل فرد ان يحذو حذوه نطقا وكتابة » [2] . لكن –في الحقيقة–تواجهنا دائما هذه الإشكالية التي تدمج بين العلمين اللساني والسيميولوجي أو السيميوطيقي ،وهذا مل تناولناها سابقا حينما حددنا التعريفات

المختلفة من وجهات نظر متعددة ومتباينة ،وهذا ما أشار إليه "جورج مونان" في تعريفه للغة ،فأشير اختصارا لما ورد في هذه التعاريف ومنها : ان اللغة هي أية وسيلة للتعبير عن الأفكار ، ويذهب "جسبرسن"(Jespersen)في موسوعته البريطانية على أنها :أية وسيلة للاتصال بين البشر لكن "لالاند"(Lalande) في مؤلفه(المعجم التقني ونقد الفلسفة Vocabulaire Technique et critique de la Philosophie) عام 1926.يذهب إلى القول بأنها:أي نظام من العلامات يمكن اتخاذه وسيلة للاتصال.وعرفها "ماروزو" ( Marouzeau )في كتابه (معجم

---

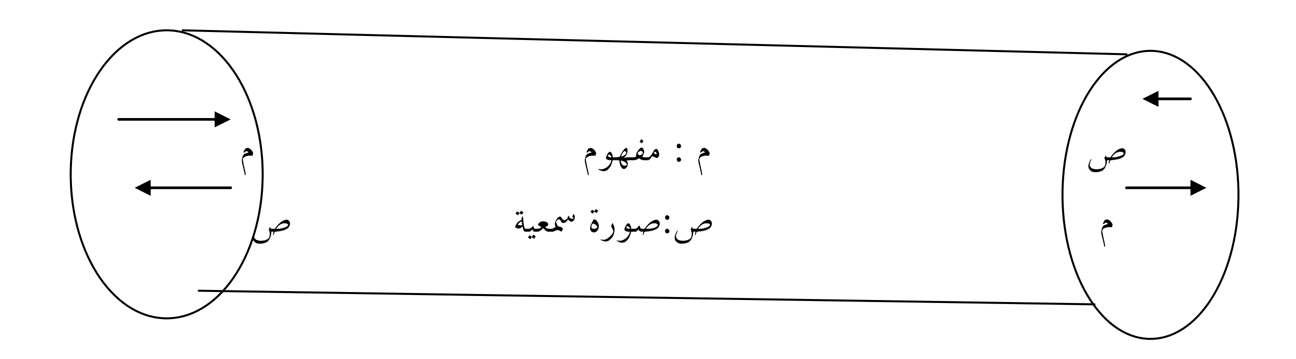
[1] - F.DE.SAUSSURE "C.L.G" ;P29

[2] -حنفي بن عيسى ،المرجع المذكور سابقا ،ص65

المصطلحات اللسانية Lexique de la terminologie linguistique ) أشار إلى ان اللغة هي :أي نظام من العلامات قادر على ان يكون وسيلة للتواصل بين البشر [1])

إن المفاهيم التي اعتمدها سوسير في تعريفه للكثير من المصطلحات اللسانية خاصة ما تعلق بمفهومي اللغة والكلام ،قد أسس لجانب حيوي وهام بالنسبة لحياة البشر ،وهو التواصل والتبليغ ،فالتواصل اللساني ذو طبيعة نفسية واجتماعية ،فيكون بحسب الخطوات التالية :

ولتكن نقطة انطلاق الدارة من دماغ المتحدث .مثلا(أ /A) حيث توجد ظواهر الشعور التي يسميها سوسير "المفاهيم" والتي هي مترابطة مع تشكيلات العلامات اللسانية أو الصور السمعية المستعملة التي تستعمل للتعبير عنها. ولنفترض ان مفهوما ما أثار في الدماغ صورة سمعية مطابقة له:يعد ذلك مظهرا نفسيا ،متبوع في الوقت نفسه بعملية فيزيولوجية ، وبعد ذلك ينقل الدماغ إلى أعضاء التصويت (phonation ) شحنة مطابقة للصورة السمعية ،وعلى إثرها تنطلق الموجات الصوتية من فم (أ) إلى أذن (ب):وهي عملية فيزيائية بحتة ، ثم تمتد دائرة الكلام من الشخص (ب)وبصورة عكسية : منطلقة من الأذن ومنتهية إلى الدماغ حيث الترابط الفيزيولوجي للصورة السمعية والمفهوم المناسب لها . وإذا ما تحدث الشخص (ب /b) بدوره فإنه يتبع الخطوات نفسها التي رأيناها لدى المتحدث (أ) ابتداء من دماغ (ب) للوصول أخيرا إلى دماغ المتحدث (أ). وقد وضح "سوسير" هذه الخطوات المتتابعة لعملية التواصل اللساني بالشكل التوضيحي الآتي[2] :




[1] - VOIT. G-Mounin "clefs pour la linguistique";P 29

[2] -. F.DE.SAUSSURE "C.L.G", P27-28

ما يمكن استنتاجه من خلال الثنائية السوسيرية (اللغة/الكلام) أنهما حقيقتان متميزتان ،إلى درجة ان "سوسير" استطاع ان يستدل على ذلك من خلال الأمراض النطقية او ما يسمى بالحبسة (Aphasie) فإذا لم يكن باستطاعة المريض بالحبسة الكلامية ان يتكلم أو بالأحرى ضيع مقدرته على الكلام ،فانه على الأقل يحتفظ بسنن هذه اللغة ،ومن هنا استنتج "سوسير " انه يجب دراسة كل واحد منهما بمعزل عن الآخر.

**مفهوم التواصل اللغوي عند جاكبسون** (Jakobson-R 1896-1982) **وعناصره:**

إن الحديث عن "رومن جاكبسون"يجرنا حتما إلى الحديث عن إسهاماته في الحقل اللساني ،خاصة نشاطاته في مدرسة براغ اللسانية ،بالإضافة إلى ما سبق من انجازات وإسهامات ويبدو ذلك في تأسيسه لــــــ" نادي موسكو اللساني ،والمدرسة الشكلانية التي كان واحدا من أتباعها .وإن حيوية "جاكبسون " قد مست ميادين عديدة ابتداء من "الشعرية ( Poétique) إلى الاضطرابات اللغوية (Troubles du langage) ،إلى آرائه التجريدية في ميدان الفونولوجيا (Phonologie) بحيث ارجع خصائص الفونيمات إلى عناصر أولية اسماها "الملامح الخاصية ( Trait Pertinent) اذا اصغر من الفونيم الذي يتكون من ملامح عدة خاصة [(1)] ،وأما بخصوص نظرة جاكبسون الى الثنائية السوسيرية (الدياكرونية /السانكرونية )أو الآنية والتاريخية ،فمن الواجب-يقول جاكبسون —ان تكون على عكس ما كانت عليه [(2)] . لقد رأى سوسير ان التزامن هو مقياس لدراسة أحداث لغوية تكون بوقوعها المتزامن حالة من حالات اللغة .أما التعاقبية فهي الدراسة التاريخية للغة في تطورها وتغيرها .واستدل سوسير على مثال ليوضح رؤيته قائلا:« إننا اذا ما قطعنا نبتة ما مقطعا عموديا ،فإننا نلاحظ نمو الألياف (les fibres)في حالة تطورية فقط (longitudinales).أما اذا قطعناها قطعا أفقيا .فإننا في هذه الحالة نتمكن من ملاحظة جميع الألياف في تجمعها على سطح معين ،وحصر العلاقات القائمة بينها .ومن هنا فان هذه الحقائق لا نستطيع إدراكها من القطع العمودي ..ولكن من كل المقارنات التي يمكن ان

---

[1] –عصام نور الدين " علم وظائف الأصوات اللغوية " ،دار الفكر اللبناني بيروت ،ط1 ،1992 ،ص77.

[2]- VOIT :Robert laffont "Révolution EN Linguistique " :P102

نتصورها والموضحة هي التي يمـــكن إجراؤها بين لعبة اللغة ولعبة الشطرنج( jeu d'échecs)...» [1]

لقد تناول جاكبسون في مؤلفاته خاصة المتعلقة بالجانب الفونولوجي الذي شاع كمصطلح صوتي في رحاب مدرسة براغ ولعل "تروبتسكوي" من رواده في كتابه (مبادئ الفونولوجيا)،والذي يؤيد هذا الطرح الانتقاد الذي وجهه جاكبسون لسوسير خاصة في الثنائية اللغوية (الآني /التعاقبي أو التاريخي ) كما أسلفت في الذكر ،فجاكبسون اهنتم بدراسة الصوت اللغوي دراسة تزامنية دون ان يهمل «الدراسة التعاقبية .ذلك لأنه اهتم بتحليل الآثار الأدبية في

تراكيبها وصورها وخاصة دراسة الأصوات اللـــغوية كما هي .لا كما كانت عبر الأزمان والعصور . » [2]

إن التواصل الغوي عتد "جاكبسون" من حيث عناصره الأساسية المكونة للفعل التخاطبي مستمدة بشكل واضح من النموذج الذي بينه "بوهلر "(Buhler)الذي اقتصر على ثلاث وظائف وهي: «الوظيفة المرجعية التي تحيل إلى المرجع أو إلى المكون المرجعي أي بخصوص المحتوى الكلامي.والوظيفة التعبيرية التي تحيل إلى المتكلم .والوظيفة الافهامية التي تحيل إلى المستقبل للرسالة . » [3].يقول جاكبسون : « ان النموذج التقليدي للغة ،كما أوضحه على وجه الخصوص "بوهلر" يقتصر على ثلاث وظائف (انفعالية وإفهامية ومرجعية ) وتناسب القمم الثلاثة لهذا النموذج المثلث ضمير المتكلم أي المرسل ،وضمير المخاطب أي المرسل إليه ،وضمير الغائب أي شخص ما أو شيئا ما نتحدث عنهما .وانطلاقا من هذا النموذج الثلاثي يمكننا مسبقا الاستـــدلال بسهولة على بعض الوظائف اللسانية الإضافية . »[4].لكن الوظيفة الأساسية –بناء على نموذج بوهلر–لا يمكن ان تنحصر في النموذج الثلاثي الذي اقره ،وعليه فالوظائف الأخرى تعد ثانوية أو إضافية .ان المتكلم تقابله الوظيفة الانفعالية ،بينما المخاطب تقابله الوظيفة الافهامية ،وبينهما

---

[1] -. " F.DE.SAUSSURE "C.L.G "– P125

[2] -فاطمة الطبال بركة "النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسون" ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،بيروت ،ط1 ،1993 ،ص35.

[3] - R-Gallisson et D-Coste "Dictionnaire de Didactique des Langues" ;P225.–

[4] – رومان جاكبسون " قضايا الشعرية " ،تر محمد الوالي ومبارك حنوز ،دار توبقال للنشر الدار البيضاء ،المغرب 1988،ط1 ، ص30.

مرجعية معينة يمكن ان يعقد الاتصال بشأنها،ولعل هذا ما أغفله "سوسير" واعني بذلك السياق أي القاعدة الفيزيائية التي تساعد على التغبير .فالسياق و ما يدعى بالمقام أو الظروف المختلفة التي تحيط بعملية الإبلاغ ،فن نحن تحدثنا « إلى احد الأطفال وبدا لنا عاجزا عن فهم ما نقول ،فلا مناص من التساؤل عن طبيعة هذا العجز :هل خفي عليه موضوع القول؟ أم ان المصطلحات لم تكن مشتركة ؟هل كان السياق ملائما ؟أم غاب عن الولد انه هو المخاطب ؟.غالبا ما نغفل هذه الأمور ونعزو فشلنا في الإفادة إلى عدم إصغاء المخاطب أو إعراضه عمدا عن الحديث .ومعناه أننالم نأخذ بعين الاعتبار إلا جانبا محدودا من جوانب المسالة »[1] .ان جاكبسون ينظر إلى اللغة

من وجهة نظر تواصلية ويعتبرها من أهم الوظائف وهذا على شاكلة المدرسة الوظيفية لدى "اندري مارتيني "لان وظيفة التواصل تتيح للإنسان « الاتصال بغيره من بني جنسه ،إلا ان لهذه الوظيفة طابعا ثنائيا أيضا يكمن في وجود شكلين من التواصل : التواصل بالكلام ( La Communication Oral) ،والتواصل بالكتابة (La Communication écrite) فالتواصل بالكلام أو التواصل اللفظي بمعناه الأكثر شيوعا ،هو التواصل بالوسائل اللفظية بين فردين ،وهو من هذا المنطلق يشمل عمليتي البث والاستقبال لمرسلة لها مدلولات معينة تحدد بالتواضع والاصطلاح المسبق بين المرسل والمرسل إليه ،وتتم عملية التواصل هذه تبعا للدوافع النفسية الفيزيولوجية للمتكلم كما تحقق عبر القناة السمعية . »[2] وانطلاقا من القول السابق يبدو ان عملية التواصل يجب ان تتحدد بعنصرين هامين وهما الباث والمتلقي ،ويشترك في ذلك الجانبان النفسي والفيزيولوجي ،ان هذا النموذج التواصلي لازال يتكرر من مصدر لآخر ،فالفرق –قيما يبدو– يتمثل في التوظيف المصطلحاتي لا غير ،لذا فالنموذ ج البوهلري ,والجاكبسوني ،وجهان لعملة واحدة،وبفضلهما لقيت الدورة التواصلية السوسيرية قيمة علمية جديدة .فلم يكن أبو الألسنية الحديثة يتكلم عن التواصل ،وإنما غالبا ما تكلم عن حلقة الكلام .وذلك يفترض وجود شخصين متحدثين (أ) و(ب) –كما بينا سلفا–يقوم التواصل بينهما وفق الشكل الذي اوضحناه من

---

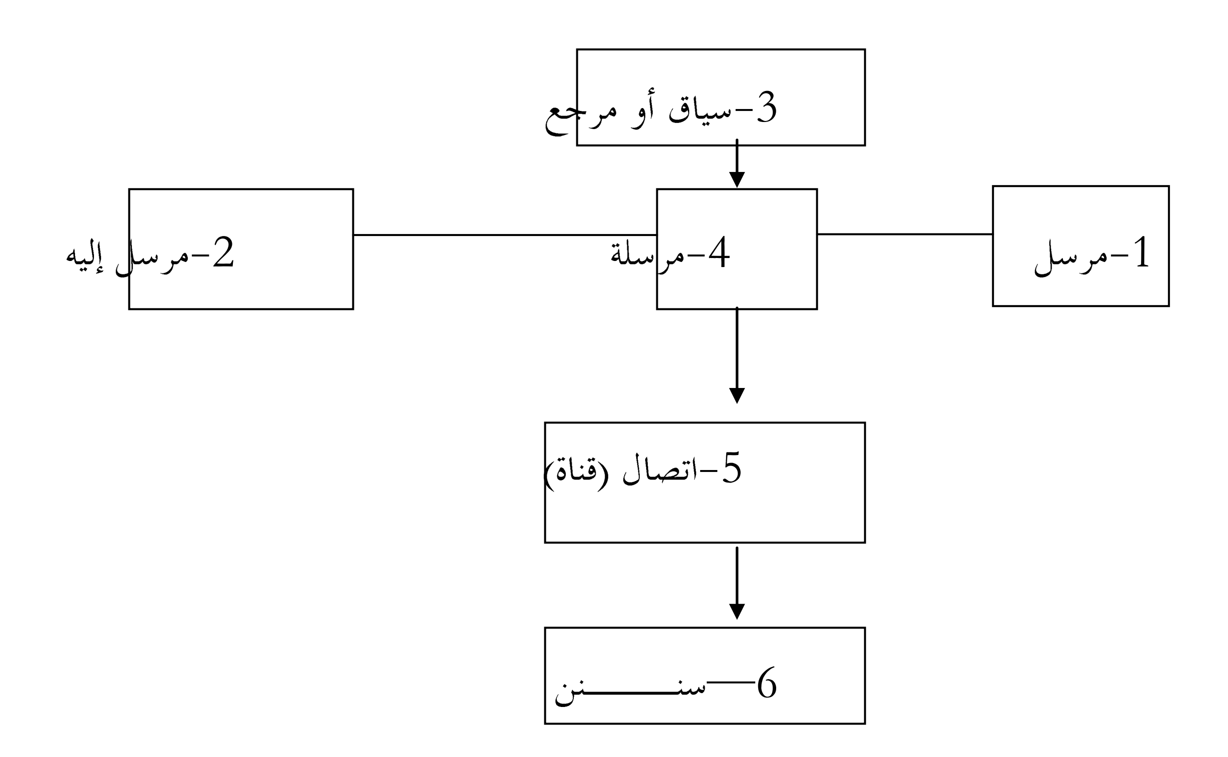
[1] – رونالد ايلوار " مدخل إلى اللسانيات "تر:بدر الدين القاسم ،مطبعة جامعة دمشق ،1980 ،ص50.

[2] - فاطمة الطبال بركة ،المرجع السابق ،ص 49.

قبل.فالفكرة هي« المدلول .أما الصورة السمعية فهي الدال .وقد كان هذا المفهوم أساسا قامت عليه البنيوية الألسنية ،ومن ثم مدرسة براغ التي ظهر معها مفهوم التواصل بشكله المنظم » [1]

**العناصر التواصلية :**

إن المخطط الجاكبسوني التواصـــــلي يعتمد على عناصر هامة ومتعددة تحكمـــها رابطــــة قوية في التواصل الكلامي ،وقد اشتهر هذا العالم بمخطط بياني مشهور ،يرسم عادة على الشـــــكل التالي :

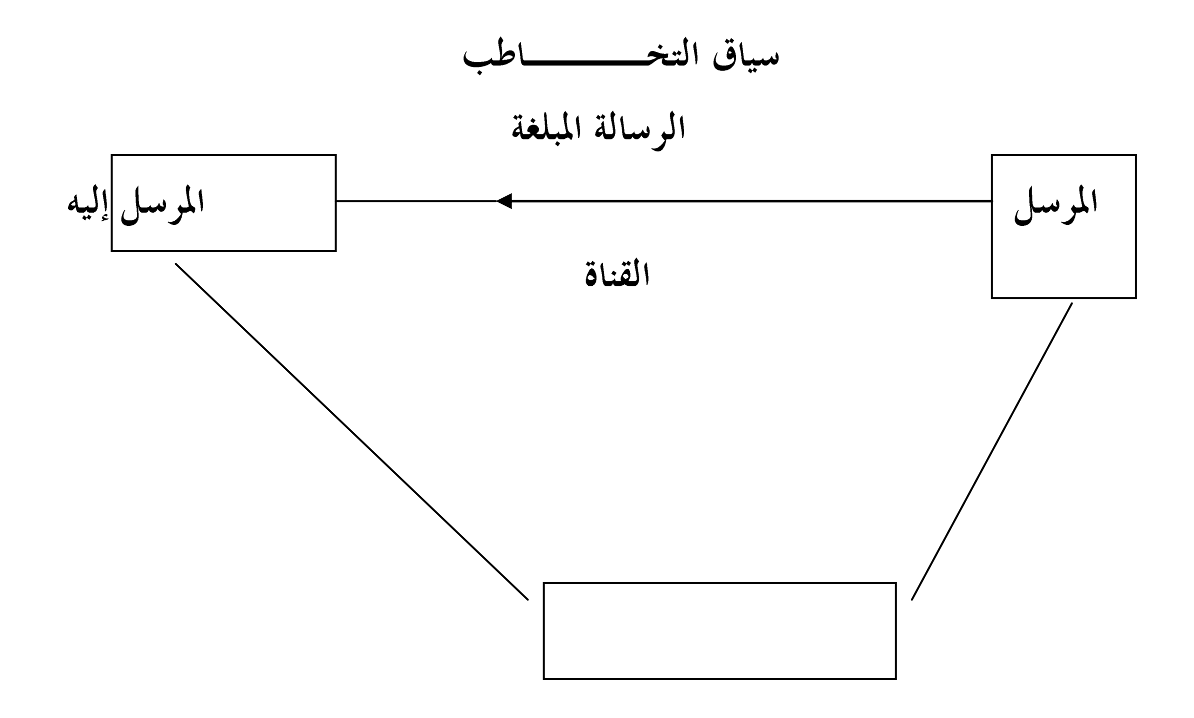



الواضح من خلال هذه الرسم البياني لعناصر التواصل اللساني ،ان هذه الأخيرة مجتمعة ومتفاعلة تنتهي إلى عملية الإبلاغ وتحقيق الهدف من التواصل ،ولسنا هنا في مجال اجترار ماذكرناه حول عناصر التواصل ،بحيث يوجه الباث أو المتحدث أو المرسل رسالة إلى المرسل إليه أو المتلقي

[1] -نفسه ،ص64.

أو المخاطب ،مستندا في ذلك على سياق أو مرجع أو مقام معين يعكس الظروف المحيطة بالرسالة دون ان نقصي السنن المتعارف عليها بين الطرفين في عملية التبليغ ،وهذا لن يتحقق إلا بوجود قناة أو اتصال تربط بينهما كأن تكون فيزيائية على نحو ما نلمسه في التخاطب المباشر عن طريق التموجات الهوائية الناقلة للموجات الصوتية من الإنتاج إلى الاستقبال ،أو بالأحرى فان الجانب الفيزيائي منوط بالمرحلة المتوسطة ،واعني بذلك مرحلة الانتقال.لكن ما يستوقفنا ونحن نخوض في عناصر العملية التواصلية اللسانية التي اقرها "جاكبسون" حسب الرسم البياني والتي يتفق على مضمونه وشكله السابق معظم الدارسين اللسانيين ان لم نقل كلهم .إلا أننا نفاجأ بتعقيبات وأشكال أخرى لهذا النوع من التواصل ،ولنا ان نستفسر إلى ما يعزو هذا الاختلاف ؟ الإجابة — كما نعتقد–تعود بالأساس إلى المصادر المعتمد عليها والمناهل المتنوعة التي نهل منها هؤلاء .المهم ان رونالد ايلوار في كتابه"مدخل إلى اللسانيات " قد اجتهد —حسب فهمه لتحليل جاكبسون في

كتابه " أصول اللسانيات العامة —في وضع مخطط بناه على النهج الذي اعتمده "جاكبسون" الذي بدا انه مغاير لنهج "سوسير "–كما يعتقد–وهو الآتي :



## الرموز المشتركة [1]

إن الحقيقة التي لا يخامرنا فيها شك ونحن نعالج هذا الموضوع ،ان العناصر الستة التي تشكل الرسالة التواصلية–في نظر جاكبسون–قد اعتمد ها من المخطط الأصلي لـــــ" بوهلر" ،ولكن جاكبسون أضاف إليها عناصر جديدة .واقترح لكل عنصر من هذه العناصر وظيفة أساسية مهيمنة(Fonction Dominante) وطاغية عليها،وهذه الوظائف اللغوية قد استلهمها " جاكبسون " من نظرية الاتصال (Théorie de Communication ) التي ظهرت لأول مرة سنة 1948 .[2]

1–**الوظيفة التعبيرية أو الانفعالية**(Expressive/émotive):ان هذه الوظيفة يمكن إسنادها إلى "المرسل "(Destinateur)،لأنها تهدف إلى « ان تعبر بصفة مباشرة عن موقف المتكلم اتجاه ما يتحدث عنه ،وهي تميل إلى إعطاء الشعور وتقديم انطباع عن انفعال معين حقيقيا كان أم كاذبا .» [3] ان تسمية هذه الوظيفة بالانفعالية المقترحة من قبل "مارتي ( Marty) تبدو أفضل من تسميتها بالوظيفة "المثيرة للانفعال " وتظهر الانفعالية الخالصة في أساليب التعجب وطرائق النطق ،لان التلوينات الصوتية من شانها ان تغير معنى الكلمة وتؤدي بالضرورة إلى حالات تعبيرية مختلفة تماما.[4]

إن ظاهرة الانفعال الصادق أو الكاذب ليست بالقياس إلى القيمة الابلاغية التي تحملها الرسالة ،وإنما من زاوية الالتزام بالواقع الموصوف أو التخلص منه في خطاب ما وحجتنا في ذلك ما ذهب إليه "جاكبسون" في الحكم على الشعر بقوله : « هو في جميع الأحوال كذب ،والشاعر الذي لا يقدم الكذب دون تردد بدءا من الكلمة الأولى لا قيمة له .» [5] .ولعل هذه القضية–التي ليست من مجال بحثنا وتخصصنا– التي تبحث في الصدق الشعر من كذبه ،قد أثيرت في مسار النقد العربي القديم انطلاقا من المقولة المألوفة في هذا الباب " أجود الشعر أكذبه " وهي مسالة تناولها الكثير من

[1] -رونالد ايلوار "مدخل إلى اللسانيات " ،ص 50.

[2] - أحمد مومن ،المرجع المذكور سابقا ،ص 148.

[3] -رومان جاكبسون " قضايا الشعرية " ،ص 28.

4 –ينظر فاطمة الطبال بركة ،المرجع المذكور سابق ،ص 182.بتصرف

[5] -ينظر "الطاهر بومزبر " التواصل اللساني والشعرية " ،الدار العربية للعلوم –ناشرون،ط1 ،2007، ص 36.

الدارسين والنقاد على وجه خاص وأثيرت حولها زوبعة من الآراء النقدية الداعمة حينا والمفندة حينا آخر. ورأى عبد السلام المسدي ان هذه الوظيفة بتركيزها على المرسل فإنها تعبر عن عواطفه ومواقفه إزاء الموضوع الذي يعبر عنه ،ويتجلى ذلك في طريقة النطق مثلا أو أدوات تعبيرية تفيد الانفعال كالتأوه أو التعجب (Interjection) أو دعوات الثلب أو صيحات الاستنفار [1]

**2–الوظيفة الإفهامية** (F-Conative) :

ويطلق عليها بعض اللسانيين "الوظيفة التحريضية ( F-Incitative) [2] أو الوظيفة التأثيرية (F-Impréssive).وهي متعلقة بالطرف الثاني من المرسلة وهو المرسل إليه ( Destinataire) أو المتلقي أو المخاطب (Interlocuteur) الذي يتلقى الرسالة وتكون لها حينئذ معنى معين أو هدف محدد ، ويبرز ذلك في الأسلوب الندائي ( Vocatif) أو الأمر ( Impératif) [3] أو الاستفهام أو التمني أو النهي. ولتوضيح ما نحن بصدده ،فان الأسلوب الخبري —كما علمنا–هو أسلوب الغرض منه إفادة السامع أو المخاطب بشيء يجهله ،ويحتمل الصدق أو الكذب بصرف النظر عن شخصية قائله ،فيكون صادقا اذا طابق الواقع ،ويكون كاذبا اذا خالفه ،بينما الأسلوب الإنشائي هو ذلك الأسلوب الذي ينشاه صاحبه لطلب حدوث فعل أو نهي عنه أو تعجب أو استفهام وغير ذلك من الأساليب الإنشائية الطلبية وغير الطلبية .ولا يص ح حينذاك ان يقال لصاحبه انه صادق أو كاذب ،بل الأساليب الإنشائية تقتضي بالضرورة انصياعا وتنفيذا بخلاف الأساليب الخبرية ، ضف إلى كل ذلك ان الاستفهام في الدرس البلاغي يخرج عن معناه الحقيقي والأصلي ليؤدي أغراضا أدبية وبلاغية تفهم من السياق مع الارتكاز على الحالة النفسية للمستفهم والمستفهم على حد سواء (كالتعجيز وإظهار الضعف والدعاء...الخ ).ان المميز لهذا النوع من الرسائل من الناحية التواصلية هو كونها :

«–ذات طابع لفظي يتمظهر في تركيبتين بارزتين في كل لغة إنسانية وهما "الأمر والنداء".

---

1 –ينظر –عبد السلام المسدي " الأسلوبية والأسلوب " ،ص158.

2 –ينظر –عبد الجليل مرتلض "مباحث لغوية في ضوء الفكر اللساني الحديث" منشورات ثالة ،الجزائر (د ط)2003،ص 61.

3–R-Gallisson et D-Coste "DICTIONNAIRE de Didactique des Langues " ;P 112.–

-لا تقبل قيمتها الإخبارية الإخضاع لأحكام تقييمية ،لأنها ترد في أسلوب إنشائي بمصطلح البلاغة .لهذا نجد هذه الوظيفة تهيمن وتفرض كثافة حضورها "خاصة في الأدب الملتزم والروايات العاطفية ،لان هذين اللونين الأدبيين يعتمدان على مخاطبة الآخر ومحاولة التأثير عليه وإقناعه أو إثارته.» [1]

من الخصائص والمميزات الأسلوبية للرسالة الإفهامية (التأثير ،الإقناع ،الإمتاع ،والإثارة ) [2] التأثير :الحدث اللساني رباط الوصل بين المرسل والمرسل إليه ،ومن هنا يجتهد المرسل في إضفاء نوع من البصمات النفسية ليؤثر في المرسل إليه ،وهذه الفكرة تأخذ منحيين (المفاجأة والتشبع ).فأما المفاجأة فهي " تولد غير المنتظر من المنتظر " لان غير المنتظر يكون وقعه على النفس أقوى .

أما التشبع عملية تكرارية تتناسب بشكل عكسي مع روعة وجمال الخطاب .بحيث كلما كثرت العمليات التكرارية تنازلت حدة التأثير على المستقبل لهذه الرسالة .فالمفاجأة تهتز لها النفس بفضل شحنتها التأثيرية العالية لكونها غير منتظرة بينما الشحنات التكرارية تحدث تشبعا في نفس المستقبل فتضعف استجابته لارتداداتها .أما الإقناع فهو من أساليب التأثير عل المستقبل باستعمال وتوظيف الحجج المنطقية فيحمل الباث خطابه اللفظي المنجز شحنة منطقية يحاول بها المخاطب مخاطبه على التسليم الوضعي بمدلول رسالته .أما الإمتاع فهدف الباث هو إدخال النشوة في نفس المستقبل .أما الإثارة فتتولد عندما يتحول خطاب ما إلى عامل استفزاز يحرك في المستقبل نوازع ردود الفعل .[3]

**3–الوظيفة المرجعية** (la Fonction Référentielle): لم تسلم هذه الوظيفة أيضا من التذبذب على المستـــــوى الاصطلاحي كغيرها من الوظـــــائف اللسانية الأخرى ،فتنعت بـــ" الوظيــــــفة المعرفية (F-Cognitive) ،والوظيفة الإيحائية ( F-Démotive) [4] ،والوظيفة التعيينية أو التعريفية ( Explicative) [5] .المهم رغم هذا التباين في استعمال المصطلح ،إلا ان الاتفاق حاصل في تعريف هذه الوظيفة التي تهيمن على الجانب السياقي( Contextuelle) من الرسالة ،إذ تتعلق هذه الوظيفة بالمرسلات ذات المحتوى الذي يتناول « موضوعات وأحداث معينة

---

[1] - الطاهر بومزبر ،المرجع السابق ،ص 39.

[2] -نفسه ،ص 40-42

[3] -ينظر عبد السلام المسدي ،المرجع المذكور سابقا ،ص 82-85.

[4] - ينظر:م- نفسه ،ص 159.

[5] -ينظر فاطمة الطبال بركة ،المرجع المذكور سابقا ،ص 67.

،تشكل التبرير الأساسي لعملية التواصل ،ذلك أننا نتكلم بهدف الإشارة إلى محتوى معين نرغب في إيصاله إلى الآخرين وتبادل الآراء معهم حوله .» [1] .

إن اغلب المعاجم المتخصصة في هذا المجال تعتبر هذه الوظيفة من ابرز الوظائف الجاكبسونية لأنها المحور الأساسي الذي تقوم عليه كل المرسلات ،وذلك لإحالتها على المرجع (موضوع الحديث)،بل ان الوظيفة المرجعية أو الإيحائية تتحدد بمعطيات وملابسات وظروف نفسية وثقافية أو اجتماعية التي أحاطت بالمرسلة .ومن هنا تبوأت هذه المترلة الهامة من بين الوظائف اللسانية الأخرى.باعتبار أننا نعقد اتصالا لغرض ما كالتبليغ والإخبار أو الإعلام أو أي شيء من هذا القبيل .

**4–الوظيفة الانتباهية** (F-Phatique) [2] :ويطلق عليها أيضا وظيفة (إقامة الاتصال) ،لان تهتم بشكل واضح بالعلاقة بين المرسل والمرسل إليه من حيث القناة الرابطة بينهما ،ومن ثم تراعي إقامة التواصل وسلامته ،والتأكد من استمرار مرور الرسالة .وليس غريبا –بغرض المحافظة على التواصل –تكرار ألفاظ مثل ( الو .هل تسمعني ؟) وتوظف ألفاظ أخرى لإثارة المرسل إليه وشد انتباهه

لمحتوى المرسلة ،ولذلك نلاحظ ان مثل هذه الألفاظ تتكرر بشكل مستمر من المتكلم أو من المخاطب على حد سواء ،لذا نرى المرسل إليه يجيب من حين لآخر عن الأسئلة المتكررة فيقول مثلا :نعم ...أسمعك جيدا ..الخ،إشارة منه على سلامة القناة الناقلة .بقي ان نشير ان الوظيفة الانتباهية من «اصطلاح "مالينوفسكي (Malinovesky)للدلالة على أهمية اللسان الذي يقوي ويشد وشائج الصلة بين الناس عبر تبادل الكلمات البـــسيطة دون ان تكون النية منه تبادل الأفكار. » [3]

يبدو ان هذه الوظيفة ليست خاصة بالإنسان ، بل يمكن ملاحظتها كذلك لدى الحيوانات الناطقة وهي الوظيفة الأولى لدى الطفل في مراحل الاكتساب اللغوي حيث يلح في العديد من المرات على تمديد الاتصال ،فيكون حينها سابقا على قدرته على إصدار رسائل ذات معاني

---

[1] -- ميشال زكريا " علم اللغة الحديث –الميادىء والأعلام" ،ص 53-54.

[2] -نعتمد هذا المصطلح اعتمادا على ماورد في كتاب جاكبسون " قضايا شعرية " ،ص30.

[3] - فاطمة الطبال بركة ،المرجع المذكور سابقا ،ص 66.

وأهداف إخبارية وإعلامية ونحوهما .يقول "جاكبسون في هذا الباب : « الوظيفة الانتباهية هي الوظيفة الوحيدة التي تشترك فيها الطيور الناطقة مع الكائنات الإنسانية ،وهي أيضا الوظيفة اللفظية الأولى التي يكتسبها الأطفال ،ان النزوع إلى التواصل عند الأطفال يسبق طاقة إصدار الرسائل الحاملة للأخبار. » [1]

5-**وظيفة ما وراء اللغة** (F-Métalinguistique):وتتعلق هذه الوظيفة باللغة نفسها ،فحينما يشرع طرفي الرسالة (المتكلم والمخاطب) في التواصل يشعر كل منهما انه بحاجة إلى التأكد من الاتصال واعني به التركيز على السنن المستعملة .فتجد المخاطب يتساءل مثلا بقوله " إني لا أسمعك ،ماذا تريد ان تقول ؟ويمكن تصنيف هذه الأنماط من الخطابات ضمن « الكلام عن الكلام نفسه ،أو القول عن القول ،خاصة اذا علمنا ان المنطق الحديث يميز بين مستويين من الكلام هما :الكلام عن الأشياء ،والكلام عن الكلام او ما يسمى "ميتالغة "» [2] واستدل جاكبسون على

أهمية هذه الوظيفة بإيراد نموذج من اللغة الفرنسية ( le sophomore s'est fait coller)ويتبعها بسلسلة من الكلام عن الكلام أو ما وراء اللغة ،فيقول :لكن ما معنى ( se fait coller)،"se fait coller" تعني ما يعنيه "sécher" وما معنى "sécher"،تعني "sécher" رسب في الامتحان (...) ان الاخبار الذي توفره كل هذه الجمل المعادلتية يخص السنن المعجمي للفرنسية فحسب ،ووظيفتها بصفةدقيقة وظيفة ميتـــــا لسانية [3]وتلعب الوظيفة الميتا لسانية دورا هاما لدى علماء النفس التجريبي وفي اكتساب اللغة الأم وتعلمها (Maternelle) أو اللغة الأجنبية( L- étrangère.) وهي تمارس في كل مرة يلجأ فيها أحد طرفي التواصل (المرسل أو المرسل إليه) إلى التأكد من استعمالهما لنفس السنن(codes). ومن هنا عرف جاكبسون

[1] - رومان جاكبسون " قضايا الشعرية " ،ص 30-31.

[2] - الطاهر بومزبر،المرجع المذكور سابقا ،ص47.

[3] -ينظر المرجع نفسه ،ص47 وينظر ايضا :رومان جاكبسون ،المرجع المذكور سابقا ،ص 31.

"الحبسة"(Aphasie) بكونها «فقـــــدان القـــــدرة على تحقيق الوظيـــــفة اللسانية الميتا لسانية ». [1]

6-**الوظيفة الشعرية** (F- Poétique):ويطلق عليها أيضا الوظيفة الجمالية(esthétique)، أو البلاغية(rhétorique) ،وهي الوظيفة التي تتركز حول الرسالة نفسها ،وتتجلى وظيفتها في نقل شعور الباث إلى المتلقي في أحسن تصوير للجانب « الجمالي الموجود في اللغة، والمتجسد في المظهر الفني البلاغي الذي يستغله الشعراء أيما استغلال ،والاهتـــمام هنا منصب على الخطاب نفسه . » [2]، ان السؤال الذي يطرح نفسه أمام هذه الوظيفة هو :ماذا نعني بالشعريات ؟ وما السبيل للوصول إلى الشعرية ؟ ما هي معاييرها وأسسها ؟ وما ميدانها الإجرائي ؟ ويعرفها جاكبسون : « هي الدراسة اللسانية للوظيفة الشعرية في سياق الرسائل اللفظية عموما ،وفي الشعر على وجه الخصوص. »[3] للإجابة عن السؤال وجب معرفة المحاور التي تعتمدها الشعرية ،ان نظرتنا للرسالة باعتبارها المحور الأساس في مفهوم الشعرية فان الدال بدرجة مهمة أكثر من المدلول

ومن هنا فالشعرية ترتكز على محوري التأليف والاختيار .فالاختيار يعتمد أساسا على الاستبدال عن طريق الترادف مثلا .

ومما سبق يتجلى لنا ان مفهوم الشعرية ( Poétique) أصبح علما يدرس الوظيفة الشعرية يعرف مدلولها حركة مد وجزر ،فيمتد حتى يشمل كل الرسائل اللفظية وفي طليعتها الرسائل الشعرية ،ويتقلص عند البعض ليقتصر على الرسائل النوعية أي الشعر ...غير انه لا يعني كون الوظيفة الشعرية تبرز ،وتهيمن في مثل هذه الرسائل المتعالية ،إذ أقر (جاكبسون) بان الوظيفة تتحقق في الشعر على وجه الخصوص.[4]

---

1 - رومان جاكبسون " قضايا الشعرية " ،ص31.

2 - خولة طالب الإبراهيمي " مبادئ اللسانيات "،دار القصبة ،الجزائر ،2000 ،ص31.

3 - رومان جاكبسون،المرجع المذكور سابقا ،ص78.

4 -ينظر رومان جاكبسون،المرجع المذكور سابقا ،ص09.،.الطاهر بومزبر،المرجع السابق الذكر،ص 55

**التواصل الحيواني** (La Communication Animale):

بات من المتفق عليه الآن أن الإنسان هو وحده المؤهل لاستخدا م نظام من العلامات الـــــــدالة للتواصل مع غيره من بني جنسه ،وأن اللغة الحيوانية (مجازا) تختـــــلف من حيث نظامها التواصلي عن البشر .وما لا يختلف حوله اللسانيون الآن ،هو أن كل اللغات الإنسانيـــــــة تتفق جميعها في خصائص أربع ،ولا يمكن ان نجد لغة بشرية تشذ عن ذلك :

**الخصائص الأربع للغة الإنسانية :**

1-**الخاصية التوليدية**(La Productivité) [1]:

إن اللغة البشرية بإمكانها ان تؤلف بين فونيمات محددة تتشكل في مجموعات مقطـــــعية (syllabique)،لتكون الآلاف من الكلمات الدالة ،أو عددا لا حصر له من الجمل .إن اللـــغة هي موضوع علم اللغة لاشك في ذلك ،بل تقوم بربط مضمونات الفكر الإنساني بأصوات تنتج عن طريق الجهاز النطقي من خلال الأعضاء المصوتة ،فالأصل في اللغة أن تكون « كلاما ، فتكون "مشافهة " ،أما الكتابة أو لغة الكتابة فهي لغة أخرى نقصد من خلالها تمثيل الكلام المنطـــــــوق بطريـــــقة منظورة .» [2]،ضف إلى ذلك أن اللغة البشرية مرتبطة بآليات معقدة وعمليات مركبة يضطلع بها الدماغ البشري ،وهذه الآليات تمكنه من التفكير وإعمال العقل ،لأن اللغة ما كانت لتستـــطيع القيام بدور وسيلة التفاهم بين الناس وخدمة تطور النشاط الجماعي لو أنها كانت منفصلة عن التفكير .قال دي سوسير : «المنظومة اللغوية هي آلية معقدة ،ولا يمكن إدراكها بغير التفكير » [3].ومن هـــــذا نكتشف العلاقة بين اللغة و التفكير وإن كنا قد وقفنا على ذلك في الفصل الأول وبيّنا اختلاف الرؤى حول الجدلية القائمة بينهما والتي وصفناها-من خلال المعطيات المتوفرة لدينا –بأنها جدلية لن تنتهي غدا حتما .ولقد زعم بعض العلماء أن التفكير لا يتم بدون الكلمات ،ولعله قصد بالكلمات ما قصده المتنبي :

---

1 – بسام بركة " معجم اللسانية "منشورات جرّوس-برس ،ط1 ،1985 ،ص167.

2 –محمود السعران " علم اللغة –مقدمة للقارئ العربي" ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،مصر ،(دت،دط) ،ص 55.

3- . " F.DE.SAUSSURE "C.L.G –P107

ان الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان عليه دليلا [1]

### 2-**التقطيع** (L'articulation):

إن اللغة الإنسانية تمتاز بخاصية التقطيع ،وذلك لأنها قابلة لتمييز مكوناتها سواء على مستوى المفترضات(Propositions) أو الجمل هذا من ناحية ،ومن ناحية أخرى مستوى العناصر التي لها معنى ،فضلا عن المستوى الصوتي والعناصر التي لا معنى لها ونعني بذلك الفونيمات ،وخلاصة لذلك فاللغة الإنسانية قابلة للتقطيع على المستويين :أ- على مستوى المونيـــــــمات أو المورفـــيمات
ب-على مستوى الفونيمات التي هي أصغر وحدة صوتية لا معنى لها في ذاتها،و لكنها قادرة على تغيير المعنى [2].

### 3-**الاعتباطية** (L'arbitraire) :

إن هذه الخاصية لصيقة بالعلامة اللسانية (Signe Linguistique)،وهذا ما أكده "دي سوسير "في محاضراته ،لأن العلاقة بين الدال والمدلول( Signifié/signifiant ) هي علاقة اعتباطية (Arbitraire) أي غير معللة ،لأن العلامة اللسانية انطلاقا من مفهوم دي سوسير-هي مركب يتكون من وجهين (دال/مدلول) يستحيل الفصل بينهما لأنهما يرتبطان بعلاقة تواضـــــعية [3].

### 4-**التركيب** (syntaxe):

التركيب وهو النظم.بمفهوم عبد القاهر الجرجاني ،وقد وضح ذلك حيث قال فيه: «واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتـضيه علم النحو وتعمل على قوان ـــينه

---

1 -تمام حسان " اللغة العربية معناها ومبناها " عالم الكتب ،القاهرة ،ط3 ،1998 ،ص46.

2 - A- Martinet " éléments de linguistique générale",P19 ;VOIT Ernest D-Hilgard et autres " Introduction à la Psychologie" P309 -

3 - ينظر أحمد حساني "مباحث في اللسانيات"،ص 41 ،وينظر

-F.DE.SAUSSURE "C.L.G" ;P 100

وأصـــوله» [1] ، ويهتم بموقعية اللفظ ضمن التركيب للمفوظ( énoncé )معين ، لأن الغاية من علم التـــركيب (Syntaxe)هو البحث في مجموع العلاقات التي تؤلف بين العناصر اللسانية المتتالية للمفـــوظ معين وفي سياق محدد بحسب الطبيعة الخطية للغة ،فيعتبر علم التراكيب أساس الدراسات اللسانية ذلك لأنه «قلب الأنظمة اللغوية ،ومحصلتها النهائية فهو الذي يصل بين الأصوات والدلالات ،ولكن ينبغـــي ان نلاحظ ان اللغات لا تجري على منوال واحد في تركيب الفونيمات للتعبير عن المعنى ،أو بعبارة أخرى تركيب الألفاظ في صورة جمل بسيطة أو معقدة لا يجري عل نظام واحد في كل اللغات إذ لكل لغة طريقتها الخاصة في نظم الكلام» [2]

إذا فاللغة من خلال هذه الخصائص المشتركة تختلف كل الاختلاف عن الأصوات التي تصـــــدرها الحيوانات ،هذه الأخيرة تتصل فيما بينها بوسائل خاصة ،وفي ظروف معينة ،لكـــــن قد نجد من الباحثين من يصف هذه الأصوات باللغة ،في حين الكل يدرك ان الفصيلة الوحيدة المهيأة لاكتساب اللغة وتداولها هي فصيلة الإنسان ،ولعل مرد هذا الزعم إلى أن الناس قد « بهروا مما تحققه بعض الحيوانات من اتصال :كالببغاوات والنمل ،والقردة والنحل ،فزعموا ان للحيوانات لغة .» [3]

مما سبق يبدو أن التواصل الحيواني بات من الأبحاث المعقدة جدا ،بالنظر إلى تنوعه من ظرف لآخر ومن حالة لأخرى ،فليس مثلا الصيحات التي نسمعها لبعض الحيوانات في ظرف معين هي نفسها في ظرف آخر مغاير ،وهذا ما حدا بالباحثين إلى دراسة هذه النظام التواصلي المعقد ،حتى وان اكتنفه شيء من المغامرة أحيانا .فتبين لهؤلاء الباحثين ان « الحيوانات تتواصل فيما بينها عن طريق أنظمة مختلفة من العلامات ،وبعض هذه الأنظمة يبدو معقد جدا إلى درجة انه أصبح يوهمنا بأنه يقارب النظام التواصلي عند الإنسان . » [4]

إن الاتصال في مفهومه البسيط هو إحداث علاقة بين شخصين أو أكثر لغرض من الأغراض ولعل أبرزها-كما ذكرنا-التعبير عن الحاجيات ووصف مشاعر ونحو ذلك ،هذا هو

---

1 - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في البلاغة وعلم المعاني، بعناية ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية صيدا بيروت،ط، 1، 2000م. ص،127،

2 - حلمي خليل " مقدمة لدراسة علم اللغة " ،ص108. VOIT Ernest D-Hilgard et autres " Introduction à la Psychologie" P309

3 -جمعة سيد يوسف " سيكولوجية اللغة والمرض العقلي " ،عالم المعرفة ،1990 ،ص11.

4 -احمد حساني " دراسات في اللسانيات التطبيقية –حقل تعليمية اللغات -،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،2000 ،ص 78.

الاتصال كما يبدو من خلال هذا التعريف الذي اقترحناه ،فهو هادف ،لكن أيعقل ان نلحق الاتصال بغير البشر ،فنقول ان الحيوانات تتواصل فيما بينها إســـــــقاطا على التعريف السابق ؟ إنّــــــــه لسؤال محير فعلا .

يبدو أننا اتجهنا إلى قضية أخرى ،وهي مواصفات الكـــــــــلام البشري الذي نعتبره نشاطا نفسيا ،وبيولوجيا ،لأن الصرخات «لا توجه إلى احد ،إنها لا تكون اتصالا بالغير بأي معنى صحيح من معاني الاتصال .وهي إذا سمعت فإنما تسمع اتفاقا كما يسمع نباح كلب ،أو وقع خطى مقتربة ،أو زفيف الريح » [1].ولقد عد بعض الباحثين ان السلوك الحيواني يبدو أسهل مقارنة بالسلوك الإنساني من حيث الدراسة والاستنتاج، بل يمكن استثمار النتائج المتوصل إليها في دراستنا للسلوك الحيــــواني لفهم التصرفات الإنسانية التي هي أكثر تعقيدا من الصنف الأول .ويمكن معرفة ذلك « بالاســـتعانة بالطرق العلمية القديمة ،بدءا بالوصف الموضوعي والدقيق لهذه الظواهر المراد شرحها ،ومن ثم التحليل التجريبي للسلوك ذاته وآلياته ،إن دراسة السلوك لدى بعض الحيوانات أظهرت انها غير مختلفة عـــن فصيلتنا (الإنسان) ،وأن معرفة وفهم آليات السلوك الحيواني يمكن أن يساعدنا في معرفة قـــــــــواعد السلوك الإنساني ...المهم ان الإنسان أكثر تعقيدا من أي حيوان كان . » [2]

لقد بات من البديهيات أن الإنسان بإمكانه أن يعبر-بشكل غريزي —عن جملة من الانفــعالات، وهو في هذا الشأن شبيه ببعض الحيوانات ،وهذه التعبيرات كما أكد على ذلك الأســــــتاذ علي عبد الواحد وافي تنقسم إلى قسمين :تعبيرات بصرية :تصل عن طريق حاسة البصر ،وتعبــــــيرات سمعية مدركة عن طريق حاسة السمع ،وتشترك الفصيلة الحيوانية مع الإنسان في القسم الأول من قسمـــي التعبير المذكورتين سابقا ،وهو التعبير الطبيعي عن الانفعالات ...فانفعال الحيوان يبدو من خـــلال الجوع والعطش ...الخ .يثير كل منها لدى المتلبــــــس به طائـــفة خاصة من الحركات الفطرية غير المقصودة ،وهذه الحركات بعضها بصري

---

1 -محمود السعران " علم اللغة مقدمة للقارئ العربي" ،ص 58.

2- J-ADRIEN et autres "La Recherche en neurobiologie" ;P204

كاتساع الحدقة ،وبسط الأذنين وخفضهما ،التكشير عن الأنياب ،ووقوف الشعر...وبعضها سمعي :كرغاء الناقة وصهيل الفرس ،وشحيح البغل ،ونهيق الحمار ،وخوار البقر ،وزئير الأسد ،وعواء الذئب ،ونباح الكلب ،ومواء القط ،وضحك القرد ،وصرصرة البازي ،وهدير الحمام ،وزقزقة العصفور ،ونعيق الغراب ،وفحيح الحيات ،ونقيق الضفادع ...وهلم جرا. [1] وقام العلامة "لوبوك "(lubbock )–وهو ما أورده عبد الواحد وافي –بطائفة كبيرة من التجارب – فتبين له صدق ما ذهب إليه الباحثون من قبل في هذا المجال .فإذا أراد الحجل أن ينذر قومه بالخطر طار مسرعا مسافة قصيرة متنقلا من شجرة إلى شجرة ،وهو يصفق بجناحيه تصـــــفيقا شديدا .و أنثى الدببة إذا أرادت أن يسرع إليها ولدها نازلا من أعلى الشجرة تسلقها ضـــــربت بكفها جذع الشجرة .ومن أعجب أساليب التفاهم بين الحيوان هو أسلوب الحديث بين الطائر الذي يسمى "الهادي إلى العسل " والحيوان المعروف باسم "أبو كعب "أو آكل العسل فهذا الطائر يحب أكل يرقات النحل حين تكون كالدود ،وآكل العسل منهوم بحب العسل والطائر الهادي إلى العسل لا قبل له بالتغلب على جماعات النحل الساخطة ،أما آكل العسل فهو قصير الرجلين ،فلا يستطيع ان يقطع المسافات الطويلة بحثا عن خلايا النحل .فترى الهادي إلى العسل يطير مطوفا في أنحاء الغابة بحثا عن شجرة فيها خلية نحل ثم يرتد مسرعا إلى ذلك القابع الصابر فيحوم فوق رأسه ،وهـــــو يقول له بصوت رفيع :"شر ،شر " ويدلف آكل العسل متثاقل الخطو على أثـــر الطائر المرفوف بجناحيه .ولما كان هذا الحيوان في وقـــاء من جلده الكثيف الشعر فلا يضـــره لسع النحل ،فهو يهجم على الخلية ويمزقها إربا إربا .ثم يجتمـــع هو والطائر على المائدة الشهـــية .أما أسراب الفيلة فلا تكف لحظة عن غمغمة تســـمع من حديث أو إشارة ،وهي لغة أداتها الإشارة بالآذان والخراطيم [2].الشيء العجيب الذي تفضل به الأستاذ عبد الواحد وافي بخصوص الاتصال الحيواني ،وخاصة ما تعلق بالطائر المسمى بـــــ" الهادي إلى العسل " إن هذا الطائر الذي يخشى لسعات النحل ،فهو يلجا إلى طريقة تبـــــدو عجيبة ولا تصدق ،بحيث يعتمد في خطته لأكل العسل على أولئك الباحثين عن خلايا النحـــــل في أدغال إفريقيا وما توفره من طعام لذيذ وشهي .فيرشدهم إلى هذه الخلايا ،فيصبح يطير من شجرة إلى شجرة أخرى

---

1 –ينظر :علي عبد لواحد وافي " نشأة اللغة عند الإنسان والطفل " ،ص16-17.

2 –ينظر:علي عبد الواحد وافي ،المرجع المذكور سابقا ،ص 20-21.

،والصيادون يتابعون تحركاته خطوة بخطوة إلى ان يوصلهم إلى مكان هذه الخـــــلايا النحلية ،وبعد انتهائهم من جمع العسل ،ويشتتون جموع النحل ،حينذاك يتناول ما بقي مـــــن هذه الغنيمة الطيبة .أليس في سلوك هذا الطائر ما يدعو إلى العجب والتأمل في هذه المسالك التــــواصلية ،ليس بين الحيوانات فيما بينهم ،بل بين الحيوان والإنسان ،كما بينا من خلال المثال السابق .

ان الصرخات الحيوانية – في واقع الأمر –بناء على ما تفضل به عبد الواحد وافي تعـــــبر عن انفعالات تدرك سمعا ورؤية بواسطة جملة من الإشارات تبعا لظروف متباينة ،وهذا ما لمسه " جورج مونان " في كتابه " مفاتيح اللسانيات "( Clefs Pour la Linguistique )فقد أوضح أن « الغربان (Corbeaux) قد ابتكرت حوالي خمس عشرة (15) صرخة تتوافق مع وضعــــيات أو سلوكات متمايزة من حيث المعنى » [1]*واستدل الدكتور احمد حساني و هو يتناول النظــــــام التواصلي عند الغربان اعتمادا على البحوث الأمريكية في هذا المجال ان للغربان أنظمة تواصلية متباينة تختلف باختلاف المناطق والبيئات ،فالغربان التي الفت العيش في محيط المدن يعسر عليها التواصل مع الغربان التي تعيش في الريف ،وأضاف قائلا :وتشير بعض الدراسات أن غربان منطقة "كونيكتيكت" لا تستجيب للعلامات التواصلية التي تنتقل من منطقة إلى أخرى ،لهذا الغربان نمط تواصلي خاص قد يختلف جذريا عن النمط المألوف عند الغربان القارة التي يطول مكثها في مكان معين .ولكن الأمر الغريب هو أن هذه الغربان الجوالة على الرغم من أنها تختلف عما سواها من الغربان الأخرى من حيث طبيعة العلامات التي تستعملها إلا أنها تستجيب لعلامات الغربان الأخرى ،وهذه خاصية تنفرد بها هذه الفصيلة من الطيور ،إذ أنها تستخدم نظامين متوازيين ،وهي من هاهنا تشبه الازدواجية اللغوية عند الإنسان. [2]

---

1 – Georges Mounin " Clefs pour la linguistique " ;P 57.

* CHEZ LES CORBEAUX . ON A INVENTORIE UNE QUINZAINE DE CRIS CORRESPONDANT A DES SITUATIONS OU DES COMPORTEMENTS Sémantiquement DISTINCTS.

2 –ينظر : احمد حساني " دراسات في اللسانيات التطبيقية –حقل تعليمية اللغات –" ،ص 78-79.

**الرقصات نموذج لتواصل النحل :**

من البحوث العلمية الرائدة المحاولة لفهم عمق النظام التواصلي لدى فصيلة الحيوانات ،ما قام به العالم البيولوجي النمساوي " كارل فون فريش"(karl von frisch) [1] في مؤلفه الموسوم بـــ "رقصات النحل (Danse des abeilles) (Dancing Bees) وقد أثبت من خلال المعاينة المستمرة لهذه المملكة ،أن النحلة (L'abeille) تستطيع ان تبلغ عن طريق الرقصات ( Les danses)بقية النحل بثلاث معطيات أو إشارات أساسية :

**أ –وجود الغذاء :**

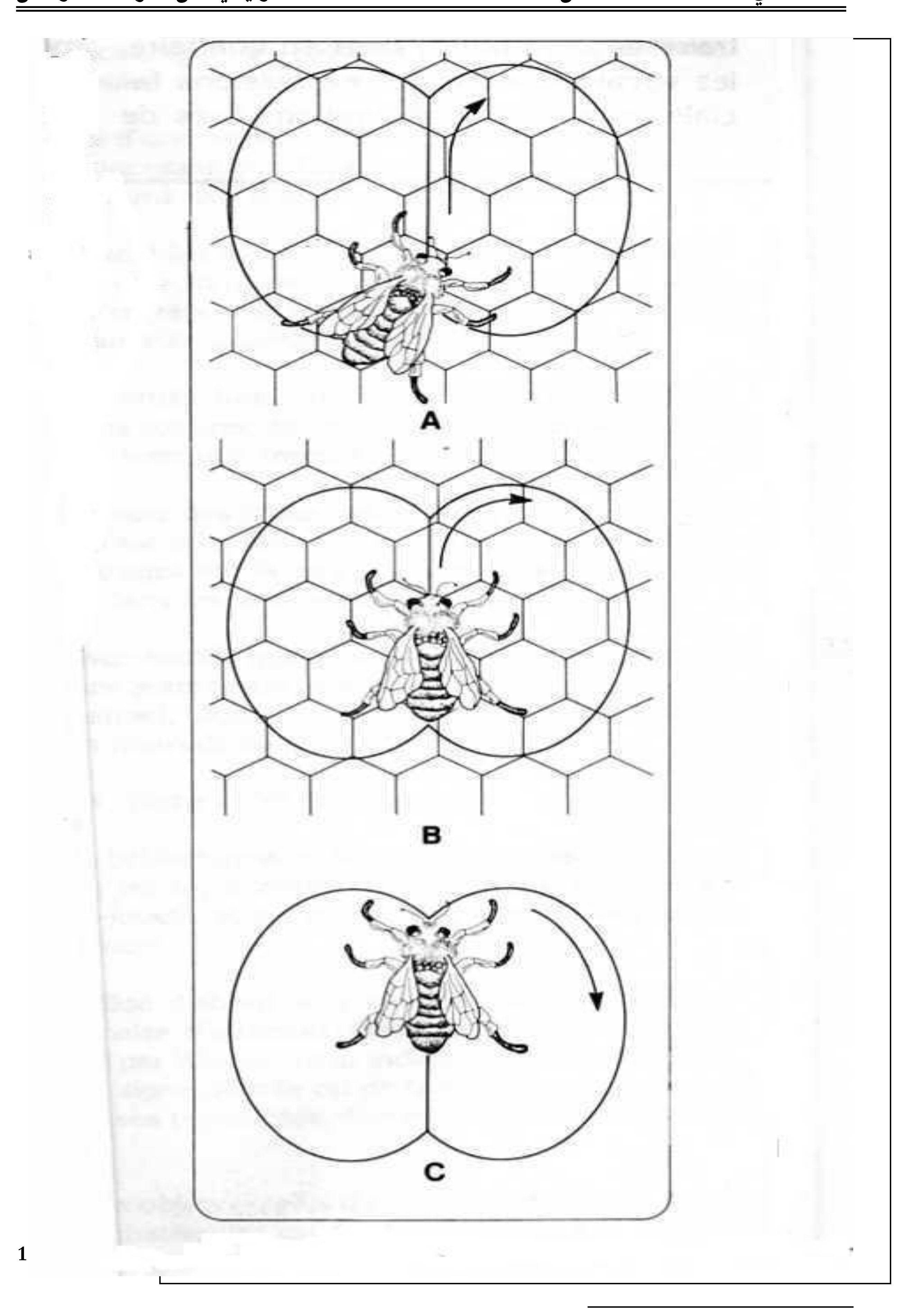
حينما تذهب نحلة عاملة للبحث عن الرحيق (Nectar)،تعود بعد ذلك إلى خلية النحل ( la Ruche) ،فتقوم برقصة معقدة ،الغرض من ذلك هو تعيين وتحديد الرحيق لبقية النحل.(ينظر الشكل المبين )

**ب-نوعية الغذاء :**

بعد المرحلة الأولى ،تقوم النحلة بعد عملية الاستطلاع ( Reconnaissance) برسم نصف دائري (Demi-cercle)و قاطعة القطر ( diamètre)مع ملامسة بطنها ،وحينها ترسم رسما نصف دائري آخر في الجهة المقابلة أو المعاكسة .ان الأمر الأكثر أهمية لهذه الرقصات هو الخط المستقيم الذي ترسمه النحلة على طول القطر وهي تلامسه ببطنها من جهة إلى جهة أخرى (ينظر الشكل المبين ).

---

1 -عالم بيولوجي نمساوي ،من مواليد "فيينا" عام 1886،وتوفي بــ"ميونيخ "بألمانيا اكتشف لغة النحل من خلال توجيهاتها بواسطة الرقص ،وحاز على جائزة نوبل عام 1973.(ينظر larousse ;P1277-)




1

1 - Ernest D-Hilgard et autres " Introduction à la Psychologie" P309

**ج-بين الغذاء والخلية مسافة محددة :**

ان الوجهة الدالة على الرحيق مبينة وفق الخط المستقيم المرسوم على طول القطر ،ومن خلال أيضا حركات الملامسة لبطن النحلة .كل هذه المعطيات أو الإشارات تدل على وجهة الرحيق انطلاقا من الخلية .بحيث ان التوقيت الذي استغرقته النحلة في حركات الملامسة ( Agitation) تتناسب وتتوافق بشكل دقيق مع المسافة إلى مصدر الرحيق بدءا من خلية النحل.(ينظر الشكل) .

إن هذا الشكل من التواصل لدى مملكة النحل لا يمكن بأي حال من الأحـــــوال ان نقارنه بالنظام اللغوي عند الإنسان،لان إشارات النحلة إلى رفيقاها من النحل ظلت تعول على أوضــــــاع محددة وتنبيهات مغلقة من خلال هذه الرقصات الدائرية (مكان الرحيق،المسافة الفاصلة بين الخلية والرحيق ...الخ).لذا ومن خلال هذا النموذج التواصلي والعشرات الأخرى من التجارب التي أجراها العلماء على عينات أخرى من الحيوانات كالقردة والكلاب ونحو ذل ك ،قد أبرزت ان « الإشارات التي تستعملها الحيوانات مشخصة وواقعية ،ترتبط ارتباطا مباشرا بالحدث الذي يقتضيه موقف معين ،وان الصيحات لدى هذه الحيوانات ليست ناتجة عن وعي وتفكير ،بأها علامة ذات دلالة ...وهـــذا ما يجعل الأنظمة التواصلية عند الحيوان غير قابلة للتطور ،(...)فهـــي أنظمة مغلقة لا تعـــــــدو ان تكون استجابات لمثيرات ما .» [1] . فاللغة البشرية خاصية فريدة بالإنسان ولا يمكن ان تتجاوزه إلى غيره من الكائنات العجماء التي هي عاجزة عن الكلام والبيان « لأن أعلى القردة التي تملك حنجرة قريبة من حنجرتنا لا تستطيع ان تتكلم ،ومع ان مخها معقد ،فانه لا يشتمل على المراكز المختصة التي بفضلها تصير اللغة المنفصلة (L'articulé ) ممكنة .وأما (لغة النحل )فليست إلا مجـــــــموعة من الإشارات المستعملة آليا للدلالة بها على ردود أفعال آلية لدى سلالتها .» [2] .لقد أثبتت الدراسات ان النحلة إذا اكتشفت مصدرا من مصادر الطعام عادت إلى الخلية وقامت برقصات معينة تحدد وجود الطعام والمسافة التي تفصل الغنيمة عن الخلى واتجاهها .وما ان تنتهي النحلة المكتشفة من أداء الرقصات

[1] – ينظر : احمد حساني " دراسات في اللسانيات التطبيقية –حقل تعليمية اللغات –" ،ص 87-88. بتصرف.وينظر :كندراتوف " الأصوات والإشارات " تر :شوقي جلال ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،ط 1972 ،ص 15.

[2] – Charles Goedert " Guide pratique de grammaire française " ;éd Hachette 1978 ;p06.-

حتى تتجه مجموعة من النحل وهي لا ترافقها إلى مكان الطعام ،وتعود لتقوم بالرقصات نفسها تتوجه أثره مجموعة أخرى إلى المكان نفسه [1] فالنحل قادر –مثله مثل البشر – على ان يصوغ علامات تحيلنا إلى واقع معين ،وعلى تفهمها وتفسيرها تفسيرا صحيحا ،ومع ذلك فان بين التواصل الحيواني واللغة البشرية فروقا جوهرية تحمل من عبارة " لغة الحيوان " ضربا من التجوز [2] ومن هنا جاز لنا القول أن الرسالة الحيوانية تتصف بالثبوت –إذ التنظيم الاتصالي الخاص بالحيوان تنظيم مغلق – فان الرسالة الإنسانية تتصف بالتنوع والمرونة والغنى ،فهي تنظيم مفتوح متطور ،ويربط الرسالة الحيوانية ارتباطا وثيقا مباشرا سلوك معين ،ولا تعبر عن واقع معين [3].إذن اللغة الإنـــسانية سلوك لغوي جامع لخصائص مميزة متنوعة ، **فقد** اعترف التجريبيون الذين يدعون أنهم علموا الشمبانزي والغوريلا شيئا قريبا من اللغة الإنسانية ،ان تلك الحيوانات التي دربوها لم تستطع ان تكتسب اللغة بالطريقة التي يكتسبها الأطفال .وقد ظلت القردة "فيكي" عدة سنوات تتعلم النطق بثلاث كلمات هي "بابا" ،و"ماما" ،و"كب"أي فنجان ،والواقع إنها قد فعلت ذلك بصعوبة كبيرة وبعد تدريب شاق اشتمل على تحريك شفتي القرد باليد بشكل مباشر .[4]

عموما من خلال هذه الرؤى المتنوعة للباحثين المختصين في هذا المجال ،ومن خلال ملاحظاتهم المستمرة لسلوك الحيوانات ،قد أكدوا ان ثمة اعتقادا بأننا نولد–البشر– مزودين بأعضاء صوتية وجهاز عصبي يمكننا من النطق ،ولا يمكن ان تكون الحيوانات مهما بلغت مترلة من الذكاء (الشامبانزي أو الغوريلا) ان تبلغ الدرجة الإنسانية .

لا أحد ينكر أو يجحد ان الإنسان خلق مستعدا بيولوجيا لممارسة اللغة اكتسابا وتواصلا إلا إذا حال بينه وبين ذلك عاهة من العاهات الطبيعية ، أو أصيبت العملية التواصلية بنوع من الاضطراب نتيجة لبعض الأمراض أو العيوب التي تلحق جهاز التصويت عند الإنسان ،فيصبح حينئذ لا يبين عن نفسه ،ويكون غير قادر على الكلام المبين الفصيح ،مما يجعل التواصل–الذي يعد وظيفة أساسية من وظائف اللغة–عرضة للتشويش والاضطراب.

---

[1] - نور الهدى لوشن " مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي " ،المكتب الجامعي الحديث ،الازاريطة ،الاسكندرية 2006، ص 342.

[2] - نفسه ،ص 342.

[3] -نور الهدى لوشن ، ،ص343.

[4] - جمعة سيد يوسف ،المرجع المذكور سابقا ـــ،ص 102

# الباب الثالث

## الفصل الأول

## النمو اللغوي لدى الطفل بين الكفاية اللغوية والأداء الكلامي

إن ميلاد طفل ،يعد ظاهرة حية جديدة يتلقاها الأولياء بالفرح والبهجة والسرور وتملا الأماكن الخربة الهاجعة بالحياة والتجدد والنشاط ،وكأن الطفل على الرغم من ضآلة جسمه يبرهن على أنه مخـــلوق عظيم ،وأنه الحياة المصغرة المتجددة .تأخذه الأم في بين ذراعيها في لهفة ،وتضمه إلى صدرها وتحتضنه ،فتشعر بالدفء العاطفي يملا قلبها وجوانبها ،تضعه في حجرها ،فتأخذ تهشهشه ،وتسمعه بين الحين والأخر ما تعلمته وحفظته من أغان شعبية راقية ملؤها الحنان ونبل العاطفق،وأهازيج فولكـــــلوريق متنوعة مستمدة من الطقوس البيئية ،ومدائح دينية مشوقة .فيطمأن الطفل ،ويبدأ ينظر إليها محملقا ،وكأنه يقول لها : ما أجمل ما أسمعه ! وأعظم بها من كلمات !وسرعان ما يغمض عينيه ،ويستغرق في سبات عميق .هكذا شئنا أن نستهل هذا المبحث بهذه الكلمات الرقيقة الأدبية التي تعتصر عاطفة وحنانا من قبل الوالدين خاصة على الطفل الصغير ،واعتقد ان هذه اللغة التي بات الصبي يسمعها من وقت لآخر من الأم –وهي تحاوره وتكلمه –قد وجدت خزانا فارغا بحاجة ماسة إليها ،تعينه عند الحاجة ،وتهيئه للاندماج في الوسط الاجتماعي .ويبدو أن هذه الظاهرة التي أثرتها ، لم تلق العناية الكافية من قبل الدارسين والنفسانيين واللسانيين وأحسب نفسي –فيما أعلم–من بين الأوائل الذين أثاروها كموضوع للبحث داعيا من خلال ذلك إلى معالجتها معالجة علمية نفسية –لسانية ،خاصة إذا ما علمنا ان كل الجهود المبذولة في ميدان علم النفس اللغوي والبحوث اللسانية لازالت تركز جل اهتماماتها على الاكتساب اللغوي لهــــذا الطفل وهو في مرحلة متقدمة :أي حينما يصبح الطفل قادرا على النطق بأول الأصوات اللغوية ،متناسين في خضم ذلك البدايات الجوهرية لظـــــــاهرة الاكتسا ب ونواتها الأم في بداية الشهور الأولى من ولادته ،ثم أليس السمع أبو الملكات اللسانية كما قال ابن خلدون .إذن هذا الموضوع بحاجة ماسة إلى بحوث نفسية ولسانية متخصصة لإجلاء هذا الغموض الذي يحيط بعالم الطفل منذ ولادته .

لا يختلف اثنان على أن الإنسان خلق مستعدا بيولوجيا للكلام إلا في حالات معينة سنأتي إلى ذكرها في فصل لاحق،لأن الاستعداد سمة تكوينية ،لكن الإنسان لم يخلق متكلما إلا في بعض المعجزات الإلهية التي تبرهن على قوته وعظمته سبحانه وتعالى ،كقصة عيسى عليه السلام الذي كان يكلم الناس في المهد صبيا .قال تعالى :﴿ فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد

صبيا ﴾ [1]،ولو كان ما افترضناه حقيقيا« لما تعددت اللغات ،ولما بلغت ما يربو عن ألف وخمســـــمائة لغة » [2]

بات من المؤكد الآن أن الكلام ظاهرة إنسانية مكتسبة من مصادر متفرعة ،و لم نجبل عليها،وقد أورد الدكتور عبد الجليل مرتاض نصا لـــــ" شارل جودر "C-GOEDERT يقـــول فيه : « عندما نأتي إلى هذا العالم ،نجد قرب مهدنا اللغة التي تسبقنا وجودا لدى من يحيطون بنـــا.إنها "دستور" أو "نصب تذكاري محترم Vénérable محفوظ في القواميس والقواعد (...) إنها نظام لا يتغــــــير Immuable وسنخضع له طوعا او كرها .غير ان هذا النظام كيف شيئا فشيـــئا من قبل الأجيال المتعاقبة ،وإذا كان هذا الأثر محترما ،فلأنه يحمل في طياته شهادة لأروع حركة للفكـــر الإنســـاني ،وهو لهذا السبب ليس محرما ،انه تطور ،ويتطور وسيستمر في تطوره.» [3].

## 1-الكفاية اللغوية(Compétence Linguistique) :

لقد تناولت العديد من الآراء اللغوية الغربية والعربية منها ظاهرة الاكتساب اللـــغوي لدى الإنسان في بداياته الحياتية الأولى وتجعله قادرا على إتقان نظام تواصلي معقد ،وانيطـــــــت بهالة من الأفكار ،وتميزت هذه الأبحاث بمنهجية علمية وموضوعية ،حاولت أن تعطـــــــي تفسيرا مقنعا لهذه الظاهرة ،ولعل ما أشار إليه صاحب القول السابق يندرج في هذه المضمار ،ذلك أننا نأتي إلى هذه الدنيا ،ونحن مزودين بآلية عجيبة لتكلم اللغة ،وبمعنى آخر ،فإننا مفطورون على التعامل مع اللغة ،وهذا ما تذهب إليه النظرية الفطرية ،أو الكفاية اللغوية-كما سبق الذكر- على حـــــــد تعبير " نوام شومسكي "N-Chomsky ( Compétence Linguistique)،والذي استمد نظريته هاته من المنحى الفلسفي لـــ" ديكارت Descartes

---

[1] - مريم/29.

[2] - حنفي بن عيسى "محاضرات في علم النفس الغوي " ،ص127.وينظر عبد الجليل مرتلض "اللغة والتواصل " ،ص20 .وقال ما نصه (وإلا كان عدد اللغات يقارب عدد المتكلمين أو يعادلهم.)

[3] - عبد الجليل مرتاض ،م نفسه ،ص20 ،وينظر CHARLES GOEDERT " guide pratique de grammaire française " éd du seuil;1983 ;P13.

"الذي فسر اللغة بأنها خاصية إنسانية ،تمتاز عن لغة الحيوان في كثير من الخصائص التي سبق الإشارة إلى بعضها قال شومسكي :«ان "ديكارت " كان يفكر بتعريف شبيه بالتعريف الذي وضعته ،عندما ميز بين الإنسان والببغاء» [1] فهذا العالم يشير إلى قضية تميز اللغة الإنسانية وهي الإبداعية(Créativité) .فالإنسان له من القدرات « التي لا يمكن تفسيرها تفسيرا آليا ،وان صلح هذا التفسير أحيانا في ميدان الوظائف الحيوية والسلوكية للإنسان ،وان اظهر هذه القدرات وأعظمها هي اللغة الإنسانية ،التي لا تحدها أية ارتباطات أو قوالب تعبيرية ثابتة ،نتيجة لمؤثرات أو حالات فسيولوجية ،ومن ثمة فهي صورة للعقل البشري .» [2] .ولعل ما ذهب إليه شومسكي في نظريته التوليدية التحويلية التي تعتبر أن الطفل يولد ،وهو مهيأ بقدرات فطرية تساعده وتمكنه بطرقة لاشعورية من تقبل المعطيات اللغوية التي تكون البيئة حضنا لها ،إذاً فالإنسان يتلقى لغة بيئته بطريقة لاواعية غير شعورية ،فهي من هنا قائمة على السليقة والفطرة ،وملكة تنمو بالتقليد ،فيصبح الإنسان يتكلم «لغة قومه ،وهي لغة الأمومة بالنسبة إليه ،يستخدمها في حياته العادية بيسر وطلاقة ،دون أن يفكر كثيرا فيما يقـــــول ،فكان اللغة قد أصبحت عنده عادة كســـــياقة السيارة او ركـــوب الدراجة .» [3].

بات واضحا الآن ان الطفل يأتي إلى هذه الدنيا ،وهو مزود بهذه القدرات التي تمكنه من استعمال اللغة ،إذن فهي شيء فطري انطلاقا مما ذهب إليه شومسكي في نظريته ،التي جاءت كرد فعل على النظرية السلوكية البولمفيلدية (بلومفيلد) الذي اعتمد–كما رأينا– في نظريته على الجانب السلوكي البحت من مثير واستجابة .و إن الذي يؤكد هذه النظرية الشومسكية –في اعتقادنا – هو استطاعة الطفل في وقت مبكر جدا ان يتعلم ويتقن التعامل اللغوي ويتفاعل مع محيطه – لأسباب وراثية وبيئية–تبعا لوضعيات متنوعة ومختلفة .فإذا أنت سألت طفلا مثلا واستفسرته : عن المكان الذي توجه إليه الأب باللغة الشفوية العامية :

1 –ميشال زكريا " الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية " ،31.

2 –حسام البهنساوي " لغة الطفل في ضوء مناهج البحث اللغوي الحديث "،دار المناهل للطباعة ،مصر 1994،ص 102.

3 –عبد السلام المسدي " اللسانيات من خلال النصوص" ،ص 51.

"وين راح أبويك ؟" فيجيبك الطفل بشكل عفوي دون تفكير في صيغة السؤال :للسوق مثلا .لقد أدرك الطفل انطلاقا من المعرفة الضمنية للغة معاني المفردات التي احتواها نص السؤا ل والمقصود بالاهتمام من خلاله ،وهو الأب ،ولذا تراه يعتمد –بدون شعور–على ظاهرة الاقتصاد اللغوي

،فبدلا من القول (بويي راح للسوق) اكتفى بالمهم من السؤا ل وهو وجهة الأب ،فضلا عن ذلك لو سألته عن مكان إقامته .وسألته مثلا :"وين تسكن ؟ يجيبك : نسكن في ...( ويذكر المكان) ،لقد أتقن –بشكل عفوي–الترتيب الأصلي للعناصر اللسانية المركبة في الملفوظ العربي ( الفعل + الفاعل (ضمير مستتر تقديره أنا ،أو المونيم الصفري في تعبير المدرسة الوظيفية ) + الجار والمجرور المتعلقان بالفعل "نسكن " ،بل قد لا نجد فرقا جوهريا بين الطفل العربي عامة و الطفل الذي نشأ في بيئة غربية فيما يخص الجانب التركيبي للعناصر اللسانية ،بالرغم من ان لكل لغة « تصنيف خاص لمفرداتها ،وقواعد تركيب جملها ،ونظرياتها في تعليل صحة تراكيبها (...) وقد لا نجد خلافات كبرى بين مختـــــلف اللغات في تصنيفهم للمفردات ،لكن بينها خلافات في قواعد تركيب جملها .» [1] ،ويعرف هذا الطفل كيف يتكلم ويجيب بطريقة تركيبية سليمة قواعديا قبل أن « يذهب إلى المدرسة أو أن يسمع بشيء اسمه القواعد النحوية والصرفية ،وكلنا نعلم أن فحول الشعراء وبلغاء الكلام ،وفرسان البيان في القديم ، لم يكونوا يعرفون شيئا من القواعد ،بل كانوا ينطقون بالسليقة ،فما لحنوا ،ولا اخطئوا ،ولا صدرت عنهم هفوة لسان ،ولا عثرة قلم ...والأكثر من هذا كله أن أقوالهم وأشعارهم صار يستشهد بها عند وضع القواعد على يد النحاة ،فلا تعتمد قاعدة إلا إذا اجتمع لها عدة شواهد» [2] .وفي هذا المعنى يقول عمار الكلبي متضجرا من النحاة ومنددا بهم :

| | |
|---|---|
| ماذا لقينا من المستعربين ومن | قياس نحوهم هذا الـــذي ابتدعوا |
| أم قلت قافية بكرا يكون لها | بيت خلاف الذي قاسوه أو ذرعوا |
| قالوا :لحنت ،وهذا ليس منتصبا | وذاك خفض وهذا ليــــس يرتفع |

ولنقارن ذلك مع ما تنحوه اللغة العربية في قواعدها النحوية في هذه الباب تحديدا ،تقليلا من الجهد ،وإيفاء بالغرض المطلوب ،ولنمثل لذلك بسؤال آخر للطفل ذاته ،وباللغة نفسها .فتسأله

1 – محمود فهمي زيدان " في فلسفة اللغة " ن،دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،بيروت ،1985.ص 12.

2 – حنفي بن عيسى " محاضرات في علم النفس اللغوي " ،ص 169.

قائلا : أبويك راه فالدار ؟ فيجيبك قائلا : واه ( أي بمعنى نعم) ،ولنتأمل الإجابة المقترحة من قبل الطفل ،وربما لايتعدى عمره الثلاث سنوات أو أقل ان كان سليما .فلقد تمثل الاقتصاد اللغوي ،وأجاب إجابة مختصرة مفيدة ووفى المقصود والمراد من السؤال .لان (واه) إجابة بالإثبات عن هذا

السؤال .والكل يدرك ان حروف الجواب في قواعد النحو العربي كـــــ(نعم ،لا ،اجل ،إي....الخ) تقوم مقام جملة محذوفة ،فلا داعي لتكرار ما تضمنه السؤال .وهذا من أساسيات الاقتصاد اللغوي .ولكن ما هي أهم المعطيات الوراثية والبيئية التي تكمن وراء ما يسمى بـــــ" الكفاية اللغوية"؟

**الجانب الوراثي**(Génitique ):

لا يشك احد في أننا لازلنا لم نفهم ونستوعب الأشياء العديدة حول دور الجانب الوراثي في بلورة هذه القدرات العقلية التي تكمن وراء تعاملنا مع اللغة الإنسانية ،لكن الشيء المؤكد أن الطفل السليم لا يمكن ان يصل إلى مرحلة النمو اللغوي إلا إذا تضافرت عدة عوامل رئيسية وتفاعلت فيما بينها لتصل بالطفل إلى الكلام .لان الطفل لا« يولد ملاكا رحيما ،ولا شيطانا رجيما ،ولكنه يبرز للحياة بزخم من الإمكانيات لها اتجاهات ونتائج متباينة بفعل الوراثة والحالة الصحية ،والبيئية الاجتماعية ...» [1].ومن المعروف علميا أن عملية النمو الجسماني والعقلي والنفسي والاجتماعي لدى الطفل مرتبطة بالنضج الذي هو مجموع العوامل الوراثية الفطرية من حيث اكتمال بعض الأجهزة العضوية ،ونضج بعض الأنسجة العصبية والعضلية ،ويبدو أثر الوراثة منذ الإخصاب ،وما يتبع ذلك من تفاعلات ناتجة عن صفات متوازية بين طرفي الأسرة الأساسيين (الأب والأم) .ومن هنا تشير العديد من الأبحاث النفسية والطبية خاصة أن « من العوامل الوراثية المرتبطة بالنمو لدى الأشخاص المصابين بأمراض على مستوى الجهاز العصبي المركزي ،وكذا المصابون بالصرع (L'épilepsie) ،ومن خلال أبحاث "فرازر ومعاونيه " Fraser et collaborateurs فقد أكدت هذه الأبحاث على أن خطر الإصابة بالمرض العصبي لمولود جديد عندما يكون الوالدان غير عاديين هي بنسبة 0.6٪ ،لكن إذا كان الولدان غير مصابين بهذا المرض

1 - محمد الناصف " التربية والتعليم " الشركة التونسية لفنون الرسم، 1996 ،ص 15-16.

،فان نسبة الخطر بالإصابة هي 1‰» [1] .وتشير العديد من الآيات القرآنية الكريمة بشكل صريح إلى مراحل نمو الإنسان بعد الإخصاب .قال الله تعالى :﴿ **مالكم لاترجون وقارا .وقد خلقكم أطوارا** .﴾ [2]،ويقول عز وجل أيضا مبينا مراحل نمو الكائن البشري : ﴿يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ،ونقر في الأرحام ما نشاء إلى اجل مسمى ... ﴾ [3].ولم تغفل الأحاديث النبوية الشريفة هذه الجانب ،قال الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم مبينا أثر الوراثة :(إن النطفة إذا استقرت في الرحم أحضرها الله تعالى كل نسب بينها وبين آدم ) [4].كما أكدت أحاديث صحيحة أخرى دور الوراثة وأهميتها في تكوين الجنين ونموه .قال عليه الصلاة والسلام:(تخيروا لنطفكم فان العرق دساس ) [5].

أكدت الأبحاث العلمية والدراسات الطبية المعاصرة على وجه الخصوص أن أي عطل على مستوى الدماغ (Cerveau ) يعرض صاحبه إلى كثير من المضاعفات النفسية والفيزيولوجية .ومن المتعارف عليه ان هناك الكثير من العوامل التي تؤدي إلى خلل على مستواه ونموه ،فبعضها موروث ،كالعيوب الجسدية التي يولد عليها الطفل ،ويؤكد الطب ان ذلك عائد إلى تركيب الصبغيات (Chromosomes )لدى الآباء ،لآن وجودها لدى أحد الأسلاف يكفي لتوريثها إلى احد الاخرف ،وبعضها الآخر يتعلق بنمو الأمشاج ( Gamètes )،وبالظروف المحيطة بالجنين في الرحم .[6]ومنها أيضا مانستطلعه من خلال بعض الملاحظات والمراجعات الذاتية في هذا الباب ،ومنها الأمراض التي يمكن ان تتعرض لها الأم في مرحلة الوضع والولادة العسيرة،وما يتعرض له الجنين من اختناق ،مما يؤثر على الدماغ ،وقد يتعرض الطفل إلى إصابة دائمة ،أو شبه عطل على مستوى الدماغ ،فضلا عن تعرض بعض الأمهات الحوامل إلى أنواع عدة من الأمراض مما يؤثر سلبا على النمو العادي للجنين ،ولا يمكن ان نغفل في هذا الباب أثر الإدمان على الكحول ،وتعاطي المخدرات ،واثر كل ذلك على الجنين ونمو دماغه.

---

1 -R.S. ILLINGWORTH " développement Psychomoteur de l'enfant " P 38.

2 - نوح/13-14

3 -الحج/05.

4 – أخرجه ابن جرير

5 -أخرجه ابن ماجة والديلمي.

6 - ينظر حنفي بن عيسى ،المرجع المذكور سابقا ،ص 267. وبتصرف.

**الجانب البيئي والاجتماعي :**

قال واطسون (Watson) :«امنحوني العشرات من الأطفال الأصحاء مع نظام بيئي ،وأنا أضمن لكم –من أي طفل تختارونه–،يمكن ان أصنع منه أي نوع من الرجال المتخصصين وهذا برغبتي :طبيب –محامي –فنان –تاجر وحتى متسول أو سارق بغض النظر عن إمكانياته وخصوصياته وجنسه ...» [1]

لقد تبنى "دي سوسير " الطابع الاجتماعي للغة باعتبارها نظاما من العلامات الدالة ،وقد استمد هذا العالم التصور الاجتماعي من خلال تأثره بالآراء التي تصب في معالجة القضايا المختلفة وأثر المجتمع في ذلك وعلى رأسها النظرية الاجتماعية لـــــ" إميل دوركايم (E-Durkheim).

اشرنا فيما سبق إلى العلاقة بين الأم والطفل خاصة في سنواته الأولى من عمره ،لما لهذه المرحلة من دور عظيم في عملية الاكتساب اللغوي ،فهي تحاوره وتكلمه ،فقد أكد بعض العلماء أن الطفل يسمع صوت أمه حتى عندما كان في عالم الغيب ( جنينا) ،وقبل مجيئه إلى عالم الدنيا .ألا نلاحظ ذلك أن الطفل يستطيع في أيامه الأولى فقط يستطيع أن يفرق بين صوت الأم وغيره من الأصوات ،وليس ثمة دليل أقوى من أن التواصل لازال مستمرا بينهما فما بال ك وقد أصبح يسمعها صباح مساء [2] .

من المسلمات أن الطفل يتأثر بوسطه الاجتماعي والاقتصادي والثقافي الذي ينشا في كنفه ،فيكتسب الطفل من خلال ذلك أنماط عدة من السلوكات اللغوية ليقيم اتصالا بينه وبين الأسرة بصفة خاصة والمجتمع بصفة عامة ،ولا يختلف اثنان ان الأم والأب هما مساعدان مهمان في هذه العملية يضاف إليهما الأهل والأقارب والأصدقاء .اذاً البيئة وما يحيط بها من عناصر تؤثر تأثيرا جما

---

1 – R.S. ILLINGWORTH " développement Psychomoteur de l'enfant " P61.-

2 – Laurence Lentin" Apprendre à parler à l'enfant de moins de 6ans ;ou?quand? comment?; les éds E.S.F .Paris ;5 éd ,1975. P 38.

على مستوى الاكتساب .وللبرهنة على أهمية هذا المجال أجريت العديد من التجارب لمعرفة قدرته الطفل على تعلم اللغة .فإذا قمنا بتجربة على التوائم المتماثلين ،لتدريبهم على التكلم ،ولكن في ظروف مختلفة .فان الفروق التي قد نلاحظها بينهم سيكون حتما مرجعها إلى اختلاف المحيط .ومن ذلك أن «العالم "ستراير "( Strayer(1930.قام بدراسة حالتين من هذا النوع ، على توأمين يبلغان من العمر 84 أسبوعا ،فعمد ابتداء من الأسبوع الرابع والثمانين إلى تدريب احد التوأمين تدريبا خاصا ،وصار يريه أشياء ،ويرفق عرض الشيء بذكر اسمه ،ويحثه على تقليـــــــد الأصوات ،فأصبح ذلك الطفل قادرا على التعرف على بعض من الصور ،وصار يستجيب لبعض منة الايعازات البسيطة .وما كادت خمسة أسابيع تمضي ،حتى ازدادت مفرداته من واحد إلى خمسة وثلاثين ،وأثناء ذلك كله ،ظل التوأم الثاني في عزلة تامة بحيث لم يسمع أي شيء مما له علاقة بالكلام .وبعد ان أنهى الطفل الأول تدربه خلال الأسابيع الخمسة ،عمد (سترابر) إلى تدريب الطفل الثاني .فتبين انه أسرع في تعلمه من التوأم الأول .إذ كادت تمضي أربعة أسابيع حتى تعلم ثلاثين كلمة .وعند ذلك الحد توقفت التجربة .وبعد مضي بضعة أشهر زال الفرق اللغوي بين الطفلين تماما » [1].

الطفل خاضع بطريقة أو بأخرى إلى تأثير المجتمع الذي يعيش فيه ويدفعه إلى التمسك بعاداته وتقاليده ونظمه وانه ليكتسب ذلك بصورة عفوية وغير مقصودة ،وان هذا التأثر يأتي في بداية الأمر—كما ذكرنا —من الوالدين ثم يتسع المجال ليشمل أفراد الأسرة والحي والبيئة بكاملها ،فينقلون إليه مقومات هذا المجتمع وخصائصه ومميزاته ومعارفهم اللغوية .فيستطيع الطفل ان يدرك الســــــهولة و« الطلاقة التي يستخدم بها الناس لغتهم الأصلية ،وهذا أمر يبدو طبيعيا يمكن ملاحظته في كل مجتمع مهما بلغ رقيه أو تخلفه » [2]. ويستطيع الطفل ان يحصل بواسطة اللغة على المعاني ،ويعــــــبر عما في نفسه ،ويتفاهم مع الآخرين ،ويدرك بطريقة ضمنية قاعدة تنظيم المفـــــــــردات ،والقواعد التي تحكمها والقواميس التي تضم مفرداتها .فان هناك عوامل اجتماعية واقتصادية ووراثية كـــــــثيرة « تـــؤدي إلى تفاوت أفراد المجتمع في إدراكهم اللغة وفي طرائق استخدامهم لها.وبذلك فإننا نستطيع الـــقول ان لغة الفرد هي بمثابة (رقيب داخلي ) يتدخل في تحديد علاقاته بالناس ،بقدر ما هي (واسطة لفظية —أو ( تجربة وسيطة ) يستخدمها في

---

1 -حنفي بن عيسى " محاضرات في علم النفس الغوي " ،ص 128-129.

2 -عبد السلام المسدي " اللسانيات من خلال النصوص " ،ص 51.

توصيل أرائه وأفكاره وانفعالاته ومن هنا كانت قدرة الفرد على الاتصال تتوقف إلى حد كبير على حصيلته من المفردات والتراكيب اللغوية . » (1)

من خلال هذا الطرح لنظرية الكفاية اللغوية يبدو لنا أننا أمام قدرات كامنة فطرية تهيأ الإنســــان وتؤهله للتعامل اللغوي وفق معطيا وعناصر هامة أيضا منها الجانب البيئي والاجتماعي والاقتصادي .كل هذه العوامل له يد في صقل هذه القدرات الفطرية على حد تعبير شومسكي .ولو تأملنا ذلك مليا إسقاطا على ما تقدم لتبين لنا ان الطفل الصومالي ليس له من العناصر الكافية: البيئية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية ما يجعله في ميزان المقارنة بينه وبين الطفل الفرنسي .هل يستويان مثلا ؟

**الأداء الكلامي** (Performance):

إن الأداء الكلامي-كما بيّنا- في منظور شومسكي قائم على الكفاية اللغوية ومرتبط بها ،لأن الأداء الكلامي هو تجسيد هذه القدرات الفطرية والمختزنة عن طريق الاستعمال .فهو الاستعمال « الآني للغة ضمن سياق معين ،وفي الأداء الكلامي يعود متكلم اللغة بصورة طبيعية إلى القواعد الكامنة ضمن كفايته اللغوية كلما استعمل اللغة في مختلف ظروف التكلم ،فالكفاية اللغوية بالتالي ،هي التي تقود عملية الأداء الكلامي .» (2)

من خلال النظرة الأولى ،يبدو ان الأداء الكلامي هو انعكا س مباشر للكفاية اللغوية ،لكنه في حقيقة الأمر هذا لا يبدو إلا من وجهة نظرية فقط .من هنا وانطلاقا من الواقع العملي لاستعــمال اللغات الطبيعية (Les langues naturelles)،فان المتكلمين يبتــعدون في اغلب الأحيــان عن قواعد وقوانين اللسان.من هنا فان الثنائية الشومسكية (الكفاية/القدرة) يرتبط بالثنــــــــائية السوسيرية (لسان/كلام) التي راجت في كتاب سوسير .صرح شومسكي قائلا :« ان الثنائية (كفاية/قدرة) من حيث تعارضهما لها علاقة بالثنائية( لسان /كلام) السوسيرية

1 -عبد السلام المسدي ،المرجع نفسه ،ص 20.

2 -ميشال زكريا " الألسنية التوليديةوالتحويلية وقواعد اللغة العربية " ،ص 33.

.لكنني ارفض مفهومه (للسان) باعتباره لائحة منظمة من الوحدات ،وأفضل العودة إلى مفهوم (همبولد Humboldt)للكفاية باعتبارها نظاما من الوقائع أو الأحداث التوليدية .» [1] *.إن

هذا القول يوضح مدى التعارض بين الثنائيتين للعالمين السابق ذكرهما .إذ ان التمييز بين الكفاية والقدرة لا يطابق التمييز الحاصل بين اللسان والكلام ،لان اللسان اعتبره "دي سوسير" ظاهرة جماعية ليس في مقدور الفرد ان يغير فيه شيئا زيادة أو نقصانا ،أو رصيدا يغترف منه الكلام ،أما الكفاية فقد تناولها شومسكي من زاوية المتكلم .

لقد لقيت نظرية شومسكي ترحابا وقبولا من قبل الكثير من الدارسين اللسانيين والنفسانيين خاصة في تطبيقاتها على الواقع التعليمي من الغرب وغيرهم ،بل أصبحت النظرية اللغوية الأكبر أثرا ،وتناولا وتطبيقا في الوقت المعاصر ،فقلما تقرا مؤلفا يتناول الظاهرة اللغوية إلا وتجد صاحبه يحيل إليه متأثرا أو منتقدا في قليل من الأحيان ،بل الأكثر من ذلك،لا يسمح لأي دارس خاصة في مجال اللسانيات ان يتغافلها ،وعلى الرغم من ذلك شهدت هذه النظرية بعض الانتقادات —وبدوافع مبهمة —على أنها نظرية صعبة المراس ،صعب فهمها ،باد تعقيدها ،رياضي سبيلها .

**بين شومسكي وابن خلدون :**

لا ينكر أحد أن البحث العلمي للظاهرة اللغوية قد برز وفرض نفسه في بداية القـــــرن الماضي ،واتضحت معالمه خاصة بظهور كتاب (محاضرات في اللسانيات العامة ) لـــ" دي سوسير ،ثم توالت الأبحاث آخذة بعين الاعتبار الآراء العلمية السوسيرية بطريقة صريحة أو خفية ،كما لاحظنـــــاه من خلال ما قدمناها من نظريات وناهج متنوعة حاولت —بمنهجيتها — دراســـــــــة جوانب عدة من المستويات اللسانية ،وقد وقفنا فيما تقدم عند نظرية شوسكي ،فأصبـــحنا جميعا —نحن العرب—نلهث وراءها محاولين فهمها وتطبيقها عنوة وقهرا على اللغة

1 – ROBERT LAFFONT "Révolution en linguistique " ;P 134

*–"l'opposition compétence /performance a un rapport avec la distinction Langue/Parole effectuée par saussure ;mais je refuse son concept de langue en tant que simple inventaire systématique d'unités ;pour revenir plutôt à la conception de Humboldt de la compétence sous-jacente comme un système de processus génératifs"

العربية رغم الهفوات التي طبعتها بشـــــــهادة اللسانيين الغربيين أنفسهم ،بدافع ان المغلوب مولع بتقليد الغالب كما قال ابن خلدون .

ان المطلع على التراث اللغوي العربي ،سيجد حتما ضالته فيما ذهب إليه من بعد هؤلاء العلماء الغربيون.ان القراءة العميقة والواعية لهذا التراث الكتر ،سبين بجلاء ووضوح علاقته القوية بهذه البحوث اللسانية ،لان –في اعتقادنا – أنّ ليس كل ما أقره علم اللسانيات جديد لا يشوبه شك ، وفي تراثنا العربي اللساني ما يغنينا كل الغنى عن هذه الآراء رغم وجهاتها وقيمتها في الدرس اللساني الحديث والمعاصر.بقي لنا فقط العودة إلى هذا التراث من جديد وبرؤية معاصرة لاستنطاقه واستثمار ما بداخله من كنوز وجواهر .

إن المتصفح للكتب اللغوية العربية خاصة المعاصرة منها ،سيجد حتما ان الأغلبية العظمى من هذه الأقلام تشير بصراحة إلى ان الآراء الشومسكية من حيث معالجتها للظاهرة اللغوية ،وخاصـــة ظاهرة الاكتساب اللغوي ،وتحديدا حول الثنائية (البنية العميقة والبنية السطحية ) و( الكفاية اللغوية والقدرة أو الأداء الكلامي ) تتفق مع الآراء الجليلة التي عرضها العلامة ابن خلدون في مؤلفه الشهير (المقدمة )منذ آلاف السنين.لأن الرجل بيّن العلاقة بين اللغة وعلاقتها بالحياة الاجتماعية ،و لم يكن انجازه« هذا تأمليا أو ناتجا عن بذخ فكري كما نجد لدى بعض فلاسفة اليونان بل عن معايشة ودراسة ودراية كثيرا ما فاقت النظر الثاقب لعلماء اللغة أنفسهم .» [1]

إن اللغة –في منظور ابن خلدون –تتولد عن طريق ملكة ،وهذه الأخيرة «تحصل بتتابع الفعل وتكراره ،وإذا تنوسي الفعل تنوسيت الملكة الناشئة عنه » [2] .يتصور ابن خلدون الملـــــكة من ناحيتين :ناحية "الألفاظ المفردة والمركبة "،وناحية تمكن الملكة لدى التكلم مما أطلق عليه "تكرار الأفعال " .ويرى ابن خلدون ان تمام الملكة اللسانية إنما هو بالنظر إلى التراكيب اللغوية لا بالنظر إلى المفردات ،وهذه التراكيب اللغوية تعبير عن المعاني المقصودة للمتكلم ،فيتحقق بها الإفهام الصحيح .ويراعى في تأليفها المطابقة لمقتضى الحال ،وهذا –كما يقول –معنى البلاغة [3] . ألم يحدد ابن خلدون –انطلاقا من القول السابق مفهومه للملكة –الكفاية اللغوية من منظور شومسكي التي تربط بين الجانب الفطري وعلاقة ذلك بالبيئة والمنشأ الذي ترعرع فبه الطفل ،انه

1 – عبد الجليل مرتلض " مباحث لغوية في ضوء الفكر اللساني الحديث " ، منشورات ثالة ،الجزائر (د ط)2003، ص 71.

2 –ابن خلدون "المقدمة " ،ص 534.

3 –محمد عيد "الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون " ،ص 25.

من الصعب –في اعتقادي–ان ينسى الإنسان أو يتناسى اللغة الأم التي عرفها منذ السنوات الأولى من عمره ،بل حتى في بطن أمه كما ذكرنا سلفا.يقول ابن خلدون مدعما :« ان الملكات صفات للنفس وألوان فلا تزدحم دفعة ،ومن كان على الفطرة كان أسهل لقبول الملكات وأحسن استعدادا لحصولها ،فإذا تلونت النفس بالملكة الأخرى وخرجت عن الفطرة ضعف فيه الانسداد باللون الحاصل من هذه الملكة ،فكان قبولها للملكة اضعف .» [1] .لقد رسم ابن خلدون أيضا الآليات التي بموجبها تحصل الملكة والصفة الراسخة وان شئنا سميناها الكفاية اللغوية بدافع الشبه بينهما ،ورأى أنها لا تتأتى إلا بالحفظ وكثرته لكلام العرب من القران الكريم والأحاديث النبوية الشريفة والشعر والنثر العربيين فيقول : «إن حصول ملكة اللسان العربي إنما هو بكثرة الحفظ من كلام العرب حتى يرتسم في خياله المنوال الذي نسجوا عليه تراكيبهم فينسج هو عليه . » [2]

فلنتأمل المفردتين الواردتين في نص القول ،ونعتبرهما مفتاحا لفهم القول ومراميه وهما ( يرتسم ،ينسج) فالأولى دالة لا يكدر صفوها غموض على الفطرة ترتسم ارتساما لاشعوريا في مخيلة وعقل الطفل الصغير ،فهي بمثابة النقش على الحجر من الصعب إزالته ان لم نقل من المستحيل ،ودليلنا في ذلك الحفريات (les fossiles) لازالت قائمة منذ قرون ،كذلك الملكة في الصغر ،أمـــا (النسج) ففيه المحاكـــاة والتقليد للنموذج اللغوي في البيئة الاجتماعية ،فيركب الطفل وهو صغير السن ويستطيع ان يولد جملا صحيحة تركيبيا ،من هنا فقد نسج على منوال ما سمعه من تراكيب وجمل .أليس ذلك هو الكفاية اللغوية بعينها ؟وما يعطينا دعما في هذا المنحى قول ابن خلدون : « فالمتكلم من العرب حين كانت ملكته اللغة العربية موجودة ،فهو يسمع كلام أهل جيله وأساليبهم من مخاطباتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم ،كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها فيلقيها كذلك لا يزال سماعه يتجدد في كل لحظة من كل متكلم واستعماله يتكرر إلى ان يصير ذلك ملكة وصفة راسخة وهكذا تصيرت الألسن واللغات من جيل إلى جيل .» [3]

.لقد تبنى ابن خلدون –من خلال هذا القول– النظرية الاجتماعية للغة ،لكن المتعلم العربي لا يملك هذا المناخ الصافي وهذا المشرب العذب المتاح الميسر ،ان العكس هو الصحيح إذ يحيط به من كل جانب ما يدفعه دفعا عن صحة اللغة وجمالها اجتماعيا وثقافيا سماعا وقراءة وكتابة ،و لم يعد في

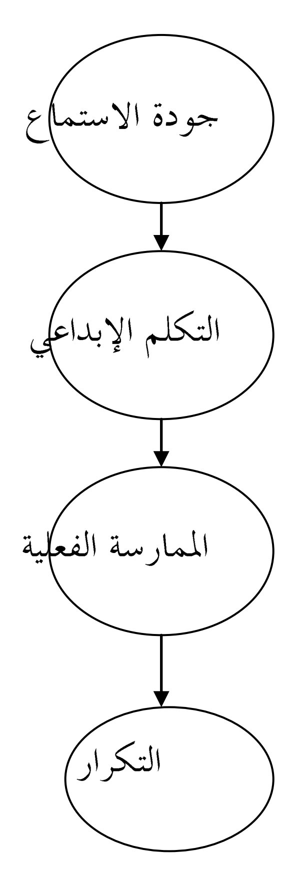
---

1 –ابن خلدون ،المصدر نفسه ،ص 405.

2 –ابن خلدون ،المصدر السابق ،ص 1399.

3 –نفسه ،ص 1383.

متناول يده ذلك النموذج المثالي الطيع الأصيل الذي يلقنه له المجتمع فيحـــتاكيه و يحتذيه دون تعمد ،لذلك كان من الواجب اصطناع هذا المناخ اللغوي اصطناعا ،واتخاذ الوسائل التي توصل إلى إجادة هذه الملكة اللسانية بقدر الإمكان [1] . وجدير بالذكر هاهنا ان نشير إلى قضية — يمكن ان نلحقها بصفة العلمية —وهي السماع الذي تردد في أكثر من موضع في المقدمة لان ابن خلدون يؤمن –كما يؤمن غيره من العلميين والنفسانيين واللسانيين–ان السمع حاسة لا غنى عنها في إدراك المفاهيم البسيطة والمعقدة ،لذا تراه يقول (والسمع أبو الملكات اللسانية ) وهو المنحى نفسه الذي تعتمده الدراسات في الميادين التعليمية بشتى أطوارها وتخصصاتها (اسمع تكلم )(listen speak ) ( écouter parler).ولكن هذه الملكة اللسانية التي تعتمد على السماع بالدرجة الأولى ،يجب ان تحاط بمنهج علمي أخر ،ويتمثل في التدرج من عتبة إلى أخرى ومن السهل إلى الصعب ومن المنفتح إلى المغلق المبهم ،فهذا التدرج يكسب اللغة صفة الإبداعية من الاستماع إلى التقليد الإبداعي إلى التطبيق الفعلي للكلام واتنهاءا بالممارسة المستمرة دون انقطاع ،لان الانقطاع دليل على النسيان والنسيان يكون نتيجة حتمية لأفول هذه الملكة وزوالها. وعلى ضوء ذلك يمكن ان نجتهد في وضع هذه الخطوات الخلدونية وفق المخطط التالي :




1 - ينظر محمد عيد ،المرجع السابق ،ص 28-29.

ولنقف عند ابن خلدون في نظريته المعروفة في ميدان التعليم وهي (نظرية التكرارات الثلاث )لما تستند إليه من تدرج في الحصول على الملكة اللسانية أو صناعة من الصناعات .يقول :« اعلمة ان تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيدا إذا كان على التدريج شيئا فشيئا ،وقليلا قليلا ،يلقى عليه أولا مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب ،ويقرب له في شرحها على سبيل
الإجمال ،ويراعى في ذلك قوة عقله ،واستعداده لقبول ما يورد عليه حتى ينتهي إلى أخر الفن ،وعند ذاك يحصل له ملكة في ذلك العلم .إلا أنها جزئية وضعيفة .وغايتها أنها هيأته لفهم الفن وتحصيل مسائله ،ثم يرجع به إلى الفن ثانية فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة إلى أعلى منها ،ويستوفي الشرح والبيان ،ويخرج عن الإجمال ،ويذكر له ما هنالك من الخلاف ووجهه على ان ينتهي إلى آخر الفن فتجود ملكته ،ثم يرجع به وقد شدا فلا يترك عويصا ولا مبهما ولا منغلقا إلا وضحه ،وفتح له مقفله فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته .هذا وجه التعليم المفيد .وهو كما رأيت إنما يحصل في ثلاث تكرارات.» [1]
ولاحظ ابن خلدون ان أهل إفريقيا والمغرب حينما اقتصروا على القرآن الكريم لم تحصل لهم ملكة اللسان جملة « وذلك ان القرآن لا ينشأ عنه في الغالب ملكة لما ان البشر مصروفون عن الإتيا ن بمثله فهم مصروفون لذلك عن الاستعمال على أساليبه والاحتذاء به ،وليس لهم ملكة في غير أساليبه فلا يحصل لصاحبه ملكة من اللسان العربي ،وحظه الجمود في العبارات وقلة التصرف في الكلام.» [2] .

بمقارنة بسيطة بين مفهوم الملكة اللسانية كما يتصورها ابن خلدون ،والكفاية اللغوية وفق شومسكي يتبين لنا أن السابق منهما في نظرته للملكة اللسانية قد أحاط فهما بمفهوم الملكة من شومسكي ،لأن الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون ما هي إلا المقدرة على صناعة العربية ،بحيث– من منظوره–يكفيه الاعتماد على قوانين هذه اللغة لكي يتمكن العربي من صياغة كلام عربي فصيح .يقول ابن خلدون : «والسب في ذلك ان صناعة العربية إنما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة ،فهو علم بكيفية ،لا نفس كيفية .فليست نفس الملكة ،وإنما هي بمثابة من

---

1 - ابن خلدون ،المصدر السابق ، تح لونان ص 551-552

2 - نفسه ،ص 539.

يعرف صناعة من الصنائع علما ،ولا يحكمها عملا ...وكذلك لو سئل عالم بالنجارة عن تفصيل الخشب ،فيقول :هو ان تضع المنشار على رأس الخشبة وتمسك بطرفه ،وآخر قبالتك ممسك بطرفه الآخر و تتعاقبانه بينكما ،وأطرافه المضرسة المحددة تقطع ما مرت عليه ذاهبة وجائية ،إلى ان ينتهي إلى آخر الخشبة .وهو لو طولب بهذا العمل أو شيء منه لم يحكمه .وهكذا العلم بقوانين الإعراب مع هذه الملكة في نفسها ،فان العلم بقوانين الإعراب إنما هو علم بكيفية العمل وليس هو نفس العمل .» [1]

وذهب الدكتور عبد الجليل مرتاض وهو يتناول الملكة في مفهوم ابن خلدون ومقارنة ذلك عند شومسكي إلى أن الملكة بشكل عام هي «ما يدل على العموم أو الكلي الذي لا يخص جنسا دون أخر ،وعلى الفردية وهو صاحب هذه الكلمة والتمرس فيها بشكل طبيعي وعلى اللغة وهي تخص مجموعة اجتماعية معينة ،وعلى الكلام وهذا الأخير يعرف أو يعين من خلال نوعية الخطاب ودرجته ومستواه » [2] وتصور ذلك وفق الجدول التالي :

| لسان | عمومي |
|---|---|
| ملكة | اكتساب خصوصي |
| لغة | جماعية |
| كلام | فردي |

والملكة عند ابن خلدون (يقول عبد الجليل مرتاض )تختلف عن الثنائيات أو التعارضات ( les oppositions) التي ولعت بها النظريات اللسانية ،إذ هي كفاءة وأداة في آن واحد ،وليس بالإمكان ان يقوم احدهما مقام الآخر أو يقوم دون الآخر ،خلافا للنظرية الشومسكية التي تعتمد على التعارضات الآتية :

1 –ابن خلدون " المقدمة " ،تح لونان ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،2004 ،ص 579-580.

2 –عبد الجليل مرتاض " مباحث لغوية في الفكر اللساني الحديث " منشورات ثالة ،الجزائر ،سنة 2003. ،ص 75.

-كفاءة /أداء compétence/ performance

-أو عند دي سوسير :

- لغة /كلام langue/parole

أو عند أندري مارتيني :

-مونيم /فونيم Monème/ phonème

أو حتى عند دي سوسير على الشكل الآخر :

- دال/مدلول signifiant / signifié (1)

1 - نفسه ،ص76-77

**العوامل المؤثرة في النمو اللغوي :**

ممّا هو مؤكد أن امتلاك ناصية اللغة عملية تتم بصورة تلقائية وعفوية لا دخل لاي طرف آخر فيها ،بل بالعكس ،لابد من ان يتدرب الطفل مرانا وتكرارا و لمدة طويلة من الزمن حتى يكتسب عاداتها اللفظية ،وتشكيلاتها الصوتية ،ويعرف كيف يستعمل الكلمة على الوجه الصحيح ،ويلتزم في سلوكه اللغوي بقواعدها ،ومن هنا فان عملية النمو الغوي تستغرق مراحل تعليمية بكاملها بدءً من المحيط العائلي إلى الوسط الاجتماعي والبيئي إلى المدرسة بمختلف أطوارها .وتتزاوج الكثير من العناصر والعوامل وتتفاعل فيما بينها للدفع بالحصيلة اللغوية للطفل إلى ما هو أرقى ،ومنها عوامل فيزيولوجية خالصة ،ومنها ما هو متعلق بالجانب الوراثي ،ومنها ما يختص بالجانب الاجتماعي البيئي .

**العوامل الفيزيولوجية :**

لا جدال في ان التحصيل اللغوي وتنميته يعود بدرجة كبيرة إلى المؤهلات الفيزيولوجية للطفل قد يتوهم البعض انه بإمكان الطفل ان يتعلم أية لغة من لغات العالم بمجرد انه سليم الحواس ،وخاصة السمع والبصر ،و ان قيام «جوارح النطق بوظيفتها في التصويت ...تكفي وحدها لتعلم اللغة ونموها ولكن الحقيقة عكس ذلك فلابد إضافة إلى ما ذكر ان يكون الدماغ سالما ونموه سويا ...فان كان الخلل قديما في خلية الجنين كان التخلف العقلي أوضح »[1] فذلك إشارة واضحة على ان مستقبل الطفل اللغوي غير مضمون العواقب ، فالتخلف العقلي ستكون له آثارا ملحوظة في السلوك اللغوي .كالهذيان ( délire) والوسوسة او تأويل الكلام على غير ما يفهمه الناس ،والهلوسة السمعية (Hallucinations Auditives )...[2].

لا يمكن ان نتجاهل في هذا الباب الذكاء وأهميته في التحصيل اللغوي وتنميته ،فقد دلت الدراسات المتخصصة ان نسبة الذكاء متفاوتة من شخص لآخر ،فهناك علاقة طردية بين ذخيرة الفرد من الكلمات ونسبة الذكاء لديه .فمن المعروف انه كلما زادت نسبة الذكاء العقلي للفرد كلما زادت قدرته على فهم ما يقرؤه أو ما يسمعه من الجمل والعبارات

[1] -حنفي بن عيسى ،المرجع المذكور سابقا ،ص 268

[2] -نفسه 268

...وبالتالي زادت حصيلته اللغوية ومدلولاتها ،وعلى العكس من ذلك فكلما نقصت نسبة الذكاء لدى الفرد ضعفت حصيلته من المفردات والمعاني [1] .لذا ليس غريبا ان نسمع هذه النعوتات المختلفة لأشخاص إسقاطا على نسب الذكاء لديهم ،ومنها البليد ،والمتفوق والذكي جدا...

ان النمو العقلي هو —فيما نعلم-تحول كيفي ونوعي للتفكير وهذا ما يحدث في السنة الأولى من العمر حينما يقتصر الطفل على استخدام الحواس مع ظهور استعدادا ت جديدة وتكوين مفاهيم جديدة أيضا* ،فيتطور حتى يصل إلى التفكير المجرد وحينها يستطيع الإنسان ان يفكر حول الفكر نفسه .فالنمو ما هو إلا تكوين لهياكل أو أنظمة عقلية ،ولا يتأتى ذلك إلا عن طريق التفاعل الطفل مع بيئته .[2] وقد استدل الباحثون خاصة في مجال علم النفس اللغوي ان هناك مجموعة من القرائن التي يمكن بواسطتها تتبع نمو الطفل اللغوي في مختلف المراحل ومنها «مقدار حصيلته من المفردات ،وضوح الأسلوب وغموضه ،تركيبه للجمل فإذا أخذنا هذه القرائن —كما يرى الباحثون-فانه يمكن ان نتوصل إلى وضع "حاصل لغوي" شبيه بحاصل الذكاء يراعى فيه الأعمار »[3] .فالحصيلة اللغوية انطلاقا من ذلك تتأثر بطبيعة الحال بعامل الوراثة أيضا ،فالعلاقة وطيدة بين الذكاء والملكة اللغوية وقد لاحظ علماء النفس ان جنس( البنات هنّ في غالب الأحيان الأسرع في النمو اللغوي من الصبيان والأطفال الصم متخلفون عن غيرهم ،وهذا مردّه طبعا إلى الاضطرابات على مستوى الدماغ ،ان لم نقل الناحية الفيزيولوجية بأكملها.وأشارت العديد من الدراسات إلى تفوق الإناث على الذكور في الطلاقة اللغوية ،وسهولة الكتابة ،إلا ان هذا الفرق سرعان ما يقل أو يوشك على الاختفاء في السنة السادسة أو في الشهر الثاني والسبعين من أعمارهن[4]

---

[1] - أحمد محمد المعتوق " الحصيلة اللغوية ( أهميتها ،مصادرها وسائل تنميتها ) عالم المعرفة ،الكويت ،1996 ،ص 34.

* لمزيد من التوضيح يراجع الفصل الأول.

[2] -محمد جاسم محمد "نظريات التعلم "دار الثقافة للنشر والتوزيع ،عمان الأردن ،ط1 ،2007.

[3] - حنفي بن عيسى ،م نفسه ،ص 149-150

[4] -ينظر أنسي محمد أحمد قاسم " اللغة والتواصل لدى الطفل " الإسكندرية '(دط) 2005. ،ص 175.

**العوامل الاجتماعية :**

ممّا هو معلوم أن الطفل يملك قدرات فطرية تساعده على تقبل المعلومات اللغوية ومن ثم تكوين التراكيب اللغوية ، ومعنى ذلك أنه مهيأ –فطريا –لتكوين قـــواعد لغـــته الأم ( L- Maternelle )ضمنياً من خلال الكلام الذي يسمعه ، فيبني لغته على صورة إبداعية( créative ) وبموازاة مع قدراته الباطنية بقدر تقدمه في عملية الاكتساب، وهذا ما اكتشفناه –فيما سبق– بالنظرية العقلية التي تزعمها "تشومسكي ". بينما يرى علماء النفسِ السلوكيون أن اللغة شكل من أشكال السلوك،لا تخرج عن إطار الحافز والاستجابة. فالعوامل الاجتماعية والبيئية وحدها كافية لتقديم التفسير الكافي والمقنع لظاهرة الاكتساب اللغوي ونموها.

مما هو في عداد المسلمات ان اللغة في ديناميكيتها وتطورها وتأدياتها المختلفة عند الطفل تتأثر –لا محالة– بالوسط الاجتماعي والاقتصادي والثقافي الذي يتربى في كنفه .ومن ثّم فقد لاحظ الباحثون ان «هناك علاقة بين المنشأ الاجتماعي للتلاميذ ومسارهم الدراسي...ولعل أول النظريات المصاغة في هذا الشأن نظرية "برشتاين "( Berstein ) التي يميز صاحبها بين اللغات المستعملة في مختلف الطبقات الاجتماعية»[1] .إذاً بات واضحا ان العامل الاجتماعي ،وما توفره البيئة من عوامل نفسية أضحى من الأهمية بمكان ،فاللغة ذات طابع اجتماعي أولا ،وهذا ما أكده العالم اللغوي "سوسير " ،إذ أنها مؤسسة اجتماعية ،وكثيرا ما نسمع ان " الإنسان اجتماعي بطبعه ". فالطفل وهو يتعامل مع اللغة يكتسب –حتما –مجموعة من السلوكات اللغوية والاجتماعية المختلفة ،فإذا كان الكلام في الفترة « السابقة (ونعني بها المرحلة ما قبل اللغوية ) الدور الرئيسي في رعاية الطفل وتوفير أسباب الراحة والنمو النفسي والاجتماعي واللغوي ،فانه سرعان ما ينضم إليها الأب والأجداد والإخوة وبقية الأقارب »[2] من هنا نلمس أهمية الأسرة في تنشئة الطفل تنشئة صالحة .قال عليه الصلاة والسلام :" كل مولود يولد على الفطرة ،فأبواه يهودانه ،أو يمجسانه أو ينصرانه ." فحاجة الطفل لامه ضرورية جدا كحاجتنا للأكل والشرب ،فقد اعتاد على ان تجيبه أمه إلى رغباته بمجرد صدور أصوات معينة منه ،أو إشارات خاصة به ،ويفهم عنها ما تقوم به من أعمال وما يصدر عنها من أصوات بقصد طمأنينته وإرضائه ،فيكف عن البكاء ،وتظهر عليه

---

[1] - حفيظة تازوتي ،"اكتساب اللغة العربية عند الطفل الجزائري " دار القصبة للنشر ،2003 ،ص 15.

[2] -حفيظة تازوتي ،نفسه ،ص 13.

علامات الرضا والسرور ،وتنشا بينه وبين أمه لغة خاصة إلى حد ما .هذه العلاقة الاجتماعية الأولى بينهما تسهم إلى حد كبير في تشكيل دوافع الطفل واتجاهات سلوكه الاجتماعي .لذا فان الطفل يمارس « حقه اللغوي من الأمهات اللائي عليهن ان يرضعن أولادهن فصاحة اللغة مناغاة وكلاما وغناءً،لان التحصيل يأتي عن طريق السماع ،سواء من الأم والأب وأهل البيت ،وصدق الشاعر إذ قال :

وينشا ناشئ الفتيان منّا    على ما كان عوّده أبوه .

وعلى إلام في هذه الفترة نداء الطفل باسمه وإشعاره بالحب والحنان ،ومناغاته والتحدث إليه ،وترديد وحدات صوتية أمامه ،وعدم التعجيل في نطق الحروف ،أو كفه أو نهره عندما يلعب بصوت مرتفع ،كما يجب تدريب حواسه على السماع ...»[1]

فاللغة الشفوية التي يتلقاها الطفل من الأسرة الصغيرة والوسط الاجتماعي عامة فهي عبارة عن محصول مركب من المفاهيم (Concepts ) والدلالات والرسوم والصور ،ونظم شتى من الإشارات وإذا أردنا ان نقف على تصور من هذا المحصول المركب ،فيمكن ان نلحظه من خلال تواصلات الصغار فاكتساب المفردات يحدد بتسارع النمو :في العام الأول ،يستعمل أكثر من مائتين ،وفي السنة الرابعة يستخدم أكثر من ألف كلمة ،وفي السنة السابع يوظف أزيد من عشرين ألفا ،وفي السادسة عشرة يفوق ما يستعمل ثمانين ألفا،وشكل الكلمة المنجزة قبل أي شيء يبدل بأشكال مطابقة أكثر فأكثر للنموذ ج المقدم من قبل الكبار خلال السياق متقطع نسبيا ومتصل في الوقت نفسه بانتشار التمييز المسموع والنطقي ،وبإعادة النموذج المطروح في الوسط اللغوي.[2]

ولعلنا في هذا المنحى نقاسم الدكتور حنفي بن عيسى في جزمه على ان النمو اللغوي لا يمكن ان يحدد في سنة معينة ،ودليلنا الواقع اللغوي لبعض الفئات من المجتمع ،فانك ترى ان بعض الأشخاص يملكون من المحصلة اللغوية وهم في سن الطفولة يفوقون بكثير أولئك الذين يشرفون على العشرين .من هنا لقد يقع في روع «بعض الناس ان عملية النمو اللغوي لدى الطفل أشبه ما تكون بعملية المشي ،ولكن ان صح القول بان الطفل السوي لا يكاد يبلغ الخامسة من العمر حتى

---

[1] - صالح بلعيد "علم اللغة النفسي" علم اللغة النفسي " ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ،الجزائر ، 2008 ،ص 176.

[2] -ينظر :عبد الجليل مرتاض " اللغة والتواصل " ،ص 124. نقلا عن

Andre Martinet " la linguistique " Guide Alphabétique " ;P 14.

يتقن المشي تماما ،فانه لا يصح القول بان عملية النمو اللغوي تتم في خمس عشرة سنة ولا في عشرين والحقيقة ان الإنسان لايني طوال حياته يتعلم لغة قومه .[1]»

ومن العلماء العرب الأفذاذ الذي تناول هذه الظاهرة المعقدة "ابن خلدون " الذي تعرضنا لآرائه في أكثر من محطة من محطات هذا البحث ،ولكننا مجبرون على معاودة دعوته من لحظة لأخرى ،نظرا لوجاهة آرائه ،خاصة في هذا الجانب السيكو-لساني.فقد أوضح ان الطفل العربي أو الأعجمي ينشأ في بيئة فتتلقى أذنه التراكيب والصور اللغوية والكيفيات الكلامية فيقوم بالتعبير عن مقاصده اعتمادا على المحاكاة،يقول ابن خلدون في هذا السمت: « فالمتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة يفيهم يسمع كلام أهل جيله ، وأساليبهم في مخاطباتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم ؛ كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها ؛ فيلقنها أولاً ، يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك .ثم لا يزال سماعهم يتجدد في كل لحظة ومن كل متكلم ، واستعماله يتكرر إلى أن يصير ذلك ملكة وصـــفة راسخة ويكون كأحدهم .»[2] .

فالأطفــال من هذا المنطلق يحاولون الاقتداء أو محاكاة من يعاشرونهم في بيئتهم ،من خلال ما يسمعونه من أشكال تعبيرية تواصلية إلى ان يصبح ملكة راسخة في أنفسهم . ثم أ لم يقل ابن خلدون في مقام غيره "ان السمع هو أبو الملكات اللسانية ".فالأمثلة التي بتنا نسمعها ونقرأ عنها ،لهي من النماذج العجيبة والغريبة التي تحول الإنسان من عنصر اجتماعي فاعل مؤثر ومتأثر ،إلى شخص متوحش بعيدة عن مواصفات الإنسان ،والأمثلة أكثر من ان تحصى،فحالة الطفل المعزول الذي لم تقع أذنه أبدا على صوت بشر ،وحالة الطفل الأصم الذي عزله المرض عن سماع أصوات البشر نماذج حية عن علاقة اللغة بالمجتمع ...فاللغة لا يمكن ان تكتسب بدون محيط اجتماعي .فهذا النموذج من الأطفال لا يشعرون بالحاجة إلى اصطناع لغة اذ ان الاتصال غير ممكن .وبما أنهم فقدوا هذه الأداة الثمينة لتنمية ملكاتهم العقلية فإنهم سيظلون دائما في مستوى ضعيف من التفكير «فالاحتجاز للأطفال هو الحبس بعينه بحجة خوف الآباء على من ان يسري إليهم الفساد من معاشرة الأشرار فليس ذلك حبسا للبدن بل العقل أيضا .فقد ثبت ان الاحتجاز"Sequestration "في مرحلة الطفولة يترك آثارا لا تمحى على مستوى المراكز الدماغية

---

[1] -حنفي بن عيسى .المرجع المذكور سابقا ،ص 146.

[2] - ابن خلدون " المقدمة " تح :لونان ،ص 574.

وبالتالي فهو يتأخر نموه اللغوي السوي »[1].فاللغة –من هذا المنطلق–تساعد الفرد على الاندماج اجتماعيا وعقد علاقات قوية بمن حوله ،لذا فان العزلة والانطواء على الذات يؤثران عكسيا على التحصيل اللغوي للطفل خاصة مما يجعله يعاني العديد من المشاكل النفسية والاضطرابات اللغوية .

لا يمكننا الآن ان نغفل عن الآراء العلمية الوجيهة التي اقرها ابن خلدون ،لذا قلت أننا ملزمين بالعودة إليه ،فهو معين لا ينضب ،وخاصة في هذا المجال الذي قال فيه الشيء الكثير ،فقد اوجد العلاقة بين اكتساب اللغة وتعلمها أي بين الجانبين الفطري ،والاجتماعي التفاعلي البيئي.فأكد علاوة على السماع على ضرورة حفظ النصوص الجيدة شعراً ونثراً وعلى رأسها القرآن الكريم ليكون المتعلم قادراً على محاكاة هذه النصوص . يقول ابن خلدون : «ووجه التعليم لمن يبتغي هذه الملكة ويروم تحصيلها أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجاري على أساليبهم من القران والحديث، وكلام السلف، ومخاطبات فحول العرب في أسجاعهم وأشعارهم، وكلمات المولدين أيضا في سائر فنونهم ؛ حتى يتترل لكثرة حفظه لكلامهم من المنظوم والمنثور مترلة من نشا بينهم ولقن العبارة عن المقاصد منهم ؛ ثم يتصرف بعد ذلك في التعبير عما في ضميره عل حسب عباراتهم ، وتأليف كلماتهم ، وما وعاه وحفظه من أساليبهم وترتيب ألفاظهم ؛ فتحصل له هـــذه الملـــكة بهذا الحفظ والاستعمال ، ويزداد بكثرتهـــما رسوخا وقوة »[2].فمـــا أعظم قول ابن خلدون ! وهو يتناول اكتساب الملكة اللغوية ،وعوامل تنميتها ،اعتمادا على الحفظ ،وكان هذا الأخير من دعائم المدرسة الجزائرية إلى وقت قريب ،فمحدثنا على كثرة الحفظ والمداومة عليه ،ولا يمكن ان ننسى أنه كان يعهد بالطفل إلى المدارس أو الكتاتيب القرآنية وحلقات الحديث والشعر ،فيصبح الطفل فصيحا بليغا ،والأمثلة المؤكدة لا ينكرها إلا جاحد،لذا فان ترقية اللغة العربية وضمان نمائها يكون من خلال الإقبال على القرآن الكريم حفظا ودراسة .

لا يمكن ان نتجاهل –ونحن نؤكد على أهمية التعامل مع العوامل الهامة التي من شانها إنماء الملكة الغوية العربية خاصة – الدور الذي تضطلع به المدرسة في مختلف أطوارها ،فهي مكملة لإسهامات المحيط الاجتماعي .إذ في كنفه تعامل الطفل مع عالم لغوي اكتسبه من طفولته التي لا يرضى بديلا آخر عن تلك اللغة الأدبية التي أقرت في أذنه منذ الطفولة ،وكان من الضروري ان

---

[1] - حنفي بن عيسى ،المرجع نفسه ، ص264

[2] -ابن خلدون ،المصدر نفسه ،ص 556

تساهم المدرسة في تعميقها وتحسين أصواتها وتحبيبها ،وسيصبح مدافعا عنها و نفسه تقول ""
علموني لغتي فهي جزء مني ،علموني لغتي فهي حقي أقرته الفطرة والعرف والقانون ،علموني لغتي
مع رضاعة لبن أمي ،فان علمتونيها ( علمتمونيها )* فاني ناطق بها وممجد ،وان علمتموني لغة
أخرى فاني ناطق بها وسوف تلاحقكم لعنتي وتيهاني وأخطائي."[1]

بقي ان نشير إلى قضية نراها–من وجهة نظرنا– هامة تنحصر في العلاقة بين التخلف الاقتصادي والتأخر اللغوي، إذ ان كثيرا من أبناء الأسر الفقيرة لحقهم الإهمال فلا يجدون في محيطهم تكملة لما تعلموه في المدرسة ...والتأخر اللغوي ملحوظ أيضا لدى أطفال الأسر الكثيرة الأفراد ،وكذلك لدى أطفال الأسر التي لا يتقيد أفرادها بلغة واحدة بحيث تجدهم يتخاطبون بلغتين أو أكثر [2] مما يشتت بال وتفكير الطفل ،ويجعله تحصيله اللغوي متذبذبا وضعيفا.

**عوامل أخرى :**

لما كان النشاط اللغوي من أهم الوسائل في الربط بيننا وبين الآخرين فان للارتقاء اللغوي لدى الطفل في السنوات الأولى من العمر أهمية بالغة في اكتساب العضوية في مجتمعه ،لذا حريّ بنا ان نلقي الضوء على بعض العوامل الأخرى التي تساعد في النمو اللغوي للطفل ،لان هذا الأخير يتفاعل مع المحيط الأسري وخارجه مع سلوكات ووسائل مختلفة تكفل له النمو العاطفي واللغوي فعن طريق الحكاية واللعب ينمو خيال الطفل ويكتسب سلوكات لغوية ويشبع حاجاته النفسية وعم طريق التلفزيون والكتاب تتوسع آفاق الطفل ومعارفه وثقافته وينمو رصيده اللغوي [3]، ومنها

**رياض الأطفال :**

يعد التحاق الطفل في سنه الثالثة بالروضة حدثا هاما بالنسبة للعائلة ،فهي مرحلة مهمة في حياته الاجتماعية على وجه الخصوص ،فهي المرحلة الأولى التي تفتح أمامه آفاقا لمعرفته اللغوية ،وسلوكاته النفسية والاجتماعية ففيها يأخذ « منواله اللغوي مكانه الصحيح ،بالاستماع إلى

---

* -وردت في الأصل على القراءة الأولى

[1] - صالح بلعيد " علم اللغة النفسي " ، ص 170.

[2] -صالح بلعيد ،م نفسه ،ص 151.

[3] - حفيظة تازوتي ،المرجع المذكور سابقا ،17

الكلام الذي يلتقطه من المربين ...ومن الخطأ ان يستعجل المربون تعليم الأطفال المهارات الأكاديمية في القراءة والكتابة والحساب ،فهم ليسوا مستعدين لتعلمها بعد...»[1]

لا يمكن ان نقصي الدور الفعال الذي تلعبه المربيات في الأقسام التحضيرية أو رياض الأطفال في خلق جو من الاندماج بين الأطفال بعضهم ببعض من خلال مشاركتهم في جو اللعب والحوار المتبادل الذي تسطره دور الحضانة من خلال برنامج واضح المعالم بارز الأهداف ،ومنه برامج للعب المنظم البسيط على شكل مجموعة من التمرينات والحركات الرياضية الإيقاعية ،الأناشيد والموسيقى ،التربية الفنية من أشغال يدوية وحوارات فصيحة ... [2]فاللعب متعة وتنفيس ،وهو حاجة طبيعية للطفل يؤدي دورا بالغ الأهمية في التنمية الفكرية واللغوية والاجتماعية ،فهو عامل تطور معرفي ولغوي ذو وجهين ،وجه انفعالي ووجه آخر تواصلي مع أطراف محيطة به في بيئته ،واللعب –كما لا يخفى–مؤشر(un Indice )دال على نشاط عقلي عند الطفل ،فكثيرا ما يرى الطفل هذه الألعاب البسيطة التي يصنعها من الحديد ونحوه قد تحولت إلى سيارة في نظره ،لذا نراه يتعامل مع هذه اللعبة على أنها شيء حقيقي كالتي يراها في الشارع أو على شاشة التلفزيون ،فهذه اللعبة ما هي إلا انعكاس حقيقي لما يقدمه الخيال للطفل .أما فيما يتعلق بالجانب أو الوجه اللغوي الذي يحققه اللعب فلابد من الجزم على ان الحوار الذي يجري بين الأطفال وهم يلعبون يحقق ذلك إلى درجة كبيرة فكثيرا ما « نسمع أو نرى الفتيات وهن يقلدن –أثناءه– أمهاتهن في علاقتهن الاجتماعية وفي أداء وظائفهن المنزلية ،فيبنين بيتا بواسطة غطاء يمددنه بين الكراسي ،ويفرشن الأرضية ويحضرن علبا يعتبرن إحداها ثلاجة والأخرى تلفزة ...وتزور الواحدة منهن الأخرى ،فيعدن سيناريو للحياة المنزلية بدقة ،وأثناء الزيارة تسألها في ان تقدم لها مشروبا أو قهوة ،عموما تؤدي واجب الضيافة نحوها » [3] من هنا فان اللعب الطفولي ليس –كما يعتقد البعض–على انه مجرد لعب ونشاط ترفيهي يلجا إليه الطفل في هذه المرحلة ،بل هو وسيلة من وسائل التنسيق بين الخيال والفكر والكلام .والى جانب كل ذلك فهناك من الأسباب من تدفع بتنمية الملكة اللسانية عند الطفل إلى الأمام ،على ما نكتشفه من برمجة الألعاب التعليمية ،وهي –كما لا يخفى –من الأساليب المهمة في تثقيف الطفل ،ومن أعظم موارد اكتساب المعلومات و تحسين المهارات الحسية

---

[1] - صالح بلعيد ،م نفسه ،ص 211.

[2] - تركي رابح " أصول التربية والتعليم " المؤسسة الوطنية للكتاب ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر، 1990 ،ص90

[3] -حفيظة تازوتي " اكتساب اللغة عند الطفل الجزائري " ،ص 20.

واللغوية ،بالإضافة إلى الأغاني على ان تكون مفيدة للطفل من جانب تعليمه اللغة العربية الفصحى مع مراعاة ملائمتها للجانب الأخلاقي والديني للمجتمع .[1]

ضف إلى كل ذلك فان للتلفزيون حظه كذلك في تنمية المقدرة الفكرية واللغوية بالنسبة للطفل .فالتلفزيون وسيلة ترفيهية وتثقيفية الأكثر انتشارا في العالم ،سرعان ما ينجذب إليها الطفل في بدايات عمره خاصة برنامج الأطفال وتحديدا الرسوم المتحركة ،فيصبح الطفل لصيقا بها يقضي الساعات الطوال في مشاهدتها ،يعرف شخصياتها ،ويحفظ أدوارها ومقاطع حوارية منها ،وهذا شيء محمود –في نظرنا –خاصة في تفتق خيال الطفل ،وإثراء مادته المعرفية وحصيلته اللغوية . وفضلا عن ذلك، فان إلقاء الدروس بالفصحى في أهم القنوات التي يتابعها الجمهور العربي ،ولا جدال بان برامج موجهة للطفل مثل "افتح ياسمسم " لقيت الرواج والصدى الجيد والأثر في اكتساب لغة عربية سليمة ».[2]وألفينا –من خلال هذا النوع من البرامج التلفزيونية– الأطفال وهم يرددون بلغة عربية فصيحة الكثيرة من المقاطع منها .

عموما ان المحيط الأسري ،ودور الحضانة بما توفره هذه الأخيرة من إمكانيات ،ستجعل من أهدافها تنمية الحصيلة اللغوية للطفل ،بل تضمن له انسجاما مع مجتمعه والتكيف مع الواقع اللغوي الذي سينتقل إليه في أحضان المدرسة لمدة طويلة من الزمن.

---

[1] -ينظر ،صالح بلعيد ،م – نفسه ،ص 238 ،بتصرف

[2] -م نفسه ، ص 243.

# الفصل الثاني

# معوّقات العملية التواصلية

ما أحوجنا إلى دراسة علمية وموضوعية ومنهجية للغة ،لأنها المفتاح لفهم مختلف أنواع السلوك البشري ،والتعرف على بنية العلاقات العملية التي يتأسس عليها مجتمعهم ،لان الفرد –من خلال البنية اللغوية–يدرك علاقته بالعالم ومنهاج عمله فيه.ومن هنا فاللغة ميزة فارقة بين الإنسان وغيره من مخلوقات الله ،فأصبح هذا الإنسان يستعمل هذا النظام العجيب لتحقيق التواصل بينه وبين أفراد مجتمعه.فكل الدراسات العلمية قد أقرت ،بل لم تترك منفذا للشك ان هذه اللغة هي النظام الوحيد الذي يستخدمه الإنسان ،وتختلف جذريا عن سائر الأنظمة الأخرى التي تستعملها المخلوقات الكونية الأخرى.

إن التواصل اللغوي –حسب علم الباحث–نمط قد يبدو سهلا يسيرا للبعض ،لكنه في حقيقة الأمر «نمط صعب ،ونمط مخيف ،حتى لا نغـــــالي فنخلد إلى اليأس أو نميل إلى القول :انه لنمط مستحيل ».[1].

يبدو من خلال هذه الصفات التي ألحقها عبد الجليل مرتاض بالتواصل اللغوي من حيث كونه صعبا ،ومخيفا ، وحتى مستحيلا ،له في الواقع التواصلي ما يبرره ،ويشفع له بدليل هذه التراكمات من الأنساق التواصلية الشفوية والكتابية التي تخضع لها منظومتنا اللغوية ،فأصبح التواصل يعتمد على شقين لغويين مختلفين من حيث بنيتهما المورفولوجية( Morphologiques )والسانتكسية (Syntaxiques ).

**التواصل اللغوي الشفوي والكتابي :**

إن من أهم الوظائف التي تضطلع بها اللغة هي وظيفة التواصل (COMMUNICATION) التي تمكن الإنسان من الاتصال بغيره من أفراد مجتمعه ،إلا أن هذه الوظيفة تتسم بالثنائية ( Diglossie)التي تتجسد في شكلين من التواصل :تواصل كلامي (communication oral)،وتواصل كتابي (communication écrite ).

إن النوع الأول من التواصل وهو الأكثر شيوعا يعتمد على الوسائل اللفظية بين باث ومتلق ،وبينهما مرسلة أو رسالة –كما وضحنا ذلك سابقا–من خلال عناصر التواصل اللغوي عند دي سوسير وجاكبسون( Jackobson )، لكن التواصل الكلامي هو الذي يعتمد على الرموز الخطية

---

[1]- -عبد الجليل مرتلض " اللغة والتواصل " ،ص 01.

للغة لأغراض تواصلية تدعم النوع الأول خاصة من حيث حفظ الكلام الشفهي ،وما يعتريه من تبدل وتحريف أو ضياع ،بل ويساعد المرسل في أحيان كثيرة للرجوع إليه وقت شاء على خلاف المرسلة الشفهية التي من الممكن ان الرسالة فيها قد ضاعت وتلاشت .فالكتابة«توجد في قلب المثالية الأدبية ،تلك المثالية التي لا تبدى إلا بوجود الكتابة.»[1] فلامناص إذن من الاعتراف الضمني والواضح(Explicite et Implicite )بمزايا اللغة المكتوبة لأنها« سجلت لنا مدونات شفوية ثابتة ،ولاسيما ما كان منها شعرا موزونا .»[2]

إن التواصل اللغوي بين المتكلم والمستقبل يحتم ان يكون كلاهما على علم بالقواعد التي تخضع لها اللغة ،أي بعبارة أخرى ان المستمع يجسد نفس المعنى الذي حملته الأصوات اللغوية المتتالية بنفس المعنى الذي أراده المتكلم ،فمن الضروري ان « نستخلص من ذلك ان متكلمي لغة طبيعية معينة يتواصلون فيما بينهم ،لان كلا منهما يمتلك نسق القواعد نفسه ،ويتم التواصل لان المتكلم يرسل رسالة باستخدام القواعد اللغوية نفسها التي يستعملها المستمع حتى يتمكن من فهمها .» [3] يمكن ان نستشف من خلال الحديث السابق ،التركيز على نوع واحد من أنواع التواصل اللغوية ،وهو التواصـــــــل اللفـــــــظي ( Communication Verbal)،في حين أننا نعلم ان التواصل قد يتجاوز هذا النوع إلى أنواع أخرى من التواصل غير اللفظية ،فكل الحيوانات تتواصل فيما بعضها مستعملة مجموعة من الإشارات والحركات التي تغنيها في طلب الحاجات البيولوجية أو التحذير من أخطار داهمة ...الخ ،فالنحل والغربان والشامبانزي تستخدم شتى أنواع التواصل كما بينا لدى مملكة النحل ،والاستنتاجات التي استنتجها (كارل فون فريش k.von friesch ) من خلال معاينته لما أصبح معروفا في هذا الحقل بــــــ" رقصات النحل " la danse des abeilles (the dancing Bees ).

وانطلاقا من ذلك فالنوع التواصلي الذي أشار إليه المتحدث السابق ،خاصة في شقه غير اللفظي لا يهمنا هنا إطلاقا وقد أوردناه على سبيل التحليل ليس غير ،غير الذي نرومه من العنوان السابق هو التواصل بنوعيه الشفوي والكتابي منطلقين دائما من التواصل اللفظي سواء أكان منطوقا شفويا أو

---

[1] - Roland Barthes " le degré zéro dans l'écriture " 'éd .le seuil ,Paris ,1972. P 14-17.-

[2] - عبد الجليل مرتاض " اللغة والتواصل" ،ص113.

[3] - ميشال زكريا" الالسنية (علم اللغة الحديث ) ،قراءات تمهيدية ،بيروت ،المؤسسة الاجتماعية للدراسات والنشر والتوزيع ،1984. ،ص79- 83.

منطوقا كتابيا ،أو بالأحرى الجانب الصوتي من اللغة وفق تعريف ابن جني « أما حد اللغة فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم »[1]،وجمهور العلماء ومنهم ابن جني كانوا يستعملون كلمة 'لغة' فيما نعبر عنه الآن « بلفظة لهجة فيقولون لغة تميم ولغة الحجاز ولغة طيء ...الخ وسواء أخذنا بعبارة القدامى في إطلاق لفظ اللغة على اللهجات أم أخذنا بما عليه جمهور كتاب اللغة اليوم من جعل لفظ اللغة كلام كاللغة العربية ،واللهجات بفروعها فإننا نحصل إلى نتيجة واحدة من حيث النظر إلى ان اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ،فاللهجة التميمية لغة لأنها الأصوات التي يعبر بها التميميون عن أغراضهم ،وهكذا ،وقد ذكر بعض المحدثين أنه لا فرق بين لهجة ولغة لان كل لهجة هي لغة قائمة بذاتها بنظامها الصوتي و بنحوها وبتراكيبها وبمقدرتها على التعبير»[2]

من خلال هذا الطرح الذي لا يقيم حدودا –في حدود علمنا - بين شكلي اللغة (الشفوية والكتابية) من قبل ابن جني ،لأن الواضح أن كليهما يستمد مادته من الأصوات اللغوية ،وكليهما يستخدم للتعبير عن الانفعالات والحاجيات والتواصل ،حتى وان كانت—حسب رأينا–اللغة الشفوية أكثر مرونة وتعبيرا وعقدا للتواصل من أختها اللغة الكتابية ،رغم أننا نعترف ان المعالجة الموضوعية واللسانية لهذين الشكلين من التواصل بات صعب المنال ،لان مجرد الكلام عن «الخوض في ظاهرة مثل التواصل اللغوي بأنواعه اللسانية وغير اللسانية من أجل الكلام فقط ،لا من أجل تحليلها ووصفها ،لأنه من الصعب تفسيرها ولا يعتبر في نظرنا إلا مجرد تراكمات لن تزيد المسائل المطروحة أو العالقة حول التواصل اللغوي إلا ثقلا وتعقيدا .»[3]

ومما يشفع لنا ونحن نخوض في هذا الموضوع الصعب والمخيف على حد تعبير عبد الجليل مرتـــاض ،أن اللغة الشفوية كانت أساس التواصل اللغوي قبل أن تظهر الكتابة بآلاف السنين ،فقد استطاعت هذه اللغة ان تجسد التطور الحضاري والثقافي للحضارات الإنسانية المتعاقبة ،لان الإنسان القديم اهتم بنطق الأصوات اللغوية ،قبل ان يهتم بتركيبها الفونولوجي ،ولذا فالأصواتيون يجمعون ان علم الأصوات العام الذي يتناول الأصوات بمعزل عن وظائفها اللغوية أسبق ظهورا من علم الأصوات الوظيفي .لذا فان الحديث عن التواصل في « شق واحد كأن يكون كتابيا فقط أو

---

[1] - ابن جني "الخصائص " ،ج1 ،ص33.

[2] - حسام سعيد النعيمي " الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني "،دار الرشيد للنشر ،العراق 1980 ،ص 261.

[3] – عبد الجليل مرتاض " اللغة والتواصل " ،ص 03.

شفويا ليس غير،مغامرة فاشلة قبل البداية ،وميل غير قليل من اللسانيين بان لكل لغة من اللغتين معا تقليدها المستقل ومنظومتها الخاصة بها ينبغي ألا يغرينا لفصل ما هو صناعي ،كشأن لغتنا الخطية عما هو طبيعي ،كشأن لغتنا الشفوية ،حتى وان كان تناول هذه الأخيرة بشكل مستقل عن الأولى ليس أمرا منكرا ،مادام الحديث عن الشيء ذاته بدل الحديث فقط عن ترجمته برموز ورسوم ،يبقى أمرا مشروعا لانه وليد شرعي على عكس اللغة الخطية التي مهما تطورت ستظل ظاهرة طفيلية تطفو على سطح الدراسات اللغــوية طفوا فرضته ظـــروف نابعة من احتياجات إنسانية داخـــلية .» [1].يتضح مما سبق ان اللغة الشفوية لا تختلف من حيث المعالجة عن اللغة الخطية ،فان كان الفرق بينهما شكليا يتجسد في هذه الرموز الهندسية التي تعبر عن الأصوات اللغوية ،فذلك أمر مردود ،بل ان الشعوب وخاصة تلك التي تعتمد التواصلات الشفوية،وتتخذه أسلوبا ونهجا في حياتها وتعاملاتها اليومية وعاداتها ، لم تعرف إلا « قانونا واحدا هو قانون الطبيعة ،هذا القانون يسمح لها بالعبور طليقة في فضاء مشترك بين عدة مجموعات من هنا إلى هناك ومن هناك إلى هنا » [2] . ولكن من أين وصلت إلينا هذه اللغة الخطية وكيف ؟ ألم تعتمد على الأساليب الخطابية والتواصلية التي ابتدعها الرجل القديم ،بل في لغتنا العربية اليوم الكم الكافي من المفردات والتراكيب لازلنا نستعملها على إنها من اللغة الشفوية ،أو بالأحرى من اللهجات العربية القديمة ،وذلك ما أومأنا إليه عبد الجليل مرتلض بقوله : إننا نعتقد بان اللهجات العربية القديمة في حد ذاتها وعلى تباينها هي اللغة العربية الفصحى نفسها والتي تشكل الأساس للعربية الشفوية لقاطني الحضر كساكني البادية ،خاصة وان القران الكريم حولها إلى لغة مكتوبة منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم.»[3] .ومن هنا فاللغة الشفوية كانت ولازالت إلى يومنا هذا معينا لا ينضب للكثير من الدارسين اللسانيين ،بل الأكثر من ذلك ان هذه الأنماط اللهجية الشفوية استطاعت ان تساير الواقع العربي القديم لفترات طويلة من الزمن ،وما قصرت في أداء مهامها كاملة غير منقوصة في التبليغ وربط التواصل سواء على مستوى الرقعة الجغرافية العربية ،أو بما جاورها من الأمم الأخرى ،فضلا عن ذلك ،لقد كانت نورا مشعا كثيرا ما أضاء الطريق لقراء القران الكريم . وأصبح بديهيا اليوم على ان الواقع اللغوي العربي يتبنى الازدواجية داخل اللغة الواحدة في التخاطب :لغة سليقية

---

1 - عبد الجليل مرتاض "اللغة والتواصل " ،ص 01-02.

2 - عبد الجليل مرتاض، نفسه" ،ص12.

3 - -نفسه ،ص13.

شفوية ،وأخرى مكتوبة دعت الكثير من الظروف المتنوعة إلى بروزها إلى عالم الوجود اللغوي،على الرغم من ان الأخيرة منهما قد ولدت من رحم الأولى ،فبهذا المفهوم ،فاللغة الشفوية هي الأصل ،بل هي الأم للغة المكتوبة ،فالطفل الجزائري على سبيل المثال والتقريب عند دخوله المدرسة ،يكون قد اكتسب من وسطه العائلي والاجتماعي لغة تمكنه من التفاعل والتواصل ،وقد أثيرت تساؤلات عدة حول طبيعة هذه اللغة وحول نسبتها إلى لغة المدرسة ،فالطفل الجزائري ينشا في وسط متعدد ومعقد لغويا ،فيتفاعل مع اللغات الموجودة فيه ،فالأطفال يتكلمون لغة تسيطر عليها لغة المتمدرسين الشفهية التي يميزها النحو البسيط ،وسقوط الحركات والاختلاس وإقحام المفردات العامية ...أما بعيدا عن أنظار المعلم فان سلوكا تهم اللغوية تسيطر عليها ملكة تتأرجح بين الاستعمال الأقل معيارية والعربية التي يتحدثها المتمدرسون .» [(1)] ولازالت هذه 'الأم ' تحكم سيطرتها علينا فقلما نتخلص لبعض الوقت من قيودها ،لاجئين إلى اللغة الأخرى لأغراض رسمية في الكثير من الأحيان ،يقول "دي سوسير " معارضا هذه الفكرة ومتبنيا اللغة المكتوبة :« تتكون مادة اللسانيات من كل التمظهرات للغة الإنسانية ،سواء بالنسبة للشعو ب البدائية أو الأمم المتحضرة ،الأزمنة العتيقة و القديمة ،اخذين بعين الاعتبار في كل حقبة ،ليس اللغة الصحيحة فحسب ،ولكن كل الأشكال التعبيرية ،ولكن ليس هذا كافيا ،ان اللغة تنأى في كثير من الأحيان عن واقع الملاحظة .من واجب اللساني ان يأخذ بعين الاعتبار النصوص المكتوبة ،فهي الوحيدة التي تمكننا من معرفة أية وسيلة لسانية تواصلية ("لغة،لهجة.." تستعملها جماعة لغوية) [(2)] حتى وان كانت بعيدة زمنيا .» [(3)] .ان الفرد حاليا يزاوج بين شكلين من التواصل ،حتى وان كان هذا الفرد سليقي اللغة ،ومع مرور الزمن ،وتعاقب الأحداث كان لزاما تدوين وكتابة هذه اللغة الشفوية ،وهي المحور الذي يستند إليه اللسانيون في دراساتهم للمدونات ( corpus) اللغوية على حد تعبير "دي سوسير " ،ولكن لم هذا الإقصاء الذي مارسه "دي سوسير " على سلطة اللغة الشفوية ؟.اللغة فضاء« رحب للجميع ،وهي أوسع مساحة ،وأطول دواما ،وأقوى ممن يمارسها ...فالفرد

---

[1] - حفيظة تازوتي " اكتساب اللغة العربية عند الطفل الجزائري " ،دار القصبة للنشر ،2003.(دط) ،ص 40-43.

[2] - "…le langage échappant le plus souvent à l'observation ;le linguiste devra tenir compte des textes écrits ; puisque seuls ils lui font connaître les idiomes passés ou distants ".

[3] - F.DE SAUSSURE "C.L.G " ;P20.-

لا يكتفي إلا بنهل ما يحتاج من استعمالات غالبا ما تكون جاهزة وشائعة لدى مجموعته اللسانية وفق ملكة طبيعية او اصطناعية ،وبعبارة أخرى حسب ملكة طبيعية أو تطبيعية » [1].

لقد أصبح واضحا من خلال هذا الحديث أن الفرد ميّال إلى استعمال ما يراه شائعا وجاهزا لا يكلفه عناء البحث والاستقصاء ،ولا أرى منهلا تتوفر فيه هذه المواصفات من الملكة الطبيعية بدلا من الاصطناعية التطبيعية ،بدليل ان اللغة كانت ظاهرة شفويةِ ،بل العديد من اللغات لاتزال إلى يومنا هذا لم تطلها الكتابة ،وكل ما في الأمر أن مشكل « النقل والحوار هو الذي قاد الإنسان إلى تحديد فكره بواسطة الإشارات من الرسوم والحروف .» [2] ولكن لا يحسبنّ احد أننا من دعاة الخطاب الشفوي على حساب الشق الآخر ،ولكننا نميل إلى تغليب ما نراه مناسبا للعملية التواصلية ،ولو حبسنا أنفسنا كراهية للتعامل بالخطاب الرسمي المعتمد ،لأصبح التواصل فيما بين أفراد المجتمع من المشقات ،إن لم نقل من المستحيلات ،بالنظر إلى التركيبة الثقافية ،والسوسيو-لسانية التي تميز المجتمعات العربية .

إن التواصل الكلامي –من باب التذكير ليس غير-عملية تضع المتكلم أو المرسل أو الباث يرسل رسالة نحو المرسل إليه أو المتلقي أو المخاطب ،هذه الرسالة تحيل لمرجع ،وتعتمد المرسلة على بعض الرموز التي تعد قاسما مشتركا بين طرفي الرسالة ،فضلا عن ذلك من المفترض وجود قناة تواصلية تربط بينهما [3]

ولعل التساؤل الذي لا يخلو من مشروعية ويمثل أمامنا دائما –ونحن نعالج هذا الباب- كلما فكرنا في ميكانيزمات التواصل اللغوي والأغراض المتوخاة منه ،هو إلى أي مدى يمكن تحقيق العملية التواصلية في ظل ما أصبح معهودا وشائعا في الدراسات اللسانية والنفسية والعصبية بظاهرة الأمراض اللغوية أو أمراض الكلام أو عيوب النطق أو ما قد يصيب العملية التلفظية من حواجز وعـــــوائق فيزيولوجية عضوية ونفسية ،تمنع السير الحسن لعملية التواصل بين الطرفين .

---

[1] - عبد الجليل مرتاض " مقاربات أولية في علم اللهجات " ،دار الغرب للنشر والتوزيع ،ط 2 ، (دت،دط) ،ص 67.

[2] - Charles Gordert " Guide pratique de la grammaire française " ;éd Hachette ;1978 ;P 07.-

[3] - يراجع المخطط التواصلي السوسيري والجاكبسوني

**الأمراض اللغوية** (Pathologie du Langage) :

لقد تنبه العرب قديما إلى هذه الظاهرة فأولوها عناية فائقة ،وارجعوا أسبابها إلى عوامل عدة منها الأسباب إلى معضلات ذات صلة بمخرج كل صوت على حدة ،دون إهمال الجانب السمعي ،وفي الحقيقة كل هذه العوامل يمكن إدراجها ضمن الجانب الفسيولوجي المحقق باللفظ والاستماع ،ومن هنا رأينا من اللاز م الوقوف على مختلف جوانب الأعضاء الفيزيولوجية التي تشترك في نطق الصوت اللغوي واستماعه ،وهذا موضوع خاص اهتمت به الصوتيات وجعلته علما مستقلا بذاته على غرار الفروع الأخرى في علم الصوتيات .

مما لاشك فيه ان دراسة الظاهرة اللغوية أصبحت تدرس من مستويات معروفة وهي :المستوى الصوتي ،المورفولوجي ،التركيبي السانتكسي ،ثم المستوى الدلالي ،ولكن ما يعنينا في هذا المبحث هو المستوى الأول ،باعتباره المادة الخام للمستويات اللسانية الأخرى .

يهتم البحث اللساني في هذا المستوى بدراسة الأصوات اللغوية من عدة جوانب ،من جانب أنها وحدات صوتية مستقلة ،ومنعزلة عن السياق الكلامي ،ويسمى هذا العلم بعلم الأصوات (Phonétique)،ومن اختصاصاته« بيان مخارج الحروف ،وطرق النطق بها ،وصفاتها ويشتمل على ثلاثة أنواع من الدراسة الصوتية » [1]

1-**علم الأصوات النطقي أو الوصفي**(Phonétique Articulatoire ):ان هذا الفرع من علم الأصوات يدرس وبدقة علمية مخارج الأصوات وتحديد أماكنها في الجهاز النطقي لدى الإنسان خاصة بحدوث الصوت ،وإنما أعضاء لها وظائف أخرى بوصفه الآلة المنتجة للصوت البشري ،رغم ان أعضاء الجهاز النطقي ليست «خاصة بحدوث الصوت ،وإنما هي أعضاء لها وظائف أخرى عند الإنسان والحيوان ،ولو كانت مختصة بالنطق لكان كل من توافرت له هذه الأعضاء سليمة ان يكون ناطقا لو كانت هي المختصة به ومن اجله ،إلا أنها تعمل في أصلها لحفظ الحياة ،وهي أعضاء الجهاز النطقي بالقوة عند الجميع وبالفعل عند الإنسان. » [2]

---

[1] - محمد محمد داود " العربية وعلم اللغة الحديث " ،دار غريب للطباعة والنشر ،2001 ،ص 102.

[2] - مكي درار " الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية في كتاب سيبويه " ،ص 139.

ان الحديث عن الجهاز النطقي لدى الإنسان من وجهة نظر فيزيولوجية يقودنا إلى وصف تشريحي لأهم الأعضاء العضوية المكونة له وهي :

أ- **القصبة الهوائية**(Trachée- Artère ) :

ان القصبة الهوائية هي بمثابة أنبوب الوصل بين الرئة والحنجرة ،فهي مكونة من غضاريف على شكل حلقات غير مكتملة من الحلق ،متصل بعضها ببعض بواسطة نسيج غشائي مخاطي ،ويتراوح قطر القصبة الهوائية ما بين 2سم إلى 2.5سم ،ويبلغ طولها حوالي 11سم ،وتنقسم من أسفلها الى فرعين رئيسيين ،وهما الشعبتان اللتان تدخلان إلى الرئتين [1].وكان الدارسون الأقدمون يظنون ان القصبة الهوائية لادور لها في إنتاج الأصوات ،فهي« لا تعدو ان تكون ممرا ليس إلا .بيد ان الدراسات التحليلية المخـــــرية أثبتت بأنها عامل مباشر وأساسي في تنويع درجة الصوت » [2]

ب-**الحنجرة** (Larynx):

لقد أدرك الاصواتيون خاصة باعتمادهم على التشريح ان الحنجرة هي المصدر الأساسي لحدوث الصوت ،ويشبهها بعض اللغويين ب"الناي"،وعدها الدارسون قديما وحديثا الأداة المحورية في حدوث الصوت اللغوي ،وما يستوقفنا في هذا الباب الآراء العلمية التي قدمها ابن سينا في رسالته الموسومة بـــــ" أسباب حدوث الحروف " فتعرض إلى مكونات الحنجرة واللسان ،بل الأعظم من ذلك انه تمكن من إحراز قصب السبق في جملة من الحقائق العلمية التي أكدها البحث العلمي الحديث بوسائله المتطورة ،فبقول إبراهيم أنيس : «ولما وقفنا على هذه الرسالة منذ بضع سنوات استرعى انتباهنا أنها تعالج طرفا من الدراسة الصوتية اللغوية علاجا فريدا يخـــتلف اختلافا بيّنا عن علاج سيبويه وغـــيره من علماء العربية» [3].ولكن لا تمثل الحنجرة جسما واحدا ،بل هي مؤلفة من عدة أقسام وهي : ثلاثة غضاريف

1 - الدرقي(Thyroïde ) أو العلوي منها ناقص الاستدارة من خلف ،وعريض بارز من الأمام ،ويعرف الجزء البارز منه بتفاحة آدم( Pomme d'Adam )

---

[1] - ينظر عصام نور الدين علم الأصوات اللغوية –الفونتيكا "دار الفكر اللبناني،بيروت ،ط1 ،1992 ،ص 54.

[2] -ريمون طحان " الألسنية العربية " دار الكتاب اللبناني ،ط2 ،بيروت ،1981 ،ص 32.

[3] – إبراهيم أنيس "الأصوات اللغوية " ،ص137.

2 - أما الغضروف الثاني فهو الغضرو ف الحلقي (Cricoïde )كامل الاستدارة ،ويعتبر غضروف الأساس وهو على شكل خاتم موضوع أفقيا ،فصه مستدير إلى الوراء.

3 - وأما الثالث فهو الغضروفان الحنجريان (Deux Arythénoides ) ، مكون من قطعتين موضوعتين فوق الغضروف الثاني من خلف [1]

الملاحظ ان هذه الغضاريف الثلاثة يتصل بأعلاها الوتران الصوتيان( Cordes vocal )،وهما رباطان مرنان ،يشبهان الشفتين ،ويمتدان أفقيا من الخلف إلى الأمام ،ويلتقيان عند ما يسمى بتفاحة آدم .وكان هذان الوتران محل دراسة من قبل علماء التشريح ،فعينوا ان طول كل منهما يتراوح بين 22 مليمترا و 27مليمترا ،وهما عند الرجال أطول مما هما عليه عند النساء وأغلظ ،مما يؤدي إلى انخفاض معدل ذبذبتهما عند الرجال ،لان تذبذبهما يكون كبيرا كلما كانا قصيرين رقيقين ،والعكس بالعكس . [2]

**ج- الحلق (Pharynx ) :**

وهو التجويف الذي يقع بين الحنجرة وأقصى الفم ،ويقوم بدورين لغويين في إحداث الصوت اللغوي :-هو مخرج لأصوات لغوية خاصة ،وهي (أ-هـ-ع-ح-غ-خ)يستغل كفراغ رنان يضخم بعض الأصوات بعد صدورها من الحنجرة .فلا عجب ان فارس الصوتيات "ابن جني "،ونظرا لهذه الميزة في تضخيم الأصوات اللغوية ،قد شبه بالناي .فقال فيه :« شبه بعضهم الحلق بالناي ،فان الصوت يخرج فبه مستطيلا أملس ساذجا ،كما يجري الصوت في الألف غفلا ،بغير صنعة ،فإذا وضع الزامر أنامله على خروق الناي المنسوقة ،وراوح بين أنامله ،اختلفت الأصوات وسمع لكل خرق منها صوت لايشبه صاحبه ،فكذلك قطع الأصوات في الحلق والفم اعتمادا على جهات مختلفة ، كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة ،ونظير ذلك أيضا وتر العود ،فان الضارب اذا ضربه وهو مرسل سمعت له صوتا ،فان حصر آخر الوتر ببعض أصابع يسراه ،أدى صوتا آخر ،فان أدناها قليلا سمعت غير الاثنين ،ثم كذلك أدنى أصبعه من أول الوتر تشكلت لك أصداء مختلفة .» [3]

---

[1] - ينظر المرجع نفسه ،إبراهيم أنيس ،ص 17. و عصام نور الدين "الفونتيكا " ،ص 56. وريمون طحان "الألسنية العربية " ،ص 34.

[2] - ينظر " عصام نور الدين "الفونتيكا " ،ص 59.

3 -ابن جني " سر صناعة الإعراب " ،ج1 ،ص9.

لقد اعتبر سيبويه الحلق العضو الأول من الأعضاء الفيزيولوجية للجهاز النطقي لدى الإنسان ،وقسمه إلى ثلاثة أقسام (أقصى الحلق ،وسط الحلق ،وأدنى الحلق) [1] .وظل هذا التقسيم رائجا في الدراسات الصوتية الحديثة والقديمة رغم بعض الاختلاف في توظيف المصطلحات .

د–**اللسان** (La Langue) :

هو أكثر الأعضاء النطقية حركة ،فيتحرك يمينا ويسارا ،إلى فوق والى تحت ،بل يمكن سحبه إلى الخلف وطيّه،كما يمكن إخراجه من الفم .ولأهميته سميت اللغات تبعا له ،فيقال "اللسان العربي واللسان الفرنسي ،ويقصد من وراء ذلك اللغتين العربية والفرنسية وغيرهما من الألسنة وما يقابل ذلك من اللغات(la langue arabe ;la langue française…etc ).وقد قسمه علماء الأصوات إلى أقسام ،وهي [2] :

1-نهاية اللسان (Apex /Pointe de la langue)،ويسمى أيضا بالذولق أو حد اللسان ،وهو رأسه الأمامي.

2- طرف اللسان (Plat de la langue ):وهو الجزء الذي يقابل اللثة ،ويتحرك باتجاه الأسنان ،أو اللثة ،أو الطبق.

3-وسط اللسان ((Milieu de la langue ): وهو الجزء الذي يقابل الحنك الصلب ،أو ما يسمى بوسط الحنك.

4-مؤخرة اللسان ،أو أقصاه (Dos de la langue ):وهو الجزء المقابل للحنك اللين أو ما يسمى بأقصى الحنك.

5-جذر اللسان (Racine de la langue ):ويقوم بدور تغيير شكل التجويف الحلقي وحجمه ،ويستعمل في اللغة العربية لنطق الأصوات اللغوية ( العين والحاء) .

هـ -**الحنك** (Le Palais) :وهو الجزء العلوي المحاذي لسطح اللسان المقابل له ،الممتد من اللهاة إلى منبت الأسنان العليا ،ويقسمه الصوتيون إلى ثلاثة أقسام [3] :

1-مقدم الحنك أو أوله (Alvéole):ويقع خلف الأسنان مباشرة .

---

[1] - سيبويه " الكتاب " ، ج 4 ص 433.

[2] – ينظر عصام نور الدين " الفونتيكا " ،ص 66-67.

[3] - عصام نور الدين " الفونتيكا " ،ص 69. وينظر حنفي بن عيسى ،المرجع السابق الذكر ،ص 113-114.

2-وسط الحنك ،أو الحنك الصلب ،أو الغار ،أو النطع ( Palais Dur) : وهو جزء ثابت يقع بين اللثة والحنك اللين ،أي انه غير متحرك.

3-أقصى الحنك ،أو الحنك اللين ،أو الطبق ( Palais Mou / Voile du Palais) :وهو جزء عضلي متحرك ،يحدد بحركته هذه نوعية الصوت الذي يخرج من الفم أو من الأنف ،لان هذا الجزء يمكن رفعه حتى يتصل بالجانب الخلفي للحلق مما يؤدي إلى إغلاق طريق الهواء المندفع نحو الأنف.الملاحظ ان صاحب "الكتاب" لم يصرح بهذه التسمية للقسم الثالث من أقسام الحنك ،وأما فهمها بعض الدارسين فهما على انه يقصد هذا المخرج دون غيره ،إذ يقول :« ومن أقصى اللسان ،وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف» [1] .وقد سماه بهذه التسمية بعض الذين جاءوا بعد سيبويه ،وهم الذين جعلوا القاف لهوية والكاف أقصى حنكية [2].

و-**التجويف الأنفي**(Cavité Nasale ) :وهو متعلق بجهازي التنفس والنطق ،ويعد ممرا يمر النفس عبره عند النطق ببعض الأصوات كـــ (الميم ،والنون العربيتين ) ،ويستغل الفراغ الأنفي كفراغ رنّان يضخم الأصوات المنطوقة .

**ز–الشفتان** (les Lèvres ) :من الملاحظ ان الشفتين تشبهان اللسان من حيث المرونة ،وتغير الشكل أثناء النطق بالصوت اللغوي ،ومن هنا تتخذ إشكالا متغيرة من إقفال واستدارة وانفتاح ..الخ .وهما من أعضاء النطق المهمة لدى الإنسان ،كثيرتا الحركة ،وتتخذان أوضاعا عدة عند النطق مما يؤثر في صفات الأصوات وأنواعها ،فهما ينفرجان تارة ،ويستديران تارة أخرى ،وينطبقان طورا .وقد يلاحظ ان عادات المتكلمين قد تختلف في استغلال حركة الشفتين ،والانتفاع بهما ،فمن الشعوب من يكثر من حركتهما ،ومنها من يقتصد في ذلك كالعرب .[3]

**ح– الأسنان** (les Dents ) :ولها أيضا دور مهم في نطق أصوات اللغة الإنسانية ،وتنقسم إلى قسمين : 1– أسنان عليا ( les Dents Supérieure ) 2–أسنان سفلى ( les Dents inférieure )

وتتألف من :الثنايا (Incisives Médianes ) ،الرباعيات ( Incisives extérieures ) ،الأنياب أو الضواحك (canines) ،والأضراس (Molaires ).والأسنان من أعضاء النطق

---

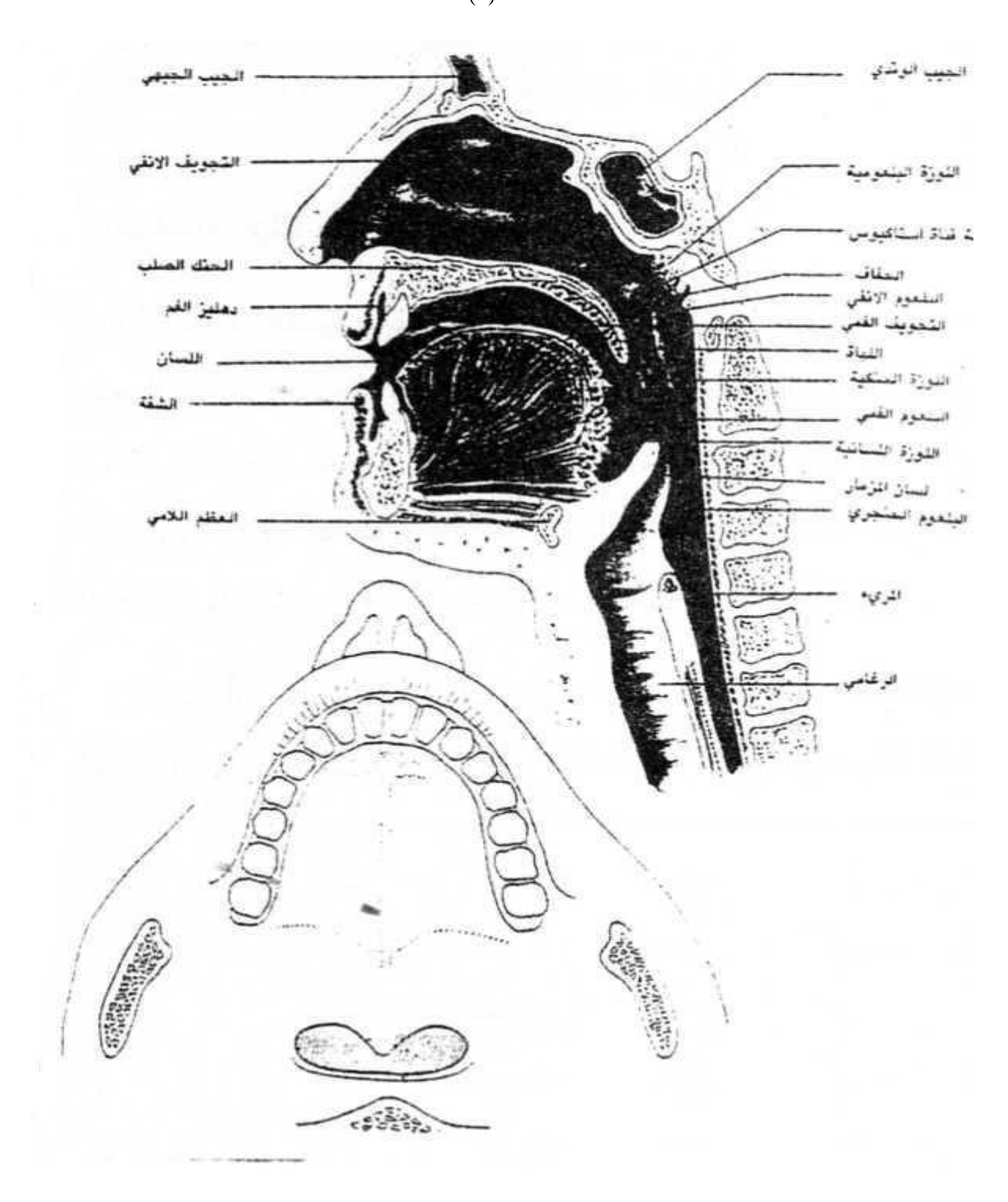
[1] - تمام حسان " مناهج البحث في اللغة " دار الثقافة ،الدار البيضاء ،المغرب (دت) (دط)،ص 124.

[2] - الخليل بن احمد الفراهيدي "العين " تح :مهدي المخزومي ،وإبراهيم السامرائي،دار مكتبة الهلال ،ج1 ،ص 65.

[3] -ينظر عصام نور الدين "الفونتيكا " ،ص 70. ،واحمد حساني " مباحث في اللسانيات "،ص 73.

الثابتة ،ويعتمد عليها اللسان عند نطق (الدال ،والتاء)،وقد تقع الأسنان العليا فوق الشفة السفلى عند نطق ( الفاء) [1]

[2]




---

[1] -ينظر عصام نور الدين :م نفسه ،ص 72 ،وحنفي بن عيسى ،المرجع المذكور سابقا ،ص 116.

[2] - عبد القادر عبد الجليل " الأصوات اللغوية " ،ص 39.

من خلال هذا الوصف التشريحي لجهاز النطق عند الإنسان ،وذكر الأعضاء المسئولة عن إصدار الأصوات اللغوية ،وتصنيفها ،بات لزاما تناول الظاهرة الصوتية من خلال استقبال الأذن لهذه الأصوات والعملية العجيبة التي يضطلع بها الدماغ البشري في فك ترميز هذه الأصوات عن طريق الخلايا العصبية الناقلة لهذا الأثر الصوتي ،ولعل هذا من اهتمامات ،أو اختصاصات الفرع الآخر من علم الأصوات ،ونعني بذلك علم الأصوات السمعي أو الفونتيكا السمعية( la Phonétique Auditive).

## 2-علم الأصوات الإصغائي [1]:

إن التواصل في جوهره يمر بمرحلتين فيزيولوجيتين تشترك فيهما الأعضاء المصوتة التي سبق ذكرها ،وهي المجال الإجرائي لعلم الأصوات النطقي ،بالإضافة إلى مرحلة أخرى ،وهي مرحلة استقبال الصوت اللغوي بواسطة حاسة السمع ،ناهيك عن المرحلة الوسطى أو الرابطة بين الإنتاج والاستقبال ،وهي من اختصاصات علم الأصوات الاكوسنيكي ( la Phonétique Acoustique) وهي مرحلة فيزيائية بحتة ،من حيث انتقال لموجات الصوتية الناقلة للأثر السمعي ،حيث يستقر في الأذن البشرية بأعضائها المتعددة ،لذا لا نولي –في مبحثنا هذا المرحلة الثانية –اهتماما وتفصيلا استنادا الى معطيات هذا البحث ومتطلباته المنهجية .

إن علم الأصوات الاصغائي(السمعي) يعنى « بدراسة الجهاز السمعي ،والعملية السمعية ،أي أنه يختص بدراسة الذبذبات الصوتية ،وتموجات الصوت لحظة استقبالها في أذن المتلقي أو السامع وكيفية هذا الاستقبال ،وتحولـــــــه إلى رسائل مرمـــــزة (l'encodage des messages )

[1] - علم الأصوات الاكوستيكي أو الفونتيكا الاكوستيكية هو المصطلح الذي تعتمده الدراسات الصوتية الحديثة والمعاصرة لهذا الفرع من علم الأصوات العام ،لكنني قد آثرت استعمال هذا المصطلح وتوظيفه في هذا المبحث ،اقتناعا بما ذهب إليه الدكتور مكي درار في هذا الجانب العلمي المعرفي ،مستحسنا استبدال مصطلح علم الأصوات السمعي بعلم الأصوات الاصغائي ،لأننا –كما قال – لا نستقبل الصوت من اجل استقباله فقط ،لان ذلك تحصيل حاصل من وظيفة الأذن ،وإنما نستقبله من اجل تفهمه ،وتحويل الموجات الصوتية الفيزيائية إلى مواقف وقرارات ،ومن هنا أيضا ،يليق بنا ان نطلق على جميع مصطلحات علم الأصوات السمعي ،والانصاتي والاصغائي (علم السمعيات ) ،وفي حالة تخصيص الوظائف ،وتحديدها نسمي هذا الأخير (علم الأصوات التحويلي ،لأننا في هذه المرحلة نقوم بتحويل الظاهرة الفيزيائية من مجرد ذبذبات صوتية إلى مواقف وقرارات إنسانية .

وفرق الدكتور الباحث بين ثلاثة مصطلحات متداخلة في هذه العملية ،وهي (الاستماع ،الإنصات ،والإصغاء )،فالاستماع هو استقبال الصوت بحاسة السمع كيفما كان الاستقبال .أما الإنصات فهو السكوت ،وهو ان المستقبل للصوت يتوقف عن التصويت ...الاستعداد والتفرغ التام للاستقبال الصوتي ،وأما الإصغاء فهو المهم –حسب رأيه-لأنه يعني الميل وترجيح احد الموقفين السابقين .

-ينظر : مكي درار " المجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية" ،ص 141-142.

عبر الأعصـــاب إلى الدماغ .ثم في حـــل هذه الرموز في الدمـــاغ ( décodage des messages )...»[1]

ان علم الأصوات الاصغائي أو السمعي هو من احدث فروع علم الأصوات ،وذلك من خلال اهتماماته ليس بالجانب العضوي من حيث استقبال الأذن للصوت ،والعملية الميكانيكية للجهاز السمعي ووظائفه فحسب ،بل يتعدى هذا الجانب إلى جانب آخر هو من اهتمامات علوم اخرى ،وهو الجانب النفسي (Psychologique )،من حيث الحالة النفسية للمتلقي وهو يلتقط هذه الموجات الصوتية ،ووقعها على أعضاء السمع .

إن المتعقب والدارس للدرس الصوتي الحديث ،يجد ان هذا الفر ع من علم الأصوات لم يلق الاهتمام اللازم مقارنة بالفرع الأول ،ولعل مرد ذلك اهتمامهم بالجانب التصويتي ،أي إنتاج الأصوات من قبل الأعضاء النطقية كـــ« الحنجرة ،الفم ...الخ ،ويهملون في ذلك الجانب السمـــعي ،وهذه الطريقة ليست صحيحة .»[2]

**1-المكونات العضوية للأذن :**

قال الفيلسوف "إيبيكيت ":«إن الطبيعة وهبت الإنسان لسانا واحدا ،ولكنها وهبته أذنين ...والحكمة في ذلك هي أنه يسمع ضعف ما يتكلم . »[3]

إن حاسة السمع حاسة عظيمة عجيبة من حيث دورها وتركيبها ،وقد توصل علماء التشريح إلى حقائق مذهلة تخص الأذن ظلت طي الجهل منذ زمن بعيد ،فهذه الأخيرة هي آلة السمع الوحيدة لدى الإنسان والحيوان ،بفضلها نسمع الصوت ،وندركه،ثم نحوله إلى ردود أفعال وقرارات .لكن الصوت لابد من ان « يكون على قدر من الشدة والتردد حتى تحس به الأذن ،فهناك إذن حد أدنى للسمع ،كما ان هناك حدا أقصى ،بحيث ان الصوت إذا زادت شدته على مقدار معين ،فانه يصبح مؤذيا ومزعجا »[4]

من المفيد ان الباحثين العرب قد توصلوا من خلال أبحاثهم الطويلة إلى نتائج مهمة جدا في هذا الميدان واخص بذلك مجال السمع .فقد اقر عصام نور الدين استنادا إلى البحوث العلمية في

---

[1] - عصام نور الدين ،م نفسه ،ص 153.

[2] -F DE-Sausure ‘cours de linguistique GLE ‘P63

[3] -حنفي بن عيسى ،المرجع السابق الذكر ،ص 89.

[4] - نفسه،ص96.

مجال الفونتيكا السمعية —وهي حقيقة لايعرفها إلا القليل على حد تعبيره–ان الأذن تحفظ توازن الإنسان الداخلي من جهة ،وفي توازنه مع العالم الخارجي والتعرف إليه ،وان لكل أذن وظيفة سمعية تختلف عن الأذن الأخرى ،وفي هذا يقول عصام نور الدين :« إن الإنسان يتعرف جيدا على اللحن إذا سمعه من أذنه اليسرى ووصل مباشرة إلى نصف دماغه الأيمن ،كما يتعرف الإنسان جيدا على الخطاب اذا سمعه من أذنه اليمنى ،وصب مباشرة في نصف دماغه الأيسر ،ويفهم من هذا ،ان الجزء الأيسر من الدماغ يكون تعلم الأنظمة ،والجزء الأيمن من الدماغ مخصص للتعرف إلى الألحان ...وان قراء القرآن الكريم قد تنبهوا إلى دور الأذنين في إنتاج الصوت ،ومده،وخفضه ،وخشونته ،وجهارته ،وصفاته ،فتراهم يضعون أصابعهم أثناء التلاوة على أذانهم ،ويحركون أصابعهم كما يحرك لاعب الناي أصابعه على الناي للتحكم في طول الصوت وصفاته.» [1]

إن البحوث التشريحية للأذن قد أظهرت أنها ليست جسما واحدا ،بل هي مجزأة إلى أقسام ،وأوردها الكثير من الدارسين لعلم الأصوات ،فهي «مقسمة إلى ثلاثة أقسام :الأذن الخارجية ،وتتركب من صيوان وصماخ (...)ويلي هذا الأذن الوسطى التي فيها عظيمات ثلاث صغيرة تسمى عادة بالمطرقة ،السندان ،والركاب ،أما الأذن الداخلية ففيها أعضاء السمع الحقيقية لانتشار ألياف العصب السمعي بأجزائها ،وفي الأذن الداخلية السائل التيهي ،وفيه تنغمس الأعصاب السمعية.» [2]

أ- **الأذن الخارجية** (l'oreille externe ): وتتكون من قسمين رئيسيين ،وهما :الصوان ،والصماخ.

1-**الصوان** ( Pavillon ):وهو ما يظهر للعيان في الجهتين اليمنى واليسرى من رأس كل إنسان عادي ،وهو شبيه بالمقعر الهوائي في شكله ووظيفته ،يقوم بالتقاط التموجات الصوتية وتجميعها وتوجيهها إلى الممر السمعي من بعده ،إذن وظيفته شبيهة بالرادار ،ومحطات استقبال الصوت . [3]
وقد زعم بعض الدارسين والباحثين ان الصوان هو الجزء الثابت والظاهر من الأذن ،وهو ثابت عند الإنسان ،متحرك عند الحيوان [1].لكن على العكس من ذلك ،فقد يكون صوان الأذن

---

[1] - عصام نور الدين "علم الأصوات اللغوية (الفونتيكا) ،ص164-165.،وينظر مكي درار "المجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية " ،ص146

[2] - إبراهيم أنيس"الأصوات اللغوية "ص15

[3] -ينظر مكي درار ،المرجع السابق ،ص 146 ،وينظر أيضا عصام نور الدين ،المرجع السابق ،ص 170

متحركا عند الإنسان،وهذا ما لاحظه باحثون آخرون...« وقد رأيت بأم عيني أذني غير واحد من بني البشر تتحركان تحركا يثير الدهشة ،مما قد يشير إلى مرحلة موغلة في القدم ،كان الإنسان يستعمل أذنيه ويحركهما في كل اتجاه ليلتقط أصوات الحيوانات المفترسة فيتقيها ،وليرصد أصوات الحيوانات الأخرى فيصطادها أو يأسرها ...وليستطيع الاستمرار والعيش .» [2]

2-**الصماخ**(Meatus):ويسمى أيضا "الممر السمعي أو قناة الأذن(Canal Auditif )،وهو شكل اسطواني مفتوح البداية من جهة الصوان ،مغلق النهاية من جهة الطبلة ،طوله حوالي (25سم) وقطره مابين (6 و8 ملم) ،ووظيفته تنحصر في تضخيم الموجات الصوتية التي تصل إليه من ضعفين إلى أربعة أضعاف ،ويساعد شكله الاسطواني على القيام بدور فراغ رنان .تنبت في الممر السمعي بعض الشعيرات ،كما تفرز الغدد الموجودة في جداره مادة شمعية تحمي باطن الأذن من الشـــوائب والمؤثرات من أن تصـــل إلى الأذن الوسطى ،فضلا عن تضخيم الصوت كما أشرنا [3].

ب-**الأذن الوسطى**:هي عبارة عن تجويف صغير يحتوي على ثلاث عظيمات ( Osselets )،هي : المطرقة (Marteau )،والسندان ( Enclume) ،والركاب (Etrier )،تقوم بمضاعفة الصوت الذي تتلقفه من الأذن الخارجية ،فهي حلقة وصل ميكانيكية بين غشاء الطبلة والأذن الداخلية ،وهي(الأذن الوسطى) مؤلفة من ثلاثة أقسام رئيسية ،وهي :

1- **الطبلة** (Tympan):تبدأ بانتهاء صماخ الأذن ،وهي عبارة عن غشاء رقيق ،شفاف ،دائري ،ومرن ،تؤدي وظيفة استقبال الذبذبات الصوتية ،وينتج تذبذبها بواسطة المطرقة ،وقد تتزاح الطبلة عن وضع سكونها بمقدار 0.00000001 سم (أي جزء واحد من مائة مليون من السنتيمتر ) ،وأما اذا كانت الأذن أكثر حساسية من هذا ،فإنها قد تحس بحركات جزيئات الهواء (Molécules).

2-**العظيمات الثلاث** ((les trois Osselets) وهي : المطرقة ( Marteau )،والسندان ( Enclume) ،والركاب (Etrier )،وتتخذ موقعا تتابعيا من الخارج إلى الداخل .

---

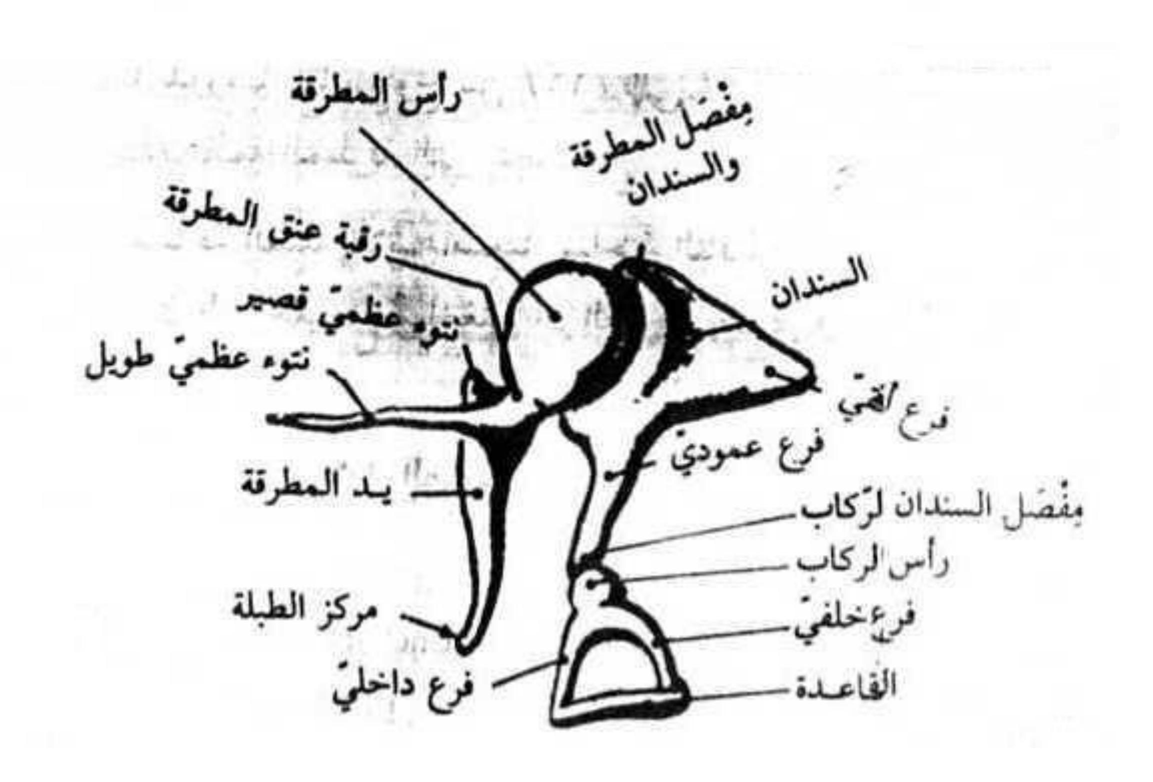
[1] -ينظر احمد حساني "مباحث في اللسانيات " ،ص 75.

[2] - عصام نور الدين "علم الأصوات اللغوية (الفونتيكا) ،ص170

[3] - ينظر :عصام نور الدين ،المرجع نفسه ،ص 171.،ومكي درار ،المرجع السابق ،ص 146.

أما من حيث العملية الميكانيكية لعمل هذه العظيمات الثلاث ،فانه عندما يصل صوت ما إلى الأذن ،فيتذبذب غشاء الطبلة ،فتتحرك يد المطرقة ،فتدق دقات خفيفة على السندان ،فيطرق السندان على الركاب ،فيؤدي الركاب هذه الرسالة الصوتية ذات الطبيعة الحركية إلى الكوة البيضوية التي يملؤها بقاعدته. [1] (ينظر الشكل التوضيحي )

**عظيمات الأذن الداخلية الثلاثة** [2] :




**ج-الأذن الداخلية** :يبدأ دور الأذن الداخلية ،حينما يمر الصوت بالأذن الوسطى ،وتحتوي على أعضاء السمع الحقيقية الثلاث ،وهي القنوات الهلالية ،والقوقعة ،والعصب السمعي .

---

[1] - ينظر :عصام نور الدين ،المرجع السابق ،ص174. ومكي درار ،المرجع السابق ،ص147.،وحنفي بن عيسى ،المرجع السابق ،ص 95.

[2] -عصام نور الدين ،نفسه ،ص 174.

ان القنوات الهلالية تمتلئ بـــــ" السائل التيهي " الذي ينغمس فيه ألياف أعصاب السمع ،وتتحول الموجات الصوتية في هذا السائل إلى موجات كهربائية عصبية ،تنقلها أعضاء الأذن الداخلي ة الى المراكز السمعية في القسم الأيسر من الدماغ ،حيث يجري فك رموزها.

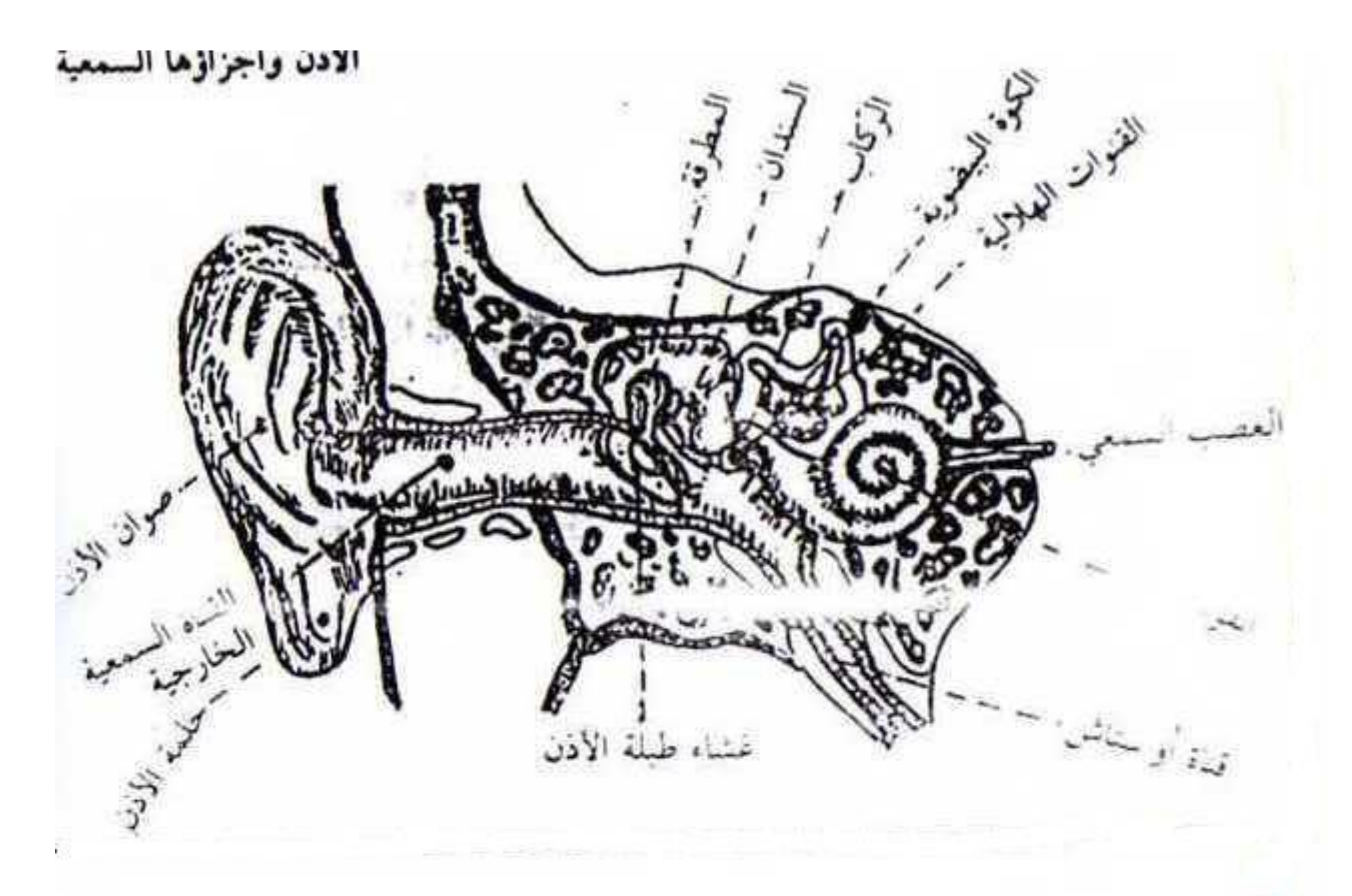
أما القوقعة فهي أهم عضو في الأذن الداخلية ،لان عندها تنتهي عملية التواصل بين المرسل والمرسل إليه أو المستقبل ،وأعظم ما فبها (القوقعة) الشبه في شكلها بالحلزون ( l'escargot )وعضو "كورتي" وهو العضو الذي يقوم يتوصيل المثيرات السمعية إلى الدماغ ،عن طريق العصب السمعي (الذي يتكون من أعمدة متسلسلة في شكل أقواس )،وتنتشر الشعيرات على جانبي أقواس عضو كورتي ،والتي يبلغ عددها / 140،000/في المليمتر الواحد ،علما ان مساحة هذه القوقعة الداخلية هي / 22،5 /مليمتر ا مربعا ،أي ان عدد الشعيرات فيها هو : 22،5 ×140000=3150000 شعيرة أو خلية [1] .

من باب التوضيح والتشبيه .فإذا كانت «مجموع ملامس(les Touches ) البيانو العاد ي "85" ملمسا ،وهي قادرة على أداء جميع التلوينات الصوتية ،وفي المقابل يكون لكل شعيرة من شعيرات القوقعة دور تحاكي ملمسا من ملامس البيانو ،ولنتصور عدد ما يفوق ثلاث ملايين شعيرة ،كل شعيرة تلوينا صوتيا معين ا ،وسيكون مجال الاستقبال والتحويل يعادل (3150000خانة )من خانات الشبكة اللغوية في دماغ الإنسان» [2]

---

[1] - ينظر :عصام نور الدين ،المرجع السابق ،ص177-179. ومكي درار ،المرجع السابق149.

[2] - مكي درار ،المرجع السابق149-150




([1])

من خلال هذا المسح العلمي لميدان علم الأصوات بمختلف فروعه ،واهتماماته،لأننا رأينا انه من المفيد الوقوف على الجانب الفيزيولوجي لعملية نطق الأصوات اللغوية ،ثم سماعها ،لان ذلك من صلب اهتماماتنا في هذا المبحث .فالعملية التواصلية –انطلاقا من سلامة الأعضاء المصوتة والمستقبلة للإنسان —ستؤدي وظيفتها من حيث الإرسال والاستقبال على أكمل وجه ،لكن على العكس من ذلك كله ،اذا أصيبت هذه الأعضاء بخلل عضوي مع مراعاة الجانب النفسي على مستوى استقبال المتلقي للأصوات ،فان ذلك حتما سيؤثر سلبا على التلفظ بالرسالة الصوتية ،ومن ثم في استقبالها .

بات من المألوف والشائع أيضا ان هذه العوائق العضوية والنفسية أصبحت محل اهتمام واستقطاب ودراسة من قبل العديد من الدارسين وفي تخصصات كثيرة حديثة كعلم النفس العصبي ( Neuropsychologie )وعلم الاجتماع والطب واللسانيات الانتروبولوجية واللسانيات العصبية(Neurolinguistique )والبيولوجية...الخ،فحاولت هذه الأبحاث ان تؤسس لهذا النوع

[1] - عصام نور الدين :م نفسه ، ص158.

من الأمراض ،وتقدم –في أحيان كثيرة–تفسيرات علمية مقنعة ،مقترحة جملة من الاقتراحات وأصناف شتى من أنواع العلاج .

**أنواع الأمراض اللغوية :**

يجب أن نميز في البداية بين نوعين من الاضطراب ،الاضطراب اللغوي هو اضطراب يمس اللغة ذاتها ،أي طريقة التعبير التي يعتمدها المتكلم في الإفصاح والبيان ،و اضطراب في فهم هذه الرموز اللغوية ،وهذا النوع من الاضطراب ينعت في الدراسات النفسية اللسانية بـــــ" الاضطرابات اللغوية (Troubles du langage).أما الاضطرابات التي تلحق العملية التلفظية أي على مستوى نطق الشخص للكلمات والملفوظات ،تنعت بـــ" الاضطرابات الكلامية أو النطقية "( Troubles Articulatoire) أو (Désordres Articulatoire )،ولكن رغم هذه المحاولة للتحديد ،وتعيين الخطوط الفاصلة بين هذين النوعين من الاضطرابات ،إلا أننا أمام كم من الآراء والرؤى النفسية واللسانية حول التمييز بينهما ،ومع ذلك مازالت هناك « خلافات قائمة بين الباحثين في التمييز بين اضطرابات اللغة واضطرابات الكلام .» [1] وتقر العديد من الأبحاث المتخصصة ان هذه الظاهرة تنجم عن عوامل وأسباب شتى ،ومنها:

**1- الأسباب العضوية :**

أ –**على مستوى النطق**( l'articulation ):لقد أثبتت الدراسات اللغوية والنفسية والطبية ،ان ظاهرة الأمراض اللغوية ،يرجع سببها إلى خلل ما قد يصيب الأعضاء الخاصة بالتصويت او الاستقبال ،جاعلين التشخيص ( Diagnostic )لهذه الظاهرة سبيلهم ،ومحاولين إيجاد الحلول العلاجية لها ،ولا يقتصر هذا البحث على جهاز النطق فحسب ،بل يتعدى ذلك إلى جهاز الاستقبال ،وما قد يصيب الأذن من أمراض تعيق عملية التواصل ،لان أي تشوه او تلف قد يصيب الجهازين ( التصويت أو الاستقبال ) أو التشوه في أي عضو من الأعضاء ،أو نقص في القدرات العقلية ،كل ذلك قد يعرض هذه الأعضاء إلى خلل في تأدية وظائفها ،مما يسبب عيبا في عملية النطق للأصوات اللغوية ويرجع كل ذلك–كما اشرنا– إلى ما « قد يصيب بعض أجهزة الإنسان التي لها علاقة باللغة من اضطراب أو تلف أو تشويه يعطله عن تأدية وظيفته في إصدار

[1] –جمعة سيد يوسف ،المرجع المذكور سابقا ،ص 174.

الكلام أو في استقباله .فقد يولد بعض الأطفال صما بكما ،وقد يولد بعضهم بعيوب لها صلة بأعضاء النطق أو السمع مثل شق في الحلق ،أو قصر في اللسان ،أو انسداد في الأذن الداخلية أو الوسطى أو غير ذلك ،وقد تحدث لهم في أثناء الحياة إصابات تعوقهم عن أداء الكلام صورة طبيعية .» [1] ولقد توصلت العديد من الدراسات التشريحية التي أجريت على الأطفال المصابين بهذا الخلل إلى نتائج هامة وتتمثل في العلاقة بين الخلايا العصبية والإنتاج الغوي وتطوره ،ومن هنا فان « تطور اللغة يعتمد على الجهاز العصبي ،وأي إجراء من شانه ان يجعل الطفل ناطقا لا جدوى منه مادام الجهاز العصبي مصابا ...ان الطفل السليم يستطيع فهم اللغة المنطوقة قبل إمكانيته للتكلم ،وقدم "اينشتاين Einstein لوالديه الأسباب المحيرة والمقلقة بخصوص موضوع تطوره العقلي ،لأنه كان متأخرا جدا من حيث الكـــــلام ،وهو في السن الرابعة ،فقد كان لا يتكلم بطلاقة في العام التاسع من عمره .» [2]

بات واضحا ان الجهاز العصبي بتركيبته العجيبة وخلاياه البليونية ، هو المحرك الاساس لجسم الإنسان بكامله ،ليس فقط على مستوى الكلام أو اللغة ،بل كل العمليات السيكولوجية من إدراك وتفكير وغيرهما وما يثبت ذلك ان علماء التشريح ،وأطباء المخ والأعصاب بالاشتراك مع علماء اللغة ،قد « بينوا ان أي تلف في منطقة "بروكا ( Broca) يحدث خللا في النطق والتراكيب النحوية ،أما اذا أصيبت منطقة " فرنيكا "wernicke ،فلا تتأثر طلاقة المريض الشفوية ،ولكنه يجد صعوبة في العثور على الكلمات المناسبة للمواقف المختلفة ،وفي الكتابة أيضا ،كما يعسر عليه فهم ما يسمع أو يقرأ.» [3]

وإن كثيرا ممن يعانون من هذا المشكل اللغوي خاصة بالنسبة للأطفال ،توعز الدراسات عوامل دلك إلى أن الطفل قد تعرض لإصابة على مستوى الدماغ أو ان ولادته لم تكن طبيعية من حيث « نقص في الأوكسجين بعد الولادة مباشرة ،أو حادث التهابي أو ندوبي بعد الولادة ... » [4]

---

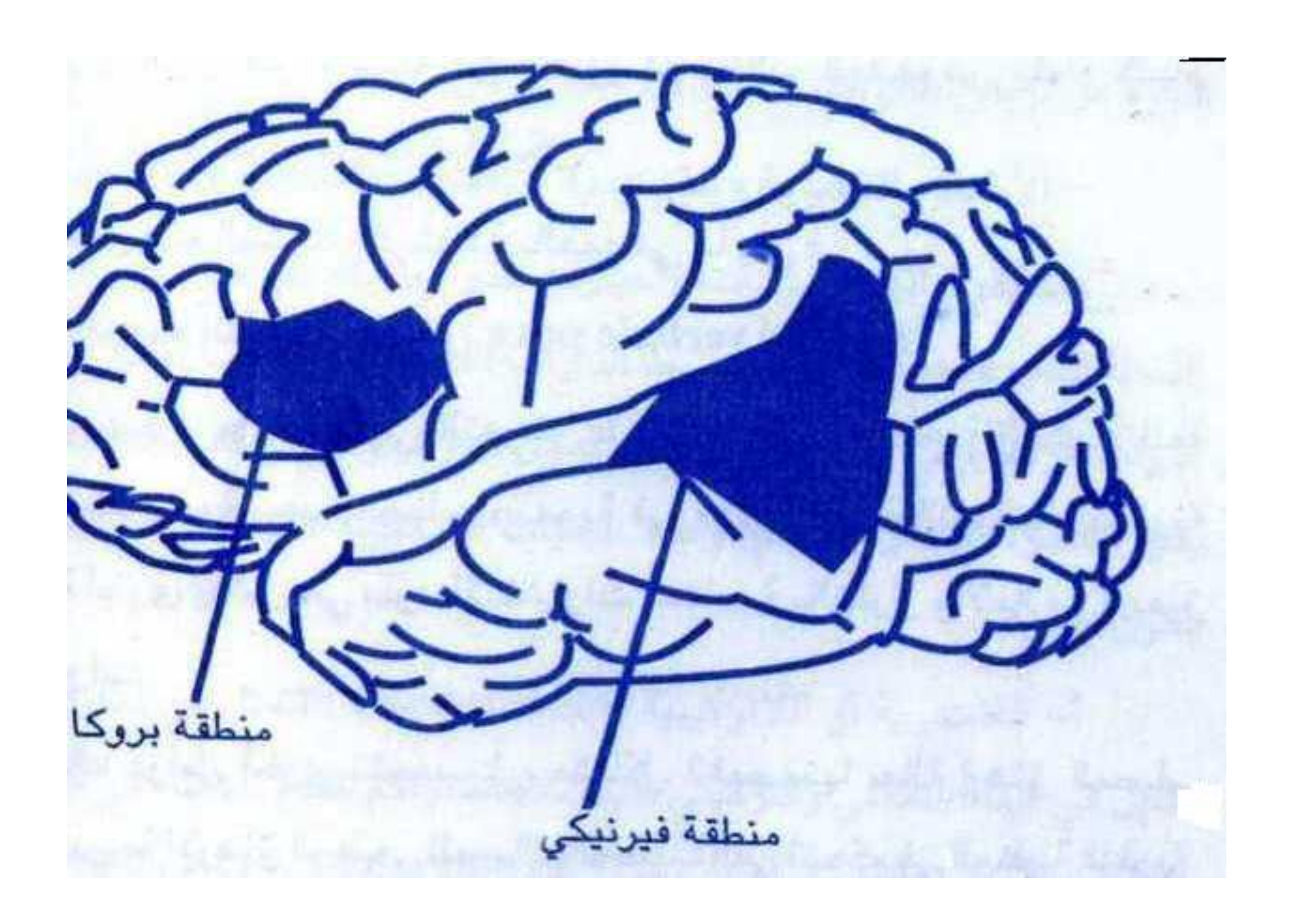
[1] - عاطف مدكور " علم اللغة بين القديم والحديث" ،د مشق ،مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية ،(دط) ،1987 ،ص 78.

[2]- R.S ILLINGWORTH " Développement psychomoteur de l'enfant " ;P241
.-

[3] - عاطف مدكور ،المرجع نفسه ،ص 78.79.

[4] - ديدييه بورو " اضطرابات اللغة " ،تر انطوان إ.الهاشم ،منشورات عويدات ،بيروت ،لبنان ،ط 2000،ص 94.

الشكل الموضح للمناطق المسؤولة عن اللغة على مستوى الدماغ[1]




إن اللسانيات كعلم قائم بذاته لم تكن بمعزل عن هذه التطورات الخطيرة التي تصيب ميدانها الإجرائي ،واقصد بذلك اللغة من حيث النطق والسمع ،فجاءت اللسانيات البيولوجية كفرع حديث للسانيات ،من جراء التواؤم بين الدراسات اللغوية وعلم البيولوجيا ( Biologie )،فأكدت الأبحاث في هذا الميدان ان الطاقة البيولوجية اللغوية ،تخضع إلى النضج الدماغي ،وذلك

لكي تكون مهيأة لتلقف البنية اللغوية أيا كان نوعها وشكلها ،فالطفل –في منظورها مبرمج في دماغه بيولوجيا لان يكتسب اللغة ويتعلمها ،لان البرمجة اللسانية القادرة على التحويل والتوليد

[1] ـ محمدحولة " الارطفونيا علم اضطرابات اللغة والكلام والصوت " ،دار هومة ،الجزائر ،ص60.

اللغويين في دماغ الطفل ليست متعلقة بلغة معينة من لغات العالم ،بل إنها شكل تجريدي فطري محض . [1] ، ولعل القول يحيلنا إلى قضية أخرى ،وهي دور البيئة اللغوية في الاكتساب اللغوي ،فالطفل العربي باعتباره مبرمجا لتكلم اللغة بشكل فطري ،يمكنه ان يتكلم اللغة الانجليزية مثلا أو غيرها من اللغات البشرية ااحرى اذا نشا في بيئة انجليزية أو فرنسية أو غيرهما.

من هنا لقد تمكنت اللسانيات البيولوجية من التقرب إلى هذه الظاهرة ،والتعرف على الأعراض (les symptômes ) الخاصة ببعض الأمراض الدماغية ،وهذا اعتمادا على الحقل التجريبي ،فأحصت أهم العوامل التي تسبب الاختلال الدماغي ومن أهمها : « تعطل الوظيفة القائمة بين تنظيم الألياف الدماغية ،مما يؤدي إلى افتقاد المرء للكثير من الكلمات التي يود قولها ،وتجعله غير قادر على التكلم ،على ان هذا العطل الدماغي من جهة أخرى لا يؤثر على الإدراك والفهم اللغويين .» [2]

إن هذه الاضطرابات تبدو بصورة واضحة عندما تصاب أعضاء النطق بخلل ما أو عيب في الجهاز السمعي ،كان يكون على مستوى الحنجرة ،أو المسالك السمعية العصبية ،أو اضطرابات تكوينية ،أو إصابة الحلق والأنف ،أو عدم تناسب الفكين (السفلي والعلوي) ،أو عيوب في اللسان الذي يؤدي إلى تضخم الصوت وخشونته ،فقد شاع « علاج بعض اضطرابات النطق عن طريق قطع رباط اللسان ،فعندما يوثق هذا الرباط جذب اللسان إلى أسفل ،فانه يصعب عليه التحرك إلى أعلى ،وبالتالي لا يستطيع الطفل نطق أصوات مثل (ل،ر ) وغيرها من الأصوات التي تلفظ من أعلى اتجاه سقف الحلق ،أو منابت الأسنان .» [3] .وقد يظن البعض ان العملية النطقية ،وما يصاحبها من تلوينات صوتية لاعمل للأسنان فيها ،فقد ثبت علميا وتجريبيا ان الأسنان تقوم بعمل هام في إصدار الأصوات ،وقد يصاب الفرد بخلل لغوي ،ومرجعه في ذلك إلى شكل الأسنان ،فهي مخارج لبعض الأصوات ،فسقوط الأسنان الأمامية مثلا يصاحب باضطرابات نطق.«فالأسنان بالرغم من ثباتها ،فإنها تضطلع بدور مهم في بناء معالم البنية الصوتية وتعديد أشكالها ،خصوصا في

بعض الأصوات التي يتكأ اللسان عليها في صياغته النهائية كالدال والتاء مثلا أو في إنتاج الفاء حين تضغط الأسنان العليا على الشفة السفلى ،مع فراغ لخروج هواء تلوين الفاء.وتؤثر الأسنان

[1] - ينظر مازن الوعر "قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث " ،ص 328.

[2] - مازن الوعر" م نفسه ،ص 325.

[3] - نبيل عبد الهادي وآخران " تطور اللغة عند الطفل "،ص 106.

كذلك في الكمية الاندفاعية لهواء الرئتين حيث تضغطه إلى نسب متفاوتة من الانسياب أو التوقف أو الحر من حركتها بمساعدة اللسان .» [1] وللجاحظ في ذلك رأي طريف:«قد صحت التجربة وقامت العبرة على ان سقوط جميع الأسنان أصلح في الإبانة عن الحروف ،منه إذا سقط أكثرها ،وخالف أحد شطريها الشطر الآخر. » [2] ،ثم يردف قائلا : « وقال أهل التجربة :اذا كان في اللـــحم الذي فيه مغارز الأسنان تشمير وقصـــر سمك(أي ارتفاع) ،ذهبت الحروف وفســـد البيان . » [3]

هذا فإن أصاب اللهاة ( luette ) عيب أو اضطراب اثر ذلك جليا على درجة الصوت ،وتأخذ الإصابات التي تصيب اللهاة أشكال عدة ،تظهر في طولها وتضخمها أو انشقاقها ،ونمن شان هذا ان يصيب –كما قلت– الصوت بصورة بارزة [4]

**ب–على مستوى السمع** ( l'audition ):

قال ابن خلدون :"والسمع أبو الملكات اللسانية "فإذا كنا بصدد تحديد الوظائف الفيزيولوجية التي تشارك في نطق الصوت ،ثم استقباله ،فمن باب أولى تخصيص مبحث خاص بالجانب السمعي ،وما قد يعتري جهاز الاستقبال عند الإنسان من خلل أو مرض يؤثر على الجانب اللغوي ،فقد يكون المرض اللغوي لصيقا بمدى استقبال الأصوات اللغوية ،ومن ثم ترجمتها على مستوى الدماغ والخلايا العصبية ،انطلاقا من ذلك ،فان الاضطرابات اللغوية تتنوع وتختلف من طفل لآخر تبعا لنسبة الإصابة السمعية ،فهناك من أصيب بفقدان السمع فاضحي أصما في مرحلة مبكرة من عمره ،وفي مقابل ذلك من الأطفال الذي فقدوا هذه الحاسة الهامة في ظروف مرضية أو صدمات نفسية فأصبحوا مصابين بالصمم .

وقد بينت العديد من البحوث ان الاختلافات في القدرة اللغوية ( Performance ) بين الطفل الذي حرمته الطبيعة من حاسة السمع منذ الولادة ،وبين الطفل الذي فقد السمع بعد اكتسابه للغة

---

[1] - عبد القادر عبد الجليل " الأصوات اللغوية " ،دار صفاء ،عمان الأردن ،ط1 ،1998 ،ص 41.

[2] -الجاحظ "البيان والتبيين " ،ص 61.

[3] -الجاحظ ، نفسه ،ص 61.

[4] -ينظر أحمد عبد المجيد هريدي " الألعاب اللسانية ،دراسة صوتية تركيبية " جمع ودراسة ،الشركة الدولية للطباعة ،القاهرة ،ط1 ،1999 ،ص 64.

( Acquisation du langage).ومن النتائج المحققة في هذا المجال ،وتأثيراتها على الاكتساب اللغوي ،واحتمال ظهور الأعراض المرضية اللغوية ان عتبة السمع الدنيا والعليا ( Seuil de l'audition )محددة و«تتراوح بحد أدنى (16دور/ثا) ،وحد أقصى ( 16000/دور /ثا)،وإذا تجاوز الصوت هذين الحدين ،فان حساسية الأذن تكاد تنعدم .» [1] .ومن مظاهر ضعف السمع العضوي ،ضعف السمع الطرفي التوصيلي ،وتكون فيه الإصابة في الأذن الخارجية ،غشاء الطبلة ،الأذن وسطى .أما الحسي العصبي فتكون الإصابة في الأذن الداخلية ،العصب السمعي ...،ومن هنا فالتصنيف المعتمد من قبل العلماء لأنواع الحبسات (les Aphasies )قد راعى مستوى الإصابة أو الخلل ،مع تحديد موقعيتها بالنسبة للأعضا ء النطقية ،أو على مستوى الجهاز اللاقط أو المستقبل ،وانعكاساتها السلبية على الاكتساب اللغوي عند الطفل ،وإمكانية ظهور نوع من أنواع الاضطرابات اللغوية ،ومنها ما نحن بصدده (الجهاز السمعي ) ،وتحديدا حبسات الاستقبال ( les Aphasies Réceptives )،وتتعلق بالناحية الحسية أي بتلقي الكلام.واهم أشكالها الصمم اللفظي (surdité verbale ) وهو تعذر فهم الكلام المسموع ...والعمى اللفظي ( cécité verbale )وهو تعذر فهم الكلام المكتوب [2]،وهذا النوع من الحبسات سنقف عند أهم خصائصه لاحقا.

2- **الأسباب الوراثية** (Génétique/ Héréditaire):

بات من المؤكد ان العامل الوراثي عنصر مهم في ظهور الاضطرابات اللغوية عند الفرد ،،بدليل وجود الكثير من العوامل التي تحدث خللا واضحا في عمل المخ ،فبعضها« موروث ،كالعيوب الجسدية التي يولد عليها الطفل ،وبعضها الآخر يتعلق بنوع الأمشاج (Gamètes)،وبالظروف المحيطة بالجنين...»[3]، لأنه من المعلوم وحسب المعطيات الطبية المتخصصة في علم الوراثة ان الجنين يتلقى الكثير من المكونات النفسية والفيزيولوجية والعديد من السلوكات من المورثات العائلية ،وخاصة من الأم والأب ،وأثبتت الدراسات العلمية في هذا

الميدان ان "فرانسيس قالتن ( Francis Galton » ويعد من الأوائل في دراسة الجانب الوراثي للذكاء(l'intelligence )،من خلال ملاحظته ل977 شخصا ان من بينهم 535 متفوقون في

---

[1] -حنفي بن عيسى،المرجع السابق،ص 96.

[2] -ينظر المرجع نفسه ،ص 275.

[3] - نفسه ،ص 267.

عائلاتهم ،وفي المقابل 04 من 977 هم أشخاص عاديون ،وقد لاحظ أيضا ان التأخر العقلي قد يمس الأطفال الذين يعيشون في حالات التبني ( l'adoption ) ،فضـــــلا عن العائلات الفقيرة مقارنة بالأغنياء » [1] .قد يبدو من نتائج هذه الملاحظة ان العامل الوراثي عامل أساسي في انتقال هذه الاضطرابات وحتى الأمراض العقلية إلى الطفل عن طريق الجينات ،لكن ما نراه قاسيا من حيث هذا الحكم ،هو ان الأطفال الذين يولدون في بيئات فقيرة يكونوا أكثر عرضة لمثل هذه الأمراض،في حين أثبتت الدراسات السوسيو-لسانية ان سوء التغذية ( Malnutrition )للام الحامل يمكن ان يخرب عقل الجنين ،أي ينقص معدل الخلايا العصبية والليبيدات ( les lipides )،وقد بينت الدراسات التجريبية ان مثل هذه الحالات تؤثر حتى على سلوك الطفل مستقبلا وعلى تطوره اللغوي ،علما ان الدماغ البشري يبدأ مع نهاية الفصل الثاني وينتهي في حدود 18الى 24 شهرا بعد الولادة ،ومن هنا يمكن ان نتصور مدى حساسية المخيخ ( cervelet )بعامل سوء التغذية مقارنة بالأجزاء الأخرى للدماغ ،وقد يلحق الأمر نفسه بالنسبة للمولود التوأم (احدهما على حساب الآخر من جراء سوء التغذية .[2]،وما يؤكد هذا المنحى الذي نحن بصدده ،ان البحوث اللغوية العديدة أثبتت ان هناك استعدادا قويا لظهور المرض الغوي خلال أجيال« متعاقبة تنتمي إلى أسرة واحدة من نسل واحد ،وربما هذه ما جعل الباحثين يعتقدون ان العامل الوراثي هو عامل فعال في عملية التأتأة ،أكثر تأثيرا وفاعلية من العامل الاجتماعي ،رغم ان الباحثين لم يكتشفوا أي خلل عضوي في الجهاز النطقي عند المتأتئين ،فقد اثبتوا انه ليس هناك اختلاف كبير بين الجهاز النطقي عند المتأتئين وغير المتأتئين.» [3].انطلاقا من هذه الحقائق العلمية ،هل يجوز لنا ان نتكلم عن الأطفال الذين يعنون من مثل هذه الاضطرابات التلفظية النطقية ،ويمكن إرجاع أسبابها إلى العامل الأسري ،أو إلى تعامل الأب والأم بشكل خاص مع الطفل خاصة اذا كان احدهما يعاني من نفس المشكل ،فالأطفال « الذين يفتقدون بعض المهارات المطلوبة للقراءة مثل سماع الأصوات

المميزة والمفصلة للكلمات ،من المحتمل ان يكون احد الآباء يعاني من مشكلة مماثلة ...ان الآباء الذين يعانون من اضطراب التعبير اللغوي تكون قدرتهم على التحدث مع أبنائهم اقل ،او تكون

---

[1] - R.S ILLINGWORTH " Développement psychomoteur de l'enfant " ;P37

[2]- R.S ILLINGWORTH " Développement psychomoteur de l'enfant " ;P 39-40.

[3] -مازن الوعر ،المرجع السابق ،ص 537-538

اللغة التي يستعملوها مشوهة وغير مفهومة ،في هذه الحالة فان الطفل يفتقد النموذج الجيد والصالح للاكتساب اللغوي ،ولذلك يبدو كأنه يعاني من إعاقة أو اضطراب ..» [1]

## 3-الأسباب البيئية والاجتماعية( F-Sociaux ):

إذا كان من غير الممكن الإحاطة بكل الجوانب التي تتعلق بظاهرة الأمراض اللغوية وتحديد العوامل الكامنة وراءها ،فاني ارتاتيت ان اقرب هذه الأسباب المختلفة قدر المكان دون الغوص في حيثياتها .وعلى هذا ،فان البيئة التي ينشا فيها الطفل مثلما تساعده على تكوين شخصيته ،واكتساب لغته ،فان على نقيض ذلك تؤثر فيه سلبا من ناحية تجسيد الأصوات اللغوية نطقا وتواصلا .وعل هذا الأساس فان أول ما يكتسبه الطفل في تخاطباته اليومية وتواصلاته مع غيره هو اللهجة (Dialecte ) بكل ما يشويها من إبدال وتحريف لمخرج الأصوات اللغوية من بيئة لغوية إلى أخرى ،فضلا عن دور العائلة ،واخص بالذكر الأم التي تتابع نطق الطفل للأصوات في بداية تعامله اللغوي ،فإذا سمعت وليدها ينطق الصوت على غير العادة ،تراها تصحح هذه الأخطاء بطرقها الخاصة ،حتى يستقيم لسانه ،ولكن أين نحن من هذه المفروضات ؟،وذلك يعود الى أسباب ليست من صميم بحثنا ،بل يتشعب البحث فيها كثيرا .لقد« لاحظ "براون و كازدن وبليقي ( Brown ,Cazden et Bellugi)ان الأولياء لا يهتمون بالطريقة التي يعبر بها الطفل ،وفي بعض الحالات يظل كلامه غير مفهوم ،ومن الحلات النادرة للتصحيح الكلامي لدى الطفل :

الطفل :أحد لا يحب أنا

الأم :لا ،قل " لاأحد يحبني .

الطفل :أحد لا يحب أنا .

الأم :لا ،اسمع جيدا ،قل " لا أحد يحبني .

الطفل :آه ! لا لا يحب أنا .» [2]

أيا كان الأمر ،فانه لم يعد مشكوكا لدى احد من الدارسين والباحثين وعلماء النفس ،وخاصة علماء الاجتماع بان البيئة والمحيط الاجتماعيين لهما قسط وافر في الاكتساب اللغوي من جهة وما

[1] - نبيل عبد الهادي وآخران " تطور اللغة عند الطفل "،ص162

[2]- ERNEST R .HILGARD et Autres " Introduction à la psychologie " ;P306

قد يتعرض له الفرد من اختلالات لغوية ،تعيق تواصله مع أبناء جلدته ،فنحن إذن« مدينون للمجتمع ،فلا فكر ولا لغة ،بل ولاشعور ولا وجدان بدون مجتمع» [1]

إن العزلة التي قد يتعرض لها الطفل خاصة في بداية مشواره اللغوي ،قد تؤثر سلبا على محصلته اللغوية ،بل يقصى من حقه في التصويبات النطقية اللغوية التي يضطلع بها الأولياء خاصة قبل المدرسة ،ومن هنا فان عزل « الآباء لبنائهم وفصلهم عن أبناء الجيران خوفا من إفسادهم ،وتعلمهم أشياء مستقبحة ،كان سجنا لا لأبدانهم فحسب ،بل للعقول أيضا ،وخاصة في اللغة ،وهذا الحبس يؤدي الى تأخر النمو اللغوي السوي .» [2] ،ومما يروى في هذا المجال ،وتأكيدا على الدور البيئي والاجتماعي ،ان الإنسان اذا مورس عليه الاحتجا ز(Séquestration )،والعزل عن المجتمع ،فانه حتما سيتجرد من ثوب الإنسانية .ان «بنتين عثر عليهما احد المبشرين في بلاد الهند ،وهما تعيشان في وئام تام مع مجموعة من الذئاب ،ولعل السبب في ذلك ان الذئاب في بلاد الهند اقل شراسة مما هي في البلاد الأخرى.و لم تعمر الصغرى طويلا .أما الكبرى ،واسمها "كامالا"(Kamala) فقد ظلت على قيد الحياة تسع سنوات ،و لم تتأنس إلا بمشقة ،لأنها اكتسبت كثيرا من عادات الذئاب ،ولا تنبس ببنت شفة ،وكانت تجري بمنتهى السرعة ،على أربع ،وتعوي ،ولا تند عنها أية إشارة تنم عن عاطفة ...ولكم رأينا من شبان يتلعثم بهم اللسان ،ويخونهم البيان ،كلما أرادوا الإفصاح عن ذات أنفسهم .وما ذلك إلا نتيـــجة التربية السيئة التي تلقوها في الصغر» [3]

يجب الإشارة إلى نقطة احسبها مهمة ،ولكنها مهملة –في نظر الباحث – وهي قضية الطلاق بين الزوجين ،خاصة في الفترة المبكرة جدا من عمر الطفل ،مما تفتح المجال واسعا لظهور أمراض لغوية ،قد لا يتفطن لها الأولياء في البداية ،وكان من المكن معالجتها في البداية ،لكن بفعل هذا العزل النفسي للطفل ،يتأخر نموه ،وتزداد احتمالات إصابته بهذه الأعراض النطقية ،وهذا راجع إلى أسباب نفسية بحتة .في هذه الفكرة تحديدا ،ومن خلال البحوث التجريبية على السلوك

الحيواني التي تتفق في كثير من النقاط مع سلوك الطفل .هذه التجارب «مست 'الفئران ،القطط ،الماعز ،والغنم والقردة " تبين ان التفريق أو عزل الصغير عن أمه من الولادة له التأثير الكبير على

---

[1] -حنفي بن عيسى ،المرجع السابق ،ص 261.

[2] - م نفسه،ص 287.

[3] - نفسه ،ص 263.-264

نمو الحيوان طول حياته ،حتى ولو ارجع الصغير إلى أمه بعد عدة ساعات أو أيام ،ان الأم (الحيوانية) لن تقبل هذا الصغير ،بل ترميه وتتخلى عنه حتى إذا أعيد لها بعد مدة وجيزة بعد هذه القطيعة .» [1]

**الأسباب النفسية الوجدانية :**

لا يمكن بداية ان نجزم بان أمراض النطق والكلام ،تعود بالأساس إلى العوامل( Facteurs ) السابقة ،بل ان العامل النفسي والوجداني طرف فاعل في هذه اللعبة ان شئنا ،فالطفل حينما يلاحظ ان طريقته في التعبير والكلام تختلف عن الآخرين سيشعر بصعوبة في التكيف مع بيئته ،مما يزيد في استفحال هذه الظاهرة لديه ،وربما قد يتعمد الطفل في بداية كلامه ان يحدث اضطرابا في العملية النطقية لدية لأسباب نفسية كأن يلفت انتباه الآخرين ،أو لمجرد المزاح مع الآخرين ،لكن سرعان ما تتحول هذه العادة إلى طبيعة من الصعب على الطفل الرجوع إلى الحالة الاعتيادية الطبيعية ،ومن الأسباب النفسية التي « تؤدي إلى اضطراب الكلام حالات الفزع والقلق الشديدين ،وحالات المخاوف المرضية كما في حالة الخوف المرضي من الكلام ،حيث يخاف الفرد المريض من الكلام ودون مبرر لذلك ،ويكون لذلك عوامل نفسية أو صدمات وجدانية حادة ،أو حالات هستيرية أين يفقد المريض القدرة على النطق والكلام مع سلامة الجهاز العضو ي للكلام ،وهناك حالات الاكتئاب الشديد ،وضعف الثقة بالنفس ...» [2]

ان ما ذكرناه سابقا ينطوي تحت ما أصبح معروفا في الدراسات والأبحاث اللسانية النفسية بالاضطرابات اللغوية الناجمة سواء إلى العوامل العضوية ،أي الخلل الذي قد يصيب احد الأعضاء المصوتة لدى الإنسان أو العوامل الوظيفية التي تخرج عن نطاق الجانب الفيزيولوجي إلى العلل الوظيفية .فالمصاب « لا يشكو أي نقص عضوي في الجهاز الكلامي أو السمعي ،وكل ما هنالك

ان قدرة الفرد على التعبير تتأثر بعوامل غير عضوية تسبب له اضطرابات عدة تختلف من حيث نوعها وشدتها وفقا لمدى قوة هذه العوامل وتأثيرها في الفرد . » [3]

---

[1] - ERNEST R .HILGARD et Autres " Introduction à la psychologie " ;P61..

[2] - فيصل محمد خير الزراد " اللغة واضطرابات النطق والكلام " ،ص 149.

[3] -جمعة سيد يوسف ،المرجع السابق الذكر ،ص 175.

**أشكال الأمراض اللغوية :**

إن الاضطرابات اللغوية ،ما هي –حسب علمنا –إلا تباينات صوتية ،أو بالأحرى عيوب بيانية صوتية ،والتراث العربي زاخر منذ العصر الجاهلي بمثل هذه المسائل التي تصف اللغة البشرية وفقا لمستوياتها اللسانية ،وبخاصة الجانب الصوتي « ان لأمراض الكلام وعيوبه في تراثنا العربي رصيدا وفيرا من الأوصاف والألقاب ترد في مصنفات "خلق الإنسان" مثل كتاب الأصمعي (215ه) ،وغيره ونجد اكبر قدر منها عند ابن سيده الأندلسي ( 458ه) في كتابه "خلق الإنسان " الذي هو قسم من أقسام كتابه"المخصص " ،ونجد بعضا من تلك الأوصاف والألقاب عند من ألفوا في الفصاحة والبيان كالجاحظ (255ه) وفي الأدب واللغة كالمبرد ( 286ه) ،والراغب الاصبهاني (502ه) ،ونجد العيوب إما في النطق أو في آلة النطق .» [1] . فإذا كان اللغة أصوات كما قال ابن جني ،فالأمراض اللغوية منبعها الصوت ،والخلل في نطق الأصوات وتوظيفها ،وعكسه البيان اللغوي من الإفصاح والإظهار عما يريد المتكلم قوله أو تبليغه إلى طرف مستقبل .ومن العلماء العرب من يقرن بين البيان والعيّ،وهذا –حسب رأينا –مذهب حسن وطرح علمي ،لأنه إذا تعذر على الفرد ان يبين ويفصح في كلامه ،وتواصلاته مع الآخرين ،فهو خليق بان يوصف بهذه الصفة وهي العيّ ،قال الجاحظ في هذه الشأن :« وقالوا :البيان بصر والعيّ عمى ،كما ان العلم بصر والجهل عمى .والبيان من نتاج العلم ،والعيّ من نتاج الجهل .» [2]

لقد تناول العرب قديما هذه الظاهرة اللغوية فعرفوا « العيّ والحصر اللذين هما ضد البيان ،وعابوا من يعيّ في منطقه ووصفوه بالعيّ أو العييّ ،وسموا من يتردد في التاء التمتام ،ومن يتردد في الفاء الفأفأة ،...ووصفوا التواء اللسان عند إرادة الكلام سموها بالعقلة وصفة تعذر الكلام عند إرادته هي الحبسة وهي اشد من العقلة » [3]

لقد تبوأت اللسانيات العصبية (Neurolinguistique ) شأوا بعيدا من خلال معالجاتها العلمية التي انصبت على الدماغ ،فحدد الباحثون في هذا المجال مناطق لكلام في قشرة الدماغ ،وارجعوا العملية الكلامية إلى سائل عصبي يمتد في كل الأنحاء ،عبر الشبكات العصبية ،وتطورت هذه الأبحاث إلى دراسة الاضطرابات المخية ومحاولة ربطها بقضايا اللغة ،ومنها الحبسة أو الأفازيا

---

[1] –احمد عبد المجيد هريدي ،المرجع السابق ،ص 58.

[2] -الجاحظ "البيان والتبيين " ،ص 77.

[3] - عبد الجليل مرتاض " بوادر الحركة اللسانية الأولى عند العرب" ، مؤسسة الاشرف ،بيروت لبنان ،ط1 ، 1988،ص57.

1- **الحبسة أو الأفازيا** (Aphasie):تكاد تتفق معظم المعاجم العربية والفرنسية حول مفهوم الافازيا من حيث كونها «اضطرابات لغوية تصيب التلفظ بالأصوات ،واستقبالها دون أدنى علاقة مع الأعضاء المصوتة أو المستقبلة للكلام مثل ( الصم ،أو الصم البكم ) ،ولكن مع ربط هذه الاضطرابات بمناطق في الدماغ ،التي يتواجد به مركز القيادة والتحكم في اللغة .» [(1)] .ويذهب "جورج مونان G-Mounin " إلى التعريف قائلا : « الافازيا عبارة عن اضطراب في التواصل اللساني ،تتعلق بالات السمع والتصويت .ومن وجهة النظر اللسانية يمكن تصنيف الافازيا من خلال شيوع الاضطرابات على مستوى التعبير او الفهم ...» [2].أما "معجم اللسانيات وعلوم اللغة لـــ"جون ديبوا وآخران "( Jean Dubois et autres) فعرفها بقوله : « الافازيا أو الحبسات هي عبارة عن اختلالات (Perturbations )في التواصلات الكلامية ،يمكن ان تتركز حول التعبير أو استقبال العلامات اللغوية الشفهية والكتابية ،وترجع إلى ربطها بالشق الدماغي الأيسر(Hémisphère cérébral gauche )بالنسبة للأيمن (الذي يكتب باليد اليمنى) ،وفي غالب الأحيان بالنسبة للأعسر (الذي يكتب باليد اليسرى ) في الشق الدماغي نفسه.وقد أثبتت الأعمال النفسية العصبية (Neuropsychologie ) واللسانيات العصبية في القرن التاسع عشر والقرن العشرين ان مركز اللغة هو داخل هذه المنطقة (المشار إليها ).» [(3)] .من خلال كل ما تقدم من تعاريف معجمية لهذا النوع من الاضطراب الكلامي (الشفهي والكتابي) يبدو ان القاسم المشترك بينها هو التركيز على الخلل العضوي على مستوى التصويت أو الاستقبال،لان العضلات لا تقوم بعملها إلا اذا تلقت شحنات السيالة العصبية التي تأتيها من مراكز التحريك ،فهي اذا لا تتقلص إلا اذا جاءتها الأوامر عن طريق الأعصاب المحركة الموجودة في القشرة الدمـــاغية (écorce cérébrale...) [(4)]،وربط كل ذلك مباشرة بالدماغ البشري ،وربما-حسب علم الباحث- ان البحوث في علم الأعصاب ( Neurologie ) واللسانيات العصبية وعلم النفس العصبي والأبحاث الطبية المعاصرة (les recherches médicales comtomporaines ) قد أثبتت صحة النتائج المتوصل إليها في هذا الميدان المتشعب مدعمة بالتشريح.فالافيزيا اصطلاح«

---

[1] - R.GALISSON / D.COSTE " Dictionnaire de Didactique des Langues " ;P 32-33.-
[2] - Georges Mounin " Dictionnaire de la linguistique " ;P33.-
[3] - Jean Dubois et autres " Dictionnaire de Linguistique et des sciences du langage" ;P 41-42.
[4] - ينظر حنفي بن عيسى ،المرجع نفسه ،ص 272.

يوناني الأصل يتضمن مجموعة العيوب التي تتصل بفقد القدرة على التعبير بالكلام أو الكتابة ،أو عدم القدرة على فهم معاني الكلمات المنطوق بها ،أو إيجاد الأسماء لبعض الأشياء والمرئيات أو مراعاة القواعد النحوية التي تستعمل في الحديث ،أو الكتابة ...ورغم التفاوت بينها في المظهر الخارجي .وع ذلك فهناك عامل مشترك يربط بينها ،وينحصر في ان مصدر العلة في كل منها يتصل بالجهاز العصبي المركزي.» [1]

في الحقيقة ان الحديث عن دور الجهاز العصبي وتحكمه في كل العمليات العقلية وخاصة اللغة ،يقودنا إلى الحديث عن مركز اللغة في الدماغ البشري ،فقد اتضح جليا ومن خلال التشريح ان المنطقة المسماة « منطقة "بروكا "وهي مركز خاص في الدماغ للغة في التلفيف الجبهي الثالث( C.F.G )على وجه التحديد .وكان بروكا يعتقد ان تخريب هذه المنطقة او إصابتها بآفات تنجم عنهما اضطرابات لغوية .ومنذ ذلك الحين أصبح ذلك التلفيف يعرف باسم هذا العالم (الجراح الفرنسي)» [2] .ولعل ما أومأ إليه الدكتور حنفي بن عيسى على وجود هذه المنطقة المركزية للغة (منطقة بروكا ) أكدته أيضا البحوث التي قام بها " فرانك ورنيك ( F.Wernicke ) من خلال أبحاثه التشريحية للدماغ ،وأكد ان « أي خلل يصيب هذا الجزء قد يؤدي حتما إلى إتلاف الخلايا التي تساعد على تكوين الصور السمعية للكلمات ،ومن ثم يصبح المصاب يعاني من حالة مرضية أضحت تنعت في عرف العلماء بالعمى السمعي ،وهو نوع من الافازيا الحسية ...وقد تظهر هذه الحالة في التبدلات الصوتية التي تطرأ على نطق المصاب ،مما يؤدي إلى الغموض والإبهام فيما يتلفظ به ،ويصبح الكلام هنا متداخلا وغير مفهوم.» [3]

إن الشيء الذي يهمنا هنا أكثر هو ان الحبسة الكلامية أو النطقية ، لم يعد ميدانها مقتصرا على الأبحاث اللسانية ،ومحاولة إيجاد الميكانيزمات التي تتحكم في هذا المرض ،بل لقد أضحت أي الحبسة محل اهتمام من العلماء من ميادين علمية أخرى كعلم النفس العصبي واللسانيات البيولوجية واللسانيات العصبية ،من خلال الربط وفهم العلاقة بين اللغة نطقا واكتسابا ،ووظيفة الدماغ البشري في كل هذا ،ومن هنا تعددت الأبحاث لهذه الظاهرة المرضية ،ومنها معالجة هذا المرض

---

[1] -جمعة سيد يوسف ،المرجع المذكور سابقا ،ص 178.

[2] –حنفي بن عيسى ،ص 272.

[3] -احمد حساني " دراسات في اللسانيات التطبيقية –حقل تعليمية اللغات – ،ص 125 ،نقلا عن مصطفى فهمي " أمراض الكلام " ، 65.

لدى المرضى عقليا (les Malades Mentaux )محاولين دراسة العلاقة بين المرض العقلي والحبسة .

لقد صنف العالم "هيد" (Head) الحبسة أو الافازيا من حيث الوظيفة اللغوية إلى أربعة أنواع :

أ –الحبسة اللفظية (Aphasie Verbal/verbal Aphasia ):حيث يجد المصاب نفسه عاجزا عن استحضار الكلمات نطقا وكتابة. ويعاني كثير من مرضى الحبسة اللفظية أو الكلامية صعوبات في« استرجاع الكلمات من المفردات التي لديهم ، وتسمى حالة المرضى الذين تبرز لديهم هذه الخاصية ، حبسة التسمية ،إذ تتسم حبسة التسمية بأن تكرار الكلام فيها يظل سليما ، ويكون الكلام منطلقا والفهم جيدا، وإن شاب ذلك قليل من أخطاء التسمية في إنتاج الكلام، لكن هناك عجزا في إنتاج الكلمات الأساسية، لذلك نجد مثل هذا المريض يستخدم كثيرا كلمة «شيء»، «بعض الأشياء» أو يصمت طويلا، الأمر الذي يشير على أن ثمة صعوبة في استحضار الكلمات، وجميعنا يعاني أحيانا صعوبة في إيجاد الكلمات المناسبة في المفردات التي نستخدمها، ونحن نشير عادة إلى هذه الصعوبة على أنها تعبر عما نسميه «ظاهرة على طرف اللسان» ، حيث تكون الكلمة قريبة منا ولدينا شعور بأننا نعرفها، أما في مرضى حبسة التسمية فإن مثل تلك الصعوبة تصبح أشد كثيرا حيث إنهم يجدون صعوبة في استحضار حتى الكلمات الخاصة بأشياء شائعة» [1]

ب – الحبسة الاسمية (Aphasie Nominal/Nominal Aphasia ):حيث يعجز المصاب عن فهم معنى الكلمات (كل كلمة على حدة).

ت – الحبسة القواعدية (Aphasie Syntaxique/Syntactic Aphasia) :وهي عدم القدرة على تركيب الجمل تركيبا مطابقا لقواعد النحو والصرف.

ث – الحبسة الدلالية (Aphasie Sémantique/Semantic Aphasia) :وتكون عندما يعجز المريض عن فهم الكلام المركب في جمل مفيدة ...ولا يفهم مقصود المتكلم .[2]

لم تقف البحوث عند هذا الح ،بل توالت من حيث تصنيف الحبسة ووصفها تشريحيا وسيكولوجيا ،ومنها ما قدمه "هيكان وانجلرجيز (Hecanoen et Angelergees )،وميزا بين أنواع من الحبسة:

---

[1] – كرستين تمبل " المخ البشري ، مدخل إلى دراسة السيكولوجيا والسلوك" تر: عاطف أحمد ،سلسلة عالم المعرفة، 2002 ،ص .91

[2] -ينظر حنفي بن عيسى ،المرجع نفسه ،ص 274،بتصرف .

1-الحبسة التعبيرية (A-éxpressive ) :يشمل فيها الاضطراب كلا من التعبير الشفهي أو المكتوب ،وتشمل :

أ-حبسة البرمجة الصوتية :وتشمل انتاج الفونيمات ،بينما يظل فهم الرسائل اللفظية ،شفهية كانت او كتابية سليما او شبه سليم .وتضطرب الكتابة في ظل الإملاء ،خصوصا عند كتابة المقاطع غير الواضحة ،فتتعرض المقاطع الصوتية المكونة للكلمة للحذف( Omission ) ،والتبديل(Substitution والتحريف( Distortion )،وترجع إلى خلل على مستوى الجهاز الفمي الصوتي ،مثال :/م/ تصبح /ب/ أو كلمة /خبز/ تنطق /حزب/...

ب-الحبسة اللانحوية (A-Agrammatical) :وتظهر في صعوبات تكوين الجمل ،فيتخذ المتكلم أسلوبا تلغرافيا ،حيث يلاحظ تراكم الجمل مع أخطاء في النحو ،مع ان المصاب يكون واعيا باضطرابه المتعلق بالصعوبة اللغوية ،وهذا ما يسمى بالنمط التلغرافي (Style Télégraphique

ج- حبسة البرمجة المتصلة بالعبارة أو حبسة التوصيل (Conduction ):وهي التي يظل فيها الفهم سليما ،بينما يضطرب تسلسل العناصر المنطوقة ،وتزداد الصعوبة مع طول وتعقيد الكلمات والجمل مع سلامة المعالجة النحوية .وتنجم عن إصابة التلافيف التي تربط بين التلفيف الجبهي الثالث (F3) والتلفيف الصدغي الأول (T1)،ويتميز المصاب بهذا النوع من الحبسة بالتصحيح الذاتي (Autocorrection) فيقوم بترديد الكلام عدة مرات إلى ان يصل إلى الكلمة المراد قولها مع اضطراب في القراءة ومحتوى الكتابة.

2-الحبسة الاستقبالية ( A-Réceptive) :يظهر فيها المصاب فاقدا القدرة على تمييز الأصوات المسموعة وإعطائها دلالتها اللغوية ،أي يسمع الحروف كصوت ،ويتعذر عليه ترجمة مدلول الصوت ،فيبدل حرفا بحرف آخر في الكلام .

3-الحبسة النسيانية(Amnésique ):يرتبط هذا النوع من الحبسة بالأنواع السابقة ،وفيها يبدو المريض كما لو كان قد نسي الكلمات حيث يستبدل —غالبا-الكلمة التي يبحث عنها بصياغة طويلة او بالتلميحات (Mimiques )،ويمكن ان يصاحبها صعوبات في لهجاء ،ونادرا ما يصحبه صعوبات في القراءة.

4-الاضطرابات الحبسية (Troubles Aphasique ) :وتظهر لدى مرضى الفصام وذوي الاعطاب المخية المنتشرة ،وهذا النوع يمكن تصنيفه ،إما مع الحبسة أو مع الاضطرابات الذهنية

الأخرى ،وتتميز بعدم تناسب الكلام للموقف ،ونلاحظ فيها آلية الاستجابة أو فقر الحصيلة المعجمية وصعوبة الفهم وعدم الوعي بالاضطرابات المذكورة. [1]

لا ينبغي ان يتوهم المطلع على ما سبق طرحه بخصوص الأنواع المعروفة للحبسة ،انه قد يصاب شخص ما بحبسة واحدة من بين الأنواع المختلفة للحبسة التي أتينا على ذكرها ،فقد يصاب الإنسان بنوعين أو أكثر في الوقت نفسه ،وهذا ما أكده " كارلين "( karlin ) »« أنا أظن ان الكثير من الأطفال يملكون توافقا أو تنسيقا بين الشكلين السابقين( الحبسة الاستقبالية ،والحبسة التعبيرية ) » [2] ،ومن هنا ينطبق على المصاب ما جاء في التراث الثقافي الشعبي الجزائري المتداول خاصة في المناطق الحدودية الشرقية مع الجمهورية التونسية تعبيرا عن اجتماع الأمرين الرديئين في الآن ذاته {صابون قفصة ،وغسيل حفصة}،وهو ما يتفق والمثل العربي الشهير من حيث الدلالة على المعنى نفسه{أحشفا وسوء كيلة ؟}. وليس هذا المرض –حسب علمنا- مدعاة للعجب والغرابة طالما ان الدماغ قد تعطل في جزء منه ،وخاصة المنطقة المسؤولية عن اللغة بحسب آراء الباحثين في مختلف التخصصات ،وعلى الأخص علماء التشريح والأعصاب ،ومن هنا فان المصاب قد يتعذر عليه الحديث ،وقد تزداد حالته سوءا حينما تتعقد لديه حبسة الاستقبال ،فيتفاقم الوضع باقترانها بحبسة التلفظ أو النطق.

## 2-التـــأتـــأة (Bégaiement):

لا يمكن ان ينكر احد ان التـــأتـــأة من الأمراض اللغوية الأكثر انتشارا ،ويعزى ذلك إلى أسباب وراثية بالدرجة الأولى على أننا لانعدم الأسباب الأخرى العضوية والنفسية التي تؤثر على الطفل من حيث اكتسابه للغة الطبيعية ،أو حتى التواصل عن طريقها ،وعلى هذا الأساس انبرى الكثير من العلماء في اختصاصات متعددة لدراسة هذا النوع من الأمراض اللغوية ،وحصر أهم أسبابه ،وطرق معالجته.

لا يحسبنّ احد ان هذا النوع من الأمراض قد يعيق العملية التواصلية بشكل كلي على الرغم مما يشوبها من السير غير العادي أو الطبيعي للكلام ،وما يظهر عليه من انحرافات وتكرارات للمقاطع الصوتية ،والتوقفات التلفظية للحظات «لان الكثير من الشخصيات المتميزة والمشهورة كانت

---

1 -ينظر محمد حولة ،المرجع نفسه ،ص 31.و55.،وينظر جمعة سيد يوسف ،المرجع السابق ،ص 179-181.بتصرف

2 - R.S ILLINGWORTH " Développement psychomoteur de l'enfant "-;P 246

تـــتـــأتـــيء(Bégayaient):موسى(عليه السلا م)(Moïse)،أرسطو( Aristote)،اسوب (Esope) ،ديموستان( Démosthène ) ،فيرجيل ( Virgile) ،شارل الأول ( Charles 1er)،روبير بويل (Robert Boyle) ،انرن بفان ( Aneurin Bevan) ،لويس كارول (Louis Caroll) ،سومرس موغان ( Somerset Maughan) ،شارل لام ( Charles Lam) ،وشارل داروين ( Charles Darwin) ،هيبوقرات ( Hippocrate) ،غالان ( Galen) وسالسيس (Celsus).كل هؤلاء عرفوا هذه الظاهرة.» [1]

**قال الله تعالى :**﴿و نادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون *أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين ﴾ **[2]**.وجاء في التفسير «...وحينئذ (أنا خير من هذا ) أي موسى (الذي هو مهين ) ضعيف حقير (ولا يكاد يبين) يظهر كلامه للثغته بالجمرة التي تناولها في صغره .» **[3]**

أوضحت دراسات أجريت على الأطفال الذين يعانون من التاتاة ،وخاصة من قبل " ديفنباخ" (Dieffenbach )في برلين ،ويعد من الأوائل في محاولاته المستمرة لشفاء مرض التاتاة ،وكتب ان السيدة "ليج" (Liegh )والدكتور " ياتس" (Yates) قد فتحا بنيويورك مؤسسة في عام 1830.،من اجل تصحيح الاضطرابات اللغوية ،فالتأتأء يجب عليه ان يضغط على لسانه أقصى ما يستطيع بين أسنانه العليا ،مع اخذ نفس عميق كل ست دقائق مع التزام الصمت مدة ثلاثة أيام مع احترام التعليمات السابقة بشكل تتابعي حتى في الليل (اللسان وموقعه بين الأسنان ،والضغط المتواصل مع الصمت) .وقد وضع تحت لسانه حبل رقيق جدا من اجل تصحيح الوجهة السليمة للسان في حالة النوم ،وهناك علاج آخر لنفس المرض اللغوي ،وذلك بوضع تحت لسان المصاب بالتاتاة حجرة صغيرة( Caillou )في فمه مع وضـــع شيء على هيئة مغلاق بين أسنانه. » **[4]**

.إلى هذا الحد أصبح جليا ان التاتاة ،ما هي إلا مرض لغوي يمنع المصاب ان يتواصل بشكل جيد مع الآخرين من بني جنسه ،من خلال الأعراض الإكلينيكية ،والفيزيولوجية البادية على رداءة الوقوف على المقاطع الصوتية .ولكن ما يلاحظه المتتبعون والدارسون لهذه الظاهرة المرضية ان

---

[1] - R.S ILLINGWORTH " Développement psychomoteur de l'enfant "-,P247

[2] -الزخرف / الآيتان 51-52.

[3] -جلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلى " تفسير الجلالين" ،حققه ونسقه الشيخ محمد الصادق القمحاوي ،مكتبة رحاب (دت) ،ص 414.

[4]-. R.S ILLINGWORTH " Développement psychomoteur de l'enfant "- P247.

الجنس الذكري أكثر عرضة لهذا المرض مقارنة بالجنس الأنثوي ،وتظل الأسباب الى حد الساعة مجهولة على الرغم من عدة اجتهادات ،فضلا عن ذلك هل حدد الأخصائيون السن الذي يكون فيه الطفل عرضة لهذا المرض ؟

إن الدراسات في هذا المجال بينت ان « الإصابة بالتأتأة منتظرة مابين السنوات الثانية والرابعة من عمر الطفل ،ولكن تحدث نادرا بعد السن السابعة .واحد أو اثنان بالمائة تقريبا من المتمدرسين يتاتؤن (Bégaient ).ان التاتاة تصيب الفتيان بمعدل ثلاث مرات أكثر من الفتيات ،وتظل الأسباب الكامنة وراء ذلك مجهولة ،بل قابلة لبعض الشرح (Peu explicables )في بعض الأحيان.» [1]

فإذا كانت التأتأة مرضا لغويا يصيب الفرد في سن معينة بحسب الآراء المتخصصة في هذا الباب ،على الرغم من أعضاء المصاب تكون سليمة .أمكننا ان نقول –حسب علمنا –ان الأسباب النفسية والاجتماعية تمارس تأثيرها في إصابة الطفل بهذا المرض خاصة ما يتعرض له الطفل في مرحلة جد حاسمة من حياته من أساليب قاسية في التربية والتنشئة الاجتماعية ،ويمارس عليه من

قسوة ،وما يحسه من معاناة .فالحرمان « العاطفي والحماية المفرطة وعامل الغيرة تلعب دورا مهما في ظهور التاتاة عند الطفل ،وترجع أسباب إصابته بهذا المرض اللغوي إلى طبيعة العلاقة المبنية بين الأم وطفلها ،فالأم القلقة تخلق عند طفلها قلقا يكون سببا لظهور التاتاة عنده .إضافة إلى تأثير المحيط .والذكور أكثر عرضة من الإناث ،لان الآباء يكونون أكثر صرامة عموما على الذكر أكثر منه على الفتاة ،ولان لغتهن تتطور بسرعة مقارنة بلغتهم ،كما ان الدراسات تحاول إرجاع سبب ذلك إلى عامل هرموني يمكن ان يكون وراء هذا المرض.» [2]

إن المنهج العلمي والأمانة العلمية أيضا تحتم علينا ان نقف عند بعض النقاط الحساسة التي وقف عليها محمد حولة في مؤلفه المذكور .ونحن نرى من جهتنا ان هذه الأسباب تبدو واهية – حسب رؤيتنا –بل لا قيمة لها من الناحية العلمية ،لان ما ذكره حالات شاذة في أي مجتمع كان ،ولانطبق على كل الآباء وكل الأمهات في معاملة أبنائهم ،بل الأكثر من ذلك توفر العائلة كل أسباب الراحة والسعادة للأبناء ،ولكنهم سرعان ما يفاجئون بهذا الخلل اللغوي لدى أبنائهم .ان السبب المباشر –في رأيي –الكامن وراء التاتاة ،بل وحتى غيرها من الأمراض اللغوية ،هو سبب

---

[1] - R.S ILLINGWORTH " Développement psychomoteur de l'enfant P247-

[2] -محمد حولة :م نفسه ،ص 44.بتصرف

وراثي عصبي بالدرجة الأولى،لان المراكز الموجودة في قاعدة الدماغ تلعب دورا كبيرا في قابلية التأثر ،فقد ذهب البعض ان «السبب في التاتاة كامن في المراكز المحركة الآلية للأجسام المخططة (Corps Striés ) .وبالإضافة إلى هذا ،فان مراكز التصويت الموجودة في قشرة الدماغ لها هي كذلك دخل في حدوث التاتاة ،نظرا للعلاقة الوطيدة بين القشرة ومراكز القاعدة ،فقد لوحظ تجريبيا ان إثارة المركز الإضافي الجبهي للتلفظ تجعل المتكلم يردد الحرف الذي تلفظ به.» [1]،أما العوامل الأخرى ،فهي عوامل مساعدة على ظهور المرض واستفحاله ليس غير.ان الواقع الذي نحياه على امتداد العمر قد بيّن حالات من هذا النوع بدليل اعتقاد الباحثين ان « العامل الوراثي هو عامل فعال في عملية التاتاة ،وهو اشد تأثيرا من العامل الاجتماعي ،فإذا كانوا يؤكدون على العامل الوراثي للتاتاة ،فإنهم في الوقت نفسه لا يعرفون الطريقة التي يتم بها انتقال التاتاة من الآباء إلى الأبناء .» [2] .ان الحقيقة العلمية في مجال الوراثة (Génétique ) قد بيّنت الطريقة التي ينتقل بها هذا المرض الغوي من الآباء إلى الأبناء ،وتعتمد —حسب المعلومات العلمية الضئيلة في هذا

المجال-على الخلايا الوراثية (les cellules génétiques ) ،وما يعرف في العـــــلوم الطبيعية بـــ" A. D. N" التي تحمل كل ما يتعلق بخصوصيات ومميزات فيزيولوجية ونفسية للوالدين الأم والأب مباشرة بعد عملية الإخصاب التي تتعرض له البويضة ،فلا مانع إذن ان تنتقل هذه الصفات المرضية من الأم إذا كانت مصابة بهذا المرض إلى احد الأبناء أو كلهم ،وما يشفع لنا كدليل في هذا الصدد ،فان العديد من العائلات الجزائرية يعاني أبناؤها كلهم وبدون استثناء من المرض اللغوي نفسه ،لان احد الوالدين مصاب به من قبل .

مما سبق يمكن ان نخلص إلى خلاصة مفادها ان التاتاة كبقية الأمراض اللغوية الأخرى التي تحدث اختلالا ليس في الصوت فحسب ،بل في العملية اللغوية برمتها أثناء الانجاز الفعلي للغة في الواقع ،وليست هذه الظاهرة المرضية حكرا على الثقافة العربية دون الثقافات الإنسانية الأخرى ،ولو افترضنا ذلك مجازا لأضحى الأمر معقدا للغاية،لكن كل الثقافات الإنسانية عرفت وتعرف هذه الظاهرة ،وحسبنا دليلا على ذلك ما ذكرناه من أسماء الشخصيات البارزة والمعروفة التي تركت بصماتها واضحة في تاريخ الإنسانية كـــــ" سيدنا موسى عليه السلام ،رغم الاختلاف

---

[1] -حنفي بن عيسى ،المرجع المذكور سابقا ،ص 279.

[2] - مازن الوعر "قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث " ،ص 538.

الواضح في تعيين نوع المرض الكلامي الذي كان به ،بالنظر إلى الاختلاف الرؤى في التمييز بين المصطلحين (التاتاة واللثغة) ،ولعل صاحبا التفسير المذكور سابقا يميلان على أنها لثغة(Sigmatisme ) أصابته من جراء الجمرة التي تناولها موسى عليه السلام وأثرت على لسانه،فأحدثت خللا في فصاحته وبيانه بدليل ما جاء في قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام حينما سال الله عز وجل ،وذكر العقدة التي كانت في لسانه ،والحبسة التي كانت في بيانه :﴿ واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي ﴾ [1]،وقال كذلك :﴿وأخي هارون هو أفصح مني لسانا فأرسله معي ردا يصدّقني إنّي أخاف أن يّكذّبون ﴾ [2] ، وقال أيضا :﴿ويضـــــيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل إلى هارون﴾ [3] قال الجاحظ معلقا على هذه الآيات الكريمة :«رغبة منه في غاية الإفصاح بالحجة ،والمبالغة في وضوح الدلالة ،لتكون الأعناق إليه أميل ،والعقول عنه افهم ،والنفوس إليه أسرع،وان كان قد يأتي من وراء الحاجة ،ويبلغ إفهامهم على بعض المشقة » [4]

فإذا شئنا ان نعرف هذه الظاهرة المرضية في « أية ثقافة من ثقافات الأمم فان علينا ان ننظر في لغاتها وتسمياتها لهذا المرض اللغوي .ففي اليابانية يعبر عن هذه الظاهرة بـــ"دودوم"( Dodum )،وفي الصينية يعبر عنها بـــ" ناناوي" ( Na nawei )،وفي الألمانية يعبر عنها بـــ" ستوتيرن" (Stottern )،وفي الانجليزية بـــ" ستترينك ( Stuttering )،ويضيف الكاتب قائلا : ليس هناك أية علاقة مباشرة بين هذه الكلمات وبـــين الأصوات التي تمثلها ،بل ان العلاقة هي تعسفية اعتباطية .» [5] .إن الحقيقة التي لابد من الإشارة إليها هاهنا ان مازن الوعر قد أصاب الحقيقة العلمية –في رأينا –من حيث ان هذه الكلمات التي تمثل بعض الفونيمات المتكررة ،وكأنها تحيلنا إلى تعريف الكلمة أو المرض اللغوي من خلال تكرار فونيماتها ،وقد يبدو للبعض ومن أول نظرة ان هذه الحقيقة أنها قد تنطبق على سائر الأمراض الأخرى في اللغات المتنوعة ،كتكرار النون في اللغة الصينية والدال في اليابانية ،والتاء في الانجليزية ،ولكن هل ينطبق ذلك بالضرورة والتعسف أيضا على اللغة الفرنسية ،خاصة اذا ما علمنا ان هذا المرض وغيره من الأمراض الغوية يعتمد على

---

[1] -طه/27-28

[2] – القصص /35.

[3] - الشعراء/ 13

[4] –الجاحظ ،المرجع السابق ،ص 07.

[5] - مازن الوعر ،المرجع المذكور سابقا ،ص536.

ظاهرة التكرار الفونيمي ؟ أظن ان اللغة الفرنسية بريئة منه على اعتبار ان( Bégaiement) لا تمثل تكرارا لأي فونيم.

أما بقية الأمراض اللغوية الأخرى ،فسنحاول ان نعرضها مختصرة ،يقول عبد المجيد هريدي :« تتنوع ألقاب العيوب في علاقاتها ،فمنها ما يتصل باللسان من التواء أو ثقل أو غلظ وتقبض كالتهتهة والحبسة والحكلة ...،ومنها ما يرتبط بالخياشيم كالخنة والغنة ،ومنها ما يتعلق بالشفة السفلى والأسنان كالظاظاة ،ومنها ما يتعلق باللهاة كالأغن ،ومنها ما يتعلق بالكلام والنطق عموما ،وعدم الإبانة كاللثغة واللكنة والغمغمة ،أو التردد في الكلام كالتمتمة والفافاة واللفلفة ،أو حذف الكلام كالترخيم أو العجلة فيه ،أو مضغ الكلام كاللجلجة ،أو إدخال حرف في حرف كاللفف ...وتكون اللثغة في عدد من الأصوات أبرزها (الراء والسين واللام والقاف.)» [1] .

قد تكون الألقاب المتنوعة للأمراض اللغوية التي عرضها المؤلف معروفة عند جمهور القراء و خاصة لدى الباحثين اللسانيين المهتمين بهذا النوع من البحوث ،ولكن ما لم نفهمه بعد هذا التناقض والغموض الذي يميز هذه المصطلحات التي تعبر عن بعض الأمراض اللغوية ،خاصة

الترخيم .فهو –حسب علمنا –حذف آخر المنادى للتخفيف،والتلميح والظرافة والتحبب والاستهزاء ،وهو ما حفلت به كتب قواعد اللغة العربية ،والكتب الأدبية التراثية –انطلاقا مما حفظته الذاكرة- زاخرة بهذه النماذج من الترخيم ،كقول امرئ القيس :

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل وان كنت قد أزمعت صرمي فأجملي.

ومنه قول بشار بن برد:

خففي يا عبد عني واعلمي إنني يا عبد من لحم ودم.

وقول عنترة :

ياعبل لا أخشى الحمام وإنما أخشى على عينيك وقت بكاك.

فمن خلال هذه النماذج من الشعر العربي القديم ،يتبين لنا ان كل شاعر من هؤلاء الشعراء كان يتعمد في حذف آخر المنادى (فاطمة ،عبدة ، عبلة ) وكل واحدة منهن اقرب إلى قلب كل

---

[1] -أحمد عبد المجيد هريدي ،المرجع السابق الذكر ،ص 58.

شاعر مترلة ،فأنى للشاعر ان يترل مترلة محبوبته إلى هذه الدرجة ،خاصة اذا ما علمنا ان العيّ بالنسبة للشاعر أمر مستقبح على حد قول الشاعر العربي القديم :

وانطق بحيث العيّ مستقبح واسكت بحيث الخير في سكتتك.

فكيف يكون الأمر محببا من جهة ،وقد اعتراه عيبا لغويا من جهة أخرى ،فضلا عن ذلك ،فان بعض الباحثين في هذا الباب يضيف إلى تلك الأنواع السابقة المعروفة ألقابا أخرى ومنها « القلب ،العقلة ،الحصر ،الرتة ،الليغ ،المقمقة ...» [(1)]

لقد تناول العرب منذ العصر الجاهلي ظاهرة الأمراض اللغوية ،وخصوها بجملة من التعاريف بحسب الحالة النطقية ،وما يعتري الأصوات اللغوية من تحريف وتغيير أثناء العملية النطقية ،ومنها:

–**التمتمة** :وهي التردد في التاء ووضحها الأصمعي في قوله : إذا تتعتع اللسان في التاء فهو تمتام [2]

والتي هي عبارة عن تردد في "التاء" ،كقول ربيعة الرّقي :

فلا يحسب التمتام أني هجوته ولكنني فضلت أهل المكارم [(3)]

أما **الفـــــأفـــــــأة** فهي التردد في الفاء ،وقال احدهم معبرا عن هذا [(4)]

ليس بفأفأء ولا تمتا ولا محب سقط الكلام .

أما **العقلة** ،فهي التواء اللسان عند الكلام .كقول الشاعر : [(5)]

وقد تعتريه عقلة في لسانه إذا هز نصل السيف غير قريب.

أما **الحكلة** فهي الثقل من العجمة [(6)] أو هي : عدم اكتمال العادات الصوتية ،وعدم قدرة الجهاز الصوتي ،او كما يقول الجاحظ " نقصان آلة المنطق " عن النطق الواضح المبين.[1]

---

[1] - صالح بلعيد " دروس في اللسانيات التطبيقية " ،ص176-177.

[2] - إنعام فوال عكاوي " المعجم المفصل في علوم البلاغة " مراجعة أحمد شمس الدين ،دار الكتب العالمية ،بيروت ،لبنان ،ص426

[3] – المبرد " الكامل " ،تح :أبو الفضل وشحاتة ،نهضة مصر ،القاهرة ، 2 ،ص 222.

[4] -عبد الجليل مرتاض " اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي " ،ص 13 ،نقلا عن ابن عبد ربه " العقد الفريد " ،تح :جماعة من الأساتذة ،ط2 ،1952،ج2 ،ص 477.

[5] -المبرد ،المرجع السابق ،2 ،ص 222

[6] -الزمخشري " أساس البلاغة " ،مطبعة الكتب المصرية ،ط2 ،1972 ،ج1 ،ص 149.

أما **الرّتّة** فهي العجلة والحكلة في لسان الناطق ،ومنه رجل أرت ،وقوم رت ،قال الشاعر [2] :

هزئت زنيبة ان رأت بي رتة　　　　وفما به قضم وجلدا اسودا.

فهي تشبه الرتج الذي يمنع أول الكلام أي يبدأ المتكلم يتتعتع في منطقه ،ومنه " صعد المنبر فارتج عليه إذا استغلق عليه الكلام ".

أما **الغمغمة** فهي انك تسمع الصوت ولا يبين لك تقطيع الأصوات ،كقول عنترة [3] :

وصاحب ناديته فغمغما　　　　يريد :لبيك وما تكلما

قد صار من خوف الكلام أعجما.

وقال رجل يصف انهزام المشركين يوم فتحمكة ،وكان مشركا [4] :

انك لو شهدت يوم الخندمه　　　　اذا فر صفوان وفر عكرمه

ولحقتنا بالسيوف المسلمه　　　　يفلقن كل ساعد وجمجمه

ضربا ولا تسمع الا غمغمه　　　　لهم نهيت حولنا وجمجمه

لم تنطقي في اللوم أدنى كلمه.

أما **اللكنة** فأظن أنها دخيلة في اللغة العربية ،نظرا للفتوحات الإسلامية ،واتساع الرقعة الجغرافية ،ومن دخل إلى الدين الإسلامي من الروم والفرس وغيرهما ،فأصبحت هذه الظاهرة الصوتية متفشية في المجتمع الإسلامي ،وما يذكر في هذا الباب ان « صهيبا الرومي كان يرتضخ لكنة رومية ،كما كان عبد الله بن زياد بن أبيه يرتضخ لكنة فارسية جاءته من قبل زوج أمه ،وأبو مسلم الخراساني ،اذا أراد ان يقول :قلت لك ،قال :كلت لك ،وشاركه في تحويل القاف كافا عبيد الله بن زياد ،وممن اشتهر باللكنة مولى زياد ،إذ قال مرة لزياد :" أهدوا لنا همار وهش " بقلب الحاء

---

[1] - محمود فهمي حجازي " علم اللغة العربية مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية " وكالة المطبوعات ،الكويت 1973 ،ص 250-251

[2] -الزمخشري ، نفسه ،ج1 ،ص 320.

[3] - عبد الجليل مرتاض ، م نفسه ،ص 14 ، نقلا عن ابن عبد ربه " العقد الفريد" ،ص 476.

[4] -ينظر المبرد ،المرجع السابق ،ج2 ،ص 224.

هاء والأصل (حمار وحش ) ،فقال زياد :ماذا تقول ويلك ؟قال :" أهدوا إلينا أيرا " بقلب العين همزة ،والأصل ( عيرا ) ،فقال زياد : الأول أهون "» [1] .لقد اقر الباحثون العرب بتنوع هذه الأمراض التلفظية ،وما يشوبها من تحريف وقلب ،ولعل هذا بتأثير كيفية نطق أصوات اللغات الأخرى على نطق أصوات اللغة العربية ،لكن ما يستوقف الباحث هو هذا الخلل الذي أصاب اللغة العربية في أصواتها فجعلها عرضة للقلب وان كانت هذه« الظاهرة منتشرة في هذا الرعيل الأول من صدر الإسلام بشكل فظيع كقلب (السين شينا ) أو (الطاء تاء) أو حتى (الذال دالا ) ونحو هذا » [2]

وكخلاصة لأنواع الأمراض اللغوية التي سبق ذكرها أو الإشارة إليها بشكل مختصر ،نورد هاهنا نصا لصاحب "الكامل " وهو يلخص فيه كل هذه الأشكال التلفظية والنطقية ،فقال :« التمتمة :التردد في التاء ،والفأفأة :التردد في الفاء ،والعقلة :التواء اللسان عند إرادة الكلام ،والحبسة :تعذر الكلام عند إرادته ،والفف :إدخـــال حرف في حرف ،والرتة :كالرتج تمنـــع أول الكلام ،فإذا جـــاء منه شيء اتصل .والغمغمة :ان تسمع الصوت ولا يتبين لك تقطيع الحروف

،والطمطمة :ان يكون الكلام مشبها لكلام العجم .واللكنة :ان تعترض على الكـــلام اللغة الأعجمية ...واللثغة :ان يعدل بحـــرف الى حرف .والغنة :ان يشرب الحرف صوت الخيشوم .والخنة :اشد منها ،والترخيم :حذف الكلام » [3]

لا يمكن لأحد ان ينكر ان أي نوع من أنواع الاضطرابات اللغوية ،مع تفاوت حدتها وتأثيرها تلقي بظلالها على العملية التواصلية ،فقد يتعذر على المتلقي ان يستوعب ،ويفهم كلام الباث ،رغم خلو القناة التواصلية من أي تشويش .ولكن على الرغم من كل ذلك فقد تسير العملية التواصلية على خلاف ما خطط لها من تحقيق الهدف المنشود ،وليس مرد ذلك إلى أي عائق مرضي أو شيء من هذا القبيل لدى طرفي الرسالة (الباث والمستقبل) ،بل السبب ينحصر في سوء التفاهم في احد المستويات المتباين فيها دلاليا أي من حيث اللغة المستعملة بينهما أو اللهجة .فقد ذكر الدكتور عبد الجليل مرتاض في هذا الشأن اعتمادا على حديث نبوي شريف ان « قوما من جهينة جاؤوا بأسير إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) ،وهو يرتعد من البرد ،فقال عليه الصلاة

---

[1] - عبد الجليل مرتاض "بوادر الحركة اللسانية الأولى عند العرب " ،ص 58.

[2] -عبد الجليل مرتاض " اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي "،ص 15.

[3] -المبرد ،المرجع السابق ،ج2 ،ص 221.

والسلام : أدفوه (بغير همز) على لغته ،فذهبوا به فقتلوه ،وإنما أراد عليه الصلاة والسلام :أدفئوه من البرد ،وهم فهموا :ادفوه : من دفوت الجريح أدفوه دفوا إذا أجهزت عليه ،واعتبر ذلك القتل خطا بدليل ان النبي عليه الصلاة والسلام قد ودى ذلك القتيل .» [1]

وفي نفس السياق ما ذكره الأصمعي من ان رجلا من العرب دخل على ملك ظفار ،فقال له ملكها :ثب ،وثب بالحميرية : اجلس ،غير ان الرجل قد وثب وثبة اندقت لها رجلاه ،فضحك الملك الحميري قائلا :ليست عندنا عربيّت ،من دخل ظفار حمّر،أي تكلم بكلام حمير .فإذا كان كذلك جازا قريبا كثيرا ان يدخل من هذه اللغة في لغتنا وان لم يكن لها فصاحتنا ،غير أنها لغة عربية قديمة [2]

## طرق علاجية ووقائية :

ان الأمراض اللغوية –كما بيّنا– متنوعة ،وناتجة عن أسباب وعوامل شتى ،ومختلفة من مصاب لآخر ،لذا تعددت أساليب العلاج ،وتقديم الطرق الوقائية من لدن الباحثين النفسانيين واللسانيين لان اللغة عملية عقلية نفسية ،والأطباء خاصة أولئك الذين تخصصوا في معالجة الأمراض الكلامية الناتجة عن اضطرابات عصبية خالصة .

## العلاج العضوي الفيزيولوجي :

لقد اشرنا فيما سبق ان بعض الأمراض اللغوية والنطقية تعود بالأساس إلى بعض التشوهات والأعراض العضوية ،ومن هنا بات لزاما ان يعرض الأولياء المصاب عند ملاحظاتهم لمثل هذه الظواهر اللغوية على طبيب مختص ليكشف عن الأسباب الكامنة وراء ذلك ،وقد أكدت بعض المراجع الطبية ان السبب في هذا النوع من الأمراض مرده بالدرجة الأولى إلى خلل قد أصاب جهاز التصويت(Phonation أو الاستقبال ( Réception ) .فيكون العلاج حينئذ ممكنا خاصة في مرحلة الطفولة .من هنا ليس من باب العلمية القول ان دراسة ومعالجة مثل هذه الحالات المرضية اللغوية سيكون وقفا على الأبحاث الطبيّة ،فقد اعتاد « الباحثون ان يعالجوا ظاهرة الأمراض اللغوية من وجهة نظر لسانية أيضا ،وذلك لكشف العلاقة بين المرض الفيزيولوجي والمرض اللغوي.»[3] وغالبا ما تكون هذه الأمراض اللغوية ناتجة عن عطب أصاب منطقة ما من الدماغ ،وخاصة منطقتي " بروكا " و " فرنيك " مما يسبب خللا في النطق وصياغة التراكيب النحوية

---

[1] -عبد الجليل مرتاض ،" اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي "،ص123.

[2] -ابن جني " الخصائص " ،ج2 ،ص30..

[3] - مازن الوعر " قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث " ،ص 534.

،وصعوبة إيجاد الكلمات المناسبة للمواقف المختلفة التي قد يتعرض لها المصاب والتي تنعكس بشكل واضح على الاضطرابات النطقية ،وكل هذا حسب المعطيات الفيزيولوجية لأجهزة الإنسان خاصة تلك التي لها علاقة مباشرة مع اللغة لان أي « اضطراب أو تلف أو تشويه يعطل الجهاز ويعطله عن تأدية وظيفته في إصدار الكلام أو في استقباله .فقد يولد بعض الأطفال صما بكما ،وقد يولد بعضهم بعيوب لها صلة بأعضاء النطق أو السمع مثل شق في الحلق أو قصر في اللسان ،وانسداد في الأذن الداخلية أو الوسطى أو غير ذلك ،وقد تحدث لهم في أثناء الحياة إصابات تعوقهم عن أداء الكلام بصورة طبيعية.»[1] .هنا من الممكن جدا على الطبيب المختص ان يقدم علاجا اكلينيكيا لهذا المصاب عن طريق إجراء بعض العمليات الجراحية التي تكون نتائجها مضمونة على مستوى بعض الأعضاء ،أما الجراحة الدماغية –فيما نعتقد– ليست بالأمر السهل والهين ونتائجها غير مضمونة العواقب والنتائج .

**العلاج النفسي :**

إن هذا النوع من العلاج لا يقل أهمية عن العلاج الفيزيولوجي لأعراض الأمراض اللغوية ،فيمكن للنفسانيين والمهتمين بعالم الطفل ان يحدوا من العوامل النفسية التي تضغط على الطفل خاصة المصاب ،وإزالة ما قد يتعرض له من قلق وخوف وخجل وتوتر نفسي أثناء النطق .ومن هنا لابد من الإشارة إلى عامل مهم جدا في المعالجة أو التقليل من أضرار هذه الأمراض ،ونعني به مساعدة الأولياء المصاب في تجاوز هذه الأعراض خاصة في بداياتها ،وذلك بالتكفل بتكرار النطق الصحيح للمقاطع الصوتية ،فضلا عن الحوافز النفسية دفعا للارتباك ،والإحساس بالنقص ،مع مراعاة دور المدرسة ،ودور الحضانة في ذلك ...الخ.فقد أثبتت التجربة ان « أمّا لطفل عمره ثلاث سنوات كانت تعلم طفلها لا ان يلفظ صوتي "اللام والجيم" فحسب بل كانت تجعل طفلها يشاهد كيف تضع لسانها عندما تنطق ذينك الصوتين ،وهكذا فان الطفل بدا يعيد ويكرر ذينك الصوتين عندما بدا المرحلة الأولى من التأتأة ...»[2]

إن دور المدرسة–كما هو معلوم– كمرحلة هامة في مسار الطفل التعليمي لا يمكن إغفاله في هذا الباب حيث يقوم المعلم بدور مهم في تقويم سلوكات الطفل اللغوية ،وملاحظة الاضطرابات

---

[1] - عاطف مدكور " علم اللغة بين القديم والحديث " ،ص 78.

[2] - مازن الوعر ،المرجع نفسه ،ص 539.

اللغوية التي قد يعاني منها الطفل في هذا المستوى ،لذا وجب عليه مراعاة ذلك والتركيز على هذه الفئة أثناء نطق الأصوات اللغوية ،فان لاحظ عيبا لغويا فيجب ان يتحلى بالصبر في المتابعة والتكرار للمقاطع الصوتية حتى يتأتى للمصاب نطقها على نحو سليم ،وما يؤكد على أهمية هذا الجانب من حياة الطفل ان العديد من المعلمين قد توصلوا إلى نتائج مرضية في تقويم هذه الانحرافات اللغوية لدى بعض المصابين من خلال عنايتهم الخاصة بهؤلاء ،بل وتفهم الوسط المدرسي الذي ينتمي إليه المصاب من تشجيع ،ومتابعة ،وعدم السخرية والاستهزاء بالمصاب ممّا يوفر الجو النفسي المناسب لتغلب المصاب على هذا النوع من الأمراض اللغوية .

## الأمراض اللغوية :بين الجاحظ وجاكوبسون(Jakobson).

### 1–الجاحظ وعلم تقويم اللسان ( L'orthophonie ):

إذا كان العصر العباسي الأول هو عصر الترجمة والتأليف ،وتمازج الثقافات الأجنبية بالثقافة العربية ،فان العصر العباسي الثاني هو العصر الذي بلغت فيه الثقافات شأوا بعيدا وغاية من الكمال والنضج ،وحسبنا ان نعلم ان هذا العصر يعتبره المؤرخون أزهى عصور الأدب العربي قاطبة ،بالنظر إلى عوامل عدة ساعدت وشجعت لان يكون كذلك .فلا عجب ان تنصرف الاهتمامات إلى البيان العربي فهما ودراسة وتصنيفا ،لأنه معجزة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ،لان البيان كان اظهر خصائص العبقرية العربية إبان بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم ،فاخذ المسلمون يبحثون في سر الإعجاز القرآني ،وحقيقته ،ووجوهه ،وذلك عن طريق الكشــــف عن معنى البيان .وكان **الجاحظ** [1] أشهر من نار على علم .بما حباه الله من عقل راجح ،وذكاء متوقد ،وعلم غزير رائدا من رواد البيان العربي أسهموا في الكشف عن معناه في مؤلفاته المختلفة ،ولاسيما كتابه العجيب "البيان والتبيين " ،يقول أبو هلال العسكري( 395ه) في " الصناعتين ": « فكان أكبرها وأشهرها

[1] - هو أبو عثمان عمرو بن بحر الملقب بالجاحظ ،ولد بالبصرة على الأرجح (159 ه) ،ولقد اجمع المؤرخون على ان الجاحظ كناني ليثي يرتد نسبه إلى ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة .نشا فقيرا ،يتيم الأب ،عاني كثيرا من شظف العيش ،عرف بالرفاهية بعد مخالطته للحكام وإجازاتهم له على رسائله وكتبه .كان خفيف الروح ،حسن المعاشرة ،ظريف النكات ،محبوبا لدى المجتمع الذي يعيش فيه ،وتوفي حوالي سنة 255ه ،مخلفا وراءه عند بعض الرواة ستين وثلاثمائة كتاب ،وأكد بعضهم أنها جاوزت ثمانين ومائة كتاب ورسالة منها في موضوعات علم الكلام ،وموضوعات السياسة والتاريخ ،وكتاب العرب والعجم ،والبخلاء ،وكتاب الزرع والنخل ،والحيوان ،والبيان والتبيين ...

كتاب البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ .وهو لعمري كثير الفوائد ،جم المنافع ،لما اشتمل عليه من الفصول الشريفة ،والفقر اللطيفة ،والخطب الرائية ،والأخبار البارعة ،وما حواه من أسماء الخطباء والبلغاء ،وما نبه عليه من مقاديرهم في البلاغة والخطابة وغير ذلك من فنونه المختارة ،ونعوته المستحسنة .إلا ان الإبانة عن حدود البلاغة وأقسام البيان والفصاحة ،مبثوثة في تضاعيفه ،ومنتشرة في أثنائه ،فهي ضالة بين الأمثلة ،لا توجد إلا بالتأمل الطويل ،والتصفح الكثير .» [1] .

لقد شرح في هذا المؤلف شرح معنى البيان ،واظهر أهميته ،ومما قاله في هذا الباب : « البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى ،وهتك الحجاب دون الضمير ،حتى يفضي السامع إلى

حقيقته ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان ،ومن أي جنس كان الدليل ،لان الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع ،إنما هو الفهم والإفهام ،فبأي شيء بلغت الإفهام ،وأوضحت عن المعنى ،فذلك هو البيان في ذلك الموضع .» [2] .وليس سرا القول أننا اخترنا البيان عنوانا خاصا لفصل سابق ،وذلك من حيث البيان الصوتي،اقتنـــاعا منا ان الفهـــم والإفهـــام والتبـــليغ و التواصل لايحصل إلا بالبيان الذي أومأ إليه الجاحظ سابقا.

من التعارف عليه ان مصطلح علم اللسانيا ت بفرعيها التطبيقي ( Linguistique Appliquée )و النظري العام (Linguistique Générale ) لم تكن وليدة البيئة العربية ،بل نشأت وترعرعت وتنفست في أجواء غربية في بداية القرن الماضي مع ظهور كتاب "فرديناند دي سوسير "( 1857–1913) في تناوله للظاهرة اللغوية،ولكن وجب علينا ان نحدد في هذا المقام الفرق الجلي بين اللسانيات وعلم اللسانيات « فاللسانيات العامة علم فتي مقارنة باللسانيات ،فقد ولد اللسانيات العامة في بداية القرن التاسع عشر ،ويمكن تعيين بداية تاريخ هذا المصطلح في عام 1833 ،لكن اللسانيات كانت قبل هذا التاريخ ...» [3] ومن هنا يمكن القول ان التراث العربي غني بالدراسات اللسانية ،وحسبنا دليلا ان « سيبويه في صدر طويل من كتابه لا يتحدث عن قاعدة نحوية اخص من غيرها ،ولا يتناول قواعد نحوية شكلية ضيقة المجال ،بل نجده عالما يثير عناصر ومواضيع لسانية عربية عامة .ولعل أول باب يحمل عنوانا " هذا باب علم ما الكلم من

[1] - الجاحظ " البيان والتبيين "،مقدمة التحقيق ،ص 05.

[2] -الجاحظ " البيان والتبيين " ،ص 76.

[3] -Georges Mounin " Histoire de la Linguistique des Origines au 20eme siècle " . Presses universitaires de France :1 ere éd ;1967.P 05(Introduction)1

العربية ...» [1]، فالعرب توجهوا إلى الظاهرة اللغوية يدرسونها من شتى مستوياتها اللسانية ،ولهذا أمكننا القول : انه لدينا نحن –العرب– لسانيات عربية ،إجابة عن السؤال المطروح في الساحة اللغوية الآن من خلال المؤلفات التي كتبت في هذا المجال ،وتحت عنوان عريض :هل هناك لسانيات عربية ؟ [2] ،وقد تضاهي( لسانياتنا ) اللسانيات الغربية ،بل الكثير من المعارف اللساني ة التي أصبحت رائجة في الساحة اللغوية المعاصرة ،نجد جذورا لها في الدراسات اللغوية التراثية العربية ،ولعل خير دليل على ما نصبو إليه تلك الأعمال الجليلة التي قدمها العالم العربي "الجاحظ " ومن سبقه من علماء عرب أفذاذ ، نحني إجلالا وتقديرا كلما ذكرت أسماؤهم :كالخليل بن احمد وسيبويه وابن جني وغيرهم كثر.قال الدكتور عبد الجليل مرتاض منوها :« ولا يظ ن بنا ظان أننا نتجاهل الجهود اللغوية المضنية التي اضطلع بها اللغويون العرب القدماء،فنحن مازلنا ننحني لهم إجلالا وإكبارا كلما تصفحنا أثرا من آثارهم أو اطلعنا على عمل لغوي من أعمالهم ،فمقدمة الخليل بن أحمد وحدها دون الغوص فيما سبقه ولحقه من أفكار لغوية علمية تستحق هذا الانحناء والإعجاب وكثيرا من الذهول.»[3]

لقد اهتم الجاحظ –كما أسلفت–بالظاهرة اللغوية من مختلف مستوياتها اللغوية ،بدءا بالمستوى الصوتي ،الذي هو المادة الخام التي تتشكل منها العناصر اللسانية ،وتقوم على أساسه المستويات الأخرى.فالصوت –كما هو معلوم –هو لب التقطيع ( Syllabisation )الذي يعتمد على الحركات الوظيفية للأعضاء المصوتة عند الإنسان ،وعلى ضوئه تتشكل العناصر اللسانية وفق تركيب خاص تقتضيه الطبيعة الخطية لكل لغة،وعلى ضوء ذلك ،يفرق الجاحظ بين اللغة باعتبارها نظاما من العلامات الدالة ،والصوت. فالصوت هو «آلة اللفظ ،والجوهر الذي يقوم به التقطيع،وبه يوجد التأليف .ولن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا ولا منثورا إلا بظهور الصوت ولا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع والتأليف» [4]

لقد تناول الجاحظ بالبحث والاستقصاء ظاهرة الأمراض اللغوية ،والعيوب النطقية من منظور خاص ،محددا أنواعها بدقة متناهية ، وذاكرا الحروف التي تلحقها هذه الأمراض ،والأعضاء النطقية

1 -عبد الجليل مرتاض ،"في رحاب اللغة العربية " ،ص 146.

2 - م نفسه ،ص 144.

3 - عبد الجليل مرتاض ،جدوى الإعراب في العربية لدى اللغويين العرب القدماء، ص1،مداخلة في الملتقى الوطني لتيسير النحو–جامعة ابن خلدون تيارت

4 - الجاحظ "البيان والتبيين "،ج1 ،ص79.

المسئولة عنها ...الخ .وبهذا يؤسس الجاحظ لعلم خاص قائم بذاته،و «يصبح رائدا في علم تقويم اللسان ( L'orthophonie )الذي شاع في أيامنا هذه .»[1] اعتمادا على دقة الملاحظة ولعل هذا دأب العلماء العر ب قديما في ملاحظاتهم للظواهر اللغوية ،وخبرته بالحالات النطقية التي تظهر فيها هذه الأمراض ،وفضلا عن ذلك تجاربه الإحصائية،ونذكر هاهنا على سبيل المثال لا الحصر ما قاله الجاحظ :

« أنشدني أبو محمد اليزيديّ :

وخلّة اللفظ في الياءات ان ذكرت كخلة اللفظ في اللامات والألـــف

وخصلة الراء فيها غير خـــــــافية فاعرف مواقعها في القول والصحف.

يزعم ان هذه الحروف أكثر ترددا من غيرها ،والحاجة إليها اشد .واعتبر بان تأخذ عدة رسائل وعدة خطب .من جملة خطب الناس ورسائلهم ،فانك متى حصّلت جميع حروفها ،وعددت كل شكل على حدة ،علمت ان هذه الحروف الحاجة إليها اشد .» [2]

إن هذه الطريقة العلمية –في رأينا- التي تعتمد على الملاحظة بالدرجة الأولى قد مكنت الجاحظ وغيره من العلماء على ملاحظة الظاهرة اللغوية في جميع مستوياتها اللسانية ،فلم يكن هناك من سبيل يسلكونه غير هذا السبيل وهو الملاحظة ،ووصلوا من خلالها إلى نتائج مذهلة أقرت البحوث العلمية الغربية في مجال اللسانيات بوجاهتها وعلميتها استنادا إلى أجهزة مخبرية عالية التقنية .فإذا كان الجاحظ « ينصت إلى الخطباء بكل اهتمام قصد تفحص سلامة ألسنتهم ،وفصاحتها ،فكان يراقب زلات ألسنتهم ومن ثمة يستخرج العيب بتحديد الحرف المتعرض له وكذا تحديد مخرجه » [3]

إن الجاحظ الفونولوجي (Phonologue ) أدرك بجلاء ما أصبح ينعت في علم الصوتيات (فرع من علم الصوتيات ) مفهوم الوظيفة الحرفية ،مستدلا على ما يطرأ على حرف "الراء " من تحريف وإبدال ،فحدد ان اللثغة تدخل على أربعة أحرف ،وهي [4] : القاف ،والسين ،واللام

---

[1] - محمد الصغير بناني " النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين "،ص114. الجاحظ ،المرجع نفسه ،ص 22.

[2] - الجاحظ ،المصدر نفسه ،ص 22.

[3] - احمد عبد المجيد هريدي ،المرجع السابق ،ص 67.

[4] -الجاحظ ، نفسه ،ص 34-35.

،والراء .فأما اللثغة التي تعرض للسين تكون ثاء ،كقولهم لأبي يسكوم :ابي يكثوم ،وكما يقولون بثرة ،إذا أرادوا بسرة .وبثم الله ،إذا أرادوا بسم الله .والثانية اللثغة التي تعرض للقاف ،فان صاحبها يجعل القاف طاء ،فإذا أراد ان يقول :قلت له ،قال :طلت له ،وإذا أراد ان يقول : قال لي ،قال : طال لي .وأما اللثغة التي تقع في اللام فان من أهلها من يجعل اللام ياء ،فيقول بدل قوله : اعتللك :اعتييت ،وبدل جمل : جمي .وآخرون يجعلون اللام كافا ،كالذي عرض لعمر أخى هلال ،فانه كان إذا أراد ان يقول :ما العلة في هذا ،قال : مكعكة في هذا .وأما اللثغة التي تقع في الراء فان عددها يضعف على عدد لثغة اللام ،لان الذي يعرض لها أربعة أحرف :فمنهم من إذا أراد ان يقول عمرو ،قال :عَمْي ،فيجعل الراء ياء .ومنهم من إذا أراد ان يقول عمرو ،قال : عَمْغ ،فيجعل الراء غينا .ومنهم من إذا أراد ان يقول عمرو ،قال :عمذ ،فيجعل الراء دالا .وإذا انشد قول الشاعر :

واستبدت مرة واحدة		إنما العاجز من لا يستبد

قال :	واستبدّت مذّة واحدة		إنما العاجز من لا يستبد

ويتابع الجاحظ حديثة عن اللثغة ،ذاكرا من أسماء الشعراء والخطباء من اعترى ألسنتهم هذا العيب للغوي ،وذلك طبعا عن طريق الملاحظة والتجريب،،ولعل هذا النهج أضحى معتمدا حتى من قبل عامة الناس ،حفاظا منهم على النطق الصحيح للحروف العربية ،وخوفا من تسرب هذه العيوب إلى السنة الناس ،وحسبنا دليلا على ما نذهب إليه ان أبا رمادة « طلق زوجته حين وجدها لثغاء ،وخاف ان تجيئه بولد الثغ،فقال :

لثغاء تأتي بحيفس ألثغ		تميس في الموشى و المصبع »[1]

إن المذهب الذي ذهب إليه أبو رمادة ،يؤكد على العرب كانت تدرك ان الجانب الوراثي عامل مهم في ظهور هذه الأمراض عند الأطفال ،ولعل الجاحظ يسند هذا الرأي ،وذلك من خلال إيراده ،وهنا قد سبق الجاحظ الدراسات الحديثة في علم اللسانيان العصبية والنفسية اللسانية ،كما أومأنا إليه سابقا.والأكثر من ذلك ان القبائل العربية جعلت نخاسا في سوق النخاسة ،لامتحان الجواري من حيث فصاحتهن وبيانهن ،فكان « يمتحن لسان الجارية إذا ظن أنها رومية ،وأهلها يزعمون أنها مولدة ،باستنطاقها بان تقول ( ناعمة وشمس ) ثلاث مرات »[2]

---

[1] -الجاحظ ،المصدر السابق ،ص57

[2] - الجاحظ ، المصدر نفسه ،ص 71 ،وينظر مازن الوعر،المرجع السابق ،ص550.

إن ما ذهب إليه الجاحظ ،وهو يتناول المرض النطقي الذي كان مصابا به سيدنا موسى عليه السلام ،هو التأرجح وعدم الثبات ،بل النفي تارة باعتبار ان ناس «من العوام زعموا ان موسى عليه السلام كان ألثغ ،و لم يقفوا من الحروف التي كانت تعرض له على شيء بعينه .فمنهم من جعل ذلك خلقة ،ومنهم من زعم أنما اعتراه حين قالت آسية بنت مزاحم امرأة فرعون لفرعون :

"لا تقتل طفلا لا يعرف التّمر من الجمر " .فلما دعا له فرعون بهما جميعا تناول جمرة فأهوى بها إلى فيه ،فاعتراه من ذلك ما اعتراه .»[1]

وما يستوقفنا من خلال قول الجاحظ ان الرجل لا يكاد يجزم بنوع المرض اللغوي الذي اعترى سيدنا موسى عليه السلام ،ويكفي ما أشار إليه في نهاية القول ،وهو قوله :( فاعتراه ما اعتراه) .فمالذي اعتراه إذن ؟ فلا أظن ان عالما أرطفونيا بحجم الجاحظ لم يكن بوسعه ان يشخص نوع المرض اللغوي .فهذا أمر –في رأينا –يحتاج إلى التمحيص .

على الرغم من جهود الجاحظ في دراسة هذه الأنواع المرضية النطقية ،الناتجة عن خلل في الجهاز النطقي ،إلا ان الرجل يعترف ضمنيا ان بعض الأصوات قد افلت منه ،فلم يتمكن ما ان يقدم بشأنها تفسيرا علميا مقنعا ،كتلك اللثغة التي « كانت تعرض لواصل بن عطاء ،ولسليمان بن يزيد العدويّ الشاعر ،فليس إلى تصويرها سبيل .وكذلك اللثغة التي تعرض في (السين) كنحو ما كان يعرض لمحمد بن الحجاج ،كاتب داود بن محمد ،كاتب أم جعفر ،فان تلك أيضا ليست لها صورة في الخط ترى بالعين ،إنما يصورها اللسان وتتادّى بالسمع ،وربما اجتمعت في الواحد لثغتان في حرفين...» [2] ،وهذا ما أكدناه فيما سبق ،ورأينا انه ينطبق عليه المثل العربي ( أحشفا وسوء كيلة )

أما النوع الآخر الذي تناوله الجاحظ أيضا بالشرح والتعليل الحبسة ،والفافاة ،والعقلة ،واللكنة فقال :«ويقال في لسانه حبسة ،إذا كان الكلام يثقل عليه و لم يبلغ حدّ الفافاة ،والتمتام .ويقال في لسانه عقلة ،إذا تعقّل عليه الكلام .ويقال في لسانه لمنة ،إذا ادخل بعض حرف العجم في حروف العرب ،وجذبت لسانه العادة الأولى إلى المخرج الأول .فإذا قالوا في لسانه حكلة فإنما يذهبون إلى نقصان آلة المنطق ،وعجز أداة اللفظ حتى لا تعرف معانيه إلا بالاستدلال .وقال رؤية بن العجاج:

---

[1] -الجاحظ ، م نفسه ،ص 36-37.

[2] الجاحظ ،نفس المصدر السابق ،ص 56.

لو أنني أوتيت علم الحكل علم سليمان كلام النمل » [1]

إن الجاحظ من خلال عرضه لأعراض اللكنة مثلا تنبه إلى اللغة الطبيعية التي ينشا عليها الفرد فتصبح ملكة في نفسه على حد تعبير ابن خلدون ،وربما تعلم لغة أجنبية أخرى موازية للغته فيكون سببا في تسرب اللكنة إلى لسانه ،ولعل هذا ما توصي به اللسانيات التطبيقية وحقل تعليمية اللغات

على ان تعلم اللغة الأجنبية بالنسبة للطفل يجب ان لا تكون في السنوات الأولى من تمدرسه حفاظا على البيان العربي وسلامة نطقه للأصوات العربية محددة من خلال مخارجها .فالأجانب « الذين يتكلمون العربية والذين يمزجون بين لكنة لغتهم الأم ،وبين لكنة عربية ،فمهما بالغوا في تعلمهم العربية واختيار الألفاظ الفاخرة والمعاني الشريفة ومهما اخذوا أنفسهم بالدقة ورعاية الأحكام الإعرابية في اللغة ،فان النزعات اللغوية الباطنة لا تلبث ان تكشف عنهم ذلك القناع الذي يصطنعونه وتنم عن أصولهم .» [2]

لقد أدرك الجاحظ بعمق خصائص الأصوات العربية من حيث موقعيتها ضمن الملفوظ اللساني ،وهذا باب يتعلق بالبيان ولا يحيد عنه ،بل في خصائص الفصاحة العربية ،ومن المؤلفين العرب من أسهم في هذه الباب من خلال تمييز اللفظة العربية عن غيرها من الألفاظ الدخيلة وذلك من خلال اقتران الحروف بعضها ببعض « فالجيم لا تقارن الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا الغين ،بتقديم ولا تأخير .والزاي لا تقارن الظاء ولا السين ولا الضاد ولا الذال ،بتقديم و لا تأخير .وقد يتكلم المغلاق(الذي يستعصي عليه الكلام) الذي نشا في سواد الكوفة بالعربية المعروفة ،ويكون لفظه متخيرا فاخرا ،ومعناه شريفا كريما ،ويعلم مع ذلك السامع لكلامه ومخارج حروفه أنه نبطيّ .وكذلك إذا تكلم الخراساني على هذه الصفة ،فانك تعلم من إعرابه ،وتخير ألفاظه في مخرج كلامه ،انه خراساني .وكذلك ان كان من كتاب الأهواز.» [3] .ان الذي يدعم هذا الراي ،ما ذهب إليه الدكتور رمضان عبد التواب ،قائلا :« ...وكذلك النبطي القح خلاف المغلاق الذي نشأ في بلاط النبط ،لان النبطي القح يجعل الزاي سينا ،ويجعل العين همزة ،فإذا أراد ان يقول : شمعل ،قال : شمئل .» [4]

---

[1] -الجاحظ ، نفسه ،ص 39-40.

[2] -مازن الوعر ،المرجع السابق ،ص 549.

[3] -الجاحظ ،المصدر نفسه ،ص 69.

[4] -رمضان عبد التواب " التطور اللغوي ،مظاهره وعلله وقوانينه " مكتبة الخانجي ،القاهرة ،ط3 ،1997 ،ص 124.

لم يكتف الجاحظ في الإحاطة —حسب علم الباحث–بالجوانب النفسية والعضوية ،وحتى العصبية التي تكون سببا أساسيا في إصابة الطفل بأي نوع من الأمراض المتقدم ذكرها ،بل كان عالما اجتماعيا ،يحدد دور البيئة اللغوية التي ينشا عليها الطفل ،فالطفل كما ذكرنا سلفا يتفاعل مع بيئته ومجتمعه ،ويكتسب لغته الطبيعية دون عناء ،وبجهد يسير جدا من خلال الأسرة (الأم والأب

خاصة ) اعتمادا على كفايته اللغوية ،ومن تقليده للأصوات اللغوية .لكن الجاحظ عمّق هذه النظرة الاجتماعية وتأثيراتها على الطفل فقال :« والذي يعتري اللسا ن مما يمنع من البيان أمور : اللثغة التي تعتري الصّبيان إلى ان ينشئوا ،وهو خلاف ما يعتري الشيخ الهرم الماج »[1] *وبناء على ذلك ،أورد الدكتور مازن الوعر مخططا ،نبه فيه إلى ظاهرة التبدلات الصوتية للغة العربية عند الأعاجم [2]

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| 1–ج | ← | ز | جمل ← | زمل (السندي ) |
| 2–ش | ← | س | شر ← | سر (السندي والرومي ) |
| 3–ز | ← | س | زورق ← | سورق ( النبطي ) |
| 4–ح | ← | هـ | حمار ← | همار (الرومي ) |
| 5–ع | ← | ء | ناعمة ← | نائمة ( الرومي والنبطي ) |

قدم الجاحظ في نهاية هذا الفصل الذي خصصه للأمراض اللغوية والنطقية ،بعض الروايات التي تبرز لنا اللكنة التي تعتري الأعاجم ،وما ينجر عنها من سوء الفهم ،وتحريف الدلالة ،ومنها [3]:

1 -الجاحظ ، م– نفسه ،ص 71. *هو الهرم الذي يمج ريقه ولا يستطيع حبسه.

2 - مازن الوعر ، المرجع المذكور سابقا ،ص 554.

3 -الجاحظ ،المصدر السابق ،ص 74. ،وينظر الروايات الأخرى في هذا الباب :مازن الوعر ،المرجع السابق ،ص 555.

قيل لنبطيّ : لـــمَ ابتعتَ هذه الأتان ، فقال : "أركبها و تلدَ(بالفتح المتتابع للحروف) لي " .فجاء بالمعنى بعينه و لم يبدل الحروف بغيرها ،ولا زاد ولا نقص ،ولكنه فتح المكسور حين قال وتلد(بفتح اللام) ،و لم يقل تلد (بكسر اللام ) لي .

ومن خلال ما تقدم ذكره ،حريّ بنا القول بان الجاحظ سبق عصره ،فأصبح عالما فريدا عارفا بظاهرة الأمراض اللغوية وأشكالها ، وتشعباتها ،وتداخل الكثير من العوامل في إثارتها ،داعيا ضمنيا إلى ضرورة تقويم الألسنة من خلال ملاحظات ثاقبة ،وبهذا يكون قد طرق هذا العلم قبل الأبحاث الغربية في مجال الأمراض اللغوية (Pathologie du Langage )،خاصة إذا ما علمنا ان البحث العلمي للأمراض والعيوب النطقية ظهر في الغرب في القرن التاسع عشر ،مع تحديد المصطلح .فالحبسة في مفهومهم 'أي الغرب ) « عدم القدرة على الكلام أو فهم اللغة ،اثر خلل في قشرة النصف الأيسر للمخ (اليمنى أو اليسرى ) ومع تعيين منطقتها ،يتحدد نوع الحبسة.» [1]

،ومن خلال ذلك كله وجب علينا نحن–العرب–ان نترل هذا العالم الموسوعي l' ( Encyclopédiste ) المترلة التي هو جدير بها ،ونفاخر به علماء الغرب،وينبغي علينا نحن العرب أيضا ان « ننبش التراث العربي اللساني واللغوي ،ثم ينبغي علينا بالتالي ان ننشر هذا التراث في ضوء علم اللسانيات الحديث ،وهذا بالطبع سيعمق معرفتنا بالماضي والحاضر ،بالأصالة والمعاصرة ،وهذا في رأيي شرط أساسي لقيام أية حركة لسانية حديثة يريدها العرب في التاريخ الحديث والمعاصر .» [2] ،ولا يتأتى –في رأيي–ذلك إلا بالعودة إلى هذا التراث الغني لاستنطاقه ،وإجلاء كنوزه ،وقراءته قراءة واعية بمنظار حداثي ،وما عسانا ان نقول إلا كما قال الجاحظ نفسه : «ينبغي ان يكون سبيلنا لما بعدنا كسبيل من كان قبلنا على أننا قد وجدنا من العبرة أكثر مما وجدوا ،كما ان من بعدنا يجد من العبرة أكثر مما ينتظر العالم بإظهار ما عنده وما يمنع الناصر للحق من القيام بما يلزمه وقد أمكن القول وصلح الدهر وهبت ريح العلماء ،وكسد العيّ والجهل ،وقامت سوق البيان والعلم.» [3] .

و من البحوث الغربية التي يمكن مقارنتها بأعمال الجاحظ في المجال المعين سابقا –ان جازت المقارنة– أبحاث العالم "رومان جاكوبسون "وحصره لأنواع الافازيا.

---

[1] - -Dictionnaire petit Larousse .Librairie Larousse;1983 ;P51

[2] - مازن الوعر ،المرجع المذكور سابقا ،ص 565

[3] مازن الوعر ، نفسه ،ص 566.

## 2-نظرة "جاكوبسون" (Jakobson) (1896-1982) للأمراض اللغوية :

لقد تناول "جاكوبسون" [1] ظاهرة الأمراض اللغوية في كتاب خاص حمل عنوانا مشوقا وهو :(لغة الطفل والحبسة أو الأفازيا " (Langage Enfantin et Aphasie ) ضمنه ثلاثة فصول ،وقد جاءت وفق التقسيم الآتي [2] :

1-التطور الصوتي للغة الطفل والأفازيا كمشكلة لسانية ( L'évolution phonique du langage enfantin et de l'aphasie comme problème linguistique)

2.-طبقات النظام الفونيمي ( Stratification du Système Phonématique ).

3-تأسيس القوانين البنيوية (Fondement des lois structurales )

اهتم "جاكوبسون " بالأمراض الكلامية ، وتعيين الحالات الفيزيولوجية والنفسية والعصبية التي تعترض سبيل العملية النطقية الصحيحة للكلام ،وهذا اعتمادا على النتائج المتوصل إليها في ميدان الطب والدراسات اللسانية والنفسية ،مع اقتراح العلاج . وركز "جاكوبسون " على العملية التواصلية والعلاقة بين المرسل والمرسل إليه ،خاصة المرحلتين :الترميز( Codage ) وفك الترميز

---

[1] - من مواليد 11 تشرين الأول عام 1896 من عائلة يهودية روسية ومن طبقة برجوازية ،كان والداه يهتمان بالرسم والانفتاح على الثقافات الأجنبية والأفكار الجديدة ،ويتمتعان بثقافة مرموقة ...تخصص في مجال القواعد المقارنة ،واظهر اهتماما باللهجات الروسية والفلكلور ،تلقى علومه في مؤسسة (لازاريف) ...رحل الى البلاد الاسكنديناڤية وعمل أستاذا وباحثا في (كوبنهاجن) و(اوسلو) ،وتمركزت أبحاثه في تلك الفترة حول لغة الأطفال ،درس في المعهد الحر للدراسات العليا في "نيويورك " بين عامي ( 1942-1946) وفي جامعة "كولومبيا " (1943-1949) وفي جامعة "هارفرد ،وكان كوسيط بين علم الألسنية من جهة وعلم الأعصاب والبيولوجيا وعلم النفس وأمراض الأعصاب ،توفي سنة 1982 ومن أثاره ( مبادئ الفونولوجيا ،العلاقات الداخلية والخارجية للغة 1973 ،وستة دروس حول الصوت والمعنى 1976.

ينظر :فاطمة الطبال بركة " النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون " المؤسسة الجامعية لدراسات والنشر والتوزيع ،بيروت ،الطبعة الأولى ،سنة 1993.،ص 15 وما بعدها .بتصرف

-Georges Mounin " la linguistique du 20eme siècle " P.U.F ;2eme éd ;1975 ;P 137-

– وينظر ميشال زكريا " مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة " المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،بيروت (دط)، 1983 ،ص 163-164.

[2] - -Roman Jakobson "Langage Enfantin et Aphasie " ;TRAD de l'anglais et de l'allemand ;par :Jean –Paul BOONS .ET RADMILA Zygouris ; éd de Minuit ;1969,P 187.

( Décodage ) .لان اللغة –كما سبقت الإشارة إلى ذلك-نظام ( Système ) من العلامات والرموز المتعارف عليها .فالكلام في جوهره هو عملية صياغة للأفكار التي نتصورها ذهنيا ،اعتمادا

على رموز عربية أو فرنسية أو اسبانية ...الخ ،وقيمة هذه الأفكار تتعلق بمدى فهم المرسل إليه ولا يتأتى ذلك إلا بفك هذه الرموز والكشف عنها .يقول جاكوبسون : « يجب ان تكون للمستقبل الرموز نفسها التي استعملها المرسل ،ومن خلال سماعنا لرسالته ،كان بمقدورنا معرفة المكونات من الوحدات الترميزية .ومن هنا يمكننا تعيين المرسل على انه الرامز(واضع الرمز) بينما المرسل اليه هو مفكك الترميز .» [1]

إن المتصفح للكتاب الذي ألفه "جاكوبسون " يدرك ان هذا الأخير قد عالج موضوع الحبسة أو الافازيا داخل اللغة نفسها ،أو من ناحية الاكتساب اللغوي عند الطفل لان الافازيا في مفهومه تكون عطلا يصيب لغة المصاب بها لذلك تساعد دراسة مظاهرها في مجال دراسة اللغة العادية والسليمة وتفهمها بالمقدار نفسه الذي تساهم به ،في هذا الإطار ،دراسة اللغة عند الطفل .وتتمحور دراسات جاكوبسون في هذا المضمار ،حول مشكلتين يعتبرهما أساسيتين ،وهما : الأولى وهي المظاهر اللغوية للاضطرابات الافازية ،وأما الثانية فهي :التوازي الواضح بين التفكك اللغوي عند الافازي وبين اكتساب اللغة عند الطفل. [2]

في الحقيقة ان جاكوبسون ،وكغيره من اللسانيين البنيويين ،ينطلق في معالجة هذه الظاهرة المرضية الكلامية من اللغة ،كما أكدت سلفا ،متخذا من ظاهرة التقطيع المزدوج التي اعتمدتها المدرسة الوظيفية في اللسانيات الحديثة وعلى رأسها "أندري مارتيني" ( A-Martinet )،بحيث ان اللغة تدرس أو بالأحرى تقطع إلى مستويين وهما : المستوى المورفيمي( Morphèmes )،واما الثاني فهو التقطيع على مستوى الفونيمات ( Phonèmes ).وبناء عليهما (الفونيم والمورفيم ) يحدد جاكوبسون نوعين من الإصابات في ما يتعلق بمقدرة المريض على فهم الكلام [3]

فالفونيمات هي اصغر وحدة صوتية لا تحمل دلالة في ذاتها ،لكنها قادرة على تغيير المعنى ،وفي الحقيقة« ان الطبيعة الفونيمية للاضطرابات أو الأمراض اللغوية قد ايرت من خلال التطورات

---

[1] -Roman Jakobson "Langage Enfantin et Aphasie ";P110

[2] - ينظر ميشال زكريا "الألسنية (علم اللغة الحديث ) المبادئ والأعلام ) ،ص 67.

[3] -ينظر ،ميشال زكريا :المصدر السابق ،ص 67.

الحديثة في دراسة الافازيا . علم النفس الحديث من خلال مبادئه المستوحاة من النظريات القديمة ل"بروكا " اضطروا إلى دراســة كل ما يتعلق باللغة من زاوية خصائصــها الرمزية وطبيعة

علامتها .» [1] .وأما المونيم أو المورفيم فهو اصغر وحدة صرفية لا تقبل التقسيم إلى مستويات دنيا ذات دلالة ،علما ان المتكلم وهو يباشر في عملية الكلام ،فانه يختار « الكلمات ويؤلف بينها في جمل تتلاءم ونظام تركيب الجمل (النحو) للغة التي يستعملها ،والجمل بدورها تتلاحم في عبارات ،وليس للمتكلم في أي حال من الأحوال الحرية الكاملة في اختيار الكلمات ،فالانتقاء يجب ان ينطلق من الكتر المفــرداتي المشترك بينه وبين متلقي الرسالة » [2] .في الحقيقة ان جاكوبسون لم يقدم شيئا جديدا في هذا الإطار لماذا؟لان المفاهيم التي أسس عليها الازدواجية اللغوية لا تخرج عن الإطار المرجعي الأصلي لها ،والذي تبناه "دي سوسير " من حيث تمييزه بين المصطلحات اللسانية ،وان شئنا الثنائية المعروفة ( اللسان/الكلام ) فاللسان هو النموذج اللغوي الذي تخضع له الجماعة اللغوية في كلامها وتواصلاتها ،ولسنا أحرارا في تغييره إضافة أو نقصانا ،وان اختيارنا للمفردات التي يود احد منا استعمالها وجب ان نعود ضروريا إلى هذه النموذج وهو اللسان ،أما اللغة فما هي إلا تجسيد للسان في الواقع الكلامي .إذن قضية الانتقاء التي عرضها جاكوبسون قد يترتب عليها خلل في انتقاء المفردات .فعندما نقدم لمريض من هذه الفئة (خلل الانتقاء) أجزاء كلمات أو جمل ،فانه يكملها بسهولة كبيرة ...ولكنه يجد صعوبة بالغة في الابتداء بالحوار ،وهو قادر على الإجابة على متكلم حقيقي أو متخيل ،عندما يكون هو ذاته متلقي المرسلة أو عندما يتخيل انه هو ...[3]

أما الحالة الثانية فهي حالة (اضطراب التجاور ) ،فالكلمات في الملفوظ اللساني لا تكون رصدا عشوائيا للمفردات اللغوية دون أدنى تنسيق بينها ،فالقواعد ونظام التركيب الخاص بكل لغة كفيلان بضمان تجاور هذه المفردات تجاورا يؤدي دلالة معينة فكما ان «جسد الإنسان يتألف من أجهزة ،والأجهزة من أعضاء ،والأعضاء من أنسجة ،والأنسجة من خلايا ،فكذلك الأمر بالنسبة للغة ،إذ أنها تتركب من كلام ،والكلام من جمل ،والجمل من كلمات ،والكلمات من مقاطع وحروف .وهكذا نرى ان اللغة تتركب من وحدات صغيرة تنتظم فيما بينها لتؤلف وحدات

---

[1] " - -Roman Jakobson "Langage Enfantin et Aphasie;P 38

[2] - فاطمة الطبال بركة،المرجع السابق ،ص 155.

[3] - نفسه ،ص 159.

أخرى اكبر منها ،وكلها مترابطة بحسب نسق معين وبحسب ترتيب خاص ،بحيث لا يجوز التقديم أو التأخير ولا العكس ،إلا في حالات معينة » [1]

ان المريض لغويا اعتمادا على التجاور غير قادر على تشكيل جملة سليمة تركيبيا ،فبغياب القواعد النحوية التي تنظم الكلمات في وحدات اكبر تكون مفقودة ،ويؤدي هذا الفقدان المسمى (لا نحوي )(Agrammatical )إلى تحويل الجملة إلى "كومة من الكلمات .ومن هنا كان أسلوبا تلغرافيا ( Style Télégraphique ) وان أعراض هذا المرض غياب المترادفات(Synonymes )والأضداد ( Antonymes ) لدى المريض ،وفي اختياره للكلمات أو الفونيمات كما يقول جاكوبسون .[2]

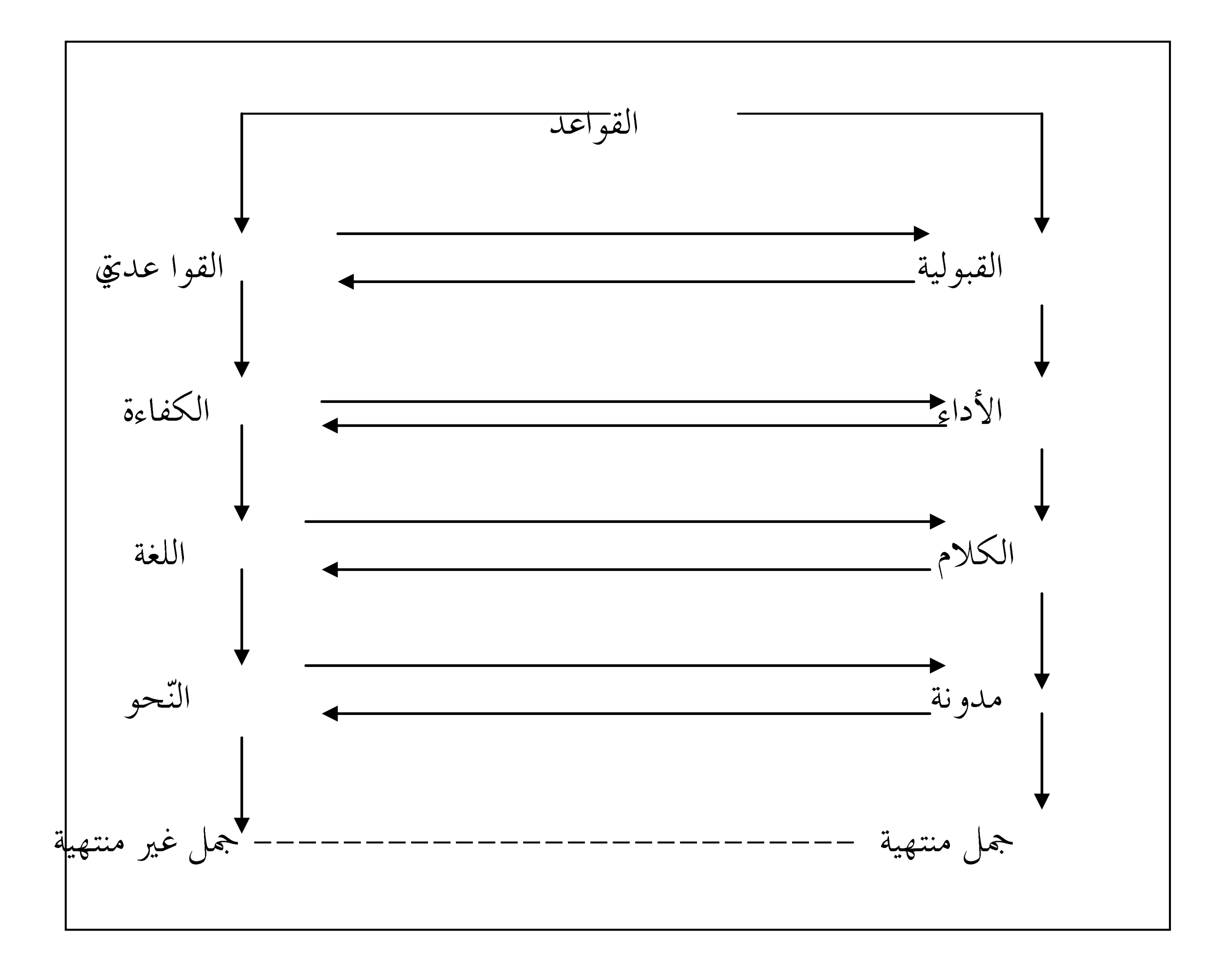
ويمكنا ان نستدل في هذا الباب (النحوية واللانحوية )بالنسبة للملفوظ اللساني بالخطاطة او التقابلات [3] التي اقترحها الدكتور عبد الجليل مرتاض ،والتي من شانها ان توضح هذه المفاهيم اللسانية ،فضلا عما قدمناه في فصل سابق .

---

[1] -حنفي بن عيسى ،المرجع السابق الذكر ،ص 58.

[2] " --Roman Jakobson "Langage Enfantin et Aphasie P 140

[3] - عبد الجليل مرتاض " في رحاب اللغة العربية " ،ص 157.




إن جاكوبسون يقر صراحة ان الأبحاث التي تناولت الأمراض اللغوية أو الاضطرابات المسماة بالافازيا قليلة جدا فلا يوجد مع الأسف غير الشيء القليل للوصف اللساني المستعمل في الافازيا ،وان الشيء القليل هذا الذي بحوزتنا لا يهتم إلا بعدد قليل من اللغات ...من الواجب علينا ان نقدم لعلماء النفس وعلماء الأعصاب الكثير من الأفكار التي ترتكز على العديد من الوظائف الكلامية النطقية المنعزلة ،وخصيصا حول اللغة الداخلية ،ولكن ما لدينا إلا الاستثناءات النادرة [1]

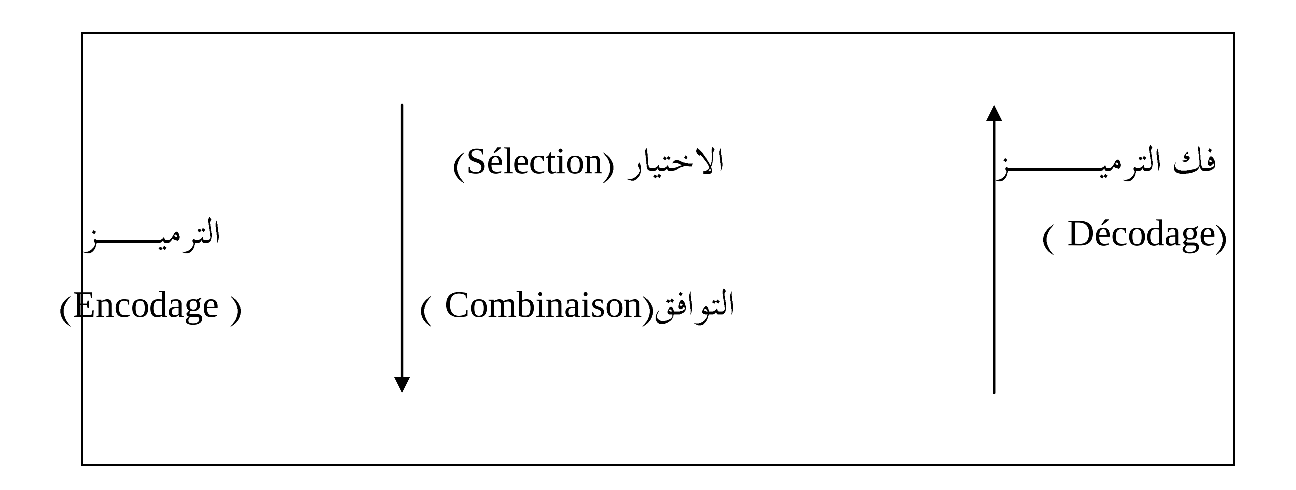
لقد استطاع جاكوبسون ذكر أنواع من الاضطرابات والاختلالات التي تصيب المصابين بالحبسة ،وقد حددها في عدة ثنائيات ،معللا ذلك بأشكال توضيحية :

1-الترميز /فك التميز ( Codage/ Décodage ) ،وقد وضحها جاكوبسون بهذا الرسم :[2]

---

[1] --Roman Jakobson "Langage Enfantin et Aphasie ,P34-35

[2]- I B I D .P 143-




إن الاضطرابات التي تلحق ترميز المرسلة هي عبارة عم ( توافق ،ومجاورة ) ،أما الاضطرابات التي هي من نصيب المرسل إليه فتوافق (الاختيار ،والتشابه ).وتربط العمليتين بنموذجين للعلاقة ،إذ يؤسس الاختيار على التشابه ،والتوافق على المجاورة .ولكن الاضطراب قد يمس العلاقتين كليهما ،ومن هنا يكمن العلاج في تشخيص الاختصاصيين من أطباء وعلماء النفس والأعصاب لتشخيص الاضطراب ونوعه مع تعيين العلاج المناسب لكل حالة مرضية.

أما المستوى الثاني من العلاقات فيتمثل في مستوى من العلاقات التقابلية المعقدة (Compliqué )،تعتمد أولا وقبل كل شيء لتعيين مركز الخلل المؤثر ،ومنه إلى تحديد الحبسة ونوعها ،وهذه المرحلة تسمح للأخصائيين من تشخيص المرض ومتابعته علاجيا مع مراعاة الأولويات.فاللساني مثلا يعود المريض على نطق بعض الكلمات ويراقب مدى تمكنه من النطق السليم والتغلب على مرضه ،أما المريض فانه مؤهل إلى التدخل في الحالات الطبية المحضة.والشكل التوضيحي الذي اقترحه "جاكوبسون " يزيل الكثير من اللبس .

قدم جاكوبسون في نهاية بحثه في مجال الأمراض اللغوية عرضا لأهم الأعراض (Symptômes )الكلامية التي من خلالها يمكن ان نميز بين ستة ( 06) أشكال من الافازيا ،وقد استوحاها من خلال مؤلفات " ليريا" (Luria 1947-1962 ) ومن جهة أخرى رسم وجهة

نظره اللسانية الخالصة للعلاقات الرابطة بين الأشكال الستة للافا زيا من منظور ان ثلاث( 03) ثنائيات هي مستترة أو سطحية(Sous-jacents )لستة (06) أشكال افازية و هي [1] :

1-ديناميكي (Dynamique ) :ان هذا التأثير الديناميكي يكون متعلقا بالأقسام الجبهية للمخ ،كما أكدته (ليريا) Luria ).

2- مخرجي حركي ( Moteur efférent ) :وله علاقة بفرع الجبين الأمامي للقشرة ( Fronto-temporale antérieure du cortex).

3-مدخل حركي (Moteur afférent ) :وله علاقة بالمركز الخلفي (Rétro central )

4-نسياني (Amnestique ):وله علاقة بالمركزي

5-حسي ( Sensoriel ) : وله علاقة بالمركز الأمامي ،مرتبط بالحس .

6-دلالي (Sémantique) :يتحكم في التصنيفات اللسانية .

إلى جانب هذه التصنيفات لأنواع الافازيا ،والتي يصرح بتأثره بـــ"ليريا " في تصنيفها ،يذهب قائلا:«ان الأشكال الأولى والثالثة (الديناميكي والمدخلي ) تصيبان الترميز ( encodage )التي يتعين على المرسل القيام بها .بينما الرابعة والسادسة ( النسيانية والدلالية ) تتعلق في الأساس بأضرار على مستوى فك الترميز ( Décodage ) التي يتعين على المرسل إليه القيام بها لفهم الرسالة .فبالنسبة للمرمز ( l'encodeur ) فان الاختيار من الطبيعي ان يتبع بالتوافق (combinaison) ،اما بخصوص فاك الترميز ( Décodeur ) فهو في الواجهة مع السياق ،أي بالنسبة إليه ان الاختيار قد ســبقه التوافق ...فالتوافق متضرر في كل أشكال الافازيا بالنسبة للمرمز » [2]

ومن المفاهيم التي عالجها جاكوبسون أيضا الاستعارة والمجاز المرسل( Métaphore et Métonymie [3]) ،حيث قال :« أود ان أتحدث في كل مرة وخاصة اليوم عن مشكل مختلف

---

[1] -"--Roman Jakobson "Langage Enfantin et Aphasie -;P 153

[2] - IBID.P 153-

[3] -ذهب بسام بركة في ترجمة هذين المصطلحين على عكس ما لمسناه من معان من ثنايا النص المترجم . : Métaphore استعارة ،مجاز ،بينما القابي

Métonymie : كناية ،مجاز مرسل .ينظر بسام بركة " معجم اللسانية " ،ص 130-131.

تماما عما كنت أفكر فيه ،وخاصة بأهميته ليس في دراسة الافازيا فحسب ،بل أيضا في العلم العام للغة ،وخصوصا في تحليل البنية الكلامية ،والسلوك الكلامي ،والفنون الكلامية ...ان الشكلين الاثنين المتعارضين ،(المجاز والاستعارة ) يقدمان التعبير الأكثر أهمية بالنسبة للعلاقات الأساسية بينهما :علاقة داخلية وعلاقة خارجية » [1]

ومن هنا يمكن للخطاب ان يتقدم عل خطين دلاليين مختلفين :هناك موضوع يسوق موضوعا آخر أما بالتماثل أو بالتجاور .ومن الأفضل على ما يبدو ان نتكلم عن عملية استعارية في الحالة الأولى وعن عملية مجازية ف الحالة الثانية ،ذلك لان الأولى تجد تعبيرها الأشد كثافة في الاستعارة والثانية تجده في المجاز المرسل .وتكون في حالة الحبسة إحدى هاتين العمليتين منتقصة أو معلقة تماما ،وهذا ما يجعل دراسة الحبسة مثمرة جدا لعالم الألسنية .[2]

---

1. Roman Jakobson "Langage Enfantin et Aphasie P 109

2 -فاطمة الطبال بركة ،المرجع السابق ،ص 170

# الفصل الثالث

# المفاهيم الانتربولوجية في ظل الدراسات اللسانية المقارنة

شهد حقل الدراسات اللغوية الأوروبية نهاية القرن الثامن عشر ظهور حدث لغوي هام وهو استكشاف اللغة السنسكرتينية( L.Sanscrit) وهي لغة الهنود القديمة، على يد سير وليم جونز( sir william jones )(1746-1794 )،ومن ثم إبراز علاقتها الوطيدة باللغات الأساسية في أوروبا ،ونعني بذلك اللغات اللاتينية، اليونانية، الجرمانية، الكلتية .ومن هنا بر ز التأثر من قبل الدارسين المهتمين بهذه اللغة ،لذا فليس من العجب أنك « لا تكاد تجد عالما لغويا واحدا من علماء القرن التاسع عشر لا يعرفها ولا يدرسها أو يقيم أطروحته فيها »[1] وكأن اللغة السنسكرتية المكتشفة قد أضحت محل اهتمام بالنسبة للدارسين ،بالنظر إلى بنيتها الصوتية والمورفولوجية والتركيبية ،وذلك في ظل تموقعاتها بالنسبة للغات الأوروبية ،وكان هذا الاهتمام إيذانا ببدء مرحلة المقارنة بين اللغات ، أي مرحلة الفيلولوجيا المقارنة( La Philologie comparée )

بات من المؤكد ان الثقافة اللغوية الهندية التي احتوتها اللغة السنسكريتية أصبحت محل اهتمام ،بل تأثير واضح على المنحى الجديد في تاريخ اللسانيات المقارنة بكل مستوياتها :الصوتية والتركيبية والدلالية .من هنا فالهند هي صاحبة « الفضل في إثارة معلومات أدت إلى الأفكار الأوروبية الحديثة عن اللغة »[(2)] ،ودليلنا في هذا المنحى أي منزلة اللغة السنسكريتية ، الوصف الذي يسند إلى العلامة الالماني شليغل (F-Schlegel ) حيث قال : « لا يقتصر الشبه بينها وبين اللاتيني ة واليونانية والألمانية والفارسية على ذلك العدد من الجذور المشتركة ،لكنه يمتد إلى البنية الداخلية لهذه اللغات والى أعماق القواعد ،إذا لسنا هنا بإزاء توافق عارض ،بل أنها تظهر البنية اللغوية بأسرها . »[3] فهذا العلامة يؤكد–حسب علمنا –ان المقارنة بين اللغة السنسكرتية واللغات الأوربية يجب ألا يقتصر على مستوى دون آخر ،كان يكون المستوى الصوتي وإغفال الجانب التركيبي، بل يجب إثبات المقارنة بجميع المستويات اللغوية .

لاشك أن القرن التاسع عشر حمل الكثير من التوجهات العلمية في تناوله للظاهرة اللغوية ،وكان لها اكبر الأثر على الدراسات اللغوية ،على الرغم من ان هذا القرن لا يمكن فصله نهائيا عن عما سبقه من خلال الكم الهائل من الرؤى العلمية والنظريات الإبداعية التي راجت في نهاية القرن الثامن عشر ،إلا أننا نعتبر القرن « التاسع عشر عصر التنوير الفكري والتفتح العقلي ،وبفضل

---

[1] - عبد الجليل مرتاض " التحولات الجديدة للسانيات التاريخية " ،دار هومة ،طبعة 2005 ،ص 67.

[2] – أحمد مختار عمر، " محاضرات في علم اللغة الحديث " عالم الكتب للنشر، ط1، القاهرة 1995 ص 14

3 – عبد الجليل مرتاض ،المرجع السابق ،ص68

المعطيات العلمية والفلسفية الجديدة التي طرأت في أوائل هذا العلم ،والذي لم يتردد لحظة في استثمارها لصالح تثبيت نظرياته من قبل أصحابها الذين غلب عليهم الوازع العلمي الطبيعي قدوة بما كان يجري في مواد علمية أخرى . »[1] وكمثال على ذلك فكرة " النشوء والارتقاء " انطلاقا من مؤلف داروين الأساسي ،فكان لهذه النظرية أثرها الواضح في اللغويين يعادل أو يفوق اثر العلوم الطبيعية والبيولوجيا وعلم الحيوان ،وعلم المستحاثات ( La Paléontologie )والطب وعلم التشريح (L'anatomie ) مجتمعة [2]،فكان النظر الى تطور الألسن وتغيرها وتصنيفها إلى لغات امهات(L .Maternelles) ولهجات (Dialectes )وتفرعات أخرى كما هو سار العمل به في التقسيمات والمفاهيم في المملكة الحيوانية والنباتية. فاللغة –في منظورهم- يمكن مقارنتها بالكائنات الحية ،فاوغست شلايشر (A-Schleicher )(1821-1867)كان يزعم بان ما« ينطبق على هذه الكائنات ينطبق تماما على اللغة التي تنمو وتشب وتهرم ثم تموت . »[3]

ونهض اللغويون الألمان بدور كبير في سبيل الرقي بالدراسات اللغوية ،وخاصة المقارنة (Comparatisme ) ومنهم:

-فرا نز بوب( Franz – Bopp) ( 1791–1867): كان السباق إلى اكتشاف أواصر «القربى بين السنسكرتية وبعض اللغات الأخرى من أوربا واسيا ،كما كان السباق إلى إدراك ان العلاقات بين اللغات التي يجمع بينها رحم واحد يمكن لها ان تصبح مادة لعلم مستقل»[4]

ويعد "بوب" أول من درس الفونولوجيا التاريخية، كما كتب مذكرة (Un mémoire) سنة 1816 في "نظام تصريف اللغة السنسكريتية"( le système de conjugaison de la langue sanscrite )ومقارنتها بالأنظمة الموفولوجية المعروفة في اللغات الألمانية واللاتينية والفارسية والجرمانية القديمة [5]، لذا يمكن اعتبار هذا العمل الانطلاقة الأولى للقواعد المقارنة في تاريخ الدراسة اللغوية .

---

[1] - عبد الجليل مرتاض ،المرجع السابق ، ص18

[2] -عبد الجليل ،م نفسه ،ص 19

[3] -Bentil Malberg " les Nouvelles Tendances de la linguistique " P 23.

[4] - عبد الجليل مرتاض ،م –نفسه ،ص 70.

[5] - ينظر : محمود السعران " علم اللغة –مقدمة للقارئ العربي " دار النهضة للطباعة والنشر ،بيروت ،ط1 ،ص 336

- voit : Robert Laffont " révolution en linguistique " P46.

- جاكوب جريم j- Grimm ( 1785 -1863):كاتب وفقلغي ألماني ،اعتمدت أعماله خاصة على تطور اللغات الألمانية ،وهو معروف بترعته الوصفية من خلال القانون الذي سنه حول " تحول الصوامت "(Mutations Consonantiques ) والذي يعتبر من القوانين الأساسية التي تعتمدها اللسانيات التاريخية والنحو المقارن .[1]

-راموس راسك (Ramus Rask )(1787–1832) لساني دانماركي ويعد من المؤسسين للمنهج المقارن ،وهذا اعتمادا على المقارنة التي بين أهم اللغات الأوربية واللغات الشمالية بشان قياسية التماثلات أو التشابهات الصوتية في الكلمات التي تحمل دلالة واحدة [2] .وكان على " راسك " ان يستدل ويبرهن على وجود اصل مشترك للغة اللاتينيِة والإغريقية والجرمانية والسلافية ،ولكن بدون ان يتخذ من السنسكرتية مرجعا لذلك.

-فون همبولدت (Von Humboldt)(1767–1835):مع بوب وراسك وغريم ،يعتبر "همبولدت" وبكل تأكيد من ابرز اللسانيين في التيار المقارن ،وذلك من خلال نقاط هامة أثارها ،ومن أبرزها ،ان اللغة على اعتبارها وسيلة للتواصل ،فهي أيضا مرآة عاكسة للروح الإنسانية مثلها مثل الفن والعلوم الأخرى ،وهو الذي كتب قائلا : « اللغة والتعبير هما الشكلان اللذان من خلالهما يرى الفرد العالم من حوله ،ويحملانه (العالم) الى داخل الفرد ذاته . »[3] *

أما النقطة الثانية للتفكير اللساني عند " همبولدت" تتمحور حول الطابع الاجتماعي للغة ،وبالنسبة له ،فان كل لغة هي انعكاس لأشكال التفكير للشعوب التي تتكلمها ،ولكن ليس ذلك انعكاسا بسيطا [4]،ومن هنا فان اللغة شرط أساسي وضروري لرؤيتنا للعالم بالنسبة لمستعمليها ،هذه الرؤية هي الشكل الداخلي للغة ،في حين ان البنية الصوتية والتركيبية السانتكسية ما هي إلا الشكل الخارجي .

هذا بالإضافة إلى باحثين لغويين ألمان مثل شلاشر( Scheleicher )ورامل( Rammel )وماكس موللر(Max Muller )، وغيرهم، ويعود فضل المدرسة اللغوية الألمانية أنها قامت بإرساء

[1] - voit : Robert Laffont " révolution en linguistique "P49.

[2] - عبد الجليل مرتاض " التحولات الجديدة للسانيات التاريخية " ،ص 71.

[3] - Robert Laffont " IBID".P51

* " la langue est l'expression de la forme sous laquelle l'individu voit le monde et le porte à l'intérieur de lui-même " p51

[4] - Robert Laffont " IBID. P51

مناهج لدراسة اللغة أدق من المناهج السابقة، وتم التفريق بذلك بين مصطلحين هامين من الدراسات اللغوية وهما:

1- مصطلح الفيلولوجيا (Philologie) ( فقه اللغة): وهو منوال إجرائي موضوعه النصوص القديمة، الآثار التاريخية القديمة، فضلا عن تحقيق المخطوطات وبذلك فهي تعكف على دراسة الوثائق المكتوبة.

2- مصطلح علم اللغة (linguistique ): وهو الذي يتخذ اللغة موضوعا له[1] وبذلك فهي تعكف على دراسة اللغة المكتوبة والمنطوقة علة حد سواء .

إذا كان القرن التاسع عشر قد شهد الموجتين التاريخية والمقارنة ،فان القرن العشرين قد اصطبغ بالصبغة الو صفية بمستوياتها التحليلية [2]وذلك بعد أن تغيرت نظرة اللغويين إلى اللغة واعتبروها بنية( structure ) أو نظام (système ) ولعل أول من أرسى دعائم هذه النظرة هو العالم اللغوي السويسري ( 1857- 1913) حيث كان له دور أساسي في بيان الفرق القائم بين اللغة من حيث هي نظام مستقر وبين اللغة من حيث تغيير لغوي.

[1] - محمود السعران ، علم اللغة مقدمة القارئ العربي ، ص: 49.

[2] - المرجع نفسه ،ص 243-244

**اللسانيات الامريكية** :

عرف القرن الماضي تطورا مذهلا للسانيات الأمريكية وتميزت عن اللسانيات الأوربية من نواح مختلفة بعضها يتعلق بالمفاهيم والبعض الآخر يتعلق بالطريقة ،وهذا لا يعني إطلاقا القطيعة بينهما ،لان المدرسة الأمريكية لازالت تعتمد هي الأخرى على الطروحات السوسيرية وأفكارالبنيوية [1] لئن كان القرن التاسع عشر قد هيمنت عليه-كما ذكرنا- اللسانيات التاريخية والمقارنة ،فان القرن الذي أعقبه قد سيطرت عليه اللسانيات الوصفية ،وقد تطور هذا النمط من اللسانيات الآنية بطريفة مستقلة في جهتين مختلفتين من العالم : أوربا وأمريكا .فاللسانيات الأمريكية« اختلفت عن اللسانيات الأوربية من حيث المنهج المتّبع والمادة المدروسة (...) أما اللسانيات الأمريكية فقد انطلقت من **الانثروبولوجيا** والدراسات الحقلية التي اهتمت بتدوين وتصنيف اللغات الهندية الأمريكية المتناثرة في الولايات المتحدة الأمريكية خشية انقراض هذه اللغات التي تستعملها في معظم الأحيان مجموعة صغيرة من الناس .والحق ان هناك ثلاثة باحثين بارزين قاموا بإرساء دعائم اللسانيات الأمريكية وتوجيهها الوجهة التي نعرفها اليوم وهم : فرانز بوعز ( Franz Boas ) وادوارد سابير (Edward Sapir) وليونارد بلومفيلد (L .Bloomfield ) [2]

الحقيقة ان الدراسات التي اعتمدتها المدرسة الأمريكية ما فتئت تبذل جهودا معتبرة ومحمودة ،وقد وجدت صدى حتى في الدراسات المعاصرة ،لذا يجب الإشارة إلى أنه ابتداء من القرن العشرين«فان الدراسات اللغوية في الولايات المتحدة الأمريكية تقترب من نظيراتها الأوربية وفي نفس الحقبة ،ومن هذا الفرق فان اللسانيين الأمريكيين عملوا على دراسة لغات عدة ومتنوعة ،وغير معروفة كاللغات الهندواوربية ،وهذا ما استدعى منهم بذل الكثير من الجهود من اجل الإحصاء والمقارنة » [3].ولعلي في هذا المجال أقف عند اكبر لساني هذه المدرسة في هذه الحقبة الزمنية واليه يعود الفضل في إرساء دعائم المدرسة الأمريكية وتوجيهها المنحى الذي نعرفه اليوم.

فرانز بواس( Franz Boas) (1858-1942):تكوّن بمدرسة النحاة الجدد ( Neo-grammairienne) ،واستطاع ان ينجز العديد من الأبحاث المهمة حول اللغات الهندية الأمريكية (Amérindiennes) ،وأسس سنة 1917 "الجريدة العالمية الأمريكية للسانيات"

---

[1] -- Robert Laffont " révolution en linguistique"P121.

[2] - أحمد مومن " اللسانيات ،النشأة والتطور " ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،ط3 ،2007 ،ص 187.

[3] - Robert Laffont " révolution en linguistique"P121

L'international Journal of America Linguistics)[1](

يرى " بواس " انطلاقا من نظرته للثقافة أن **الانثربولوجيا** ليست فرعا من المجتمع وليست وليدة الظروف أو العوامل المادية، وان العلوم الإنسانية تختلف تماما في المحتوى والمنهج عن العلوم الفيزيائية وهذا هو مفتاح اللغز[2] ،فعندما اكتشف "بواس" أن العلوم الإنسانية هي التي اجتذبته من بين المظاهر الثقافية المختلفة التي تمكن الأنتروبولوجي من محاولة الفهم والوصف ظهرت أهمية اللغة وأدرك-تمام الإدراك- أنها مفتاح جميع الثقافات والعلوم الإنسانية .

ولا يمكن ان نغفل في هذا المجال الأدوار المصيرية التي اضطلع به " بواس " من خلال نشره للأعمال المنجزة في الولايات المتحدة الأمريكية بعد ذلك ،ويمكننا القول حينئذ ان اللسانيات الأمريكية تطورت بشكل ملحوظ وسريع وهذا بفضل أعمال :ادوارد سابير (E-Sapir ) ، وليونارد بلومفيلد (L-Bloomfield ) ،وتلامذته ممن ضمهم التيار التوزيعي (Distributionnalisme ) الذي غلب على الأبحاث حتى إلى سنوات 1950 ،ودونما اقصاء لأعمال" سوادش" (Swadesh) ،و"توادل " (W-F.Twadell) ،و" بلوخ "( B-Bloch) ،و"هوكات " (Hockett) ،وخاصة "هاريس " (Zellig s.Harris) الذي يعد من أهم المنظرين الأمريكيين ،وهو في الوقت ذاته معلم ل "نوام شومسكي "(Chomsky)مؤسس النحو التوليدي(g-generative)[3]

إن ظهور المدرسة الأمريكية إلى الوجود ،وإسهاماتها في الدرس اللغوي ارتبط ارتباطا وثيقا بعلم الانثروبولوجيا (L'anthropologie ) وهو علم الإنسان بوصفه كائنا ثقافيا من الجوانب السلوكية والاجتماعية واللغوية والشعائرية والثقافية عامة ،ونظرا إلى الاختلاف في وجهات النظر وتعدد المصطلحات فإننا نحدد المقصود بهذه الكلمة في عرفنا بالانتربولوجيا الثقافية ( anthropologie culturelle ) التي تعني دراسة الثقافة البشرية تحديدا .أما الاتنولوجيا ( ethnologie )فهي دراسة مقارنة للثقافة ذات طابع اجتماعي وتاريخي وجوانب سيكولوجية معينة .[4]

---

[1] - Robert Laffont " révolution en linguistique".p121

[2] - جيفري سامبسون، " المدارس اللغوية – التطور والصراع"، ترجمة: أحمد نعيم الكراعين ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1 ،1993بيروت ، ص: 61-62.

[3] - Robert Laffont ;P121.

[4] - ينظر إيكه هولتكرانس " قاموس مصطلحات الاتنولوجيا والفولكلور " تر : محمد الجوهري وحسن الشامي ،دار المعارف ،مصر ،ط1 ، 1972 ،ص 53

لقد وقف العلماء والدارسون المنتمون لهذا التيار على وصف وتحليل اللغات التي تعرف بأنها بدائية (Primitifs )بدليل ان هذه اللغات كانت مغمورة وغير معروفة كلغة الهنود الحمر
ان مصطلح البدائية يطرح–في رأينا –الكثير من التساؤلات الموضوعية .الواقع اللغوي خاصة يؤكد ان الفكر البدائي لا يخلو بشكل أو بآخر من أشكال المعرفة التاريخية التي تحاول ان نغوص فيه حتى تكشف جذورها الأولية ،ومتى عرفنا ان من أهم خصائص الفكر ان يكون لا زمنيا ،عرفنا ان ذاك لماذا تحاول المعرفة التاريخية تجاهل هذه المرحلة المهمة من تاريخ المعرفة البشرية في بواكيرها الأولى [1] .وهناك من العلماء والدارسين اللغويين من يرفض هذا المصطلح او الوصف "البدائي" لهذه المجتمعات،ذلك بان « القول بان المجتمع البدائي هو مجتمع بسيط ويعكس مرحلة الطفولة قول مرفوض لان الدراسات الانتروبولوجية بينت ان هذه المجتمعات في غاية التعقيد خاصة في مجال تنظيماتها الاجتماعية» [2]

فلم يكن لهؤلاء العلماء بد من معاينة اللغة المنطوقة لهذه الفئة من المجتمع في أمريكا ، لذا نجد« اهتماما واعيا لدى نفر غير قليل من الدارسين بالخصائص الإنسانية في الأنظمة التواصلية لدى الجماعات البشرية ،وخاصة الجماعات التي تنعت عادة بالبدائية او الفطرية ،وقد أولع هؤلاء الدارسون ايلاعا شديدا بالنموذج اللغوي وعلاقته بثقافة مجتمع معين ،باعتبار ان الثقافة هي الحصيلة الشاملة للتقاليد والعادات والأعراف ونمط الحياة لطائفة اجتماعية تتميز بخصوصيات حضارية معينة »[3] ،ومن ثم دراستها اعتمادا على الوصف والتحليل خشية انقراضها ،لأنها لغات متناثرة ،فهي دراسات ترتكز على «وصف خصوصيات كل لغة على انفراد :أي دراسة كل لغة كما هي مستعملة في مكان وزمان معينين »[4] .ان اللغة معادلة لا يمكن الاستغناء لأي مجتمع من المجتمعات ،لأنها بعبارة بسيطة الحامل المادي للأفكار والثقافة بمفهومها العام لان كل المجتمعات سواء أكانت بدائية أو متحضرة لها ثقافة .وان الحـــامل المادي لهذه الثقافة هي اللغ ة في بنيتها المتميزة )[5]

---

[1] -ينظر عمر مهيبل " البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر " ،ديوان المطبوعات الجامعية ،ط2 ، 1993 ،ص 41

[2] -C.LEVI. STRAUSS " Anthropologie Structurale deux " , P: 139
وينظر الزواوي . المرجع السابق ، ص 150

[3] -احمد حساني " دراسات في اللسانيات التطبيقية –حقل تعليمية اللغات –، ص 32

[4] - أحمد مومن " اللسانيات ،النشأة والتطور" ،ص 187.

[5] - ينظر ماريو باي " أسس علم اللغة " ،ص 52.

إن هذه الفكرة تعود في مرحلها الجينينية إلى هاردر( Harder )وهمبلد في أوربا ،والى سابير '(1848–1939) في أمريكا حيث يرى هؤلاء جميعا ان اللغة تحدد نظرة المجتمع للعالم المحيط بالإنسان الذي ينتمي الى نمط ثقافي معين ،كما ان لها تأثيرا في الطريقة التي يفكر بها أفراد المجتمع الذين يتكلمون لغة متجانسة.[1]

لاشك في ان البحث في ميدان الانثربولوجيا ليس بالعمل الهين والسهل ،نظرا لتشعباته وعلاقاته مع علوم إنسانية أخرى ،لذا تعتبر الانثروبولوجيا «احد الفروع العلمية التي تثير إشكاليات سواء على مستوى الموضوعات والمناهج المتبعة أو على مستوى المجال والميدان الذي تبحثه .فالانثروبولوجيا التي تعني اصطلاحا "علم الإنسان" تتصف بالاتساع والتشعب ،كما تمثل نقطة اتصال بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية .»[2] هذا ما يجعل البحث والاستقصاء في هذا العلم من الصعوبات الجمة التي تواجهنا ،خاصة في تحديد علاقته بالعلوم الطبيعية .وفي غياب الشبه التام للمدونات اللغوية لهذه الشعوب البدائية ،نظرا للاعتماد لكلي على اللغة المنطوقة ،وربما كانت هذه الأخيرة من حيث أداؤها لوظيفة الاتصال أهم من لغة الكتابة وأوسع انتشارا ،فالإنسان العامي ينتج –كما هو متداول في الكثير من المجتمعات–من الحديث أكثر ما ينتج من الكتابة ،بل ان علماء اللغة يولون جل اهتماماتهم إلى اللغة المنطوقة ،ولكن دونما اقصاء للغة المكتوبة . ولكننا نرى –حسب علمنا – ان اللسانيات كفيلة بدراسة ووصف هذه الأنماط الكلامية لأنها «تسمح للانثرويولوجي بإعادة تكوين تاريخ المجتمعات التي لا تعرف الكتابة .»[3]

**الرؤى الانثربولوجية في دراسة اللغة :**

علم الانثربولوجيا هو أحد فروع العلوم الإنسانية. والانثربولوجيا أو الاتنولوجيا(Ethnologie )كما عرّفت قديماً وهو عبارة عن « دراسة المجتمعات البدائية، التي كان يقال عنها أنها لم تعرف الكتابة، و لم يتم فيها استعمال الآلة»[4]

---

[1] -عاطف مدكور ،المرجع السابق ،ص 49.

[2] - الزواوي بغوره " المنهج البنيوي .بحث في الأصول والمبادئ والتطبيقات " ،دار الهدى ،الجزائر ،ط1 ،2001 ، ص25.

[3] - André Akoun " Anthropologie " les dictionnaires Marabout Universitaires 1972 ;P185. -

[4] - لومبار جاك:" مدخل إلى الاثـــنولوجيا." ، ترجمة:حسن قبيـــسي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1 ،1997م، ص9.

فعلم الانثروبولوجيا يعدّ من أهم العلوم التي ظهرت في القرن التاسع عشر وعملت على استخدام المنهج العلمي لدراسة ثقافة المجتمعات الإنسانية وخاصة البدائية منها ،ولما كانت اللغة جزءا من ثقافة أي مجتمع من المجتمعات فقد كان من الطبيعي ان تكون« دراسة اللغة احد فروع الانثروبولوجيا بل أكثرها أهمية ،لان اللغة أداة فعالة لفهم طبائع المجتمعات الإنسانية من ناحية كما أنها تعكس بوضوح أفكار هذه المجتمعات ومعتقداته من ناحية أخرى ....يهتم علم اللسانيات الانثروبولوجيا بدراسة اللغة وعلاقتها بالبيئة الثقافية التي تنشا فيها والدور المميز التي تقوم به كوعاء للثقافة ...»[1]

منذ أواخر القرن التاسع عشر ،انتقد (فرانز بواس F-Boas ) المنهج التطوري الذي أسسته المدرسة التطورية ،بحيث أكد على ضرورة معرفة لغة المجتمع المدروس بالنسبة للانثروبولوجي ،ولقد ترسخ هذا التوجه أكثر مع "ادوارد سابير ( E-Sapir ) احد أتباع Boas الذي أكد على الجانب اللاوعي في الظواهر الثقافية .لأن هذه الأخيرة يطبعها التشعب والتنوع وحتى الشمولية ،وليس كما يفهمها البعض في حدودها الضيقة ،ولنقل بصريح العبارة كما قال سابير : «ان فصل اللغة عن الثقافة ليس بالأمر الهين ،بل قد يكون مستحيلا»[2]

**المفاهيم الانثروبولوجية لــ" سابير":**

ادوارد سابير (E-Sapir) ولد بألمانيا سنة 1884 ،ولكنه هاجر في وقت مبكر الى الولايات المتحدة الأمريكية ،وتوفي هناك عام 1939.عمل في التدريس لمدة طويلة من الزمن ،وخصوصا بجامعات "شيكاغو" و"يال" Yale،وقبل أعمال حلقة براغ ،كان على "سابير" تعريف مفهوم " الفونيم "( Phonème) بكل تنوعاته ، وما سيصبح من الأساسيات في علم الفونولوجيا(Phonologie )لان «الإحساس اللساني للمتكلم ( Locuteur)،وان اللغة تكونت سماعيا (Acoustiquement) مع مجموعة من الأصوات المميزة »[3]وبناء على ذلك جاء البحث الأمريكي في موضوع العلاقة بين شقي علم الأصوات العام ،واقصد بذلك الفونتيك (Phonétique) ،وعلم وظائف الأصوات (Phonologie)،ولكنني أشير في البداية إلى ان فرديناند

1 - سامي عياد حنا وآخران " معجم اللسانيات الحديثة " ،ص 06.

2 -ينظر ميشال زكريا " الالسنية (علم اللغة الحديث ) مبادؤها وأعلامها ،ص 220.

3 - Robert Laffont " révolution en linguistique"P124.

دي سوسير( F. D.Saussure ) استعمل اللفظ (Phonétique)للدلالة على ذلك النوع من علم اللغة التاريخي الذي يحلل الأحداث والتغيرات والتطورات عبر السنين، فهو جزء أساسي من علم اللغة .في حين حدد مجال (Phonologie) لدراسة العملية الميكانيكية للنطق،وعدّه من اجل ذلك علما مساعدا لعلم اللغة[1]

وأقر العديد من الباحثين أن الفونتيك يهتم بالدراسة الفيزيائية للأصوات ،فضلا عن الجانب البسيكولوجي للكلام ،سمعي ،تصويتي ،وأحيانا بمساعدة الأجهزة ،لان الصوتيات لا تأخ ذ بعين الاعتبار المدلول (...) فيمكن لنا صوتيا أن ندرس لغة لا نفهمها[2]

أما الفونولوجيا فتعتمد على تحليل القواعد التي بموجبها تتآلف الوحدات الصوتية الصغرى في لغة ما في إنتاج الملفوظات"énoncés" [3] .أما جورج مونان فيحرص على أن الفونتيك جزء من الفونولوجيا التي تدرس في لسان معين تقطيع السلسلة الكلامية" Chaîne Parleé"إلى فونيمات (...)للتعرف على هذه الفونيمات ،ثم ترتيبها...[4]

لقد كان الأمريكيون في هذه المرحلة يطلقون مصطلح " الفونولوجيا" على الدراسة الصوتية الدياكرونية العامة للأصوات، بينما يحددون مصطلح "الفونتيك" على ذلك النوع من الدراسة الصوتية العامة التي لا تعنى بوضع الفروق بين جانبي الأصوات، وظل هذا الأمر سائدا حتى وقت قريب وخاصة بين العلماء الذين اهتموا بدراسة الأصوات والذين وجهوا عنايتهم على الدرس اللغوي عامة.

إن تطور الدراسات الصوتية حتم على العلماء الامريكيين إفراد منوالين إجرائيين لدراسة الأصوات فأطلقوا مصطلح الفونتيك (phonétique) على ذلك النوع الذي يعنى بالنظر في الجانب المادي للأصوات، المتمثل في تلك الآثار السمعية الناتجة عن عمليات النطق( l'articulation )، بل ويرى الأمريكيون ان هذا النوع من علم الأصوات يجب ان يعتمد على منوالين أو علمين

---

[1] - F- de sausure :Cours de linguistique générale ,P55-56

[2] - Christian Baylon .Paul Fabre :Initiation à la Linguistique .éd Fernand Nathan.1975. P84

[3] - Révolution en linguistique,P96-97

[4] - George Mounin : ,Clefs pour la linguistique,P98

مهمين وهما: ( علم الأصوات الفيزيولوجي (phonétique physiologique ) وعلم الأصوات السمعي (phonétique Auditive).

الملاحظ في هذا الباب ،ان علماء المدرسة الأمريكية قد تبنوا مصطلح " الفونولوجيا " ويقصدون به الدراسة الوظيفية للأصوات،ولعل ذلك جريا على المفاهيم اللسانية السائدة آنذاك ،والتي مفادها ان الفونولوجيا ما هي إلا دراسة تعقبية دياكرونية ليس إلا أو ربما كان ذلك «فهم لشعورهم بأن استعمال الفونولوجيا في هذا المعنى فيه صعوبة ظاهرة ، لارتباطه بمعنى قديم ثابت في أذهان الناس وهو انطلاقه على الدراسات التاريخية» [1]، ولذلك أطلقوا مصطلح آخر هو ( الفونيم phonème) أو الوحدة الصوتية. وللإشارة فان الدراسات اللغوية الأمريكية ظلت إلى وقت غير بعيد حبيسة التأثيرات الفرنسية في منوال الدراسات اللغوية ،وليس أدل على ذلك حيث يعتبر الفونيم هو الوحدة الأساسية التي يمكن أن تتحقق في أشكال متنوعة سمي كل منها ألوفون "allophone" [2].

أكدنا -فيما سبق – ان الخوض في مجال البحث اللغوي الانثربولوجي ليس سهلا نظرا للعلائق التي تربط بين علم الانثربولوجيا من جهة وبقية العلوم الإنسانية ،وحتى العلوم الطبيعية من جهة أخرى .لأنه من الصعب-حسب علمنا- على لساني حديث ان يحدد نفسه بمادة بحثه التقليدية .وما لم يكن هذا اللساني ضيق الأفق نوعا ما ،فانه لن يستطيع إلا ان يشترك جزئيا أم كليا في الاتجاهات المتبادلة التي تربط اللسانيات بالانتربولوجيا وتاريخ الثقافة وعلم الاجتماع ،وعلم النفس والفلسفة ،وعلى نحو ابعد الفيزياء يرى سابير ان« اللسانيين –شاؤوا أم أبوا –يجب ان يصبحوا معنيين أكثر فأكثر بعدد من المشكلات الانتربولوجية والاجتماعية والنفسية التي تجتاح حقل اللغة» [3]وهذا بالنظر إلى التفاعل بين هذه العلوم مجتمعة . و لم يكن (سابير ) منشغلا بالانثربولوجيا واللسانيات فحسب ،بل بالأدب والفن والموسيقى أيضا ،ولذا رأى انه لا ينبغي فصل الدراسة اللغوية عن دراسة باقي عناصر السلوك البشري ،وعن علم النفس وعلم الاجتماع

[1] - كمال محمد بشر، " علم اللغة العام ، الأصوات" دار المعارف للنشر، مصر 1971، ص:65

[2] - أحمد مختار عمر ،" محاضرات في علم اللغة الحديث" ، عالم الكتب للنشر ، ط1 القاهرة ، 1995 ،ص 17

[3] - رومان جاكبسون " الاتجاهات الاساسية في علم اللغة " ،تر : على حاكم صالح وحسن ناظم ،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ،المغرب .ط1 ، 2002 ،ص 44

،وهذا ما جعله يركز كثيرا على الجانب الإنساني للغة وعلى بعدها الثقافي ،وعل أسبقية الفكر على الإرادة والأحاسيس.[1]

هذه الحقيقة "السابيرية " تنم عن ذكاء ثاقب ،ولعلها —لأهميتها–قد أسالت الكثير من المداد ،واهتم بها الكثير من اللسانيين على اختلاف مشاربهم ،وأصبحت تعرف باسم " فرضية ورف وسابير (Sapir –Whorf Hypothesis )ومفادها ان «العالم الذي يعيش فيه الإنسان قفص لغوي وان لغة المرء تؤثر على تفكيره ،وعلى إدراكه للواقع ورؤيته للأشياء على حد قول سابير :"ان الناس يعيشون تحت رحمة اللغة التي أصبحت وسيلة للتعبير في مجتمعهم ...وان العالم الحقيقي مبنيّ إلى حد كبير —وبدون وعي — على العادات اللغوية للمجتمع .»[2]

دأب العلماء العاملون في الحقل الانثربولوجي الى معاينة ودراسة الأشكال التعبيرية لبعض القبائل،وتوصلوا إلى نتائج تقترب من نظرية العالم اللساني الانثربولوجي " ورف" تلك النظرية مكنت هؤلاء العلماء من رصد لغة قبائل الاسكيمو التي تزخر بالعديد من الأسماء التي تطلق على مفهوم الثلج وذلك لأن « البيئة التي تحيط بتلك القبائل هي بيئة ثلجية باردة ،ان هذه البيئة استطاعت ان تجعل ذهنية قبائل الاسكيمو تفصّل وتنوع في مفهوم الثلج تنويعا كبيرا استطاع ان يؤثر على البيئة اللغوية عندهم،وكذلك الأمر بالنسبة لقبائل "الهوسة والشونة في القارة الإفريقية ،تلك القبائل التي لا تعرف ذهنيتها سوى بعض الألوان الرئيسية التي استطاعت ان تحدد بدورها المستوى اللغوي في لغة الهوسة والشونة ،وهذا لا يختلف بالطبع عن البيئة الأوربية التي تعرف من الألوان الشيء الكثير.»[3]

ترجع أصول القول إن اللغات المختلفة تؤثر في التفكير بطرائق مختلفة ،وقد استمد "ورف" أصول النظرية النسبية من أستاذه "سابير" .وكان ورف يعمل في بداية حياته في شركة تامين ضد الحريق ،ولاحظ أثناء عمله ان الحرائق تشتعل حين يفقد الناس حذرهم ،وحين يقرؤون كلمة "فارغ" مكتوبة على صهاريج البترول ،فيلقون بأعقاب السجائر حولهم ناسين ان كلمة فارغ لا تعني ان الأبخرة الباقية في الصهاريج لم تعد قابلة للاشتعال .وخرج من هذه إلا ملاحظة بان

---

[1] - -أحمد مومن " اللسانيات ،النشأة والتطور " ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،ط3 ،2007 ،ص189.

[2] - أحمد مومن :م نفسه ،ص190

[3] - مازن الوعر " قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث " ،ص 564.

الكلمات هي العلة في اشتعال الحرائق.[1] ومن الأمثلة التي تؤكد علاقة اللغة بالتفكير في إطار ما أصبح يسمى بالفرضية الورفية السابيرية .فالذي يعيش « في ثقافة عربية قد يجيب عن سؤال خاص بعدد ألوان "قوس قزح" بأنها ستة وهي الأحمر والبرتقالي والأصفر والأخضر والأزرق والبنفسجي ،وهذا صحيح بالنسبة له ،لكنه غير صحيح بالنسبة لمن يتحدث اللغة الروسية ،حيث ينقسم اللون الأزرق فيها إلى لونين لكل منهما اسم خاص (يقارب قولنا ازرق فاتح ،وازرق غامق)،كما تختلف اللغات أيضا في مدلول الاسم والفعل ،وفي الأزمنة ...» [2] فتسمية الألوان بأسمائها مرتبط بثقافة أي شعب من الشعوب ،ومن الجانب الاتنولوجي العرقي فالامر ليس بعيدا عن ذلك لان الثقافة هي التي تقولب الفكر ففي تجربة أقيمت على قبيلتي " إيدوما "" Idoma " وإيبو" Ibo "في غرب إفريقيا أثبتت ان ظاهرة التاتاة (وهي من الأمراض اللغوية) منتشرة انتشارا واسعا في ثقافتيهما ...وان حوادث التاتاة والتلعثم اللغوي منتشر جدا في جنوب إفريقيا ولا سيما بين الأطفال الذين هم من أصل هندي أكثر من انتشاره بين الأطفال الذين هم من أصل إفريقي .[3]

إن النموذج اللغوي –بناء على طروحات سابير وتلميذه ورف –يرتبط بشكل بيّن بالنماذج الثقافية لأية مجموعة بشرية ،ومن هنا فان اللغة بمقدورها ان تؤثر على الطابع الثقافي المميز للمجتمع ، فالثقافة لم تعد تقتصر على مجال معرفي دون آخر –كما يتوهمه البعض–بل جرى التوسع في المضامين الثقافية فغدت تشمل كل أشكال الحياة ونظمها التي تكونت عبر التاريخ ،كما تشمل اللغة والمعتقدات وأنماط السلوك والمبادئ الأخلاقية والموسيقى والفن.[4]

من المسلمات في تاريخ الدراسات اللغوية الانثربولوجية الأمريكية خاصة ،والفكر اللساني العالمي عامة ان "سابير" هو مؤسس الانثروبولوجية الأمريكية ،قام بدراسات تناولت اللغات الأمريكية–الهندية ،و قد ترك بصماته واضحة في هذا المنوال العلمي من خلال الكثير من الأفكار التي نادى بها ،ومنها :

---

[1] - جمعة سيد يوسف " سيكولوجية اللغة والمرض العقلي " ،ص 152.

[2] - م ،نفسه ،ص 153.

[3] - ينظر :مازن الوعر ،المرجع المذكور سابقا ،ص 540.

[4] - أحمد محمد قدور " اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي " دار الفكر ،دمشق سوريا ،ط 1 ،2001 ،ص 111-112.

-التمييز بين التنظيم اللغوي المثالي أو النموذجي وبين التنظيم المادي أو الواقع الكلامي .معتبرا ا التنظيم الحقيقي والهام في حياة اللغة هو التنظيم المثالي ،وهو ما يمكن مقارنته بالتمييز الذي أقامه "سوسير" بين اللغة والكلام

-حدد اللغة من حيث أنها بنية وشكل قائم على علاقات العناصر ووظيفتها

-فرق بين المستوى التاريخي والمستوى الوصفي ،وبين المستوى الفونولوجي والمورفولوجي[1]

أكد العالمان ( ورف وسابير ) في نظريتهما حول نسبية اللغة ،ان العالم من حولنا يتم إدراكه بطريقة مختلفة كليا من الأفراد ،الذين تختلف لغاتهم اختلافا تاما من حيث بنيتها وتراكيب كل واحدة منها ،وان تراكيب بنية اللغة هي السبب في الاختلاف الذي تلحظه بين الأفراد في طريقة إدراكهم العالم من حولهم .ان فكرة ورف وسابير القائلة ان الفكر شيء نسبي يختلف باختلاف اللغة التي يتكلم بها الشخص المفكر كانت موضوع نقاش من علماء النفس والانتربولوجيا .فالعديد منهم يعترف بوجود صلة بين اللغة وطريقة إدراك العالم .[2]

ان البحث المعمق في العلاقات التاريخية والتطورية القائمة بين اللغة والإنسان ،يفتح المجال واسعا لتحديد نوعية هذه العلاقات ودونما اقصاء للتطورات التاريخية التي طرأت على الإنسان منذ نشوئه وحتى الآن ،وكيف استطاع هذا الإنسان ان يستثمر معطياته اللغوية لتلبية حاجياته اليومية في مختلف المناسبات والظروف ،هل يمكن لنا من خلال هذا الطرح الموضوعي –حسب علمي- ان ننعت هذه اللغات بالبدائية ؟ فإن كانت كذلك فهل لنا من عالم متخصص يحدد لنا وبكل دقة ما هي المواصفات العلمية والموضوعية التي تميز هذا النوع من اللغات ؟ هل هذا التطور اللغوي يخضع بالضرورة لهذا التطور الانثربولوجي الإنساني ؟ ثم ما هو نظام هذه اللغات الصوتي ،والنحوي والدلالي ؟

هل كلمة " ثلج " تحمل نفس المفهوم والقيمة الدلالية التي تحملها الكلمة نفسها في اللغة الانجليزية ولغة الاسكيمو ؟

هل هذه الفروق خاضعة لعوامل حضارية أم لعوامل ثقافية اجتماعية أم لعوامل لغوية ؟[3]

---

[1] -G.P.Bronckart " Théories du langage .une introduction critique" éd;Pierre mardaga .Bruxelles ;1977 ; P 126

[2] - ينظر: نسيم عون " الألسنية محاضرات في علم الدلالة " دار الفارابي ،بيروت ،لبنان ،ط1 ،20005 ،ص 211

[3] - مازن الوعر ،المصدر المذكور سابقا ، ص405.بتصرف

ان اللغة عند " سابير " لا تبتعد كثيرا عن المنحى السوسيري ،فهي مؤسسة اجتماعية تختلف باختلاف الشعوب وتحمل وظيفة أساسية هي وظيفة الاتصال ،إذ ان هدفها الأساسي هو التعبير عن الأفكار والرغبات والعواطف ضمن المجموعة البشرية التي تتكلمها . ولا نكاد نعدم الوظائف التي تقوم بها اللغة ، ومن الصعب تحديدها؛ لأن اللغة جزء من السلوك الإنساني

فإن سابير (Sapir) يرى أنه: "من الصعب تحديد وظائف اللغة، ذلك لأن اللغة راسخة رسوخاً عميقاً في جملة السلوك الإنساني، بحيث لا يوجد جانب وظيفي من سلوكنا الواعي إلا وتلعب فيه اللغة دوراً كبيراً [1].فاللغة ليست نظاما مرجعيا فحسب " Système de Référence" ولكنها نظام تعبيري أيضا "Système expressif" [2] إذا يمكننا القول بان اللغة التي تنتمي إلى مجتمع بشري معين والتي يتكلمها هذا المجتمع ويفكرون بواسطتها هي المنظم " L'organisateur على حد قول "سابير" لتجربة هذا المجتمع وهي تصوغ بالتالي عالمه وواقعه الحقيقي فكل لغة بكلمة مختصرة تنطوي على رؤية خاصة للعالم."[3]

فإن كانت أهمية المدرسة الأمريكية متمثلة في ارتباطها بالإطار الانثربولوجي ،وتركيزها على اللغات الهنداوربية هذا ما انعكس ايجابيا على المقاربة البنيوية التي اعتمدت اللغة نموذجا في دراستها للمجتمعات البدائية ،ونعني هنا جهود "شتراوس "C -Levis Strauss وغودرلييه

ولقد كان هاجس "سابير "هو إقامة انتروبولوجية على أساس النموذج اللساني ،هذا الهاجس سينفذه فيما بعد "كود ليفي شتراوس،فلقد استغل (ك ل شتراوس ) في دراسته للفكر البدائي وأساطير البدائيين ،هذا التوسع لمجال اللغة ،حيث أصبح يشتمل على مجال العلامة والرمز ( sémiologie ) لدراسة الأشكال الفكرية والرمزية للمجتمعات البدائية [4]

تناول (ك.ل.ستراوس)( c.l.strauss )أزواجا عديدة من التقابلات ( طبيعة و ثقافة ،شعور ولا شعور ، سحر وعلم ، بنية وممارسة ،تقنين ومعنى . ان موقفه من التاريخ قد تطور تطورا كبيرا ابتداء من كتابه " الفكر المتوحش " سنة 1963 الذي أعلن فيه ان عالم الاتنولوجيا

---

[1] - صبري إبراهيم السيد" علم اللغة الاجتماعي مفهومه وقضاياه" ، الاسكندرية ،1995، ص: 159.

[2] - محمود احمد السيد " اللسانيات وتعليم اللغة " ط 1 ،دار المعارف للطباعة والنشر ،سوسة ،تونس ، 1998 ،ص 43.

[3] - ينظر المرجع نفسه ،ص 42.

[4] - ينظر الزواوي بغوره ،المرجع المكور سابقا ، ص 39.

( Ethnologie ) [*] يحترم التاريخ ،ولكنه لا يخلع عليه قيمة كبرى ،وقرر ان التاريخ والبنية يمثلان وجهين غير قابلين للانقسام لحقيقة واحدة بعينها [1]،بل قدم "شتراوس" في كتابه" العقل البدائي أو الوحشي نقدا لمفهوم المادية التاريخية عند "سارتر" وشجبه لافتراضه ان مجتمع اليوم أرقى من ثقافات الماضي ،وهي الفكرة الأساسية التي أقام عليها "سارتر" كتابه " نقد العقل الجدلي 1960فقد استبدل "شتراوس بالنظرة الدياكرونية التي تؤمن بحركة التطور المطرد إلى الأمام دائما ،نظرة سنكرونية آنية لا ترى في اللحظة التاريخية نقطة تحول من تخلف إلى تقدم ،وترفض التمييز بين الثقافات والآداب والفنون .[2]

يعد سابير (Sapir) أول من وضع الأسس الانثربولوجية لدراسة اللغة ،كما يعد أول فيلسوف استطاع ان يشمل اللسانية وفلسفة اللغة والحياة الاجتماعية في دراسة شاملة للبنية الاجتماعية ،وكان له الأثر الأكبر في تطور الدراسات اللغوية ،وخاصة فيما يتعلق بالعلاقات المتبادلة بين الفكر واللغة وبينهما وبين البنية الاجتماعية ،كما انه وضع أسس التحليل التزامني للنظام اللغوي ،وهو تحليل يوازي تحليل "دي سوسير " أصالة رغم انه ليس اشد منه عمقا .ويعد بعض الدارسين " سوسير " و" سابير " أبوي اللسانيات الحديثة على الرغم من ان " سابير " كان يهتم بدراسة المجتمع البشري من منظار انثربولوجي أكثر مما كان يهدف إلى إرساء قواعد علم اللغة العام.[3]

ويمكننا –من خلال هذا الطرح–ان ننعت " سابير " بأكثر اللسانيين إنسانية ،وذلك بمرجعية اهتماماته بالشخصية الإنسانية من خلال تمظهراتها الثقافية والفنية في الحياة الاجتماعية (...) وقد تمكن من دراسة كل هذه الأشكال بحساسية وذوق من دون إغفال أو اقصاء للمشاكل الحقيقية [4]

---

[*] تتألف الانتروبولوجيا البنيوية من فرعين أساسيين ،وهما : الاتنوغرافيا ( Ethnographie )،والاتنولوجيا ( Ethnologie )فالأول يشمل الوصف وتقنيات العمل الميداني ،أما الثاني فهو التركيب النظري

فالعمل الانتروبولوجي وفق المرحلتين ،فالأولى وصفية يعيش فيها الانتروبولوجي في وسط شعب من الشعوب " البدائية " ،أما الثانية فتركيبية الهدف منها هو اكتشاف النسق البنيوي للمجتمع. ينظر:الزواوي بغورة " المنهج البنيوي " ،ص 149.

[1] - زكريا إبراهيم " مشكلات فلسفية ،دار مصر للطباعة (دت) (دط) ،ص 94.

[2] - :نبيل راغب " موسوعة النظريات الأدبية " مكتبة لبنان ناشرون ،الشركة المصرية العالمية للنشر ،لونجمان (دط) (دت)

[3] - محمود أحمد السيد ،المرجع المذكور سابقا ،ص 42.

[4] -Giulio C .LEPSCHY " la linguistique Structurale " TRAD :Louis Jean Calvet ;Petit Bibliothèque , Payot ,P: 101-102

أسهم سابير إسهاما كبيرا في إرساء أصول اللسانيات الوصفية –كما وضحنا–في أمريكا ،ويبدو ان نظرته إلى اللغة وعلاقاتها الوطيدة بالحياة عامة وبالفكر خاصة ترجع إلى تأثره بأفكار العالم الألماني ( همبولت) ونظرا للمكانة العلمية التي بلغها "سابير" فان كثيرا من آرائه قد تبناها شومسكي فيما بعد.[1]

[1] ـ أحمد مومن :المرجع المذكور سابقا ،ص192

# خاتمة

تعدّ الدراسات اللسانية العصبية والبيولوجية من المجالات الجديدة في المعرفة العلمية اللسانية المعاصرة ،إذ مكنت اللسانيات من ان تتبوأ مترلة لا عهد لها بها بفضل هذا التواؤم بينها وبين العلوم الطبيعية ،وقد تجلى ذلك في هذه الجهود التي مافتئ العلماء اللغويون والبيولوجيون وعلماء الأعصاب يبذلونها محاولة منهم الكشف عن الكيفية التي يتم من خلالها صياغة الأشكال اللغوية المختلفة للبنية الفطرية في الدماغ البشري ،ومن ثم معالجة بعض الأمراض اللغوية والحبسة الاكلينيكية إضافة إلى البحوث الفسيولوجية.

بات واضحا الآن وحسب التقارير العلمية المتخصصة ان المخ يعتبر أساس العمليات المعرفية والعمليات السيكولوجية ،والإدراك والفهم...الخ ويتم ذلك كله من خلال هذا النظام العجيب المذهل الذي تكونه البلايين من الخلايا العصبية .وبناء على ذلك فان تمركز اللغة في احد شقي المخ فطري في الأساس وخصوصا بالنسبة للجنس البشري ،وعليه فان نظرية التنظيم الدماغي للغة في علم النفس العصبي قد استمدت من بناء تشريحي بمساعدة الأجهزة العلمية المتطورة التي أثبتت ان الأعطاب المخية هي المسؤولة عن الاضطرابات اللغوية ،وقد اثبت البحث البيولوجي والعصبي اللغوي ان هناك مناطق مختلفة في دماغ الإنسان، وان كل منطقة من هذه المناطق مختصة بوظيفة معينة لها قوتها الفيزيولوجية ،هذه القوة بدورها تؤثر على السلوك الخارجي للإنسان .من هنا فان الضرر الدماغي يختلف في طبيعته عن الأمراض الأخرى.وقد مكنت عمليات التشريح من تحديد المناطق المتضررة التي أثرت سلبا على بعض الوظائف السلوكية كالعجز عن استخدام اللغة ،أو ظهور بعض الأعراض المرضية اللغوية لدى هؤلاء المرضى .والحقيقة –كما أكدنا –ان الفضل في ذلك يعود إلى الجـــراح الفـــــرنسي " بروكا " (Broca ) واكتشافاته الرائدة في جراحة المخ.

إذا كانت اللسانيات البيولوجية والعصبية قد حددتا لنفسيها إطارا مرجعيا ،ومنوالا إجرائيا في تناولهما للظاهرة اللغوية ،وبخاصة ما تعلق منها بدراسة ووصف وعلاج بعض الأمراض اللغوية،فان اللسانيات الانثربولوجية –من حيث هي دراسة الألسنة الخاصة بالجماعات البشرية وخاصة تلك المجتمعات التي تنعت بـــ" البدائية" رغم ما في هذا النعت من تجريح وانتقاص من قيمة هذه الشعوب والمجتمعات –قد تناولت اللغة من منظار آخر حينما عقدت صلة قوية بينها وبين الطابع الثقافي للمجتمع ،وحينما نقول ثقافة ،فإننا لا نعني الثقافة بمفهومها الضيق البسيط كما يتوهمه البعض ،وإنما نريد منها الثقافة بمفهومها الواسع والعميق من حيث هي حصيلة كلية

للتقاليد والعادات والأعراف ...لطائفة اجتماعية تتميز بخصوصيات حضارية معينة .ويتبيّن لنا — من خلال هذا الطرح – أنّ الدراسات الإنتربولوجية لم تعد تقتصر على الشعوب البدائيّة، التي لا تعرف الكتابة، وإنما أصبحت الآن تشمل دراسة المجتمعات المعقّدة، والحضارية المعاصرة، وبالتالي أصبح بالإمكان الإحاطة بواقع وثقافة أي مجتمع مهما اختلفت عاداته وتقاليده وأنماط عيشه،ومن ثم تحديد النموذج اللغوي لهذا المجتمع.

وفي ضوء هذا الطرح نكون قد بلورنا هذا البحث كلية ،وعندئذ يكون لزاما علينا ان نرصد أهم النتائج المتوصل إليها من خلال معاينتنا عن قرب لظاهرة الأمراض اللغوية ،والعلاقة الوشيجة بينها وبين علوم لسانية وإنسانية وطبيعية أخرى على الرغم من ان الكثير من هذه الملامح قد اتضح في ثنايا العرض ،ومع ذلك بإمكاننا التأكيد على بعض النتائج التي نوردها مختصرة ومقتضبة على النحو الآتي :

- كثيرة هي النظريات التي تعــاقبت على دراسة اللغة وعلاقتـــها بالفكر ،وهي في ذلك على شبه نقيض فالعلاقة بين اللغة والفكر علاقة جدلية سرمدية لا تنتهي ،بل هما وجهان لعملة واحدة.

- أثبتت الدراسات اللغوية المعاصرة أن اللسانيات البيولوجية ،واللسانيات العصبية قد قدمتا خدمات جليلة خدمة للغة ونواح لسانية تطبيقية عديدة ومن أهمها معالجة بعض الأمراض اللغوية .

- نعتقد إلى حد الجزم ان البحث في ظاهرة الأمراض اللغوية لا يمكن ان نختصرها في الجهود الطبية المعاصرة ،ولا حتى المعاينات النفسية البسيكولوجية ،بل يجب ان تعطى الأولوية للعلماء اللسانيين ،أو بعبارة أخرى فان إمكانية علاج هذه الظاهرة يتجاوز الجانبين الطبي والنفسي ويتعداهما إلى الجانب اللساني.

- كبيرة هي المسؤولية الملقاة خاصة على الأولياء (الأم والأب) في تصحيح بعض الأخطاء النطقية في بداية عهد الطفل باللغة ،وان بقي الأمر على هذه الحال ،فان هذا الطفل سيكون —حتما– عرضة لأمراض لغوية يتفاقم حالها من سن لآخر .

- لا يمكن أن ننكر أن بعض الأمراض اللغوية يمكن دراستها بناء على معطيات اللسانيات الانثربولوجية والاتنولوجية العرقية ،فيكون العامل الوراثي عاملا أساسيا في ظهورها.

وختاما إنّي أقرّ قرارا هاما ،وهو أنّني أفدت من هذا العمل الذي قبلته بعد تردّد ،واستفدت كثيرا من الآراء الجديدة في علم اللسانيات البيولوجي والعصبي والانثربولوجي ،بل وازددت علما في قضايا علم اللغة العام وشتى الفروع اللسانية ،والفضل في ذلك كلّه لأستاذي المشرف الدكتور عبد الجليل مرتاض بعد الله سبحانه وتعالى.كما لا يمكنني –رغم كل هذا الجهد- ان أنكر أنني غير راض كل الرضا عن هذا العمل ،فهو –حسب علمنا المتواضع- بحاجة إلى المزيد من البسط والتحليل والشرح ممّا سيجعله أحسن مما هو عليه الآن.وإنّا لنرجو ونتمنى ان يكون لهذا البحث –الجديد في تخصصه –ما يكمّله ويقوّم اعوجاجه من دراسات علمية لسانية متخصصة ،تصحح اخطاءه ،وتعالج ما شابه من قصور.

ونحمد الله تعالى جلّ ثناؤه ،فهو من وراء الجهد والقصد واليه المبتغى ،وهو الموّفق والمستعان.

# قائمة المصادر والمراجع

**القرآن الكريم برواية ورش**

**قائمة المصادر والمراجع :**

1- إبراهيم أنيس " الأصوات اللغوية " مكتبة الانجلو المصرية ،الطبعة الرابعة ،سنة 1971.
2- أحمد حساني " دراسات في اللسانيات التطبيقية –حقل تعليمية اللغات " ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر،سنة 2000.
3- " مباحث في اللسانيات " ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،سنة 1999.
4- أحمد عبد المجيد هريدي " الألعاب اللسانية ،دراسة صوتية تركيبية " الشركة الدولية للطباعة ،القاهرة ،الطبعة الأولى ،سنة 1999.
5- أحمد عزوز " المدارس اللسانية .أعلامها مبادؤها ومناهج تحليلها للأداء التواصلي " دار الأديب للنشر والتوزيع ،الجزائر .
6- أحمد محمد المعتوق " الحصيلة الغوية ،أهميتها ،مصادرها ووسائل تنميتها " الصفاة ،الكويت ،سنة .1997
7- أحمد محمد قدور " اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي " دار الفكر ،دمشق ،الطبعة الأولى ،سنة 2001.
8- أحمد مختار عمر " دراسة الصوت اللغوي " عالم الكتب للنشر ،جامعة القاهرة ،كلية العلوم ،سنة 1998.
9- " محاضرات في علم اللغة الحديث " عالم الكتب للنشر ،القاهرة ،الطبعة الأولى ،سنة .1995
10- أحمد مومن " اللسانيات .النشأة والتطور " ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،الطبعة الثالثة ،سنة 2007.
11- إنعام فوال عكاوي " المعجم المفصل في علوم البلاغة " مراجعة أحمد شمس الدين ،دار الكتب العالمية ،بيروت ،لبنان .
12- بسام بركة " معجم اللسانية " منشورات جروس ،الطبعة الاولى ،سنة 1985.

13- تركي رابح " أصول التربية والتعليم " المؤسسة الوطنية للكتاب ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر سنة1990

14- تمام حسان " اللغة العربية معناها ومبناها " عالم الكتب ،القاهرة ،الطبعة الثالثة،سنة1998

15- " مناهج البحث في اللغة " دار الثقافة ،الدار البيضاء ،المغرب (دت) (دط)

16- الجاحظ " الحيوان " تح :عبد السلام محمد هارون ،دار إحياء التراث العربي بيروت ،لبنان

17- "البيان والتبيين " تح :محمد عبد السلام هارون ،دار الفكر للطباعة والنشر

18- الجرجاني (الشريف) " التعريفات " ضبط وفهرسة :محمد بن عبد الكريم القاضي ،دار الكتاب اللبناني ،الطبعة الأولى ،سنة 1991.

19- الجرجاني (عبد القاهر ) " دلائل الإعجاز في علم المعاني " تصحيح وتعليق محمد رشيد رضا ،مطبعة المنار ،الطبعة الثانية ،سنة 1331هـ.

20- جلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلى " تفسير الجلالين " تح :الشيخ محمد الصادق القمحاوي ،مكتبة رحاب ،الجزائر.

21- جلال شمس الدين " علم اللغة النفسي مناهجه ونظرياته وقضاياه " الإسكندرية ،سنة 2003.

22- جمعة سيد يوسف " سيكولوجية اللغة والمرض العقلي " ،سلسلة عالم المعرفة ،سنة .1990

23- ابن جني " الخصائص " تح : محمد علي النجار ،الهيئة المصرية للكتاب ،الطبعة الرابعة ،سنة .1999

24- " الّمع " تح : حسين محمد شرف ،القاهرة ،سنة 1979.

25- " سر صناعة الإعراب " تح :حسن هنداوي ،دار القلم ،دمشق ،سوريا ،الطبعة الثانية ،سنة .1993

26- حسام البهنساوي " لغة الطفل في ضوء مناهج البحث اللغوي الحديث " دار المناهل للطباعة ،مصر ،سنة .1994

27- حسام سعيد النعيمي " الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني " دار الرشيد للنشر ،العراق ،سنة 1980.

28- حفيظة تازوتي " اكتساب اللغة العربية عند الطفل الجزائري " دار القصبة للنشر ،سنة 2003.

29- حلمي خليل " اللغة والطفل ،دراسة في ضوء علم اللغة النفسي " دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،بيروت ،لبنان.

30- حلمي خليل " دراسات في اللغة والمعاجم " دار النهضة العربية ،بيروت ،لبنان ،الطبعة الاولى ،سنة 1998.

31- حنفي بن عبسى " محاضرات في علم النفس اللغوي " ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،الطبعة الخامسة ،سنة 2003.

32- ابن خلدون " المقدمة " تح :لونان،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ،لبنان ،سنة2004.

33- الخليل بن أحمد الفراهيدي " العين " تح :مهدي المخزومي ،وإبراهيم السامرائي،دار مكتبة الهلال

34- خولة طالب الإبراهيمي " مبادئ اللسانيات " دار القصبة للنشر ،الجزائر ،سنة 2000.

35- خير الله عصّار " محاضرات وتطبيقات في علم النفس اللغوي " دار النهضة العربية للكتاب.

36- رمضان عبد التواب " التطور اللغوي ،مظاهره وعلله وقوانينه " مكتبة الخانجي ،القاهرة الطبعة الثالثة ،سنة 1997.

37- ريمون طحان " الألسنية العربية " دار الكتاب اللبناني ،بيروت ،لبنان ،الطبعة الثانية ،سنة 1981

38- زكريا إبراهيم "مشكلات فلسفية "دار مصر للطباعة(دط))دت).

39- الزمخشري " أساس البلاغة " مطبعة المكتبة المصرية ،الطبعة الثانية ،سنة 1972.

40- الزواوي بغورة " المنهج البنيوي ،بحث في الأصول والمبادئ والتطبيقات " دار الهدى ،الجزائر ،الطبعة الأولى ،سنة 2001.

41- سعد عبد العزيز مصلوح " دراسة السمع والكلام " عالم الكتب القاهرة.

42- السكاكي " مفتاح العلوم " منشورات الكتب العلمية الجديدة ،بيروت ،لبنان.

43- سهيلة رغيس وآخران " كتاب العلوم الطبيعية والحياة " السنة الأولى الثانوية (ج م آ)ديوان المطبوعات المدرسية 2006/2005.

44- سيبويه " الكتاب " تح :عبد السلام هارون ،مكتبة الخانجي القاهرة ،الطبعة الثانية ،سنة 1983

45- ابن سينا " كتاب الشفاء " تح : محمود الخضيري ،القاهرة ،سنة .1970

46- صالح بلعيد " دروس في اللسانيات التطبيقية " دار هومة للطباعة ،الجزائر ،الطبعة الأولى ،سنة 2003.

47- " علم اللغة النفسي " دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ،الجزائر ،سنة 2008.

48- صبحي عمران شلش " علم وظائف أعضاء الحيوان العام " دار البعث ،قسنطينة ،الجزائر ،سنة .1984

49- صبري إبراهيم السيد " علم اللغة الاجتماعي ،مفهومه ،قضاياه " الإسكندرية ،سنة 1995 .

50- الطاهر بومزبر " التواصل اللساني والشعرية " الدار العربية للعلوم ،الطبعة الأولى ،سنة 2007.

51- عاطف مدكور " علم اللغة بين القديم والحديث " مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية ،دمشق ،سنة .1987

52- عبد الجليل مرتاض " التحليل اللساني البنيوي للخطاب " دار الغرب للنشر والتوزيع ،الجزائر ،سنة 2002.

53- " التحولات الجديدة للسانيات التاريخية " دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ،سنة 2005.

54- " اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي " دار الغرب للنشر والتوزيع

55- " اللغة والتواصل " دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع .الجزائر.

56- " بوادر الحركة اللسانية الأولى عند العرب " مؤسسة الأشرف ،بيروت ،لبنان ،الطبعة الأولى ،سنة .1988

57- " في رحاب اللغة العربية " ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،سنة .2004

58- " مباحث لغوية في ضوء الفكر اللساني الحديث " منشورات ثالة ،الجزائر ،سنة 2003.

59- " مقاربات أولية في علم اللهجات " دار الغرب للنشر والتوزيع ،الطبعة الثانية
60- عبد الرحمن أيوب " الكلام إنتاجه وتحليله " مطبوعات جامعة الكويت ،سنة .1984
61- عبد السلام المسدي " الأسلوبية والأسلوب نحو بديل السني في نقد الأدب " الدار العربية للكتاب ،ليبيا ،سنة 1977.
62- " اللسانيات من خلال النصوص " الدار التونسية للنشر ،الطبعة الثانية ،سنة،1986
63- عبد الصبور شاهين " في علم اللغة العام " مؤسسة الرسالة ،الطبعة الرابعة ،سنة 1984.
64- عبد القادر الفاسي الفهري ، اللسانيات واللغة العربية ، منشورات عويدات ، بيروت ،الطبعة الأولى ،سنة 1986 .
65- عبد القادر عبد الجليل " الأصوات اللغوية " كلية العلوم والآداب ،الجامعة الهاشمية ،الأردن ،سنة .1998
66- عصام نور الدين " علم وظائف الأصوات اللغوية " دار الفكر اللبناني ،بيروت ،الطبعة الأولى ،سنة 1992.
67- "علم الأصوات اللغوية –الفونتيكا "دار الفكر اللبناني،بيروت ،الطبعة الأولى ،سنة1992 .
68- علي عبد الواحد وافي " نشأة اللغة عند الإنسان والطفل " نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ،الطبعة الثانية ،سنة .2005
69- عماد عبد الرحيم الزغلول " الاضطرابات الانفعالية والسلوكية لدى الأطفال " دار الشروق ،الأردن ،الطبعة الأولى ،سنة .2006
70- عمر مهيبل " البنيوية في الفكر اللساني المعاصر " ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،الطبعة الثانية سنة .1993
71- الغالي احرشاو " الطفل واللغة " المركز الثقافي العربي ،الطبعة الأولى ،سنة 1993.
72- الغزالي (أبو حامد) " معيار العلم في المنطق " دار المعارف مصر ،سنة .1969
73- فؤاد مرعي " في اللغة والتفكير " دار الهدى للثقافة و النشر ،سنة 2000.

74- ابن فارس ، "الصاحبي في فقه اللغـــة وسنن العرب في كلامها ". تح : السيد أحمد صقر ، القاهرة ،مطبعة عيسى البابي الحلبي.

75- فاطمة الطبال بركة " النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون " المؤسسة الجامعية لدراسات والنشر والتوزيع ،بيروت ،الطبعة الأولى ،سنة 1993.

76- فيصل محمد خير الزراد" اللغة واضطرابات النطق والكلام "دار المريخ ،السعودية،سنة 1990.

77- كريم زكي حسام الدين " الدلالة الصوتية "مكتبة الانجلو المصرية ،الطبعة الأولى،سنة 1992.

78- كريمان بدير " الأسس النفسية لنمو الطفل " دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ،الأردن ،الطبعة الأولى ،سنة 2007

79- كمال الدسوقي " النمو التربوي للطفل والمراهق ،دروس في علم النفس الارتقائي " دار النهضة العربية ،بيروت ،لبنان ،سنة 1979.

80- كمال محمد بشر " علم اللغة العام –الأصوات " دار المعارف للنشر ،مصر سنة 1971.

مازن الوعر " دراسات لسانية تطبيقية " ...

81- مازن الوعر " دراسات لسانية تطبيقية " دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ،سوريا ،الطبعة الأولى ،سنة 1998.

82- " قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث " دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ،الطبعة الأولى ،سنة 1988.

83- المبرد " الكامل " تح : أبو الفضل وشحاته ،نهضة مصر ،القاهرة ،الطبعة الثانية .

84- محمد الصالح الضالع " علوم الصوتيات عند ابن سينا " دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ،القاهرة ،سنة 2003.

85- محمد الصغير بناني " النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين " ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،سنة 1994.

86- محمد الناصف " التربية والتعليم " الشركة التونسية لفنون الرسم ،سنة 1996.

87- محمد جاسم محمد " نظريات التعلم " دار الثقافة للنشر والتوزيع ،الطبعة الأولى ،سنة 2007.

88- محمد حماسة عبد اللطيف " النحو والدلالة " دار الشروق ،الطبعة الأولى ،سنة 2000.
89- محمدحولة "الارطفونيا" ،علم اضطرابات اللغة والكلام والصوت"دار هومة، الجزائر،سنة 2007.
90- محمد صالح بن عمر " كيف نعلم العربية لغة حية ؟ بحث في إشكالية المنهج " دار الخدمات العامة ،تونس ،الطبعة الأولى ،سنة 1998.
91- محمد عماد الدين إسماعيل " الأطفال مرآة المجتمع " عالم المعرفة ،الكويت ،سنة 1986.
92- محمد عودة الريماوي " علم نفس النمو " الطفولة والمراهقة " دار المسيرة للنشر والتوزيع ،عمان ،الأردن ،الطبعة الأولى ،سنة 2003.
93- محمد عيد " الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون " عالم الكتب ،القاهرة ،سنة 1979.
94- محمد محمد داود " العربية وعلم اللغة الحديث " دار غريب للطباعة والنشر ،سنة 2001.
95- محمد وطاس " أهمية الوسائل التعليمية في عملية التعلم عامة وفي تعليم اللغة العربية للأجانب خاصة" المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،سنة 1988.
96- محمود أحمد السيد " اللسانيات وتعليم اللغة " دار المعارف للطباعة والنشر ،سوسة ،تونس ،الطبعة الأولى ،سنة 1998.
97- محمود أحمد نحلة ، مدخل إلى دراسة الجملة العربية ، دار النهضة العربية ، بيروت 1988
98- محمود السعران " علم اللغة –مقدمة للقارئ العربي " دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،بيروت ،لبنان
99- محمود سليمان ياقوت" منهج البحث اللغوي "دار المعرفة الجامعية للنشر،الكويت ،سنة 2002.
100- محمود فهمي حجازي " علم اللغة العربية .مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية " وكالة المطبوعات ،الكويت ،سنة 1973.
101- " مدخل إلى علم اللغة " دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ،سنة 1998.
102- محمود فهمي زيدان " في فلسفة اللغة " دار النهضة العربية للطباعة والنشر ،بيروت ،سنة 1985.

103- مراد وهبة وآخرون " المعجم الفلسفي " ،القاهرة ،سنة 1971.

104- مصطفى بن عبد الله بوشوك " تعلم وتعليم اللغة العربية وثقافتها " مطبعة النجاح الجديدة ،الطبعة الثالثة ،سنة 2003.

105- مصطفى حركات " اللسانيات العامة " دار الآفاق (دط) (دت)

106- مكي درار " الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية في كتاب سيبويه " اتحاد الكتاب العرب ،دمشق ،سوريا ،سنة 2007.

107- " المجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية " دار الغريب للنشر والتوزيع ،الطبعة الثانية ،سنة 2006.

108- ابن منظور " لسان العرب " دار صادر ،بيروت ،سنة 1986.

109- ميشال زكريا " الألسنية ( علم اللغة الحديث ) قراءات تمهيدية " المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،سنة 1984.

110- " الألسنية (علم اللغة الحديث ) مبادؤها وأعلامها " المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،بيروت ،لبنان ،الطبعة الأولى ،سنة 1980.

111- " الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية ) المؤسسة الجامعية ،بيروت ،لبنان ،الطبعة الثانية.

112- " قضايا ألسنية تطبيقية ،دراسة لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة تاريخية " دار العلم للملايين ،بيروت ،سنة 1993.

113- " مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة " المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،الطبعة الثانية ،سنة 1985.

114- " مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة " المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،بيروت ،لبنان ،سنة 1983.

115-نايف خرما " أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة " عالم المعرفة ،الكويت ،سنة 1978.

116- نبيل راغب " موسوعة النظريات الأدبية " مكتبة لبنان ناشرون ،الشركة المصرية العالمية للنشر ،لونجمان (دط) (دت)

117- نبيل عبد الهادي وآخرون " تطور اللغة عند الطفل " الأهلية للنشر والتوزيع ،الأردن ،الطبعة الأولى ،سنة .2007

118- نسيم عون " الألسنية –محاضرات في علم اللغة " دار الفارابي ،لبنان ،الطبعة الأولى ،سنة 2005.

119- نعمان بوقرة " المدارس اللسانية المعاصرة " مكتبة الآداب ،القاهرة .

120- نور الدين النيفر " فلسفة اللغة " مؤسسة أبو جدان للطباعة والنشر والتوزيع ،تونس ،الطبعة الأولى ،سنة 1993.

المراجع المترجمة :

1- إيكه هولتكراس " قاموس مصطلحات الاتنولوجيا والفولكلور " تر :محمد الجوهري وحسن الشامي ،دار المعارف ،مصر ،الطبعة الأولى ،سنة 1972.

2- جان بياجيه " البنيوية " تر :عارف منيمنه وبشير أوبري ،منشورات عويدات ،بيروت ،الطبعة الأولى ،سنة .1971

3- جلوريا يوردن وكاترين س هاريس " أساسيات علم الكلام " تر:محي الدين حميدي،دار الشروق العربي ،سوريا ،سنة .1990

4- جوديث جرين " التفكير واللغة " تر :عبد الرحيم جبر ،الهيئة المصرية للكتاب ،سنة .1992

5- جيفري سامبسون" المدارس اللغوية ،التطور والصراع " تر :احمد نعيم الكراعين ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،الطبعة الأولى ،سنة .1993

6- ديدييه يورو" اضطرابات اللغة " تر :انطوان إ الهاشم ،منشورات عويدات ،بيروت ،لبنان ،سنة 2000.

7- رومان جاكبسون " الاتجاهات الأساسية في علم اللغة " تر :علي حاكم صالح وحسن ناظم ،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ،المغرب ،الطبعة الأولى ،سنة .2002

8- " قضايا الشعرية " تر :محمد الوالي ومبارك حنوز،دار توبقال للنشر ،الدار البيضاء ،المغرب ،الطبعة الأولى ،سنة .1988

9- رونالد ايلوار " مدخل إلى اللسانيات" تر :بدر الدين القاسم ،مطبعة جامعة دمشق ،سوريا سنة .1980

10- ستيفن اولمان " دور الكلمة في اللغة " تر :كمال بشر ،دار غريب ،القاهرة.

11- فردينان دي سوسير " دروس في الألسنية العامة" تع:صالح القرمادي وآخران ،الدار العربي للكتاب

12- كرستين تميل " المخ البشري .مدخل إلى دراسة السيكولوجيا والسلوك" تر :عاطف احمد ،سلسلة عالم المعرفة ،سنة 2002.

13- لومبار جاك " مدخل إلى الاتنولوجيا " تر :حسن قبيسي ،بيروت ،الطبعة الأولى ،سنة 1997.

14- نوريا روكا ومارتا سيرانو" خلايا المورثات والصبغيات " تر:محمد هناد ،دار القصبة للنشر ،الجزائر ،سنة 2007.

المراجع الأجنبية :

**1-** Adrien J et Autres " la recherche en Neurobiologie" éd du seuil 1997.
**2-** André Akoun "Anthropologie "les dictionnaires ,Marabout Universitaires ,1972.
**3-** André Martinet " éléments de linguistique générale"Armond-collin ;4éd,1998.
**4-** " la linguistique " guide alphabétique .éd
**5-** Carole Sanders " lire aujourd'hui cours de linguistique générale ,hachette ,Paris 1979.
**6-** Charles Goedert " Guide pratique du grammaire français"éd du seuil;1983
**7-** Chomsky " Aspects de la Théorie Syntaxique " TRAD Jean claude Milner ; éd le seuil ;Paris 1978.
**8-** " Linguistique Cartésienne " ; éd le Seuil ; 1969
**9-** "langage et pensée" trad :jean .louis calvet ,éd Payot 1969**.**
**10-** Christian Baylon,Paul Fabre"Initiation à la Linguistique "éd,Fernand Nathan,1975.
**11-** Denis Girard " linguistique Appliquée et didactique des langues " Armond Collin –Longman, 1972**.**
**12-** Ducrot( oswalt) et Todorov(Tzvetan) " Dictionnaire encyclopédique des sciences du langage " éd du seuil 1979.
**13-** EDWARD Mattei et Thomas Roeper" Introduction à la Psycholinguistique " trad :Ranka Bijeljac ,Bordas ,Paris ,1988.
**14-** Ernest R.Hilgard et Autres "Introduction à la psychologie " trad: David Belanger ,éd ,études vivantes , Paris 1980.
**15-** F De Saussure " cours de linguistique générale" éd Payot ,1981.
**16-** Francis Tollis " la parole et le sens" Armond collin ,éd ,Paris 1991.
**17-** Francoise F et Autres " Syntaxe de l'enfant avant 5 ans "larousse , Paris ,1éd,1977.
**18-** G.P Bronckart "Théories du langage ,une introduction critique" éd pierre mardaga .Bruxelles 1977.
**19-** Gallisson R et Coste " dictionnaire et didactique des langues ";Hachette;1976.

**20-** Georges Mounin " Dictionnaire de la linguistique " P.U.F ;Paris 1979.
**21-** " la linguistique du vingtième siècle" ,Presses universitaires de France,2éd,1975.
**22-** "clefs pour la linguistique " , éditions seghers,Paris 1971.
**23-** "Histoire de la linguistique dés origines aux vingtième siècle "Presses universitaires de France , 1éd,1967.
**24-** Giulio c Lepschy " la linguistique Structurale "trad:Jean louis calvet,Petit bibliothèque .Payot .
**25-** Illingworth .R.S "développement psychomoteur de l'enfant " TRAD:J.F,Einzenbaum ,éd Masson ,Paris 1978.
**26-** Jean Dubois et Autres " Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage " éd Larousse .Bordas 1999.
**27-** Josiane Boutet " langage et société " éd le seuil 1997.
**28-** Laurence Lentin " Apprendre à parler à l'enfant de moins de 6ans ,ou? Quand? Comment ? " les éds E.S.F,Paris ,5éd ,1975.
**29-** Malmberg" les domaines dr la phonétique " éd ;P.U.F 1971.
**30-** Marie louise moreau " Sociolinguistique .concepts de base " Mardaga ,1997.
**31-** Nadia sam " "L'aphasie de l'enfant " office des publications universitaires ;2008.
**32-** Oswald Ducrot " la structuralisme en linguistique " éd du seuil 1968.
**33-** Paul Foulquié "Dictionnaire de la langue philosophique " P.U.F ,1éd 1962.
**34-** Robert Laffont " révolution en linguistique " éd .grammont 1975.
**35-** Robert Sarrasin " Psycholinguistique expérimentale et théorie " bibliothèque nationale du Québec ,1977.
**36-** Roland Barthes" le degré zéro dans l'écriture ",éd le seuil ,Paris 1972.
**37-** Roman Jakobson " Langage enfantin et Aphasie " trad: Jean paul Boons et Radmila zygouris ,éd de minuit ,1969.
**38-** Sherwood " Physiologie Humaine " Nouveaux .horizons ,2éd .

# فهـــــرس

# فهـــــــرس

**الملخص :**

يتناول هذا الموضوع البحث في ظاهرة الأمراض اللغوية التي لا يمكن ان يختصر البحث فيها في فرع لسانيّ بعينه ،وإلا عُدَّ إجحافا في حق البحث اللساني نفسه، لأنه لابد من التعرف على البحوث المعاصرة التي تناولت هذه الظاهرة ،والتي تستدعي حضور كل الفروع اللّسانية،وخاصة علم الأعصاب وعلم النفس ،وعلم البيولوجيا و،علم الاجتماع .والواقع ان معالجة مثل هذه الظواهر قد يتعدى البحث الذي اعتاده العاملون في العلوم اللغـــوية من وجهة نظر لغوية بحتة.وهذا –فيما أظن– قد حققناه من خلال موضوعنا الذي يعكس صورة جلية للترابط والتقاطع بين علم اللسانيات وعلم الأعصاب وعلم النفس وعلم البيولوجيا في تناولنا لـــ"ظاهرة الأمراض اللغوية وعلاقتها بعلم اللسانيات الانثروبولوجي" اعتقاداً منا أنّ البحث في هذه الظاهرة يتجاوز الجانبين الطبي والنفسي ويتعداهما إلى الجانب اللساني.

**الكلمات المفتاحية** :الأمراض اللغوية ،علما الأعصاب والبيولوجيا ،الافازيا ، الاضطرابات النطقية التواصل اللغوي ، الاكتساب اللغوي وعوائقه.

**Résume:**

Ce sujet comprend une recherche sur le phénomène des pathologies du langage ou aphasie ,lequel une recherche exclusivement basée sur l'étude de langage s'avère insuffisante ,et porte atteinte a la recherche linguistique elle-même .Aujourd'hui ,il est nécessaire de prendre en considération dans de telles situations ,les travaux récents des savants ayant traité ce phénomène en faisant appel à diverses branches de disciplines ayant encore un lien avec la linguistique à savoir la neurologie ; la psychologie ; et la sociologie.
En réalité , le traitement de tels phénomènes dépasse les méthodologies habituelles adaptées par les spécialistes , qui se limitent uniquement a une vision linguistique .Et ce –a ce que je pense – que nous avons réalisé a travers notre sujet qui reflète une image claire de l'intersection et le lien solide entre la linguistique et les autres disciplines .il porte pour titre " le phénomène de la pathologie du langage et le lien avec la linguistique anthropologique ."
Nous pensons que la recherche sur ce phénomène devra tout d'abord passer par le cote medico-psychique pour arriver enfin au cote linguistique.

Mots Cles : Pathologie du Langage ,Neurobiologie , l'aphasie , les troubles langagière , la communication et l'acquisition du langage ; les obstacles.

**Summary**:

This subject includes a research on the phenomenon of the pathology of language .this research can't be restricted only on the study of language ;otherwise it will undermine linguistic research itself.Nowadays we must take into account recent reseaches which have already studied this phenomenon which necessitate other disciplines such as neurology ; psychology ; biology , and sociology .
In fact , the traitment of such phenomenon exceeds the usual methodologies adapted by the specialists , who limit themselves only to a linguistic vision .and this-so l think –that we carried out through our subject ,which reflects a clear image of the intersection and the solid relationship brtween the linguistic and the other diisciplines the title of this research is " the language pathology and the relationship with the anthropological linguistic" by thinking that the research on this phenomenon can go beyond both the medical and psychological sides to reach the linguistic side.

Key Words:pathology of language ,neurobiology ,trouble of pronunciation ;aphasy; the linguistic communication and acquisition ;its obstacles.